وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الإسلامية- بغداد
مركز البحوث والدراسات الإسلامية
(مبدأ)



مجلة الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكَّمة نصف سنوية
يصدرها مركز البحوث والدراسات الإسلامية
(مبدأ)
الجامعة الإسلامية/ بغداد

السنة السابعة عشرة العدد ٢٥/ ١ ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

الهيئة الاستشارية

هيئة التحرير

مجلة الجامعة الإسلامية/العدد (١/٢٥) (٢٠١٠م)

بغداد – الجامعة الإسلامية

الترقيم الدولي لليونسكو ٤٥٢١ -١٨١٣ ISSN

الإخراج الفني: باسل عبد الكريم صالح

تنضيد: مقداد حسين، سوسن فائق، تبارك أحمد، هناء كاظم

عنوان المراسلات:

العراق– بغداد– محلة ٣٠٨ شارع ٢٢/ الجامعة الإسلامية

أ.د.إبراهيم عبد صايل الفهداوي: رئيس هيئة التحرير

هاتف: ٤٢٥٤٢٥٧

فاكس: ٤٢٥٣٢٤٦

البريد الالكتروني للجامعة: islamicuniversitybag@yahoo.com

البريد الاليكتروني للمجلة:mabda_irsc@yahoo.com

شروط النشر

١. يجب أن يكون البحث المقدم للنشر جديداً وأن تراعى فيه القواعد المتعارفة في البحث العلمي والدراسة الأكاديمية من نواحي توثيق المصادر والمراجع والنصوص، فضلاً عن الموضوعية والمنهجية في البحث.

٢. ضرورة تحقق السلامة اللغوية مع مراعاة علامات الترقيم ومتانة الأسلوب مع وضوح الفكرة.

٣. يرتب البحث على الوجه الآتي:

عنوان البحث- اسم الباحث- مرتبته العلمية وعنوانه- المقدمة- متن البحث- النتائج- الخاتمة- قائمة الهوامش- المصادر.

٤. تكتب الهوامش على النحو التالي:

أ. عند توظيف الهامش للمرة الأولى: يكتب اسم الكاتب الكامل، عنوان الكتاب بالكامل، المحقق أو المترجم، رقم الطبعة (تستثنى الطبعة الأولى)، ومن ثم توضع بين قوسين معلومات (المكان، دار النشر أو المطبعة، سنة الطبع) المجلد أو الجزء ثم رقم الصفحة.

ب. عند توظيف الهامش للمرة الثانية: يختزل اسم الكاتب بالمشهور ثم عنوان الكتاب مختصرا، الجزء والصفحة.

أما الهوامش المتعلقة بالدوريات فتكون كالآتي:

أ. عند توظيف الهامش للمرة الأولى: اسم المؤلف، عنوان المقال، المحقق أو المترجم، اسم الدورية، المجلد أو العدد (المكان، دار النشر أو الإصدار، سنة النشر)، ثم الصفحة.

ب. عند توظيف الهامش للمرة الثانية: يختزل اسم المؤلف بالمشهور، ثم عنوان البحث أو المقال مختصراً، الصفحة.

أما إذا كان الهامش موقعاً اليكترونياً فيثبت تاريخ المطالعة تتبعه نقطة، ثم يكتب العنوان الاليكتروني كاملاً بين الأستاذين <www...>.

٥. تثبت قائمة المراجع كالآتي:
البدء باسم شهرة الكاتب أو عائلته متبوعاً بفاصلة تليها بقية الاسم متبوعةً، عنوان الكاتب متبوعاً بنقطة، مكان النشر متبوعاً بنقطتين، اسم الناشر متبوعاً بفاصلة، تاريخ النشر متبوعاً بنقطة.
٦. يقدم البحث مطبوعاً بثلاث نسخ، مطبوعة بوساطة الكومبيوتر على ورق قياس A٤ على وجه واحد وأن يكون المتن والهامش مطبوعاً بخط Simplified Arabic قياس المتن ١٦ والهامش قياس ١٤ والعنوان الرئيسي ١٨ والعنوان الفرعي ١٦ غامق.
٧. يجب أن لا يكون البحث مستلاً من (رسالة/ أطروحة) جامعية ولم يسبق نشره، وليس معروضاً للنشر في أية وسيلة نشر أخرى وعلى الباحث تقديم تعهد بذلك.
٨. يجب أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن ٣٠ صفحة وفي حالة زيادة عدد الصفحات إلى حد ٤٠ صفحة يؤخذ مبلغ قدره ٣٠٠٠ دينار عن كل صفحة.
٩. تخضع البحوث لتحكيم سري لتحديد صلاحيتها للنشر ولا تعاد الأبحاث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أو لم تقبل.
١٠. لهيئة التحرير الحق في حذف أو إعادة صياغة بعض الألفاظ، ولها الحق في عدم نشر بحث ما.
١١. يقدم مع البحث مبلغ مقداره أربعون (٤٠٠٠٠) ألف دينار، ويعاد المبلغ عند عدم صلاحية البحث للنشر بعد استقطاع مبلغ التقويم والمتابعة.
١٢. يزود صاحب البحث– عند نشره– بنسخة واحدة من المجلة.

المقدمة..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد...،

فإن مسيرة البحث العلمي بمختلف التخصصات مستمرة وشتى العلوم لخدمة الإنسانية على وجه المعمورة، وقد كان ديننا الإسلامي مهتماً بالدعوة إلى العلم والبحث والتفكير لتسعد الإنسانية وترقى وتسمو بثمار تلك العلوم، والتي كانت ثمرة لما أنتجته الثقافة الإسلامية منذ مبعث الهادي ﷺ.

وبهذه المناسبة، يسر مجلة الجامعة الإسلامية أن تقدم عددها الجديد ١/٢٥ والذي يضم في محتواه بحوث بمختلف الاختصاصات وشتى العلوم، نسأل الله أن ينفع بها الدارسين والباحثين لينفعوا المجتمع بها.

والحمد لله رب العالمين.

هيئة التحرير

المحتويات

آيات اللين في القرآن الكريم
دراسة موضوعية دلالية

د. وضاح كافي حلومي محمد العزاوي

كلية أصول الدين/ قسم التفسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾

سورة آل عمران: الآية ١٥٩

قال النبي صلى الله عليه وسلم ! !

«إن الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانهُ، ولا ينزع من شيء إلا شانه»(١)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد كان فضل الله تعالى جلياً في مجيء دينه الحنيف إذ يسر القرآن للذكر فأنزله بلسان عربي مُبين، وأتمهُ نبينا الكريم محمد ﷺ بجوامع كلمه ليفسره للناس أجمعين، ويرجع ذلك كله للمعجزة الكبرى كتاب الله العزيز والحجة الدائمة على خلقهِ، ونبراساً للدعاة إلى يوم الدين، يستمدون من نبعهِ الحِكم ويقتبسون من نورهِ مشاعل الحضارة، مما دفعني إلى العناية بعلم التفسير الموضوعي(٢) الذي يراعي بالهدايات القرآنية محاولاً التوضيح عنها قدر المستطاع من خلال دلالة السياق للآيات الكريمة.

وتتبع مفرداته وطريقة استعمالاتها، مستدلاً بذلك من خلال المناسبات(٣) والروابط بين السور والآيات، ولعل الباحث والدارس لهذا الجانب من التفسير يجد عناءً شديداً لافتقار المؤلفات الإسلامية لهذا اللون من التفسير، مع أن تاريخ هذا العلم (التفسير الموضوعي)(٤) قديم إذ لا توجد إشارة في الكتب القديمة عنه، ومع ظهوره بوصفه مصطلحاً حديثاً، رأيت أن

أقوم ببحث متواضع لآيات اللين دراسة دلالية موضوعية فنية محاولاً تغطية بعض الجوانب المهمة فيها خدمةً لكتاب الله تعالى أولاً، وتوضيحاً لمحبي التفسير الموضوعي ثانياً، فقد تناولت في بحثي هذا الجانب المنهجي لهذا اللون من التفسير، فاقتضت طبيعته أن يُقسم على مبحثين:

فالمبحث الأول: خصصتهُ لمفهوم لفظ (اللين) في القرآن الكريم، وما يتعلق به، وقد قسمته على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى (اللين) في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: مساحة مادة (لين) في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بلفظ (اللين)، وفيه سبعة ألفاظ.

والمبحث الثاني: فكان عنوانه (ألفاظ اللين في القرآن الكريم دراسة دلالية)، وفيه ستة مطالب.

وفي بحثي هذا تناولت الآيات التي جاء فيها لفظ (اللين) مبيناً سبب استعمال هذا اللفظ ومستخرجاً ما فيه من دلالات ومحاور لطيفة حسب الإمكان.

واعتمدت في ذلك على كتب التفسير وكتب المعاجم اللغوية وكتب الحديث النبوي الشريف وكتب متنوعة أخرى.

أسال الله جل جلاله أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ويوفقني لخدمة كتابه الكريم.

المبحث الأول
مفهوم لفظ (اللين) في القرآن الكريم وما يتعلق به

المطلب الأول: معنى (اللين) في اللغة والاصطلاح

قال ابن فارس في (لين): «اللام والياء والنون كلمة واحدة، وهي اللِّين: ضد الخشونة، ويقال هو في لَيَان من عيش، أي: نعمةٍ، وفلانٌ مَلْيَنَة، أي: ليَّن الجانب»(٥).

يُقال: في فعل الشيء الليِّن: لأن الشيء يَلِينُ لِيْناً ولَيَاناً وتَلَيَّنَ وشيءٌ لَيِّنٌ ولَيْنٌ، مخفف منهُ والجمع أَلْيِنَاءُ(٦) وفي الحديث: «**يتلون كتاب الله لَيِّناً**»(٧)، أي: سهلاً على ألسنتهم، ويروى لَيْناً، بالتخفيف، لغةً فيه، وأَلاَنَهُ هو ولَيَّنَهُ وأَلْينَهُ: صَيَّرهُ ليناً(٨).

وَلَيِّن الشيءَ تَلْييناً وأَلَانَهُ إِلَانَةً: جعلهُ لَيِّناً، وأَلَانَ للقومِ جناحهُ أخذهم بالملاطفة ويقال عن النخل لِيْنَة وأصلها لُونَه من اللون كالسواد والحمرة، وقيل اللون الدَّقل وهو ضرب من النخيل، فلما أنكسر ما قبلها انقلبت الواو ياءً[٩].

ومنه قوله تعالى: ﴿ مَاقَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾[١٠]، وجمعها لينٌ[١١].

(اللين) اصطلاحاً: ضد الخشونة ويستعمل ذلك في الأجسام ثم يُستعار للخلق وغيره من المعاني، فيقال فلانٌ لينٌ، وفلانٌ خشنٌ، وكل واحد منهما يمدح به طوراً، ويذم به طوراً بحسب اختلاف المواقع[١٢]. قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[١٣]. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[١٤]. فإشارة إلى إذعانهم للحق وقبولهم له بعد تأبيهم منه وإنكارهم إياه[١٥].

المطلب الثاني: مساحة مادة (لين) في القرآن الكريم

جاء لفظ (لين) في كتاب الله العزيز بألفاظ متعددة وصيغ متنوعة وتصريفات شتى، وذلك في خمسة مواضع من الآيات موزعة على خمس سور من القرآن الكريم، وعلى وفق الآتي[١٦].

ت	السورة	المكي- المدني	صيغة اللفظة	العدد	الآيات	رقم الآية
١	آل عمرن	مدنية	لِنتَ	١	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾	١٥٩
٢	طه	مكية	لَّيِّنًا	١	﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾	٤٤
٣	سبأ	مكية	وَأَلَنَّا	١	﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾	١٠
٤	الزمر	مكية	تَلِينُ	١	﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	٢٣
٥	الحشر	مدنية	لِّينَةٍ	١	﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾	٥

وعند تتبع إحصاء الجدول السابق للفظة (لين) علمنا أنها مذكورة في كتاب الله مرات عدة وبصيغ وتصريفات متنوعة، فإن القرآن الكريم ساق لفظ (اللين) في خمس سور منثورة على خمس آيات، فقد ذكر لفظ (اللين) مرة في سورة آل عمران، ومرة أخرى في سورة طه، وتارة في سورة سبأ، وتارة في سورة الزمر، ومرة أخيرة في سورة الحشر[١٧].

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة أو المقاربة للفظ (اللين) في القرآن الكريم

قبل أن نبدأ بدراسة الألفاظ ذات الصلة بلفظ (اللين) وددت أن أذكر أنه لا يوجد في القرآن الكريم مفردات أو ألفاظ مترادفة بل على العكس فلكل لفظ دلالته ولكل كلمة معناها وفي الترادف اللغوي وعدمه آراء خلافية[١٨].

والراجح ما أثبتناه وهذه المطالب ستؤيد صحة ذلك بالأدلة النقلية والعقلية، إذ ثبت أن دلالة مادة (لين) تختلف نسبياً على الغالب مع الألفاظ المقاربة لها إذ العلاقة بينها عموم وخصوص.

وهذا ما سنتكلم عنه في الألفاظ المقاربة للفظ (اللين) وبالله التوفيق.

أولاً– الرفق:

قال أهل اللغة في لفظ: (رفق) الراء والفاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدل على موافقةٍ ومقاربة بلا عنف، فالرفق: خلاف العنف، يقال رفقت أرفق[١٩]، وقال تعالى: ﴿ **وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا** ﴾[٢٠]. إذ قال صاحب اللباب في تفسير الآية الكريمة: «الرفق هو: لين الجانب ولطافة الفعل وصاحبه رفيق ثم الصاحب يسمى رفيقاً لاتفاقك به وبصحبته ومن هذا قيل للجماعة رفقة لارتفاق بعضهم ببعض، والمعنى إن هؤلاء رفقاء في الجنة»[٢١].

وفي الحديث: «**إن الله جل ثناؤه يحب الرفق في الأمر كلهِ**»[٢٢].

هذا هو الأصل ثم يشتق منه كل شيء يدعو إلى راحة وموافقة[٢٣].

والرفق بالكسر: ما استعين به و(لين الجانب) واللطف وهو ضد العنف، يقال عامله بالرفق[٢٤].

وبناء على ذلك يتضح أن (الرفق) يتضمن معنى الموافقة والمقاربة بلا عنف، واستحبابه في الأمور كلها ويشتق منه كل شيء يدعو للراحة، فهو أوسع استعمالاً لأنه أمر

معنوي أكثر مما هو حسي كما هو الحال في (اللين) إذ يطلق في الغالب على الأمور المحسوسة الملموسة , والله أعلم.

ثانياً- البّر:

قال أهل اللغة في (بَرّ): الباء والراء في المضاعف أربعة أصول: الصدق وحكايةُ صوتٍ، ونبتٌ وخلاف البحر، فأما الصدق فقولهم: برّ فلان في القول، أي: صدق فيه، وبرت يمينه صدقت، وأبرها أمضاها على الصدق، وتقول: بر الله حجك وأبرهُ، وحجةٌ مبرورة، أي: قبلت قبول العمل الصادق، ومن ذلك قولهم يبرُّ ربه، أي: يطيعه، ويقال يبرُ مرابته، أحسن إليهم ووصلهم[٢٥]. قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾[٢٦].

وأما حكاية الصوت فالعرب تقول «لا يعرفُ هِرًّا مِنْ بِرّ» فالهِرُّ دعاءُ الغنم، والبِرّ الصوت بها إذا سيقت، ويقال لا يعرف من يكرهه ممن يبره، أي: يصدقه، وأما النبت فمنه البُرُّ وهي الحنطة الواحدة بُرَّة، قال الأصمعي: أَبَرَّت الأرض إذا كثر بَرُّها، أما خلاف البحر، وأبر الرجل صار في البر، وأبحر صار في البحر والبرية الصحراء[٢٧]. قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[٢٨]. و(البَّر) من أسماء الله الحسنى[٢٩].

وقد عرفه أبو هلال العسكري بقوله: «البَّر: سعة الفضل المقصود إليه، والبر أيضاً يكون بلين الكلام، وبر والده إذا لقيه بجميل القول والفعل»[٣٠].

وبناء على ما تقدم من الكلام نجد أن الطريقة والكيفية التي يتصف بها البر هي خفض جناح الذل ولين الكلام وصدقه، وسعة الفضل مما جعلتنا نفرق بينه وبين اللين من جهة أن البر يكون بطريقة ما أو هيئةٍ لطيفة ومعينة، ولا يشترط ذلك في اللين، والله أعلم.

ثالثاً- النعمة:

وقالوا في (النعمة)، أي: الدعة والمال وهي ضد البأساء[٣١]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ ﴾[٣٢].

يعني في هذا الموضع حجج الله الدالة على أمر النبي ﷺ[٣٣]. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾[٣٤]. أي: تسألون يوم القيامة عن كل ما استمتعم به في

الدنيا[٣٥]. وجمع النعمة نعم وأنعم، ونَعُمَ الشيء نعومةً، أي: صار ناعماً ليناً، وثوبٌ ناعمٌ: لينٌ، والنعمة كذلك المنة وما أنعم به عليك[٣٦].

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[٣٧]. وفي الحديث: «**كيف أَنْعَمُ وصاحب القرن قد التقمَهُ؟**»[٣٨]، أي: كيف أتنعم من النعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفه، والناعمة الحسنة العيش[٣٩].

وقال الراغب الاصفهاني في (النعمة) «أي: الحالة الحسنة واللينة والسهلة»[٤٠].

فمن ذلك كله نستخلص أن لفظ (النعمة) أمرٌ معنوي في الغالب كما هو ملحوظ من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على نعم الله تعالى على عباده، وحسيٍّ كما جاء في نعيم الدنيا ولذاتها، بعكس (اللين) فأمره على الغالب حسيّ، والله تعالى أعلم.

رابعاً- لفظ (هيِّن):

قال أهل اللغة في لفظ (هون) الهاء والواو والنون أصيلٌ يدل على سكون أو سكينة، ومن ذلك الهون: السكينة والوقار[٤١].

قال تعالى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾[٤٢]. أي: بالسكينة والوقار[٤٣].

قال ابن منظور: «الهين: السهل، و (اللين)»[٤٤]، وقال الراغب: «ورجل هين، أي: لين، وقوم هينون لينون، والعرب تمدح بالهين اللين مخفف، وتذم بالهين اللين مثقل[٤٥].

قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٤٦]. أي: كل ذلك هين على الله.

قال النبي ﷺ: «**المسلمون هينون لينون**»[٤٧]. جعله مدحاً لهم[٤٨].

ويقال: هان عليه الأمر يهون هوناً، أي: لآن وسهل[٤٩]. وتأسيساً على ما تقدم نجد أن لفظ (هين) غالب استعماله معنوي خالص لوضوح تأثيره على السكينة والوقار والمدح والذم والسير على الأرض ووصف المسلمين وغير ذلك، بعكس (اللين) تماماً فاستعماله غالباً في الأمور الحسية.

والله تعالى أعلم.

خامساً- لفظ (سمح):

قال ابن فارس في لفظ (سمح) «السين والميم والحاء أصلٌ يدل على سلاسةٍ وسهولة، ويقال سمح له بالشيء، ورجل سمحٌ، أي: جوادٌ، وقومٌ سمحاء ومساميح، ويقال رمحٌ مُسَمَّحٌ: قد ثُقِّفَ حتى لآن»[٥٠].

وسَمَّحَ سار سِرًا سهلاً وليناً، وجاء في المثل: (إذا لم تجد عَزّاً فَسَمّحْ) أي: فكن ليناً[٥١]. وجاء في الحديث الشريف: «**رحم الله أمرأً إذا باع سمحاً وإذا اشترى سمحاً....**»[٥٢].

ونستدل من ذلك كله أن العلاقة بين لفظ (سمح) ولفظ (لين) متقاربة من حيث التقييد والإطلاق فنرى ذلك في إطلاق صفة السماحة متضمنة لمعنى اللين، لكن اللين يأتي أحياناً مقيدً، ومطلقا، فليس من الضروري أن تكون صفة اللين متضمنة لمعنى السماحة. والله أعلم.

سادساً- لفظ (اليسر):

قال أهل اللغة (اليسر) بسكون السين وضمها ضد العسر، وقيل شيء يسير، أي: هَيِّنٌ[٥٣].

وقالوا: ياسرهُ مياسرةً أخذ يسارهُ ولاينهُ وساهلهُ[٥٤].

وقال الدامغاني: «اليسر بمعنى العدة الحسنة»[٥٥].

وقال تعالى: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[٥٦]، أي: إذا أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم فقل لهم قولاً سهلاً ليناً وعدهم وعداً جميلاً[٥٧].

وجاء في الحديث الشريف: «**إنَّ هذا الدينَ يُسْرٌ**»[٥٨]. أراد أنه سهل سمح قليل التشديد[٥٩].

وعند النظر والتدقيق في لفظي (اليسر) و (اللين) نجد أن الرابط بينهما علاقة الخصوص والعموم، إذا أن اليسر شيء معنوي مختص بمدلوله اللفظي على معاني المفردات السابقة، خلافاً (للين)، أنه يتسع للأشياء المعنوية والحسية.

والله أعلم.

سابعاً- لفظ (سهل):

قال ابن فارس في لفظ (سهل) «السين والهاء واللام أصل واحد يدل على (اللين)، والسهل خلاف الحزن»[٦٠].

والسهل كل شيء لين وضد الخشونة والجمع سهول[٦١]. ويقال هذا الرجل سهل الخلق لَيِّنُهُ[٦٢]. وساهلهُ مساهلةً، أي: لاينهُ ملاينةً وياسرهُ وسامحه[٦٣].

قال تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾[٦٤].

نزلت الآية على ثمود قوم صالح عليه السلام، كانوا ينحِتون الجبال لسكناهم لطول أعمارهم فإن الأبنية العادية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم، فأنعم الله عليهم أن أسكنهم في أرض الحجر يبنون في سهولها قصوراً رفيعة[٦٥].

وخلاصة القول يتضح أن السهولة أعم من الليونة بدليل ما تقدم من دلالات الألفاظ بأن السهل كل شيء لين، كما أنه يدل على سعة الأمر، وربما كانت أمور وأشياء لينة لكنها ليست سهلة.

والله تعالى أعلم.

يتضح لنا مما سبق أن العلاقة بين دلالة لفظة (اللين) ودلالات الألفاظ ذات الصلة بها: (الرفق، والبر، والنعمة، وهين، والسماحة، واليسر، والسهولة) هي علاقة التقييد والإطلاق وعلاقة العموم والخصوص على الغالب، ذلك لأن كل لفظ منها يحمل معنى (اللين) وأوسع منه، فأختص كل من تلك الألفاظ المقاربة بمعنى أو معانٍ لم توجد في غيرِهِ.

إذا يمكن أن يطلق على تلك الألفاظ بـ(اللين) بشرط زيادة معانيها وتوسعها على لفظ (اللين)، كي يُطلق عليها بالألفاظ المقاربة للفظ (اللين).

المبحث الثاني
ألفاظ اللين في القرآن الكريم دراسة موضوعية دلالية.

المطلب الأول: اللين في أخلاق النبوة

بمقدور البشر أن يحصل بالتلطف واللين ما لا يمكن الحصول عليه بالعنف[٦٦]. والسطوة[٦٧]. ففي المحاورة[٦٨]. والأسلوب الحسن يصل الإنسان السَّوي[٦٩]. إلى مآربه[٧٠].

فتجدنا نلمس ذلك بفضل الله جل وعلا ورحمته إذْ ٱمْتَنَّ علينا بإرسال سيدنا محمد ﷺ هيناً ليناً كافة[٧١]. للناس.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[٧٢]. ليكون النموذج الحسن للدعاة، فلو كان قاسي القلب جافي الطباع سريع الغضب لتفرقوا ونفروا عنه وما ألفوه وتبعوه قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٧٣].

ففي هذا النص الكريم عرضٌ مستفيض للمواعظ والعبر من غزوة[٧٤] أحد[٧٥]. وقال البقاعي: «ان الله تعالى ذكر فيما سبق من النصوص الكريمة انهزام بعض المسلمين وما أصابهم من غم واضطراب لصفوفهم»[٧٦] فأرشدهم لمواطن الضعف ووصف لهم العلاج وتلك إشادة بالقيادة المحنكة الرشيدة[٧٧]. فبالرغم من مخالفة بعض الصحابة الكرام أوامر الرسول ﷺ فقد وسعهم ﷺ بإحسانهِ وخلقه الكريم وقلبه الرحيم ولم يخاطبهم بالغلظة والشدة وإنما خاطبهم باللطف واللين[٧٨].

فهكذا اجتذبت الأفئدة حول دعوته وتراصَّتْ الصفوف أمر قيادته.

فحديث هذا النص الكريم إنما عن تجليات أخلاق النبوة والمنهج الإسلامي في تنظيم أسس حياة الفرد والجماعة في أمتنا الإسلامية.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[٧٩]. وقال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[٨٠].

وعن المنة الإلهية ببعثته ﷺ قائداً وحكيماً ورحيماً، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[٨١].

وقفة تدبر وتأمل:

لقد جاء هذا النص الكريم في غضون[٨٢] السياق[٨٣] القرآني المتحدث عن فقرات[٨٤] غزوة أحد وما جاء فيها من العظات والعبر.

ذكر ابن عطية في تفسيره: لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾[٨٥]، معناه فبرحمة من الله[٨٦]، أي: فبسبب رحمة من الله تعالى أودعها في قلبك يا محمد ﷺ[٨٧]﴿لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٨٨]، فأغضيت [٨٩]، عن كثير ممن لو جفوت به وفظظت[٩٠]، وأغلظت[٩١]، عليه لتركك وفارقك فلم يتبعك[٩٢]، فبالرحمة الإلهية التي أخصك الله بها وخُلُق القرآن العظيم هانت عليك المصائب وعلمتك ما لها من المنافع وحسن العواقب[٩٣]، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك فكنت هيناً لين الجانب[٩٤] بهم مع مخالفتهم[٩٥] أمرك وعصيانك[٩٦]، و(ما) الآية، أطلق عليها سيبويه اسم الزيادة من حيث زال عملها[٩٧] وهي بمنزلة قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ ﴾[٩٨]، وقيل صلة زائدة دخلت لحسن النظم[٩٩] والعرب قد تزيد في الكلام تأكيد لما يستغنى عنه[١٠٠]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾[١٠١]، أراد فلما جاء، فأكدن بأن[١٠٢]، وقال المحققون: اللفظ المهمل الضائع في كلام أحكم الحاكمين غير جائز[١٠٣]، والوجه البلاغي في هذه الآية الكريمة هو التقريع لجميع من أخل يوم أحُد بمركزه[١٠٤]، وقوله تعالى: ﴿لِنتَ لَهُمْ ﴾[١٠٥]، أي: فهي رحمة الله تعالى التي نالته نالتهم فجعلته ﷺ رحيماً بهم ليناً[١٠٦] معهم[١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾[١٠٨]، أي: ما فرطوا في هذه الكرة[١٠٩] من حقك، ﴿وَشَاوِرْهُمْ ﴾[١١٠]، أي: استخرج آراءهم بالمشورة[١١١] ليروا أنه ﷺ يسمع منهم ويستعين بهم، وإن كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم[١١٢]،﴿ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[١١٣]، أي: الذي تريده من أمور الحرب، تألفاً لهم، وتطيبياً لنفوسهم ليشن بك من بعدك [١١٤]، وقيل المراد- بالأمر- سياسة الأمة في الحرب والسلم والخوف إلى نحو ذلك من المصالح الدنيوية[١١٥]، قال الضحاك: «ما أمر الله نبيه ﷺ بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل»[١١٦]، ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[١١٧]، إن مهمة الشورى هي تقليب أوجه الرأي واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى الدرس الأول وهو

دور تعليم الشورى في إبداء الرأي وجاء الدرس الثاني وهو دور التنفيذ في عزم وحسم، وفي توكل تام على الله تعالى، يصل الأمر بقدر الله، ويدعه لمشيئته تصوغ العواقب كما تشاء، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[١١٨]، فالتوكل هو الخلة التي يحبها الله تعالى ويكرم أهلها فمن الواجب أن نحرص عليها وبها يتميز المؤمنون فبالتوكل على الله نهاية الأمر وهو خط التوازن الأخير في التصور الإسلامي وفي الحياة الإسلامية وهو التعامل مع الحقيقة الكبيرة حقيقة أن مردَّ الأمر كله إلى الله، وأن الله فعّال لما يريد[١١٩].

فمن خلال هذه الأحداث المحتدمة[١٢٠] في أجوائها، أجواء القتال في سبيل الله، وسط الكافرين ونفاق[١٢١] المنافقين، مما ترك آثاراً في قلوبنا تتجلى فيها رحمة الله ﷻ بهذه الأمة، فتنبري[١٢٢] منها محاورٌ للمنهج الإلهي تنظيماً لحياة الفرد والمجتمع الإسلامي:

المحور الأول- حكمة اللين في الوعي، ترابط وتلاحم اجتماعي:

ويتمثل ذلك بين الرئيس والمرؤوس، والقائد والجندي، فعلى الآمر الرفق والليونة والعفو والاستغفار وعلى المأمور الإجابة والطاعة، فليس ولوج المعارك يترتب عليه ما يترتب أمراً سهلاً، بالذات وأن الكافرين والمنافقين سيتخرصون[١٢٣] ما يتخرصون زوابعَ[١٢٤] في صفوف المسلمين، فبات ضرورياً أن تتصف الأجواء المؤمنة بغاية من الوعي والترابط والتلاحم والمحبة، وهذا لن يكون إلا بتوفيق رباني، وقيادة راشدة، هكذا هي الصفات فتتقرر بها مصائر الأمم.

المحور الثاني- حكمة اللين في العفو عند المقدرة وغفر الزلات:

من ذلك ما ذكره القرطبي في تفسيره[١٢٥] لقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[١٢٦]: «هذا وإن كان خطاباً لنبيّهِ عليه الصلاة والسلام فهو تأديب لجميع خلقه»[١٢٧] بأن يرضى من الناس السهل من الأخلاق واليسير اللين في المعاملة والمعاشرة[١٢٨]، والحث على تقديم الأولى وتناسي جفاء السفهاء الجاهلين.

وما جاء في تفسير البيضاوي لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١٢٩]، بأن المحسن من جمع بين التقوى وبين الصبر والحلم على مكاره الحياة[١٣٠]، حين شعر أخوة يوسف عليه السلام بضعف موقفهم حين استخرجت السقاية[١٣١] من رحل أخيه[١٣٢] فأبقى العزيز يوسف عليه السلام أخاه[١٣٣] شكلياً بحجة شريعة يعقوب عليه السلام[١٣٤]، بأن السارق يستعبد، فحاولوا مع العزيز بلطف وخذلان منكسرين يستعطفونه ويسترحمونه: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١٣٥].

وما عدل أخوة يوسف عليه السلام إذ تركوا أباهم فاقد البصر من شدة حزنه على فقد ولده يوسف عليه السلام من قبل، وكذلك على أخيه بنيامين فيما بعد[١٣٦] إلا أن كرروا الخطأ[١٣٧] في غيّهم، ثم بعد ذلك دخلوا[١٣٨] على يوسف عليه السلام بإظهار الانكسار والاسترحام والاستعطاف بما وصلت إليه حال أبيهم وما وصلوا إليه من القحط[١٣٩] والجدب[١٤٠] وقلة الطعام: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[١٤١]، كانت دارهم رديئة لا تقبل في ثمن الطعام[١٤٢].

فلما صَرَّحَ[١٤٣] بكل شيء فُضِحُوا، وكذلك انكشفوا أمام أبيهم بعد ذلك، فكانت النتيجة هي العفو والاستغفار عن الزلات والسماح على ما ارتكبوا من الأخطاء هكذا هي سيرة الأنبياء تركيبة عجيبة من التقوى والصبر، وعلى ديدنهم الدعاة، فعند ذلك قالوا لأبيهم مترفقين معتذرين ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[١٤٤].

فما كان من الأب العطوف الرحيم إلا أن سلم بالأمر ونسي راضياً على الحال[١٤٥] : ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[١٤٦].

المحور الثالث- حكمة اللين في حسن التربية والتعليم:

فنجد ذلك في مراعاة النبي الكريم ﷺ في كل شيء، فكان حسن التربية والرفق بالمتعلمين وإحسانه إليهم من أولويات الأمور، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[١٤٧]. فباللطف وعدم جرح حياء المتعلم تشجيع على تقوية العزيمة وبذل الجهد واستخراج طاقات الآخرين، حينئذ بالإمكان الحصول على أرفع مقامات العلم والمعرفة، عن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ، قال: «**يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه**»[١٤٨].

فمع مخالفته[١٤٩] وعدم طاعتهم لأوامره ﷺ فقد كان يستوعب الصعاب بخلقه[١٥٠] الكريم فراعى حينها الفروق الفردية بين صفوف المقاتلين وخاطبهم باللطف واللين، تلك هي المبادئ الأساسية والعلمية للتربية والتعليم كي يغدو الإنسان فرداً نافعاً لنفسهِ ولعائلته وأهله ومجتمعه.

وكذلك من حسن أصول التربية والتعليم مخاطبة الناس على قدر عقولهم لأن الناس غير متساويين ولا متجانسين في الأعمار والقدرات وأرضياتهم الثقافية ومستوياتهم البيئية والاقتصادية، وغير ذلك من العوامل المؤثرة على بناء أجيال معطاءة، قال ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم، ونكلمهم على قدر عقولهم**»[١٥١]. قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[١٥٢].

المحور الرابع- الحكمة في توجيهات اللين لمبدأ الشورى وتربية الأمم للقيادة الرشيدة:

قال تعالى: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[١٥٣].

يشير هذا النص الكريم إلى كمال حال العبد ليس إلا في أن يتخلق بأخلاق الله تعالى[١٥٤]، قال عليه الصلاة والسلام: «**تخلقوا بأخلاق الله**»[١٥٥]. فقوله تعالى ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[١٥٦] فيما يتعلق بحق رسول الله ﷺ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[١٥٧] فيما يتعلق بحق الله فظاهر الأمر للوجوب والفاء في قوله تعالى ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾[١٥٨]، يدل على التعقيب فهذا يدل على أنه تعالى لما عفا عنهم في النصوص السابقة[١٥٩]، أمر نبيه الكريم أن يعفو عنهم مما يدل على الرحمة الإلهية، وحصول الرسول ﷺ فضيلة التخلق بأخلاق الله تعالى[١٦٠]، قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[١٦١] يشير هذا النص الكريم إلى أن القائد عليه أن يكون ليناً وأن يعفو ويستغفر ويشاور فليس دخول المعركة يترتب عليه ما يترتب أمراً سهلاً خاصة وإن الكافرين والمنافقين سيثيرون زوابع فلا بد أن يكون الصف الإيماني على غاية من الوعي والتلاحم وذلك لن يتم إلا إذا كان على رأس الأمر قائد راشد هذه صفاته[١٦٢].

فبعد هذا التصريح الالهي بالرحمة والمشورة نستخلص فوائد جمَّة:

١. في المشورة تستخرج الآراء الصالحة الحسنة في كل أمور الدنيا.
٢. في المشورة تفرز العقول والإفهام ومقادير الطاعة والولاء للمصالح العامة.
٣. في المشورة سُنة متبعة وإن كان المتشاور معه غنياً عن التشاور.
٤. في المشورة إنشاء أمة مسلمة ذات قيادة رشيدة.

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(١٦٣)، إن مهمة الشورى هي تقليب أوجه الرأي واختيار اتجاه من الاتجاهات المعروضة فإذا انتهى الأمر إلى هذا الحد، انتهى دور الشورى وجاء دور التنفيذ، التنفيذ في عزم وحسم، ونعم التوكل على الله يصل الأمر بقدر ويدعه لمشيئته تصوغ العواقب كما تشاء(١٦٤).

فبالمشورة إذا عبادة حقيقية، فأي شخص يطلب المشورة والتشاور يمارس عبادة لله تعالى وكذلك المستشارون، وبهذه المشورة رجوع وتحول حقيقي للأمة الإسلامية كلها حاكمها ومجتمعها إلى عبادة الله والقرب من رضاه.

فمن تلك المحاور الأساسية نجد القرآن الكريم ينظم حياتنا ويجمع بين الأصالة الربانية والمعاصرة في جدية التعامل (باللين) والرحمة من خلال الالتزام بالنصوص لأنها الحل الأمثل والوحيد لمعالجة مشكلات الناس الحياتية الواقعية إينما حلوا مستنبطين ذلك من سياقات السنة الإلهية وهدي رسولنا الكريم محمد ﷺ حين قال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»(١٦٥)، ويقول ﷺ: «**أن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»(١٦٦)، ومن هذا نتوصل إلى أن المشورة ترفعنا بالمستوى الإنساني لدرجة الرقي وهي ليست خاصة بالمسلمين، بل هي صفة وسمة عامة بالمجتمعات كلها للوصول إلى المكانة اللائقة والمنهج الموصل إلى الطريق الصحيح.

المطلب الثاني: صفة اللين من أعظم قواعد الإسلام ومبادئه

إن الرفق واللين ما دخلا على أمرٍ إلا زاناه ولا خرجا من أمرٍ إلا شاناه، فلا بد للداعية أن يلين بمن يدعوه إلى الله سبحانه وتعالى بطريقة المحاورة الحسنة والكلام الطيب حتى يسد على الشيطان باب العداوة والبغضاء، ونلحظ ذلك في دعوة موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) لفرعون عندما عتا وتجبر في الأرض، فقال تعالى: ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾(١٦٧)، أي: وقولا لفرعون قولاً رقيقاً ليناً سهلاً رفيقاً ليكون أوقع في النفوس وأبلغ(١٦٨)، وأنجع(١٦٩)، لعله يتذكر عظمة الخالق أو يخاف عقابه فيرتدع عن طغيانه، وقرأت ﴿ لَيِّنًا ﴾(١٧٠)، بالتخفيف(١٧١)، أي: لطيفاً والفاء لترتيب ما بعدها

على طغيانه فإن تليين القول مما يكسر [١٧٢]، سورة[١٧٣]، عناد العتاة ويلين عريكة[١٧٤] الطغاة[١٧٥].

فمن هذه المحنة التي ألقيت على عاتق سيدنا موسى عليه السلام كنبي مرسل وداع مبصر لنا محاور عدة:

المحور الأول- الدعوة في صورة العرض واللين والمشورة:

فالكلام الدال على معاني الترغيب والعرض استدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحوار ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله، فشبه الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشيء (اللين)[١٧٦].

المحور الثاني- اللين من شعار الدعوة إلى الحق:

فالقول اللين لا يكون بالملق[١٧٧]، أو الإدهان[١٧٨]، أو المواراة[١٧٩].

فإن هذه أمور تتجافى مع الحق إلا بالقول الحق، وما كانت رسالة موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) إلا بالحق وطلب الحق، ولا يطلب الحق إلا بالقول الحق، وإنما رقة وسهولة القول تكون باللين والرفق[١٨٠].

المحور الثالث- الأخذ بالأسباب عند الدعوة:

فالملاينة من الأسباب التي لا تثير العزة بالآثم ولا تهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، والله تعالى يعلم ما يكون من فرعون ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بد منه، والله يحاسب الناس على ما يقع منهم بعد أن يقع في عالمهم، وهو عالم بأنه سيكون، فعلمه تعالى بمستقبل الحوادث كعلمه بالحاضر منها والماضي في درجة سواء[١٨١].

المحور الرابع- عدم القنوط واليأس في الدعوة إلى الله:

أمر الله تعالى أن يذهبا إلى فرعون غير يائسين من هدايته، راجين أن يتذكر ويخشى، فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار[١٨٢].

❁ **نستخلص من تلك المحاور فائدة جمة:**

فعندما أرسل الله تعالى صفيه وحبيبه موسى عليه السلام إلى رجل هو أكبر عدو له تحدى القدرة الإلهية، فنجد أن هناك نسبة التضاد والتفاوت الكبير الذي لا يقوم بين رجلين عاديين إنما يقوم بين رجلين على طرفي النقيض.

والنتيجة بعد ذلك، لا يمكن أن يتعذر ويتعلل شخص ما ويقول إني تجاوزت وأغلظت الكلام لأن فلاناً كان كذا وكذا، بعد أحداث دعوة سيدنا موسى عليه السلام وحكمته النبوية، ذلك لأنه ما يمكن لإنسان أن يبلغ إلى هذا المدى من السفاهة والوقاحة والكبرياء الزائف، والعتو متحدياً لقدرة الله عز وجل فيقول: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤) ﴾[١٨٣].

المطلب الثالث: نبي الله داود عليه السلام ومعجزة الحديد

أخبر الله تعالى عن القوة[١٨٤] التي وصف بها النبي داود عليه السلام في ظلال السياق القرآني[١٨٥] حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) ﴾[١٨٦][١٨٧]، فكان أمراً معجزاً[١٨٨] خارقاً ليس من مألوف البشر فلم يكن الأمر أمر تسخين الحديد حتى يلين ويصبح قابلاً للطرق، إن كان- والله أعلم- معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة التليين[١٨٩] المعهودة منذ قديم الأزمان[١٩٠] وإن كان مجرد إلانة الحديد بالتسخين يعد فضلاً من الله يذكر[١٩١].

فهناك محوران أساسيان في معجزة إلانة الحديد سيدنا داود عليه السلام:

المحور الأول- حديد الدنيا هو نفسه الذي استعمله داود عليه السلام:

قد تبين أن الحديد الذي استعمله داود عليه السلام هو الحديد نفسه الذي نستعمله في الحياة الدنيا بإشارة قرآنية واضحة الدلالة، قال تعالى: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) ﴾[١٩٢].

المحور الثاني- تعليم الناس طريقة استعمال الحديد:

إذا كان الله تعالى قد ألان لداود عليه السلام الحديد معجزة بغير نار ففي الآيتين الكريمتين ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) ﴾[١٩٣]. تنبيه لتعليم الناس ضمنياً لغير نبي الله داود عليه السلام أن يُصهر الحديد بالنار حتى يلين كي يستطيع البشر الانتفاع به في غير الأمثلة المذكورة هنا في السياق القرآني

لعمل الدروع السابغة أو ما شابه، لأن الحديد في خاماته أكثر العناصر الفلزية (الفلز هو الحديد النقي) القابلة للاستخلاص انتشاراً، وهو العمود الفقري للمنشآت الهندسية والحضارة والعمران الإنساني(١٩٤).

المطلب الرابع: لين الجلود والقلوب بين الخوف والرجاء

يقول ابن كثير (رحمه الله): «أن من صفة الأبرار عند سماع كلام الله الجبار، إذا قرؤوا آيات الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر جلودهم من الخشية والخوف وإذا قرؤوا آيات الرحمة لآنت جلودهم وقلوبهم لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه»(١٩٥). فنجد ذلك شاخصاً في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾(١٩٦)، أي قرآناً متشابهاً يشبه بعضه بعضاً في الفصاحة والبلاغة والتناسب بدون تعارض ولا تناقض(١٩٧). ﴿مَّثَانِيَ﴾(١٩٨)، أي: تثنى، أي: تكرر فيه الأنباء والأخبار والقضاء والأحكام والحجج(١٩٩) ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾(٢٠٠)، أي: تعتري هؤلاء المؤمنين خشيةٌ وتأخذهم قشعريرة عند تلاوة آيات القرآن هيبةٌ من الرحمن وإجلالاً لكلامه(٢٠١).

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾(٢٠٢)، أي: تطمئن وتهدأ وتسكن نفوسهم عندما يذكر وعدٌ وذكرٌ وآيات رحمةٍ وبشرى من كتاب الله وذكره الأكبر(٢٠٣)، فقد عدى الفعل (تلين) بحرف (إلى) لتضمين (تلين) معنى: تطمئن وتسكن(٢٠٤)، فاللين هنا مستعار للقبول والسرور وهو ضد للقساوة(٢٠٥)، التي في قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾(٢٠٦).

فتقدم لنا الآيات أمرًا مطرداً في ثنايا السياقات القرآنية بطرح وَصْفَيْنِ: هما القشعريرة ثم اللين والاطمئنان، وبمعنى آخر بين الخشية والخوف مع عدم اليأس من رحمة الله وبين الرجاء من الله تعالى، فترى المؤمن دوماً في معترك هذين الأمرين ألا وهما (الرهبة والوجل) و(وطلب المغفرة والرجاء).

ومن الواجب على المؤمن أن يغلب الوجل والخوف على الطلب والرجاء عند قوته، وفي حال هزلهِ وضعفهِ أن تغلب المغفرة والطلب والرجاء على الرهبة والخشية.

المطلب الخامس: العلاقة الدلالية بين لين النخلة ولين الجانب

قال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[٢٠٧]. ﴿ مَا ﴾ الآية شرطية في موضع نصب بـ﴿ قَطَعْتُم ﴾ الآية، و﴿ مِّن لِّينَةٍ ﴾الآية، بيان له ﴿ فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ الآية جزاء الشرط، فلا بد من حذف، أي: فقطعها بإذن الله، فيكون (بأذن الله) الخبر لذلك المبتدأ[٢٠٨].

إذا جاء في التفاسير، أي: ما قطعتم أيها المؤمنون من شجرة نخيل، أو تركتموها كما كانت قائمة على سوقها فبأمر الله وإرادته ورضاه[٢٠٩].

وجاء في كتب اللغة والتفسير أن ﴿ لِّينَةٍ ﴾ الآية، بالكسر في اللغة مصدر لَانَ، والمراد بها هنا النخلة من الألوان، أي: أي شيء قطعتم من نخلة (فُعله) من اللون وتجمع ألوان، وقيل هي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية، وهما أجود النخيل، ويأؤها منقلبة عن واو لكسرة ما قبلها [٢١٠]، وقالوا ﴿ لِّينَةٍ ﴾ الآية، من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها أليان كأنهم استقوها من اللين اسم جنس كتمرة وتمر [٢١١].

ومن هذا كله يمكننا أن نفرد محاوراً تنبي في دلالتها على السياق القرآني وترجيحاته:

المحور الأول- أصل كلمة (لينة):

لعل إرجاع لفظ (لينة) إلى اللين أولى وأقرب من إرجاعها إلى (اللون)، وما يؤيد ذلك ويدعمه وجه الشبه الحاصل بين مصطلحي (اللين) و(النخلة).

إذا الجامع بينهما البذل والعطاء والصبر والمنفعة[٢١٢]، وما يؤيد ذلك ما ورد في الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «**إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثوني ما هي، قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله، قال هي النخلة**»[٢١٣].

المحور الثاني- العلاقة بين اللين والفيء:

لو أننا نظرنا في السياق لوجدنا الآيات التي بعد آية (اللينة) تتحدث عن الفيء، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢١٤].

والفيء[٢١٥]: ما غنمه المسلمون بدون قتال ولا مشقة ومن أجل ذلك كله عبر القرآن الكريم بلفظ (لينة) انسجاماً مع دلالات السياق للألفاظ.

إذ السياق له أثرٌ كبير في الترجيح الدلالي بين المفردات[٢١٦].

المحور الثالث- أثر دلالة اللين في السياسة الشرعية:

فقد استدل عامة العلماء على أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وأتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد من مصلحة النكاية بأعدائهم فالمسألة إذاً من قبيل ما ينطوي تحت أسم السياسة الشرعية.

فقد ذكر العلماء إنما كان قصد الرسول ﷺ بتصرفه هذا في النخيل- قطعاً أو كفاً- تحقيق المصلحة وتلمس السبيل إليها إرشاداً أو تعليماً للأئمة من بعده، وذلك واضح من خلال سيساق الآية، فقد نزل القرآن الكريم تصويباً لما أقدم عليه النبي ﷺ من ذلك- قَطْعًا وإبقاءاً[٢١٧]. وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾[٢١٨].

المطلب السادس: الدلالة في نماذج من (اللين) جاءت في النصوص القرآنية بيد أنها لم تُذكر بلفظ (اللين) بصورة مباشرة وصريحة

عند استقراء النصوص القرآنية تجد أنها تحمل في طياتها معاني لألفاظ (اللين)، حتى وإن لم يذكرها بألفاظ مباشرة، والدليل على ذلك أن معاني هذه النصوص فيها أوجه شبه لألفاظ (اللين) وزيادة عليها ومن هذه النماذج:

النموذج الأول- لين الكلام ونتائجه:

نلمس ذلك في معاني (اللين) القرآني الذي ينبني في دلالته على استطاعة الإنسان فيما يريد أن يحققه من خلال دعوته إلى الله بلطفٍ ولين ودخول عقولهم من أوسع أبوابها وأيسرها، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[٢١٩].

هذا مثل ضربهُ الله تعالى لكلمة الإيمان وكلمة الإشراك، فمثل لكلمة الإيمان بالشجرة الطيبة، ولكلمة الإشراك بالشجرة الخبيثة[٢٢٠].

نستدل من دلالات السياق القرآني أن الكلمة الطيبة اللينة الهينة تفعل فعل السحر في السامع وتأخذ بمجامع كيانه وشعوره فتفتح بذلك جميع الأبواب المعسرة ويتحقق الأمل المنشود لسعادة المجتمعات.

النموذج الثاني– القول الحسن بلين الكلام:

فهذا أمر ينبني في دلالتهِ على معاني الدعوة بلين ورفق من ذلك ما أمر الله به الناس وبصورة خاصة الدعاة أن يقولوا في نصائحهم وخطبهم الشيء اللين الحسن، قال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٢٢١]، أي: قولاً حسناً بخفض الجناح ولين الجانب، مع الكلام الطيب[٢٢٢]. لأن الكلام بطريقة خشنة سلاح الشيطان يثير به نار الفتنة ويؤججها كما هو الحال في بلادنا العربية وخصوصاً وطننا العراق من تحريض أصحاب النفوس الضعيفة المدعومين دولياً على إحراق البلاد وقتل العباد ونشر كل ما هو فساد بقيادة عملاء الاحتلال وأعوانهم، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾[٢٢٣]، وهذا من لطفه تعالى بعبادهِ حيث أمرهم بأحسن الأخلاق ولينها والأعمال والأقوال الموجهة للسعادة في الدنيا والآخرة[٢٢٤].

فالكلام اللين والدعوة الحسنة الهينة يدخل الإنسان حواره إلى أعماق النفوس بما أمره تعالى من قول حسن، فترتاح قلوب الناس وعقولهم للكلام الطيب كما يرتاحون للفاكهة الطيبة الحلوة فيستمتعون بأطايب الكلام كما يتلذذون بأطايب الطعام[٢٢٥].

النموذج الثالث– مجادلة أهل الكتاب بالحجج ولين الكلام:

وهذا مثال أخر ينبني في دلالته على مخاطبة ودعوة أهل الكتاب بالحكمة ولين الكلام، لأن الجدال لا يورث إلا العداوة والبغضاء، والإسلام يدعو بالتي هي أحسن من خلال البراهين والأدلة النقلية والعقلية ولاسيما حوادث التاريخ كمثال رادع يُحيي به القلوب اللينة منهم فبذلك أشعرناهم بسماحة الإسلام ولينهِ وطمأنينته، إلا المحاربين منهم فيأمر القرآن الكريم بمخاطبتهم بغلظةٍ وشدة توهيناً لبراهينهم وحججهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢٢٦]. فينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن بحسن خلق ولطف و (لين كلام)، ودعوة إلى الحق وتحسينه، إلا من ظلم من أهل الكتاب بأن ظهر من قصده وحالهِ، أنه لا إرادة له في الحق وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جدالهِ، لأن المقصود منها ضائع[٢٢٧].

فورود هذه الألفاظ من (كلمة طيبة وقول حسن) في النصوص القرآنية من حقها أن يُطلق عليها ألفاظ لينٍ على الرغم من عدم تصريح القرآن الكريم بلفظ اللين فيها، إذ أن هذه الألفاظ جعلت حديث القرآن الكريم على الغالب ليناً في هدايتهِ، ما يميز معجزته الكبرى باعتباره دستور المسلمين الخالد، كي نحيا حياةً كريمة مطمئنةً لينةً هنيةً في ظلالهِ اللينة الوارفة.

الخاتمة

الحمد لله بدءاً وختاماً وصلاةً وسلاماً على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد.....

فقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم هدىً وبشرى للناس كافة إذ هو المعجزة الخالدة إلى قيام الساعة فبه اهتدى الخلق جميعاً وعلى هداه وهديهِ يعمرون دنياهم، وبهِ يرسم المنهج الصحيح للمتطلبات الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والإدارية والسياسية والفردية والجماعية مراعياً في ذلك الطبيعة البشرية وقابليات البشر وإمكانياتهم، من ذلك كله أحببت ذكر بعض الخواطر التي طرأت لي عند دراستي لألفاظ اللين ومدلولاتها في القرآن الكريم، قبل أن أعرج على أهم ثمرات البحث.

- من حق القرآن الكريم على البشرية التحري والتقصي عن دلالات ألفاظه وطرق التأثر والاهتداء بها.
- بما أن الإسلام هو دين الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، ويعلم سبحانه نوازع الخير والشر فيهم، وجب علينا أن نحافظ على تلك الفطرة السليمة وإيصالها إلى

المجتمع بكل يُسر وسماحة ولين وملاينة من خلال التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر المستطاع.

- من أبرز سمات الدين الإسلامي دعوته للهداية باللين والمسايسة والرفق والطمأنينة متجاوزاً بذلك الأخطاء والهفوات لأن باب التوبة مفتوح فلا تعقيد على الناس ولا تشديد، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٢٢٨].

ومن أهم أسباب البحث ونتائجه:

١. أن لفظ (اللين) يستعمل في الأجسام مع إمكان استعارته لمعانٍ أخرى مغايرة ولاسيما الحسية والمعنوية.

٢. أن دلالة مادة (لين) تختلف مع دلالات الألفاظ ذات الصلة لها كلفظ (الرفق والنعمة، واليسر، والسهولة...) وذلك يؤكد الرأي القائل بعدم وجود ألفاظ مترادفة في القرآن الكريم.

٣. أن كتاب الله المجيد ذكر ألفاظاً عدة بصيغ متنوعة وتصريفات شتى لمادة (لين) في ثنايا آياته، وقد قمت بدراستها دراسة موضوعية دلالية مسترشداً بذلك من خلال السياق القرآني الذي كان له الأثر الكبير في الترجيح لمعانٍ عدة متضمنةً محاور ومقاصد إنسانية وتربويةً هادفة على ضوء الأسس والمنهج القويم في ضوء النصوص القرآنية.

٤. أبرزت في هذا البحث توجيهاً تفسيرياً للقراءات القرآنية التي وردت في ألفاظ (اللين)، وفوائد تعدد تلك القراءات في سعة المعنى.

خلاصة:

لما كان التفسير الموضوعي أحد العلوم التي تقوم بالدراسات القرآنية لموضوع من الموضوعات الدنيوية والأخروية ولاسيما الاجتماعية أو العقائدية أو الفقهية أو الكونية حتى، صار التفكير والبحث فيه من باب تلبية حاجات الأمة الإسلامية في عصرنا لحل حاجات البشرية بحسب تجددها وإفرازات العوائق الحياتية، ومثالاً على ذلك ما أوردته محاور لفظة (اللين) في السياق القرآني من واقعية وجدية التعامل مع مشكلات ومتطلبات الحياة وطرق حلها، إذ إن الليونة صفة قرآنية عامة وسمة منهجية صحيحة لجميع المجتمعات.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

هوامش البحث

[١] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق: ٢٠٠٤/٤، رقم الحديث (٢٥٩٤).

[٢] هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن، المتعلقة بالموضوع الواحد، لفظاً أو حكماً، وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية أو هو جمع الآيات التي تبحث في موضوع واحد، أو مصطلح واحد من مختلف السور سواء كانت هذه الآيات تتحدث عن نفس المصطلح، أو تتحدث عن مصطلحات وألفاظ مقاربة له، وهذا معنى قولهم (لفظاً أو حكماً)، ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي: د.عبد الستار سعيد، دار الطباعة والنشر الإسلامية: ٢٠، ومباحث في التفسير الموضوعي: أ.د.مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م: ١٦، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، الأردن، ط٢، ١٤٦٦هـ/ ٢٠٠١م: ٣٠، ومحاضرات في التفسير الموضوعي: أ.د. عباس عوض الله عباس، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: ١٢.

[٣] المناسبة لغةً: معناها المشاكلة والمقاربة، القاموس المحيط: للفيروزآبادي، باب الباء فصل النون، واصطلاحاً: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعضٍ، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي: ٩٧٧/٢.

[٤] يرى بعض الباحثين المفسرين في نشأة التفسير الموضوعي أنه كان متناولاً منذ عهد الرسول الكريم ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، وإن لم يعرف بهذا الاسم أو المصطلح (التفسير الموضوعي) بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي، طباعة مكتبة التوبة- الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ: ٦٣، إلا أن البعض يرى أن هذا العلم كمصطلح حديث لم يعرف إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بجامع الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول ﷺ، ينظر: الدراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: الدكتور أحمد جمال العمري، أستاذ الدراسات القرآنية والبلاغة المساعد بكلية الآداب- جامعة الزقازيق، الناشر مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط١،

١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مصر: ٤٨-٤٩، ومباحث في التفسير الموضوعي: أ.د. مصطفى مسلم: ١٧، ومما يدل على ذلك نجد تتبع الآيات التي تناولت قضية ما والجمع بين معانيها وتفسير بعضها لبعض، مما أطلق عليه العلماء فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن، فكان معروفاً في الصدر الأول في عصر الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، وقد لجأ رسول الله ﷺ عندما سئل عن تفسير بعض الآيات الكريمة ما رواه البخاري في كتاب التفسير: ١٩٣/٥، أن رسول الله ﷺ إليه عندما فسر مفاتيح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ الأنعام: ٥٩، فقال ﷺ: مفاتيح الغيب خمس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ لقمان: ٣٤.

(٥) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م: ٢٢٥/٥.

(٦) لسان العرب: للعلامة أبي الفضل جمال الدين بن منظور الأفريقي المصري، دار الفكر: ٣٩٤.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: ٧٤١/٢، رقم الحديث (١٠٦٤).

(٨) لسان العرب لابن منظور: / ٣٩٤.

(٩) مختار الصحاح: للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة الأموية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، مادة (لين).

(١٠) سورة الحشر: الآية ٥.

(١١) لسان العرب، لابن منظور: ١٣٩٥.

(١٢) لسان العرب لابن منظور: ٣٩٤.

(١٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٤) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(١٥) مختصر تفسير القرآن العظيم، المسمى عمدة التفسير، عن الحافظ ابن كثير، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٣م.

(١٦) المعجم المفهرس، لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث خلف جامع الأزهر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م: ٦٥٧، ودليل فهرست القرآن: أيمن عبد العزيز جبير، ط١، دار الأرقم، عمان.

(١٧) تنظر: الصفحة ( ) من البحث.

(١٨) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبد الحميد الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت: ٣٧-٣٨، والأعجاز البياني: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي: ١٩٣، والبيان في إعجاز القرآن: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان: ١٦.

(١٩) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م: ٤١٨/٢.

(٢٠) سورة النساء: الآية ٦٩.

(٢١) اللباب في علوم الكتاب: للإمام المفسر أبي حفص عمر الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ٤٨١/٦.

(٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه: الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة- جامعة دمشق، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله: ٢٢٤٢/٥، رقم الحديث (٥٦٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيفية الرد عليهم: ١٧٠٦/٤، رقم الحديث (٢١٦٥).

(٢٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٤١٨/٢.

(٢٤) ينظر: أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد: العلامة سعيد الخوري الشرقوني اللبناني، دار الأسرة للطباعة والنشر، ط١، ١٣٧٤هـ: ٤١٠/٢.

(٢٥) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ١٧٧/١.

(٢٦) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢٧) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ١/١٧٧-١٧٩.

(٢٨) سورة الروم: الآية ٤١.

(٢٩) أقرب الموارد للشرتوني اللبناني: ١/١٥٨.

(٣٠) الفروق في اللغة: لأبي هلال العسكري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت: ١٦٣.

(٣١) لسان العرب، لابن المنظور: ١٢/٥٧٩.

(٣٢) سورة البقرة: الآية ٢١١.

(٣٣) لسان العرب، لابن منظور: ١٢/٥٧٩.

(٣٤) سورة التكاثر: الآية ٨.

(٣٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٧٠٨.

(٣٦) لسان العرب، لابن منظور: ١٢/٥٨٠.

(٣٧) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٣٨) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، الناشر: مؤسسة قرطبة- القاهرة، عدد الأجزاء: ٦، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ: ١/٣٢٦، رقم الحديث (٣٠١٠). وقال عنه شعيب: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف لضعف عطية.

(٣٩) لسان العرب، لابن منظور: ١٢/٥٨٠.

(٤٠) المفردات: للراغب الاصفهاني: ٥٠٠، وينظر: فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل: لزكريا الأنصاري، أطروحة دكتوراه في كلية الآداب- الجامعة الإسلامية، تحقيق: ياسر إحسان رشيد: ١٧٧.

(٤١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٦/٢١.

(٤٢) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٤٣) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي: ٢٤/١٠٨.

(٤٤) لسان العرب: للعلامة أبي الفضل جمال الدين بن منظور الأفريقي المصري، دار الفكر ١٣/٤٣٨-٤٣٩، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقوسي، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، باب الهاء فصل النون.

(٤٥) المفردات، للراغب الاصفهاني: ٥٤٨.

(٤٦) سورة الروم: الآية ٢٧.

(٤٧) ينظر: شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، عدد الأجزاء: ٧، فصل لين الجانب وسعة الصدر: ٦/٢٧٢، رقم الحديث (٨١٢٨)، ورد هذا الحديث في شعب الإيمان عزواً وبلفظ مختلف، حيث ورد «**المؤمنون هينون لينون**».

(٤٨) لسان العرب، لابن منظور: ١٣/٤٤٠.

(٤٩) ينظر: أقرب الموارد، للشرتوني اللبناني: ٥/٦٦٢.

(٥٠) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٣/٩٩.

(٥١) ينظر: أقرب الموارد، للشرتوني اللبناني: ٢/٧٠٩.

(٥٢) ينظر: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١٨، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها، كتاب البيوع: ١١/٢٦٧، رقم الحديث (٤٩٠٣).

(٥٣) ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، باب الياء فصل الراء.

(٥٤) ينظر: أقرب الموارد للشرتوني اللبناني: ٥/٨٨٢.

(٥٥) الوجوه والنظائر كتاب العزيز: لابي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، حققه وقدم له: محمد أبو العزم الزفين، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ٢/٣٢٣.

(٥٦) سورة الإسراء: الآية ٢٨.

(٥٧) ينظر: مختصر تفسير القرآن العظيم، المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ٢/٣٧٥، وصفوة التفاسير: للعلامة محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م: ٢/١٣٩.

(٥٨) ينظر: سنن النسائي: المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٨، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، كتاب الإيمان وشرائعه، الدين يسر: ١٢١/٨، رقم الحديث (٥٠٣٤)، قال عنه: صححه الشيخ الألباني.

(٥٩) ينظر: أقرب الموارد للشرتوني اللبناني: ٨٨٣/٥.

(٦٠) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ١١٠/٣-١١١.

(٦١) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: ٣٤٩/١١-٣٥٠.

(٦٢) ينظر: المفردات، للراغب الاصفهاني: ٢٤٦، وأقرب الموارد للشرتوني اللبناني: ٧٣٨/٢.

(٦٣) ينظر: أقرب الموارد للشرتوني اللبناني: ٧٣٨/٢.

(٦٤) سورة الأعراف: الآية ٧٤.

(٦٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: ٢٣٩/٧.

(٦٦) العنف: بالضم ضد الرفق، وعَنُفَ كَكَرُمَ الباب الخامس، والتعنيف التعيير واللوم، وعنفوان الشيء أوله، ينظر: مختار الصحاح لابي بكر الرازي، المتوفي سنة (٦٦٠هـ)، المكتبة الأموية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، مادة (عنف): ٤٥٨.

(٦٧) السطو: القهر بالبطش وقد (سطا) كعدا، الباب الأول، و (السطوة) المرة الواحدة والجمع سطوات، ينظر: مختار الصحاح، (مادة سطا): ٢٩٨.

(٦٨) المحاورة: المجاوبة و (التحاور) التجاوب، مختار الصحاح، (مادة حور): ١٦١.

(٦٩) جاء في لفظ السوي معانٍ عدة، فالسوي من الاستواء والاستقامة، والسوي الخلق في صورة البشر ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ مريم: ١٧، والسوي بمعنى العدل، قال تعالى: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ طه: ١٣٥، أي: المستقيم بسلوكه، ينظر: نزهة الأعين والنواظر، لابن الجوزي : ٣٥٢-٣٥٣، وتيسير الكريم الرحمن: لعبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٤٩٠.

(٧٠) مآربه: الإرْب بالكسر الدهاء وهو من العقل، والإرب الحاجة، ينظر: مختار الصحاح، (مادة أرب): ١٣.

(٧١) كافة: أي: للكل، ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي، المتوفي سنة (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م: ٨٤٩، باب الفاء فصل الكاف.

(٧٢) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٧٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٧٤) غزا كعدا من الباب الأول، غَزَا غَزْوَاً أرادهُ وطلبه وقصدهُ وسار إلى قتال العدو، ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي: ١٣١٧، (باب الواو والياء فصل الغين).

(٧٥) غزوة أحد: كانت في شهر شوال يوم السبت لسبع ليال خلون منه- فيما قيل- من سنة ثلاث من الهجرة، إذْ كان كفار قريش يحترقون غيظاً من المسلمين مما أصابهم في معركة بدر من مأساة الهزيمة وقتل الصناديد (أي السادة الشجعان الدواهي)، والأشراف فاتفق المشركون على الانتقام وأخذ الثأر في حرب تشفي غيظها من المسلمين فكانت المعركة عند جبل في المدينة يسمى أُحُداً بضمتين، ينظر: تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفي (سنة ٣١٠هـ)، تحقيق: إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، ط١، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان: ٦٤٦/١، ومختار الصحاح، لأبي بكر الرازي: ٨، والرحيق المختوم: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ط١، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م، الجامعة السلفية الهند: ٢٤٨.

(٧٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين البقاعي، المتوفي (سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، ط١، ١٣٩٢ه/ ١٩٧٢م، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٠٦/٥-١٠٧.

(٧٧) ينظر: الأساس في التفسير: لسعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م: ٩١٣/٢، وفي ظلال القرآن: لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م: ٥٠١/١.

(٧٨) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: للإمام فخر الدين الرازي، المتوفي سنة (٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت: ٥٢/٥.

(٧٩) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(٨٠) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

(٨١) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(٨٢) غضون: أي: في أثناء، وقيل في غضون الشيء، أي: أوساطه وطياته، ينظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي (باب النون فصل الضاد)، وأقرب الموارد للشرتوني: ٤٨/٤.

(٨٣) السياق: سياق الكلام أسلوبه الذي يجري عليه ووقعت هذه العبارة في سياق الكلام، أي: مدرجةً فيه، أقرب الموارد للشرتوني: ٧٥٠/٢.

والذي يعنينا ما ذُكِرَ في السياق القرآني: وهو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال، ينظر: نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية: الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، دار وائل للنشر، عمان، الأردن: ١٥.

(٨٤) الفِقْرَة: تدل على الفواصل، وتأتي بمعنى النوع والهدف والنكتة في الكلام وكل جملة مختارة من الكلام، نقول (ما أحسن فِقَرَ كلامه)، أي: نكتهُ، ينظر معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٤٤٣/٤، وأقرب الموارد للشرتوني: ١٨٧/٤.

(٨٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٨٦) ينظر: المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز لابن عطية الأندلسي، ط١، رجب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، قطر، الدوحة: ٣٩٥/٣.

(٨٧) ينظر: جامع البيان، للطبري: ٢٠٤٣/٣.

(٨٨) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٨٩) غض طرفه، خفضه وكل شيء كففته فقد غضضته، القاموس المحيط، للفيروزآبادي، باب الضاد فصل الغين.

(٩٠) (الفظ) من الرجل الغليظ الجانب، السيء الخلق القاسي الخشن الكلام، ينظر: القاموس المحيط، باب الظاء فصل الفاء، وجاء في تفسير المراغي (الغليظ: القاسي الذي لا يتأثر قلبه من شيء، أما (الفض) بالضاد فهو تفريق الشيء)، تفسير المراغي: للأستاذ المرحوم أحمد مصطفى المراغي، الأستاذ بكلية الشريعة الإسلامية بمصر، ط٣، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م: ١١١/٤، وأنفض القوم: تفرقوا كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ الجمعة: ١١، ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي: ٥٢/٩.

وذكر الطبري في تفسيره أن نعت محمداً ﷺ في الكتب السماوية المنزلة «ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب (الصخب شدة الصوت) في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن

يعفو ويصفح»، جامع البيان للطبري: ٢٠٣٤/٣، والترمذي في الشمائل في باب ما جاء في خلق النبي ﷺ.

(٩١) الغلظة: ضد الرقة، ورجل فيه (غلظة) بكسر الغين وضمها وفتحها، ينظر: القاموس المحيط، باب الظاء فصل الغين، قال ابن عطية في تفسيره، (غلظ القلب: عبارة عن تجهم الوجه وقلة الانفعال في الرغائب وقلة الأسفاق والرحمة)، المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٩٦/٣، ورجل جهم الوجه، أي: كالح الوجه أو كريه أو عبوس، ينظر: مختار الصحاح، مادة (جهم).

(٩٢) ينظر: جامع البيان، للطبري: ٢٠٣٤/٣.

(٩٣) ينظر: تفسير المراغي: ١١٢/٤.

(٩٤) الجنب الجانب والجَنَبَة بالتحريك: شق الإنسان والجنب معظم الشيء وأكثرهُ، ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، (باب الباء فصل الجيم).

(٩٥) المخالفة كانت في غلطة الرماة الفظيعة في معركة أحد: بينما كان الجيش الإسلامي الصغير يسجل مرة أخرى نصراً ساحقاً على الكفار لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة قَلَبَتْ الوضع تماماً، وأودت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين فتركت أسوأ الأثر على سمعتهم، والهيبة التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر، إذ كاد خطأ الرماة أن يؤدي بحياة الرسول ﷺ عندما بوغت بفرسان خالد بن الوليد مباغتة كاملة فكان أمامه ﷺ طريقان إما أن ينجو بالسرعة بنفسه وبأصحابه التسعة إلى ملجأ مأمون، ويترك جيشه إلى مصيره المقدور، وإما أن يخاطر بنفسه وبأصحابه التسعة ليجمعهم حوله، ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشه المطوق إلى هضاب أحد، وهناك تجلت عبقرية الرسول ﷺ وشجاعته المنقطعة النظير فقد رفع صوته ينادي أصحابه: عباد الله، وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون، أي: (وصولوا) إليه، قبل أن يصل إليه المسلمون، أما قائد هذه المجموعة (أي: مجموعة الرماة)، عبد الله بن جبير ﷺ عندما رأى الرماة يقولون الغنيمة ذكرهم بأوامر رسول الله ﷺ بعدم التحرك من مكانهم، ولكن الأغلبية الساحقة لم تلق لهذا التذكير بالاً وقالت: والله لنأتين الناس فلنصيبين من الغنيمة، ثم غادر أربعون رجلاً من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل المجاور لجبل أحد، والتحقوا بسواد الجيش ليشاركوه بجمع

الغنائم، وهكذا خلت ظهور المسلمين ولم يبق فيها إلا ابن جبير وتسعة من أصحابه، التزموا مواقعهم، مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا، ينظر: السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار القبلة للثقافة الإسلامية، دمشق، بيروت، جدة: ١/٧٧-٧٨، والرحيق المختوم للمباركفوري: ٢٦٣-٢٦٥.

(٩٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن لابي جعفر الطبري، المتوفي (سنة ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الرزاق وآخرون، دار السلام، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م: ٢٠٣٣/٣.

(٩٧) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٩٥/٣.

(٩٨) سورة النساء: الآية: ١٥٥.

(٩٩) ينظر: النكت والعيون: تفسير لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤- ٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: ٤٣٢/١.

(١٠٠) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٥١/٩.

(١٠١) سورة يوسف: الآية: ٩٦.

(١٠٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ٥١/٩.

(١٠٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥١/٩.

(١٠٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون، قطر، الدوحة، ط١، رجب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م: ٣٩٥/٣.

(١٠٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٠٦) اللين: ضد الخشونة، مختار الصحاح، (مادة لين): ٦١١.

(١٠٧) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م: ٥٠٠/١

(١٠٨) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٠٩) الكرة: أي: المرة، والحملة، ينظر: القاموس المحيط، (باب الراء فصل الكاف).

(١١٠) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١١١) المشاورة، مفعلة لا مفعولة لأنها مصدر، وأشار عليه بالرأي والشورى هي المشورة، وشار العسل استخرجه من الوقبة (الوقبة: نقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء)، ينظر: القاموس المحيط، (باب الراء، فصل الشين).

(١١٢) ينظر: : جامع البيان للطبري: ٢٠٣٥/٣.

(١١٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١١٤) ينظر: نظم الدرر: لبرهان الدين البقاعي: ١٠٨/٥.

(١١٥) ينظر: تفسير المراغي: ١١١/٤.

(١١٦) ينظر: المصنف في الأحاديث والآثار: المسمى مصنف بن أبي شيبه: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، عدد الأجزاء: ٧، كتاب الأدب، باب في المشورة من أمر بها: ٢٩٨/٥، رقم الحديث (٢٦٢٧٣).

(١١٧) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١١٨) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١١٩) ينظر: في ظلال القرآن: لسيد قطب: ٥٠٢/١.

(١٢٠) حدم النار ويحرك: شدة احتراقها وحميمها، والاحتدام: النار والحر اتقدا، وقيل الاحتدام: الغيظ، وتحدم الدم اشتدت حمرته حتى يسود، ينظر: القاموس المحيط، (باب الميم فصل الحاء).

(١٢١) النفاق في الدين: إظهار الإيمان باللسان، وكتمان الكفر بالقلب، ينظر: القاموس المحيط باب القاف فصل النون، كتاب التعريفات للسيد علي بن محمد الجرجاني دار احياء التراث العربي ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ١٦٩.

(١٢٢) برى السهم يبريه برياً وابتراه: نحته، وقد انبرى له: اعترض وانبرى على وزن انفعل باب الانفعال يأتي لمعنى واحد هو المطاوعة، تقول: قطعته فانقطع، وباب الانفعال لا يكون إلا في الأفعال العلاجية، تقول بريته فانبرى، ينظر: القاموس المحيط، (باب الألف فصل الباء)، وتصريف الزنجاني شرح العلامة السيد بير خضر الشاهوي على متن التصريف: للشيخ إبراهيم الزنجاني (رحمهما الله): ٣٩.

(١٢٣) الخرص: الكذب، وخرص كنصر الباب الأول، وأيضاً القول بالظن، والخرَّاص الكذاب وتخرص أيضاً كذب، ينظر: مختار الصحاح: ١٧٣، والقاموس المحيط: ٦١٧.

(١٢٤) الزوبعة: اسم شيطان أو رئيس للجن ومنه سقي الأعصار زوبعة وأم زوبعة وأبا زوبعة، يقال أم زوبعة وهي ريح تثير الغبار فيرتفع إلى السماء كأنه عمود، ينظر: مختار الصحاح: ٢٦٨، والقاموس المحيط: ٧٢٤، (باب العين فصل الزاي).

(١٢٥) الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله بن محمد الأنصاري القرطبي، المتوفي سنة (٤٧١هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البدري، ط١، ١٤٠٢هـ/ ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان: ٣٤٧/٧.

(١٢٦) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(١٢٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣٤٧/٧.

(١٢٨) المعاشرة والتعاشر: المخالطة، مختار الصحاح: ٤٣٤.

(١٢٩) سورة يوسف: الآية ٩٠.

(١٣٠) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، ط١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٣١) السقاية: هي إناء من فضة في قول الأكثرين، وقيل هو إناء من ذهب مرصع بالجواهر في متاع أخيه بنامين، ينظر: تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء الحافظ عماد الدين بن كثير القريشي الدمشقي، المتوفي سنة (٧٧٤هـ)، دار الفيحاء، دمشق- دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م: ٦١٧/٢.

(١٣٢) هو: بنامين أخاه لأبيه وأمه، ينظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري: ٢٠٠/١، وقيل هو أخاه شقيقه لأمه، ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦١٧/٢.

(١٣٣) المقصود بالعزيز هو يوسف ﷺ عزيز مصر، فقد استبقى أخاه بنيامين عندهُ بِحُجَّة أن يُسْتَرَّقَ (أي: مِنَ الرِق بالكسر، هو المِلك بالعبودية) وذلك بشرع يعقوب عليهما السلام فيصبح مملوكاً لمن سرق، ينظر: مختار الصحاح: ٢٥٣، وتاريخ الأمم والملوك للطبري: ٢١٤/١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦١٩/٢، وفيما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن اسم عزيز مصر الذي اشتراه هو (قطفير)، وقيل أطفير، وكان عمر يوسف ﷺ يومئذ سبع عشرة سنة، فلما أتم يوسف ﷺ ثلاثين سنة أستوزره فرعون مصر الوليد

بن الريان، ينظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري: ٢٠٥/١، والعزيز: الملك لغلبته على أهل مملكته، ولقب من ملك مصر والإسكندرية، القاموس المحيط: ٥١٧.

(١٣٤) قال تعالى: ﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ يوسف: ٧٤، أي: قال الفتية إخوة يوسف عليه السلام فما هي العقوبة إن وجدنا فيكم من أخذه، أو من وجد عنده أو في رحله، ﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ يوسف: ٧٥، وهكذا كانت شريعة إبراهيم عليه السلام قبل ذلك بأن السارق يدفع إلى المسروق منه، أي: يُسْتَرَقّ عند المسروق منه، وهذا الذي أراده يوسف عليه السلام، ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦٣٨/٢.

(١٣٥) سورة يوسف: الآية ٧٨.

(١٣٦) قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ يوسف: ٨٧، طلب من نبيه الذهاب للموضع الذي جاؤوا منه ليلتمسوا يوسف ويتعرفوا على خبره وخبر أخيه بنيامين بحواسهم، والتحسس يكن في الخير والتجسس يكون في الشر، ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦٤١/٢-٦٤٢.

(١٣٧) كانت أخطاء عدة فمنها عندما رَمَوا أخاهم بنيامين بسرقة الصُّواع (الإناء)، متنصلين بذلك من التشبه به، ويذكرون أن هذا فعل كما فعل أخ له قبل، يعنون به يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ ﴾ سورة يوسف: ٧٧، المقصود بنيامين، ﴿ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ ﴾ يوسف: ٧٧، قيل أن يوسف عليه السلام كان قد سرق صنماً لجده أبي أمه، فكسره وألقاه في الطريق، فكان أخوته يعيبونه بذلك، فعيروه الآن به في هذه الحادثة، فأخفى يوسف عليه السلام القول حين سمع ذلك منهم وكتمها ولم يظهرها جهاراً، أي: أسرها في قلبه وحدث نفسه بها، تلطفاً معهم، قال تعالى: ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ يوسف: ٧٧، ينظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري: ٢١٤/١-٢١٥، ومن الأخطاء الجسيمة أيضاً، في سوء تصرفهم مع والدهم يعقوب عليه السلام إذ أغلظوا الكلام معه وما كان ينبغي أن يقولوا لوالدهم مثل هذا، عندما رجعوا من مصر إلى فلسطين، وكان يوسف قد أمرهم أن يرموا قميصه على وجه أبيه كي يرتد إليه بصره بإذن الله بعد أن عُمِيَ لكثرة البكاء، فقال أباهم يعقوب عليه السلام لمن حضر من أبنائه إني لأشم

رائحة يوسف، فقالوا والله إنك لفي خطأ وذهاب عن طريق الصواب قديم بإفراطك في محبة يوسف، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ ﴾ يوسف: ٩٥، ينظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري: ٢١٨/١-٢١٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٥٩/٩.

(١٣٨) أي: بعد أن خرجوا من فلسطين ذاهبين إلى مصر دخلوا على يوسف عليه السلام، ينظر: ابن كثير: ٦٤٢/٢

(١٣٩) القحط: احتباس المطر، القاموس المحيط، (باب الطاء فصل القاف).

(١٤٠) الجدب: ضد الخصب، مختار الصحاح، (مادة خصب).

(١٤١) سورة يوسف: الآية ٨٨.

(١٤٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٢٠١/١٨.

(١٤٣) صَرَّحَ بكشفه ما فعلوا به سابقاً وبأخيه بنيامين فيما بعد وكيف كان شبابهم طائشاً فكان ناصحاً لهم محرضاً على التوبة بإشفاقه عليهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يوسف: ٨٩- ٩٠، ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المسمى بتفسير أبي السعود القاضي الحنفي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: ٩٠/٣.

(١٤٤) سورة يوسف: الآية ٩٧.

(١٤٥) وعد يعقوب عليه السلام أبناءه بالاستغفار لهم، قال المفسرون: أَخَّرَ ذلك الاستغفار إلى وقت السَّحر، (أي: قُبَيْلَ الصبح)، ليكون أقرب إلى الإجابة وقيل أخرهم إلى يوم الجمعة ليتحرى ساعة الإجابة، ينظر: صفوة التفاسير: للعلامة محمد بن علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م: ٦٢/٢، ومختار الصحاح: ٢٨٨، ويقول سيد قطب (رحمه الله): وحكاية عبارته بكلمة (سوف) لا تخلو من إشارة إلى قلب إنساني مكلوم (أي: مجروح) فإنه يعدهم بالاستغفار بعد أن يصفو ويسكن ويستريح.

(١٤٦) سورة يوسف: الآية ٩٨.

(١٤٧) سور آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٤٨) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق: ٢٠٠٣/٤، رقم الحديث (٢٥٩٣).

(١٤٩) المقصود عندما خالفه الرماة في غزوة أحد، ينظر: ٣ من البحث.

(١٥٠) عن سعيد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة (رضي الله عنها) فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ، قالت: كان خلقهُ القرآن، أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤.

(١٥١) أخرجه مسلم في صحيحه: في مقدمة صحيح مسلم (رحمه الله): ٤/١.

(١٥٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(١٥٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٥٤) ينظر: مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (ت٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ٥٣/٩.

(١٥٥) حلية الآولياء: الجزء التاسع، بان ذو النون المصري: ٣٧٦/٩، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء: ابو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.

(١٥٦) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٥٧) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٥٨) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٥٩) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٥– ١٥٨.

(١٦٠) ينظر: مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي: ٥٣/٩.

(١٦١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٦٢) ينظر: الأساس في التفسير: الشيخ سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م: ٩١٣/٢.

(١٦٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(١٦٤) ينظر: في ظلال لسيد قطب، دار الشروق، ط٣٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، القاهرة: ٥٠٢/١.

(١٦٥) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق: ٢٠٠٤/٤، رقم الحديث (٢٥٩٤).

(١٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إذا عرض الذمي بسب النبي ﷺ ولم يصرح نحو قوله السام عليكم: ٢٥٣٩/٦، رقم الحديث (٦٥٢٨).

(١٦٧) سورة طه: الآيتان ٤٣-٤٤.

(١٦٨) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٠٨/٣، وتفسير المراغي: ١١٤/١٦.

(١٦٩) أنجع: أفلح، ونجع فيه الخطاب والوعظ، أي: أثر فيه، ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، (باب العين فصل النون).

(١٧٠) سورة طه: الآية ٤٤.

(١٧١) قرأ أبو معاذ وأبو عمران الجوني وغانم الجحدري (ليناً) بسكون الياء وهو تخفيف من لين مثل ميت من ميت، معجم القراءات: الدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م: ١٤٣٦/٥.

(١٧٢) ينظر: روح المعاني للآلوسي: ٢٨٤/١٥.

(١٧٣) سورة: السلطان سطوته واعتداؤه، القاموس المحيط، (باب الراء فصل السين).

(١٧٤) العريكة: يقال رجل لين العريكة، أي: سلسل الخلق، منكسر النخوة، القاموس المحيط، (باب الكاف فصل العين).

(١٧٥) ينظر: روح المعاني للآلوسي: ٢٨٤/١٥.

(١٧٦) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢٥/١٦.

(١٧٧) الملق: إعطاء اللسان ما ليس في القلب، مختار الصحاح: ٦٣٣، مادة ملق.

(١٧٨) دهن: نافق، والمداهنة: إظهار خلاف ما يُضمر وهي حرام لأنها ضرب من النفاق نعوذ بالله من بدل الدين لصلاح الدنيا، القاموس المحيط، (باب النون فصل الدال).

(١٧٩) الموارة: الإخفاء، ونقول ورّى الخبر (توريةً)، أي: ستره وأظهر غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان كأنه يجعله وراء ظهره حيث لا يظهره، ينظر: مختار الصحاح: ٧١٨، مادة (روى). والبلاغة فنونها وأفنانها، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار النائس للنشر والتوزيع، الاردن، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، (٣٢٨/٢).

(١٨٠) ينظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة: ٤٧٣٠/٩.

(١٨١) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب: ٢٣٣٦/٤.

(١٨٢) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٣٣٦/٤.

(١٨٣) سورة النازعات: الآية ٢٤.

(١٨٤) جاء في السياق القرآني معانٍ كثيرة لتلك القوة، قال تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ سورة ص: ١٧، قال ابن عباس ومجاهد ﷺ: الأيْد القوة في الطاعة على عبادة الله، والقوة في العمل الصالح، والذي يؤكد القوة في العبادة ماجاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ، قال: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى**» رواه البخاري في صحيحه- كتاب التهجد- باب من نام عند السحر: ٣٨٠/١، رقم الحديث (١٠٧٩)، ومسلم: كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر امن تضرر به أو فوت به حقا ولم يفطر: ٨١٢/٢، رقم الحديث (١١٥٩)، ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٣٥٧.

وما يؤكد قوته عليه السلام في أعماله الصالحة أيضاً ما رواه البخاري (رحمه الله) عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «**ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**» رواه البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده: ٧٣٠/٢، رقم الحديث (١٩٦٦)، حيث كانت الحدادة مهنة داود عليه السلام النبي الملك الخليفة، حيث كان هو المقتدى به في ذلك الزمان في العدل وكثرة العبادة، فاختار هذه المهنة كي يخدم بها أمته والعمل الذي يقوي به دولته، ينظر: قصص الأنبياء لابن كثير: ٣٥٧.

(١٨٥) السياق القرآني: تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال، نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية

دلالية نقدية: الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، دار وائل للنشر، عمان: ١٥.

(١٨٦) سورة سبأ: الآية ١٠.

(١٨٧) أي: جعل الحديد بين يدي داود عليه السلام كالعجين، قال قتادة: سخر الله له الحديد فكان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة وكان بين يديه كالشمع وطوع يديه، ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٦٦/١٤.

(١٨٨) المعجزة: أمر خارق للعادة، داع إلى الخير والسعادة، مقرون بدعوى النبوة، قصد به إظهار صدق من أدعى أنه رسول من الله، ينظر: كتاب التعريفات، للجرجاني: ١٧٩.

(١٨٩) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٨٩٧/٥.

(١٩٠) يتضح من ذلك أن الحديد الذي استعمله سيدنا داود عليه السلام هو حديد الدنيا الذي يستعمله الحداد حالياً في الصناعات الحديدية الذي يسخن ليلين ليسد حاجات البشر، والذي يؤكد ذلك ما جاء في كتب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أن الحديد واحد لكن أنواعه مختلفة الذرات والأحجام قد تم دمجه خارج مجموعتنا الشمسية لأن الشمس نجم ذو حرارة وطاقة عالية لكنها غير كافية لدمج عنصر الحديد، ومن ثم ينزل على شكل نيازك وشهب بصورة نقية من السماء، وقد قسم (أرثر بيرز) في كتابه (الأرض) النيازك إلى ثلاثة أقسام عامة:

١. النيازك الحديدية: متكونة من أكثر من ٩٨% من الحديد والنيكل.
٢. النيازك الحديدية الحجرية: نصفها مكون تقريباً من الحديد والنيكل والنصف الآخر من نوع الصخر المعروف باسم الـ (أوليفين).
٣. النيازك الحجرية: التي تشتمل على حجارة وتقسم حجارتها إلى أنواع عدة.

وفي واقع الأمر لم تعرف البشرية أهمية الحديد الصناعية إلا في القرن الثامن عشر، أي: بعد نزول القرآن بأثني عشر قرناً، حيث اتجه العالم فجأة إلى صناعة الحديد واكتشفوا أيسر الوسائل لاستخراجه من الأرض بعد نزوله من السماء، وقد دخل الحديد الآن في كل المجالات الصناعية كأساس لها بل أصبح حجر الزاوية في جميع استعمالات البشر فهو يستخدم كأنسب معدن في صناعة الأسلحة وأساساً لجميع الصناعات الثقيلة والخفيفة، فأي معجزة تلك التي جاءت على يد داود عليه السلام فكانت مدرسة حياتية ليس لها نظير في فتح آفاق

عجلة التطور والتكنولوجية بواسطة معرفة الحديد منذ ذلك العهد إلى وقتنا الحاضر، ولا بد أن نذكر أيضاً أن الحديد عنصر أساسي في كثير من الكائنات الحية كما في بناء النباتات التي تمتص مركباته من التربة، والهيموغلوبين في خلايا الدم عند الإنسان والحيوان، تنظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة: يوسف الحاج أحمد، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، دار ابن حجر بدمشق: ٢٢٦، والموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية: إعداد الدكتور أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٥م، ط١، ويذكر الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه مواقف الأنبياء في القرآن الكريم: أن الله تعالى قد هدى داوداً إلى اكتشاف مناجم الحديد في دولته وصار يصنع منه ما يشاء من الدروع ومختلف الصناعات الحربية وصار هذا مظهراً من مظاهر قوة الدولة آنذاك، ينظر: مواقف الأنبياء في القرآن الكريم تحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ٢٩٦.

(١٩١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٢٨٩٧/٥.

(١٩٢) سورة سبأ: الآيتان ١٠-١١.

(١٩٣) سورة سبأ: الآيتان ١٠-١١.

(١٩٤) ينظر: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية: إعداد الدكتور أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٥م، والإشارات العلمية: ١٢٥.

(١٩٥) تفسير القرآن العظيم: ٦٦/٤.

(١٩٦) سورة الزُّمَر: الآية ٢٣.

(١٩٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦٦/٤.

(١٩٨) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(١٩٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٦٦/٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، بيروت- لبنان: ٦٨٩.

(٢٠٠) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٢٠١) ينظر: مفاتيح الغيب للفخر الرازي: ٢٧٢/٦.

(٢٠٢) سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٢٠٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٤/٦٧.

(٢٠٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: الإمام القاضي ناصر الدين بن عمر الشيرازي البيضاوي، (ت: ٧٩١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م: ٢/٣٢٤.

(٢٠٥) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور: ٢٢/٣٨٩.

(٢٠٦) سورة الزمر: الآية ٢٢.

(٢٠٧) سورة الحشر: الآية ٥.

(٢٠٨) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه: الأستاذ محي الدين الدرويش، ط٩، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت: ٧/٤٧١.

(٢٠٩) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري: ١٠/٧٩٥٨-٧٩٦٠، والكشاف للزمخشري: ٤/٤٨٩، حيث جاء في أسباب النزول لابي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي في قوله تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الحشر: ٥، أن رسول الله ﷺ لما نزل ببني النضير وتحصنوا في حصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: زعمت يا محمد إنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر المثمر وقطع النخيل ؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على النبي ﷺ، فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فساداً في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل اقطعوا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الحشر: ٥، تصديقاً لمن نهى عن قطعه وتحليلاً لمن قطعه، وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م: ٢٩٨.

(٢١٠) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي: ٢/٤٨٠، وإعراب القرآن الكريم وبيانه: لمحي الدين الدرويش: ٧/٤٧١.

(٢١١) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي: ٢/٤٨٠.

(٢١٢) ينظر: مفتاح السعادة، لابن القيم: ١/٢٣٠.

(٢١٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا وأخبرنا وأنبأنا: ١/٣٤، رقم الحديث (٦١).

(٢١٤) سورة الحشر: الآية ٦.

(٢١٥) الفيء: يجمع على أفياء وفيوء كفلوس وهو الغنيمة والخراج، يقال أفاء الله علينا من مال الكفار، ينظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، (باب الهمزة فصل الفاء). والفيء: هو الغنيمة للمسلمين بغير قتال، التعريفات الفقهية، معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من علماء الدين (رحمهم الله تعالى): تأليف المفتي السيد محمد عميم الإحسان البركتي، رئيس الأساتذة بالمدرسة العالية بمكة، دار الكتب العلمية أسسها محمد علي بيضون، بيروت– لبنان، ١٩٧١م: ١٦٨.

(٢١٦) ينظر: نظرية السياق القرآني: الدكتور مثنى عبد الفتاح محمود: ص١٨٤.

(٢١٧) فقه السيرة: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الشرق الجديد . بغداد، العراق، ط٧ / ١٩٩٠م: ٢٠٤.

(٢١٨) سورة الحشر: الآية ٥.

(٢١٩) سورة إبراهيم: الآيات ٢٤–٢٦.

(٢٢٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٢/٦٩٩.

(٢٢١) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٢٢٢) ينظر: مختصر تفسير القرآن العظيم: ١/٨٥.

(٢٢٣) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(٢٢٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن: للشيخ عبد الرحمن السعدي: ٤٣٤.

(٢٢٥) ينظر: من أساليب التربية في القرآن الكريم: الدكتور عثمان قدوري مكانسي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، بيروت– لبنان: ٤١.

(٢٢٦) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٢٢٧) ينظر: تفسير الكريم الرحمن: للعلامة عبد الرحمن السعدي: ٦٠٣.

(٢٢٨) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المسمى بتفسير أبي السعود القاضي الحنفي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣. أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري الواحدي، دار مكتبة الهلال، ط٢، ١٩٨٥م.
٤. الأساس في التفسير: الشيخ سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٥. الإشارات العلمية.
٦. الأعجاز البياني: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي.
٧. البيان في إعجاز القرآن: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمار، عمان.
٨. إعراب القرآن الكريم وبيانه: الأستاذ محي الدين الدرويش، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، بيروت ، ط٩، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٩. أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد: العلامة سعيد الخوري الشرنوني اللبناني، دار الأسرة للطباعة والنشر، ط١، ١٣٧٤هـ.
١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام القاضي ناصر الدين الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.
١١. بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي، طباعة مكتبة التوبة، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ.
١٢. تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفي (سنة ٣١٠هـ)، تحقيق: أياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٣. تصريف الزنجاني: شرح العلامة السيد بير خضر الشاهوي، على متن التصريف للشيخ إبراهيم الزنجاني.

١٤. تفسير التحرير والتنوير: سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، دار الجماهير الليبية للنشر.

١٥. التعريفات الفقهية: معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من علماء الدين (رحمهم الله تعالى): تأليف المفتي السيد محمد عميم الإحسان البركتي، رئيس الأساتذة بالمدرسة العالية بمكة، دار الكتب العلمية أسسها محمد علي بيضون، بيروت- لبنان، ١٩٧١م.

١٦. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء الحافظ عماد الدين بن كثير القريشي الدمشقي، المتوفي سنة (٧٧٤هـ)، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٧. تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

١٨. تفسير المراغي: للأستاذ المرحوم أحمد مصطفى المراغي، الأستاذ بكلية الشريعة الإسلامية بمصر، ط٣، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٩. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق: الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار النفائس، الأردن، ط٢، ١٤٦٦هـ/ ٢٠٠١م.

٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن حزم، بيروت- لبنان ، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، أشرف وتقديم: أ.د.عبد الحميد عبد المنعم مدكور، دار السلام، القاهرة ، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله بن محمد الأنصاري القرطبي، المتوفي سنة (٤٧١هـ)، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٢هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٣. الدراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: الدكتور أحمد جمال العمري، أستاذ الدراسات القرآنية والبلاغة المساعد بكلية الآداب، جامعة الزقازيق، الناشر مكتبة الخانجي، بالقاهرة- مصر، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٤. دليل فهرست القرآن: أيمن عبد العزيز جبير، ط١، دار الأرقم، عمان.

٢٥. الرحيق المختوم: للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الجامعة السلفية الهند، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، المتوفي سنة (١٢٧هـ)، مفتي بغداد ومرجع أهل العراق، قرأه وصححه: محمد حسين العرب، بإشراف هيئة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
٢٧. زاد المسير في علم التفسير: للإمام أبي الفرج جمال الدين ابن الجوزي، المتوفي سنة (٥٩٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٢٨. زهرة التفاسير: للإمام الجليل محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٩. السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار القبلة للثقافة الإسلامية، دمشق، بيروت- جدة.
٣٠. صحيح البخاري: تقديم فضيلة الشيخ أحمد محمود شاكر، دار الجيل، بيروت.
٣١. صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القيشيري النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
٣٢. صفوة التفاسير: للعلامة محمد بن علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
٣٣. فتح الجليل في بيان خفي أنوا التنزيل: لزكريا الأنصاري، أطروحة دكتوراة في كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، بغداد، تحقيق: ياسر إحسان رشيد.
٣٤. الفروق في اللغة: لأبي هلال العسكري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٣٥. فقه السيرة: الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الشرق الجديد . بغداد، العراق، ط٧، ١٩٩٠م.
٣٦. في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٣٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م
٣٧. القاموس المحيط، للفيروزآبادي، المتوفي سنة (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٨. قصص الأنبياء: للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبد الملك الزغبي، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع- القاهرة، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٣٩. كتاب التعريفات: للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٤٠. اللباب في علوم الكتاب: للإمام المفسر أبي حفص عمر الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٤١. لسان العرب: للعلامة أبي الفضل جمال الدين بن منظور الأفريقي المصري، دار الفكر.
٤٢. القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقوسي، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٤٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون، قطر، الدوحة، رجب، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٤٤. مباحث في التفسير الموضوعي: أ.د.مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م
٤٥. مباحث في التفسير الموضوعي: أ.د.مصطفى مسلم
٤٦. محاضرات في التفسير الموضوعي: أ.د. عباس عوض الله عباس، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م
٤٧. المحرر الوجيز في كتاب الله العزيز، لابن عطية الأندلسي، قطر، الدوحة، ط١، رجب، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٤٨. مختار الصحاح: للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة الأموية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
٤٩. مختار الصحاح لأبي بكر الرازي، المتوفي سنة (٦٦٠هـ)، المكتبة الأموية، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م
٥٠. مختصر تفسير القرآن العظيم، المسمى عمدة التفسير، عن الحافظ ابن كثير، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٣م.

٥١.مختصر تفسير القرآن العظيم، المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م
٥٢.المدخل إلى التفسير الموضوعي: د.عبد الستار سعيد، دار الطباعة والنشر الإسلامية.
٥٣.معجم القراءات: الدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.
٥٤.المعجم المفهرس، لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث خلف جامع الأزهر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٥٥.معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
٥٦.معجم مقاييس اللغة: لابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م
٥٧.مفاتيح الغيب: للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، (ت٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٥٨.المفردات في غريب القرآن: أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان.
٥٩.من أساليب التربية في القرآن الكريم: الدكتور عثمان قدوري مكانسي، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٦٠.مواقف الأنبياء في القرآن الكريم تحليل وتوجيه، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٦١.موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة: يوسف الحاج أحمد، دار ابن حجر بدمشق، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
٦٢.الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية: إعداد الدكتور أحمد مصطفى متولي، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٥م.
٦٣.نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبد الحميد الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٦٤.نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية: الدكتور المثنى عبد الفتاح محمود، دار وائل للنشر، عمان- الأردن، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
٦٥.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام البرهان الدين البقاعي، المتوفي سنة (٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
٦٦.النكت والعيون: تفسير لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (٣٦٤-٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
٦٧.الوجوه والنظائر كتاب العزيز: لأبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني، حققه وقدم له: محمد أبو العزم الزقين، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

الشخصية الإسرائيلية في القرآن الكريم

أ.م.عبد الجبار عبد الواحد العبيدي

كلية الشريعة/ قسم الفقه

المقدمة

الحمد لله ربِ العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد...

فإن ادعاءات زعماء ومفكري الحركة الصهيونية لَكثيرة ومتشعبة، ومن جملة ما ادعوه باطلاً، ودعوتهم بأن يهود العالم مضطهدون وأنهم يمثلون شعباً واحداً متجانساً، وحاولوا من خلال تلك الادعاءات تزييف وتشويه وتخريب التاريخ.

وربط حركتهم السياسية والاستيطانية بها له العمق التاريخي لتبرير أحلامهم وما يهدفون إليه من إقامة كيان صهيوني يمتد من النيل إلى الفرات.

ولغرض التعرف على صفات وملامح الشخصية الإسرائيلية من خلال آيات القرآن الكريم، تتبعنا الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل في السور التي نزلت قبل الهجرة والتي نزلت بعدها.

وقد اقتضت طبيعة البحث من الناحية الشكلية تقسيمه إلى مبحثين بعد المقدمة:

الأول: أصل تسمية اليهود.

والمبحث الثاني خصص لبيان الشخصية الإسرائيلية، كما وردت في الآيات القرآنية.

وجاءت الخاتمة لتتضمن أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

والله نسأل ان يوفقنا في القول والعمل فإن أصبنا فذاك من توفيق الله، وإن جانبنا الصواب فذاك من نفسي واستغفر الله تعالى.

وصلى الله تعالى على سيدي ومولاي خير الخلق كلهم وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين.

المبحث الأول
أصل تسمية اليهود

هناك عدة تسميات أُطلقت على بني إسرائيل، ولكل تسمية سبب أو أسباب متعددة، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر تسميتهم:

١. بنو إسرائيل:

نسبة إلى سيدنا يعقوب ﷺ، الذي أطلق الله ﷻ عليه إضافة إلى اسم يعقوب اسم إسرائيل، قال ﷻ: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[١].

وقد ذكر هذا الاسم ثانية بقوله ﷻ: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾[٢]، أما لفظة (بني إسرائيل) فقد ذكرت منصوبة او مجرورة (٤٠) مرة[٣]، وكلمة (بنو إسرائيل) مرفوعة مرة واحدة[٤]، أما اسم (يعقوب) فقد ذكر (١٦) مرة[٥]، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم– عليهم السلام–، قال ﷻ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴾[٦].

ومعنى إسرائيل في العبرية (اسر: عبد، ايل:الله)أي عبد الإله[٧].

٢. قوم موسى:

ورد ذكرهم في القرآن الكريم (١٢) مرة[٨].

٣. اليهود:

ورد ذكرهم في القرآن الكريم (٨) مرات[٩]، وقد بين الله ﷻ أن سبب إطلاقه هذا الاسم عليهم هو لأنهم هادوا أي تابوا إلى الله من عبادة العجل الذي كان السامري قد صنعه لهم من الذهب، وكما قال ﷻ على لسانهم: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[١٠]، أي تبنا...، الهود: التوبة[١١].

وهناك رأي يقول: سموا بهذا الاسم يتهودون أي يتحركون لانهم يتحركون أثناء قراءة التوراة، وهذا أضعف الآراء، وآخر يقول نسبة إلى (يهود) الابن الرابع لسيدنا يعقوب ﷺ حيث أنشأت ذريته بعده مملكة يهوذا والتي كانت عاصمتها (أورشليم) وسقطت على يد البابليين بقيادة (نبوخذنصر) سنة (٥٨٧ ق. م)[١٢].

ونحن نذهب إلى تأييد الرأي القائل بأن سبب تسميتهم باليهود هو لأنهم هادوا إلى الله ﷻ عن عبادة العجل، وذلك لأن الله ﷻ لم يذكر كلمة (اليهود) إلا بعد ذكر توبتهم من عبادة العجل، ففي سورة البقرة ذكر الله ﷻ كلمة بني إسرائيل حتى الآية الثالثة والخمسين من السورة، وبعد أن ذكر توبتهم من عبادة العجل في الآية الرابعة والخمسين، وذكر ﷻ كلمة (هادوا) بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١٣]، فظهرت لنا تسمية أُخرى أُضيفت إلى تسمية بني إسرائيل، والحال حتى الآية المائة والخامسة والخمسون، وبعدها ذكر ﷻ كلمة (هُدنا) على لسانهم ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾. فظهر مصطلح اليهود، وفي السور الأُخرى التي ذكرت قصتهم ولم تذكر توبتهم من عبادة العجل نجد أنه لم يُطلق عليهم مصطلح اليهود، وذلك نجده واضحاً في سورة (طه، الشُعراء، الدُخان، النازعات) والله ﷻ أعلم.

وبالإضافة إلى هذهِ التسميات فهناك تسميات أُخرى[١٤] لم يذكرها القرآن الكريم ولا الرسول ﷺ، منها:

العبرانيون:

وهذهِ كانت تطلق في نحو الألف الثاني قبل الميلاد وفيما قبل ذلك على طائفة كبيرة من القبائل في شمال جزيرة العرب وفي بادية الشام حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء او ابن البادية بوجه عام، ولم يكن لبني إسرائيل وجود في ذلك الوقت[١٥].

و(سنحاريب) حين دون حملته العسكرية على مملكة يهوذا ذكر (حزقيال اليهودي) ولم يذكر العبري، وهو دليل آخر على أن هذا المصطلح حديث الظهور[١٦]، والأهم من هذهِ الأدلة هو أن الله ﷻ لم يذكر هذهِ التسمية في القرآن الكريم.

ولقد أراد بنو إسرائيل من إطلاق هذهِ التسمية عليهم هو أن يجعلوا لهم تاريخاً موغلاً في القدم يمتد إلى سيدنا إبراهيم ﷺ، ومما لا ريب فيه أن سيدنا إبراهيم ﷺ لم يكن يهودياً ولا نصرانياً كما قال ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[١٧].

الموسويون:

وهو مصطلح أُطلق على أتباع سيدنا موسى عليه السلام الذين خرجوا معه من مصر إلى بلاد الشام والسبب الذي دفعهم إلى إطلاق هذا الاسم هو أنهم شككوا بل أنكروا نسب سيدنا موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، ومن أوائل الذين قالوا ذلك الفلاسفة اليهود (فليون) و(ويج) و(فرويد) و(أحمد سوسة) حيث ادعوا أنه لم يكن إسرائيلياً وإنما كان مصرياً، وأنه اتخذ ديانة التوحيد من (أخناتون) فرعون مصر، وأنه قد خرج معه جماعة من الجنود المصريين ومعهم فلول من بقايا (الهكسوس) الذين كانوا يدينون بدين التوحيد فاضطر إلى الهرب من مصر بسبب الاضطهاد الذي واجهوه بعد موت أخناتون[١٨].

وهذا الرأي يخالف القرآن الكريم الذي ذكر بشكل صريح بأن موسى عليه السلام من ذرية إبراهيم عليه السلام، وكما قال الله سبحانه جل جلاله: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١٩]، ويخالف تأكيد القرآن الكريم على أن الذين خرجوا مع موسى عليه السلام كانوا بني إسرائيل، قال سبحانه جل جلاله: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ ﴾[٢٠]، وقوله جل جلاله: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾[٢١].

المبحث الثاني
ملامح الشخصية الإسرائيلية

عبادة الأصنام

بعد أن أنقذ الله جل جلاله موسى عليه السلام وبني إسرائيل من فرعون واجتاز بنو إسرائيل البحر الأحمر مروا على قومٍ يعبدون الأصنام فطلبوا من موسى عليه السلام أن يتخذ لهم صنماً يعبدونه مثل هؤلاء الوثنيين، فلامهم موسى عليه السلام على جهلهم، وأكد لهم أن هؤلاء القوم يعبدون الأصنام ودينهم وأعمالهم خاسرة ولذا فإن مصيرهم الهلاك، ثم أبدى عجبه كيف يطلبون معبوداً غير ربِ العالمين[٢٢]، وكما قال جل جلاله: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢٣].

وإذا كان هذا حالهم ونبيهم بينهم فكيف إذا كان بعيداً عنهم؟ والجواب على هذا التساؤل هو أنهم سيعبدون آلهةً من دون الله وهذا ما ظهر جلياً عندما ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربه تعالى، فصنع لهم السامري عجلاً ذهبياً، وقال لهم أنه الإله الذي ذهب موسى لمناجاته فانخدع كثيرٌ منهم بهذا الكلام وعبدوه من دون الله على الرغم من وجود هارون عليه السلام الذي بَين لهم بطلان هذا الادعاء، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾[٢٤]، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٢٥].

طلبهم رؤية الله جل جلاله

بعد ان تاب بنو إسرائيل من عبادة العجل، اختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً منهم يذهبون معه إلى الجبل الذي اعتاد أن يناجي الله تعالى فيه ليقدموا الطاعة لله والندم على ما اقترفوه من إثم، فذهب بهم إلى الجبل (حورب) وهو جبل الطور، وبدلاً من أن يتوبوا ويستغفروا قالوا لموسى لن نؤمن لك أن الله نبأك وأعطاك الكتاب حتى نرى الله تعالى جهرة بأعيُننا وعلى أثر هذا الطلب أخذتهم الصاعقة وهم ينظر بعضهم إلى بعض، ثم بعثهم الله جل جلاله من بعد موتهم بعد التضرع والتذلل من موسى عليه السلام[٢٦]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ

﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾[٢٨]، فبنو إسرائيل الذين جاءوا معتذرين انقلبوا جاحدين، ورفع الله ﷻ فوقهم جبل الطور ولما أدركوا أنه سيسقط عليهم آمنوا برسالة سيدنا موسى عليه السلام، وكما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢٩].

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣٠].

فهذهِ الآيات المباركة تشير إلى أن بني إسرائيل لا تنفع معهم لغة العقل إنما تزيدهم تمسكاً بالباطل وعناداً وغطرسة.

وادعى بعض بني إسرائيل بأن الله ﷻ بخيل لا يعطي عباده وجاء وصف قولهم هذا في القرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[٣١]، وقد أرادوا أن يقولوا بأن الله بخيل، يعني أمسك ما عنده بخلاً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً[٣٢].

وقد وصف قسم منهم ربهم بالبخل لا يمتنع عليهم أن يصف قسم آخر منهم ربهم بالفقر، كما قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[٣٣].

تحريفهم للتوراة

إن الأُمة بعلمائها فإذا فسد العلماء فسدت الأُمة، وعلماء بني إسرائيل كانوا ممن فسد وأفسد عندما حرفوا تعاليم ربهم ومشوا وراء أهوائهم، فكانوا يحرمون الحلال، ويحلون الحرام مقابل مبلغ من المال يُدفع لهم، وبهذا خانوا الأمانة وفضلوا الدنيا على الآخرة، وكما قال الله ﷻ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٣٤]، وقال ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[٣٥].

﴿ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٣٦]، وقال ﷻ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[٣٧].

التحايل على شرع الله ﷻ

ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم قصة أصحاب السبت ومختصرها أن جماعة من بني إسرائيل كانوا يسكنون في قرية على الساحل، وقد كانت الأسماك تأتي إلى الساحل في يوم السبت وتكون في متناول أيديهم أما بقية ايام الأسبوع فلا تأتيهم وفي هذا اختبار وامتحان لأنهم في يوم السبت مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة[٣٨]، لهذا لا يحل لهم اصطياد هذهِ الأسماك، فقامت جماعة منهم فتحايلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بأن وضعوا لها من الشخوص والحبائك والبرك قبل يوم السبت فلما جاءت يوم السبت على عادتها في الكثرة نشبت بتلك الحبائل والحيل فلم تخلص منها يومها ذلك فلما كان الليل أخذوها[٣٩]، فنصحتهم جماعة منهم بالكف عن هذا العمل فلم ينتهوا عن ذلك فمسخهم الله ﷻ إلى قردة خاسئين، قال ﷻ: ﴿ وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾[٤٠].

وقد حرم الله ﷻ عليهم بسبب ذنوبهم التي ارتكبوها بعض أنواع الشحوم، قال ﷻ: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[٤١]، قال قتادة: يعني الثروب، وشحم الكليتين، والثروب: جمع ثرب، وهو الشحم الرقيق الذي يكون على الكرش، وقال ابن جريج: حرم عليهم كل شحم غير مختلط بعظم أو على عظم، وأحل لهم شحم الجنب والإلية لأنه العصعص[٤٢]، وعلى الرغم من هذا التحريم فإنهم تحايلوا أيضاً

على هذا التشريع بأن أذابوا هذا النوع من الشحم ثم جمدوه وباعوه للناس وأكلوا ثمنه وهو حرام عليهم، روى أبو داود عن ابن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لعن الله اليهود ثلاثاً، أن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وأن الله إذا حرم على قومٍ أكل شيء حرم عليهم ثمنه**»(٤٣).

اتهام الأنبياء بالضلال

إن أول ما يطالعنا في هذا الموضوع هو اتهام أبناء يعقوب (إسرائيل) لأبيهم بأنه ضال بعيد عن الإنصاف؛ لاعتقادهم بحبه ليوسف وأخيه أكثر من حبه لهم، قال ﷻ: ﴿ **إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾(٤٤)، وفي نهاية قصة يوسف ﵇ نجد سوء الأدب من الأحفاد نحو جدهم كما قال ﷻ: ﴿ **وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ** ﴾(٤٥).

والمقصود بالأب هنا الجد، لأن الأبناء الصلبيين كانوا قد ذهبوا إلى مصر بحثاً عن الطعام، ومن خلال الآيات السابقة نستنتج صفة أُخرى لبني إسرائيل وهو الحسد، حسدهم لأخيهم يوسف ولأخيهم الآخر (بنيامين) على الرغم من أنهم أكبر منهما سناً وأقوى منهما جسماً(٤٦).

قتلهم للأنبياء

اعتاد بنو إسرائيل على الفساد وعلى الابتعاد عن طاعة الله ﷻ، فأرسل الله ﷻ إليهم كثيراً من الأنبياء والمرسلين، وقد أرسلوا بتعاليم تخالف أهواءهم المريضة، لهذا فإن موقفهم من الأنبياء والمرسلين كان يتمثل إما بتكذيبهم وإما بمحاولات التآمر على قتلهم، وقد قتلوا قسماً منهم كيحيى ﵇ وتآمروا على قتل عيسى ﵇ فأنقذه الله ﷻ منهم ورفعه إليه، قال ﷻ: ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾(٤٧).

وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم اتهامهم الباطل للسيدة مريم– عليها السلام– وفرحهم وافتخارهم بأنهم قتلوا السيد المسيح ﵇ وصلبوه فكذبهم الله ﷻ وبين أن المقتول

ليس هو المسيح عليه السلام وإنما هو زعيم الطائفة التي كانت تطارد المسيح عليه السلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾(٤٨)، وبفضل الله جل جلاله على عباده المتقين أن جعل السيد المسيح عليه السلام بعيداً عن كيدهم، فما قتلوه وما صلبوه، وإن كانوا قتلة الأنبياء وقتلة الذين يأمرون بالقسط بين الناس(٤٩).

عداوتهم للملائكة

لم يقتصر عداء بني إسرائيل على البشر وإنما تجاوزه إلى الملائكة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾(٥٠)، لقد قال نفر من بني إسرائيل للرسول صلى الله عليه وسلم: أي ملك يأتيك بالوحي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: **جبريل** عليه السلام، فقالوا: إننا لا نحب جبريل لأنه ملك عذاب ولذلك لا نؤمن به، ولو كان الذي يأتيك ميكائيل لأمنا به واتبعناك، لأنه ملك رحمة(٥١). فنزلت تلك الآيات التي تبين أن معاداة ملائكة الله معاداة الله سبحانه وتعالى فهم رسله، ومتبعوا أمره، وأن من عادى جبريل عادى ميكائيل، وهؤلاء الكافرين، الله عدوهم، ويا ويل من كان الله عدوه.

شدة عداوتهم للمسلمين

أكد الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على أن اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين، حتى من الذين أشركوا، قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٥٢)، وهم بسبب هذهِ العداوة لا يتمنون الخير للمؤمنين، قال جل جلاله: ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٥٣)، وإن مواقفهم كثيرة مع المشركين ضد

المسلمين، كالذي حدث في غزوة الأحزاب ومحاولاتهم لبلبلة أفكار المسلمين وإشعال نيران الفتنة بينهم لَدليل عملي قاطع على هذهِ العداوة فقد لجأ بنو إسرائيل مع المشركين للقضاء على المسلمين، ومن الآيات التي ذكرت هذا الموقف المشين على بني إسرائيل لمحاربة أهل التوحيد قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾(٥٤)، وقد ورد في سبب نزول هذهِ الآيات أن نفراً من اليهود منهم (سلام بن أبي الحقيق النضري) و(حيي بن أخطب النضري) وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم

بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله ﷻ فيهم هذهِ الآيات(٥٥).

فهؤلاء قد فضلوا الوثنية على دين التوحيد لأن قلوبهم قد امتلأت بالحقد بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله ﷻ فيهم هذهِ الآيات(٥٦).

فهؤلاء قد فضلوا الوثنية على دين التوحيد لأن قلوبهم قد امتلأت بالحقد والحسد على رسول الله ﷺ لأنه خاتم الأنبياء المرسلين.

ومن هذا يتبين أن بني إسرائيل يفضلون ما يتفق مع أهوائهم ومصالحهم حتى وإن تعارض مع الحق.

تعصبهم

بالرغم من أن الرسول ﷺ قد جاء بالحق المبين إلا أن اليهود والنصارى كما ذكر الله ﷻ سيبقون متعصبين لدينهم وأنهم لن يرضوا على الرسول ﷺ إلا إذا اتبع أهوائهم، قال ﷻ: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٥٧]، وقال (ملتهم) وهما ملتان مختلفتان، بمعنى لن ترضى اليهود حتى تتبع ملتهم ولن ترضى النصارى حتى تتبع ملتهم، فجمعهم إيجاز لأن ذلك مفهوم، والملة الطريقة وقد اختصت اللفظة بالشرائع والدين[٥٨].

ومن مظاهر تعصب بني إسرائيل التي ذكرها القرآن الكريم، ما يتعلق بتحويل القبلة، فقد ورد عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله ﷻ أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود، فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم ﵇ فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فـأنزل الله ﷻ[٥٩]: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[٦٠]، فازداد حقد اليهود على رسول الله ﷺ وراحوا يتآمرون عليه وعلى دعوته الحق، ويشنون حرباً نفسية ضارية للنيل منه ﷺ[٦١].

ولقد بقي بنو إسرائيل متمسكين بباطلهم على الرغم من كل ما جاءهم به الرسول ﷺ من أدلة تدل على صدق دعوته وصحة توجهه إلى الكعبة قبلة أبيه إبراهيم ﵇، قال ﷻ: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٦٢].

استهزاؤهم بتعاليم الإسلام

كان بنو إسرائيل يظهرون استهزائهم بتعاليم الإسلام كلما سنحت لهم الفرصة، ومن أهم فرائض الإسلام الصلاة، ومن صور استهزائهم بها أنه إذا أذن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون او سجدوا، وقالوا في حق الأذان: لقد ابتدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأُمم، فمن أين لك

صياح مثل صياح البعير؟ فما أقبحه من صوت وما أسمجه من أمر، وقيل أنهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السخف والمجون تجهيلاً لأهلها وتنفيراً للناس عنها وعن الداعي إليها(٦٣)، وقد حذر الله ﷻ المؤمنين من التحالف مع هؤلاء الذين قد استهزؤا بأهم ركن من أركان الإسلام، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴾(٦٤).

محاولاتهم بث الشكوك في قلوب المسلمين

حاول بعض بني إسرائيل زرع الشك في قلوب المسلمين عن طريق إظهارهم الرضا بالإسلام في أول النهار والكفر في آخره، حيث قال أهل الكتاب لبعض قومهم أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار وأكفروا آخره، فإنه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم ما تكرهونه وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم(٦٥).

قال ﷻ: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾(٦٦).

ولقد كان العرب يثقون ببني إسرائيل على أساس أنهم أهل دين سماوي، ومن هذا الباب أرادت هذهِ الطائفة أن تغش الناس من هذهِ الناحية ليقولوا لولا أنه ظهر لهؤلاء بطلان الإسلام لما رجعوا عنه بعد أن دخلوا فيه واطلعوا على بواطنه وخوافيه، إذ لا يعقل أن يترك الإنسان الحق بعد معرفته ويرغب عنه بعد الرغبة فيه بغير سبب(٦٧).

غير أن هذهِ المحاولة هي الأُخرى باءت الفشل، لأن المسلمين قد فقدوا الثقة بأهل الكتاب الذين حرفوا دينهم وانجرفوا وراء أهوائهم.

إشعالهم لنيران الحروب والفتن

ومن الصفات الخبيثة التي اتصف بها بنو إسرائيل محاولاتهم إثارة الفتن وإشعال نيران الحروب لولا أن الله ﷻ يحبط ما شاء من مساعيهم في هذا المجال قال ﷻ: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٦٨].

وما هذهِ الطبيعة المتغلغلة في نفوسهم إلا بسبب حقدهم الأعمى على البشرية، واعتقادهم بأنهم شعب الله الذي اختاره من بين الشعوب، لهذا فإنهم لا يريدون الأمن ولا الأمان ولا السعادة لغيرهم فيعمدون إلى إثارة الحروب والفتن والتسبب بها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن ذلك إثارة الفتن بين المسلمين ومؤامراتهم على الإسلام والمسلمين ومحاولاتهم استغلال الأحقاد الدفينة التي كانت تعتلج في نفوس أهل يثرب من الأوس والخزرج قبل الإسلام وإثارتها[٦٩]، فحاولوا الوقيعة بين القبيلتين وعمدوا إلى إثارة ما كان بينهم في الجاهلية من أحقاد ومعارك[٧٠]، ومن ذلك ما رواه أهل السير: أن رجلاً من بني إسرائيل يُسمى (شأس بن قيس) وكان عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاضه ما رآى من جماعتهم وأُلفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فأمر فتىً شاباً من اليهود وكان معه فقال أعده إليهم فإجلس معهم وذكرهم يوم (بعاث) وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا وغضب الفريقان وقالوا السلاح السلاح، فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المسلمين الله، الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وألف به بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟**» فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين فقد أطفأ الله كيد عدو الله (شأس بن قيس) وما صنع فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٧١][٧٢]. وفي مختلف الأزمان يحاول بنو إسرائيل إثارة النعرات الطائفية ليقتتل الناس فيما بينهم، فيتمكنوا في النهاية من السيطرة عليهم.

محاولتهم التأثير على الرسول ﷺ

حاول بعض سادات بني إسرائيل التأثير على رسول الله ﷺ في الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ، غير أن الرسول ﷺ لم يبالي بمطالبهم وحكم وفق ما أنزل الله ﷻ عليه، قال ﷻ: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٧٣].

قال ابن عباس ﷺ: لا تأخذ بأهوائهم في جلد المحصن[٧٤]، حيث أن اليهود كانوا يقولون إن أوتيتم الجلد في الزاني المحصن دون الرجم وقتل الوضيع بالشريف إذا قتله وترك قتل الشريف بالوضيع إذا قتله فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا[٧٥]، لهذا حذر الله ﷻ نبيه ﷺ من إتباع أهوائهم الزائفة[٧٦].

حسدهم

كان بنو إسرائيل قبل إرسال الرسول ﷺ يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم ويقولون أنه سيُبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما بعثه الله من العرب كفروا وجحدوا ما كانوا يقولون فيه[٧٧].

وكما قال ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ

غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٧٨]، وهكذا خاب الفأل وضاع المرتقب وحملهم الحسد والبغي على الإعراض والتكذيب والإنكار[٧٩]؛ لأنهم كانوا يتمنون أن يكون نبي آخر الزمان منهم، لهذا فإنهم تمنوا أن يرجع المؤمنون إلىالوثنية والكفر، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم قد وصلوا إلى أخس رذيلة بحسدهم للرسول ﷺ وللمسلمين، قال ﷻ:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[٨٠]، وقال ﷻ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾[٨١].

محاولة شتم الرسول ﷺ

من الطرق الخبيثة التي حاول بنو إسرائيل استخدامها لشتم رسول الله ﷺ، التورية وذلك باستخدامهم لبعض الالفاظ التي كان يتكلم بها المسلمون مع الرسول ﷺ والتي تعني بلغة بني إسرائيل سباً قبيحاً، ومن هذهِ الألفاظ كلمة (راعنا) فإذا أرادوا أن يقولوا اسمع لنا يقولون (راعنا) ويورون بالرعونة[٨٢]، قال ﷻ: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٨٣].

قال ابن عباس رضي الله عنه كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ راعنا على جهة الطلب والرغبة من المراعاة، أي التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود: اسمع لا سمعت فاغتنموها وقالوا كنا نسبه سراً فالآن نسبه جهراً، فكانوا يخاطبون بها النبي ﷺ ويضحكون بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه وكان يعرف لغتهم فقال لليهود عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقول للنبي ﷺ لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها؟ فنزلت الآية وهي قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٨٤].

ونهوا عنها لئلا تقتدي بهم اليهود من اللفظ وتقصد المعنى الفاسد فيه(٨٥)، وبذلك فقد خاب مسعاهم وافتضح أمرهم فانقلبوا خاسرين.

ومن الألفاظ الأُخرى التي يلوون بها السنتهم كلمة السلام فإنهم يلفظونها (السام) والسام هو الموت(٨٦)، فقد روى البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: مر يهودي برسول الله ﷺ، فقال: السام عليك، فقال رسول الله ﷺ: «**وعليك**»، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «**أتدرون ما يقول؟**» قالوا: لا، قال: «**السام عليك**»، قالوا يا رسول الله ألا نقتله، قال: «**لا إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم**»(٨٧)، ومن ذلك يتبين عمق حقد بني إسرائيل على رسول الله ﷺ وسعيهم لإيذائه بشتى السُبل والوسائل.

محاولة قتل الرسول ﷺ

جاء رسول الله ﷺ إلى بني النضير يطلب منهم المساعدة في جمع دية رجلين من المشركين قتلهما أحد المسلمين خطأ، فقالوا: له يا أبا القاسم إجلس حتى نعطيك الذي تسألنا، فجلس رسول الله ﷺ وأصحابه ينتظرون، وجاء (حيي بن أخطب) وهو رأس القوم فقال لأصحابه اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شراً أبداً، فجاءوا إلى رحى لهم عظيمة ليطرحوها عليه فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل ﷺ فأقامه(٨٨)، فأنزل الله ﷻ قوله الكريم: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾(٨٩).

وقد تكررت هذهِ المحاولة عندما بعثت إحدى نساء بني إسرائيل (زينب بنت الحارث) زوجة (سلام بن مشكم) بشاة مسمومة إلى رسول الله ﷺ في فتح خيبر ليأكل منها، ولما علمت أنه يحب أكل الذراع أكثرت من وضع السم فيه، وعندما أراد الرسول ﷺ الأكل من الذراع ورفعه إليه قال: إن هذا الذراع يخبرني أنه مسموم، فأنقذه الله ﷻ من هذهِ المحاولة التي قتل بسببها أحد المسلمين متأثراً بالسم الموجود فيها(٩٠).

عدم تطبيقهم لأقوالهم ونقضهم للمواثيق

كان بعض أحبار بني إسرائيل يأمرون عامتهم بالخير وإبداء أعمال البر، ولكنهم على الرغم من ذلك لا يطبقون ما يقولون، قال ﷻ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[٩١].

إضافة إلى ذلك فإن قسماً آخر من علمائهم لم يكن أصلاً آمراً بالمعروف ولا ناهياً عن منكر، قال ﷻ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٩٢].

ومن صفات بني إسرائيل التي ذكرها القرآن الكريم نقضهم للمواثيق المتعددة التي قطعوها على أنفسهم وعاهدوا الله ﷻ على الوفاء، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٩٣].

فهذهِ المواثيق التي أخذها الله ﷻ عليهم من الإيمان به ﷻ وحده لا شريك له، والإحسان إلى الوالدين والأقارب واليتامى والمساكين وقول المعروف للناس، وإقام الصلاة وإخراج الزكاة وألا يسفك بعضهم دماء البعض الآخر وألا يخرجونهم من ديارهم، كذلك فقد أخذ الله ﷻ عليهم ميثاق إظهار الحق وعدم كتمانه، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[٩٤].

وهذا توبيخ من الله ﷻ وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوهوا بذكره في الناس ليكونوا على أهبة من امره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف، فبئس الصفقة صفقتهم وبئست البيعة بيعتهم(٩٥)، وكما تشمل هذهِ الآية الكريمة النهي عن كتم الأحكام، وقد كتم اليهود أمر الرجم في حق الزاني المحصن(٩٦).

كذبهم

تآمر أبناء يعقوب عليه السلام على إبعاد يوسف عليه السلام عنه عن طريق التحايل لإقناع أباهم بأن يرسل يوسف معهم ليلعب ثم رجعوا إليه في العشاء والدموع تنهمر من عيونهم وهم يقولون بأن الذئب قد أكله عندما تركوه وحده عند أمتعتهم بينما انطلقوا يتسابقون لمسافة طويلة ليروا من أسرعهم جرياً، وهم في ذلك كاذبون لأنهم أخذوه وألقوه في غيابة الجُب وهو طاق في البئر فويق الماء يغيب الشيء عن العين(٩٧)، وهذا البئر يقع على طريق القوافل، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾(٩٨)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾(٩٩).

وصفاتهم في الماضي هي نفسها في الحاضر، يقتلون الأبرياء ويأخذون أموالهم ويغتصبون أراضيهم ويعتدون على أعراضهم، ويظهرون بعد ذلك حزنهم وشفقتهم وبكاءهم عليهم، إذا تطلب الموقف إظهار هذا الحزن الكاذب.

استعطافهم للآخرين

بعد أن اشتد الفقر على أبناء يعقوب عليه السلام جاءوا إلى عزيز مصر ليطلبوا منه طعاماً بآخر ثمن استطاعوا جمعه، وأن يتصدق عليهم بكمية أُخرى من الطعام مجاناً، ولم

يعلموا بأن هذا العزيز هو نفسه أخوهم يوسف ، قال ﷻ: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[١٠٠]، وهذهِ حال الإسرائيليين دائماً يظهرون الذلة والمسكنة ويحاولون استعطاف الآخرين إذا لم تتوفر لهم سبل العيش الكريمة، أما إذا كان كل شيء متوفراً عندهم فلا نجد عندهم إلا الصلافة وسوء الأدب.

ذلتهم

أمر فرعون بقتل أي مولود ذكر يولد من بني إسرائيل وإبقاء الإناث على قيد الحياة، ومع هذهِ المهانة لم يظهروا أي مقاومة لهذا القرار، كما وأنهم كانوا يُستخدمون في الأعمال الشاقة من غير أجر، وفي هذا إشارة إلى عظم الذلة التي طُبِعَت على قلوبهم، قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[١٠١]، وقال ﷻ: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾[١٠٢].

وهكذا هم بنو إسرائيل إذا رأوا السيف مسلط على رقابهم فإنهم يطيعون ويمتثلون، وإذا رأوا غير ذلك فإنهم يتمردوا ويتجبروا ويفسدوا في الأرض.

استبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير منه

أنعم الله ﷻ على بني إسرائيل في فترة تيههم في الصحراء بنعمة إنزال المن والسلوى عليهم، وتظليل الغمام وتفجير الحجارة لتنبع ماء لهم كلما احتاجوا إلى شرب الماء، قال ﷻ: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[١٠٣]، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[١٠٤]، وعلى الرغم من ذلك فإنهم قالوا لموسى بأنهم لن يصبروا

على أكل الطعام الشهي الذي يأتي إليهم من غير مشقة ولا تعب، لهذا فعليه أن يدعو ربه بأن يخرج لهم بعضاً مما ينبت من البقوليات والقثاء والحنطة والعدس والبصل، فتعجب موسى عليه السلام من طلبهم الذي يقل جودةً عن الطعام المهيء لهم فقال لهم اتجهوا إلى أي مدينة من المدن فستجدون ما طلبتموه أمامكم، قال عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾(١٠٥).

ومن سوء أدبهم مع ربهم جل جلاله أنهم اعتبروه رب موسى وحده وليس ربهم الذي أنعم عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى.

والمن يشبه العسل الأبيض كانوا يجدونه على أوراق الأشجار، والسلوى (طائر السماني) يأتي إليهم أسراباً متلاحقة تهبط فتكاد تغطي الأرض لكثرتها، فأقبل بنو إسرائيل على المن يلتهمونه، والسلوى يذبحون ويأكلون(١٠٦)، ثم طلبوا ما هو أقل منهما، وفي هذهِ الآية إشارة إلى أن الإسرائيلي لا يصبر على حياة الدعة والراحة والنعم خصوصاً إذا اعتاد على حياة الذل والمهانة.

إفسادهم في الأرض

لقد كان لبني إسرائيل دور كبير في نشر الفساد في المجتمعات فهم أينما حلوا أفسدوا وهدفهم في ذلك تحطيم القيم والمثل التي يتمتع بها كل مجتمع بغية القضاء عليه وجعله منقاداً لأهوائهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(١٠٧)، وهذا الإفساد من قبل بني إسرائيل لم يكن بسبب جهلهم وعدم علمهم، بل كانوا عالمين بما يفعلون، فقد قضى الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل بأنهم سيفسدون في الأرض إفسادتين كبيرتين، وليس ذلك

على سبيل الحصر؛ لأنه ﷻ لو اراد حصراً لقال لن تفسدوا في الأرض إلا مرتين(١٠٨)، ولكنه قال ﷻ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾(١٠٩).

جبنهم

طلب موسى عليه السلام من قومه دخول الأرض المقدسة فامتنعوا عن دخولها قائلين له أن في هذهِ البلدة التي تأمرنا بدخولها وقتال أهلها قوماً جبارين، أي ذوي خلق هائلة وقوى شديدة، وأننا لا نقدر على مقاومتهم ولا مقاتلتهم ولا يمكننا الدخول إليها فإن خرجوا منها دخلناها وإلا فلا طاقة لنا بهم(١١٠)، ما عدا اثنين منهم كانا على استعداد للتضحية والجهاد، وقد طلبوا من قومهم الهجوم بشكل مباغت على أعدائهم غير أنهم تخاذلوا وقالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، فدعا عليهم موسى عليه السلام فاستجاب الله ﷻ دعاءه وجعلهم يتيهون في الصحراء أربعين سنة، والقرآن الكريم يقص قصتهم هذهِ بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١١١).

وهذهِ الآيات تبرز لنا كيف أنهم يريدون أن يأتي النصر جاهزاً إليهم من غير تضحية ولا جهاد كما أنها تبين لنا مقدار الجبن الذي استولى على نفوسهم على الرغم من أنهم قد وعدوا بالنصر على لسان نبيهم موسى عليه السلام، وهذا يدل أيضاً على ضعف إيمانهم وعدم ثقتهم بوعود أنبيائهم– عليهم السلام–، وهذهِ الصفة تبقى ملازمة لبني إسرائيل، قال ﷻ في محكم كتابه الكريم: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ

شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١١٢).

وجبنهم هذا قد تولد من حبهم للحياة سواء أكانت حياة ذليلة أم عزيزة، وكما قال ﷻ: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(١١٣).

وتاريخ بني إسرائيل في الماضي والحاضر يؤكد على اتصافهم بصفة الجُبن وابتعادهم عن المواجهة المباشرة عن طريق اللجوء إلى إثارة الفتن والفساد بغية السيطرة على أعدائهم وتحقيق أهدافهم مع تمتعهم بالعيش في حياة ذليلة وحقيرة.

القتل من أجل المال

قص الله ﷻ علينا قصة البقرة في سورة البقرة، ومختصر هذهِ القصة: أن رجلاً من بني إسرائيل قتل عمه الثري ليستأثر بماله ويتزوج إبنته واتهم أعداء عمه بأنهم قتلوه ليأخذ الدية منهم فتحاكموا إلى موسى ؈ فأمره الله ﷻ أن يأمرهم بأن يذبحوا بقرة، وعلى عادتهم في اللجاجة أكثروا من الأسئلة حول أوصافها، ولو أنهم أتوا إلى أي بقرة فذبحوها لتحقق المراد، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم، فاشتروا هذهِ البقرة بذهب يعدل وزنها ثم أخذ موسى ؈ جزءاً من أجزائها فضرب به القتيل فقام حياً بإذن الله فسأله موسى عن قاتله فقال له ابن أخي هذا ثم عاد ميتاً(١١٤)، قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١١٥).

تصور لنا هذهِ الآيات الشخصية الإسرائيلية، بأن حبهم للمال يدفعهم إلى قتل أقرب المقربين إليهم، وكذلك إن الإسرائيلي من الممكن أن يقتل القتيل ويبكي عليه وله الاستعداد على اتهام الآخرين بقتله ليبعد الشبهة عن نفسه، كما وتبين أن بني إسرائيل لا يحترمون الأنبياء ولا يضعونهم في المنزلة اللائقة بهم، فقد اتهموا موسى عليه السلام بأنه يستهزئ بهم وهو يبلغ اوامر الله عز وجل، وهذا لا يليق بالأنبياء لذا قال لهم: ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾(١١٦).

والمال الذي دفعهم إلى القتل دفعهم إلى الغرور، فهذا قارون الذي كان من قوم موسى عليه السلام، والذي وهبه الله تعالى أموالاً كثيرة يخرج على قومه في زينته متكبراً عليهم مغتراً بما عنده، منكراً فضل الله عز وجل عليه، وقد افتتن بعض بني إسرائيل به، وتمنوا أن يكون لهم مثل الذي عنده، أما أولو العلم من المؤمنين منهم فقد رأوا أن هذا متاع الدنيا زائل وأن ما عند الله من الأجر لن يزول، وفي النهار التالي يفاجئ الناس بأن الذي كان يطل عليهم من شرفات قصره متكبراً مغروراً، قد أصبح هو وقصره في مستوى أقل من سطح الأرض، حيث خسف الله عز وجل به وبقصره الأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ (٧٦) وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ (٧٩) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ (٨٠) فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾(١١٧).

فبنو إسرائيل عندما تتركز الأموال في أيديهم فإنهم يحاولون استعباد الناس وإخضاعهم لأهوائهم، كما وأنهم يحاولون نشر الرذيلة بين الناس.

أكلهم للحرام

كان بنو إسرائيل يهدفون إلى جمع الأموال بشتى الطرق وبمختلف الوسائل، حتى وإن كان ذلك عن طريق أخذهم الربا والرشوة وما إلى ذلك، قال ﷻ: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[١١٨]، وهذا يدل على أن كثيراً من هؤلاء اليهود يسارعون في المعاصي والاعتداء على غيرهم في أكل المال الحرام كالرشوة والربا ولبئس ما يفعلونه من هذهِ القبائح، ولبئس ما كان يصنع علماؤهم من الرضا بهذهِ المعاصي وعدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر[١١٩].

قسوة قلوبهم

ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم عن بني إسرائيل بأن قلوبهم قاسية، قال ﷻ: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[١٢٠]، وقال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾[١٢١]، وقال ﷻ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١٢٢]، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١٢٣]

الخاتمة

الحمد لله ربِ العالمين في البدء والختام، والصلاة والسلام على سيدي ومولاي محمد رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

وبعد...

من خلال تتبعنا للآيات الكريمة في كتاب الله العزيز، تبينت لنا صفات بني إسرائيل وكما صورها القرآن الكريم، والتي تبرز شخصيتهم في الخلق والسلوك والسجية والطبع على مر الأزمان، فلعنهم الله ﷻ لكفرهم ولقتلهم أنبياء الله- صلوات الله وسلامه عليهم- فجعل منهم ﷻ القردة والخنازير.

ولا يخفى أن الأُمة بعلمائها فإذا فسد العلماء فسدت الأُمة، ومن خلال العرض تبين أن علماء بني إسرائيل كانوا ممن فسد وأفسد فحرفوا ما أنزل الله ﷻ وخانوا الأمانة وفضلوا الدنيا على الآخرة فبانت الشخصية الإسرائيلية بوضوح جلي، وانحازوا إلى صف أعداء الله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله... ويا ويل من كان الله عدوه.

يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك

اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾(١٢٤)

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١٢٥)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين

هوامش البحث

(١) سورة آل عمران/ آية ٩٣.

(٢) سورة مريم/ آية ٥٨.

(٣) سورة البقرة/ ٤٠، ٤٧، ٨٣، ١٢٢، ٢١١، ٢٤٦، سورة آل عمران/ ٤٩، ٩٣، سورة المائدة/ ١٢، ٣٢، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ١١٠، سورة الأعراف/ ١٠٥، ١٢٤، ١٣٧، ١٣٨، سورة يونس/ ٩٠، ٩٣، سورة النحل/ ٧٦، سورة الإسراء/ ٢، ٤، ١٠١، ١٠٣، سورة طه/ ٤٧، ٨٠، ٩٤، سورة الشعراء/ ١٧، ٢٢، ٦٠، ١٩٧، سورة السجدة/ ٢٣، سورة غافر/ ٥٣، سورة الزخرف/ ٥٩، سورة الدخان/ ٣٠، سورة الأحقاف/ ١٠، سورة الجاثية/ ١٦، سورة الصف/ ٦، ١٤.

(٤) سورة يونس/ ٩٠.

(٥) سورة البقرة/ ١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٤٠، سورة آل عمران/ ٨٥، سورة النساء/ ١٣، سورة الأنعام/ ٨٤، سورة هود/ ٧١، سورة يوسف/ ٦، ٣٨، ٦٨، سورة مريم/ ٦، ٤٩، سورة الأنبياء/ ٦٢، سورة العنكبوت/ ٢٧، ٤٥.

(٦) سورة الأنبياء/ آية ٧٢.

(٧) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، أو المقدمة لابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن الحسن (ت ٨٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ١/ ١٢٠.

(٨) سورة البقرة/ ٥٤، ٦٠، ٦٧، سورة المائدة/ ١٩، سورة الأعراف/ ١٥٠، ١٤٨، ١٥٥، ١٥٩، سورة إبراهيم/ ٦، سورة طه/ ٨٦، سورة القصص/ ٧٦، سورة الصف/ ٥.

(٩) سورة البقرة/ ١١٣، ١٢٠، سورة آل عمران/ ٦٧، سورة المائدة/ ١٨، ٥١، ٦٤، ٨٢، سورة التوبة/ ٣٠.

(١٠) سورة الأعراف/ من الآية ١٥٦.

(١١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري المالكي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: إبراهيم أطفيس وأحمد عبد الحليم البردوني وغيرهما، دار الكتاب العربي بالقاهرة، ١٩٦٧، ٧/ ٢٩٦.

(١٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: علي عبد الواحد، دار القلم، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٨ فما بعدها، وأُنظر: الوطن اليهودي وعلاقته بالأرض المقدسة، حبيب موسى، دار دجلة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٤٧، ص ٨ فما بعدها.

(١٣) سورة البقرة/ آية ٦٢.

(١٤) التوراة والتراث السوري، مفيد عرنوق، منشورات دار النضال للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٦، ص ٢٠٣– ٢٠٥.

(١٥) المرجع السابق،ص ٢٠٧.

(١٦) إبراهيم أبو الأنبياء: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩، ص١٣٢.

(١٧) سورة آل عمران/ آية ٦٧.

(١٨) العرب واليهود في التاريخ: أحمد نعيم سوسة، دار الكتاب العربي، دمشق، ط٢، ١٩٧٣، ص ٧٤، والتوراة والتراث السوري، مفيد عرنوق، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

(١٩) سورة الأنعام/ الآيتان ٨٣- ٨٤.

(٢٠) سورة الأعراف/ آية ١٣٨.

(٢١) سورة طه/ آية ٨٠.

(٢٢) اليهود في القرآن: عفيف طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٨٤، ٢١٧.

(٢٣) سورة الأعراف/ الآيات ١٣٨- ١٤٠.

(٢٤) سورة طه/ الآيات ٨٥- ٨٨.

(٢٥) سورة الأعراف/ الآيات ١٤٨- ١٤٩.

(٢٦) قصص الأنبياء في القرآن الكريم: عبد الوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت): ٢٩٢ فما بعدها.

(٢٧) سورة البقرة/ الآيات ٥٤- ٥٦.

(٢٨) سورة الأعراف/ آية ١٥٥.

(٢٩) سورة البقرة/ آية ٦٣.

(٣٠) سورة الاعراف/ ١٧١.

(٣١) سورة المائدة/ ٦٤.

(٣٢) تفسير القرآن الكريم: ابن كثير، عماد الدين ابوالفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٣هـ) دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩، ٢/٧٥.

(٣٣) سورة آل عمرآن/ ١٨١.

(٣٤) سورة البقرة/ ٧٥.

(٣٥) سورة البقرة/ ٧٩.

(٣٦) سورة البقرة/ آية ٧٥.

(٣٧) سورة البقرة/ آية ٧٩.

(٣٨) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، جار الله المعتزلي (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧: ٢/ ١٧١.

[٣٩] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، مرجع سابق: ١/ ١٠٥.

[٤٠] سورة الأعراف/ الآيات ١٦٣- ١٦٦.

[٤١] سورة الأنعام/ آية ١٤٦.

[٤٢] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، مرجع سابق: ٧/ ١٢٥.

[٤٣] سُنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ)، كتاب البيوع، باب ثمن الخمر والميتة، حديث رقم ٣٢٠٦، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

[٤٤] سورة يوسف/ آية ٨.

[٤٥] سورة يوسف/ الايات ٩٤- ٩٥.

[٤٦] تفسير الكشاف: للزمخشري، مرجع سابق: ١/ ٤٤٦.

[٤٧] سورة البقرة/ آية ٨٧.

[٤٨] سورة النساء/ الآيات ١٥٦- ١٥٧.

[٤٩] اليهود في القرآن الكريم: صلاح أبو إسماعيل، دار البلاغ، الكويت (د. ت)، ص ٣٨.

[٥٠] سورة البقرة/ الآيات ٩٧- ٩٨.

[٥١] تنوير الأذهان من تفسير روح البيان: إسماعيل حقي البردوسي، اختصره: محمد علي الصابوني، دار القلم، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩: ١/ ٨٧، وأُنظر: روائع البيان لمعاني القرآن، أيمن عبد العزيز جبر، دار الأرقم، عمان- الأردن، ط١، ١٩٩٧، ص٦ فما بعدها.

[٥٢] سورة المائدة/ آية ٨٢.

[٥٣] سورة البقرة/ آية ١٠٥.

[٥٤] سورة النساء/ آية ٥١- ٥٢.

[٥٥] روائع البيان لمعاني القرآن، مرجع سابق: ١٠٣ فما بعدها، السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٧١، ٣/ ٢٢٥.

[٥٦] روائع البيان لمعاني القرآن، مرجع سابق: ١٠٣ فما بعدها، السيرة النبوية (سيرة ابن هشام)، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٧١، ٣/ ٢٢٥.

(٥٧) سورة البقرة/ آية ١٢٠.

(٥٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق بن عطية (ت ٥٤١هـ)، الدوحة، قطر، ١٩٨٧ (دون ذكر المطبعة)، ١/ ٤٠٦ فما بعدها.

(٥٩) تفسير ابن كثير، مرجع سابق: ١/ ١٩٢.

(٦٠) سورة البقرة/ آية ١٤٤.

(٦١) الأنبياء في القرآن الكريم: محمود الشرقاوي، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠، ص٣١٨.

(٦٢) سورة البقرة/ آية ١٤٥.

(٦٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، مرجع سابق، ٦/ ٢٢٤.

(٦٤) سورة المائدة/ ٥٧- ٥٦.

(٦٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، ٢/ ٢٢١.

(٦٦) سورة آل عمران/ آية ٧٢.

(٦٧) تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٣هـ)، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٦هـ، ٣/ ٣٣٣.

(٦٨) سورة المائدة/ من الآية ٦٤.

(٦٩) اليهود في القرآن: عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٨٤، ص٢٥.

(٧٠) الأديان في القرآن: محمود الشريف، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٨٠: ٢٩.

(٧١) سورة آل عمران/ الآيات ١٠٠- ١٠٥.

(٧٢) سيرة ابن هشام، مرجع سابق، ٢/ ٢٠٦.

(٧٣) سورة المائدة/ الآيات ٤٩- ٥٠.

(٧٤) زاد المسيرفي علم التفسير: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، سنة ١٩٦٥، ٢/ ٣٧١.

(٧٥) تفسير الطبري، مرجع سابق، ٦/ ١٧٤.

(٧٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي، محمود شكري (ت١٢٠٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)، ٦/ ١٥٢.

(٧٧) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ١/ ١٢٤.

(٧٨) سورة البقرة/ آية ٨٩- ٩١.

(٧٩) من هدي القرآن: محمود شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٢ (د. ت)، ص١٦.

(٨٠) سورة البقرة/ من الآية ١٠٩.

(٨١) سورة النساء/ الآيات ٥٤- ٥٥.

(٨٢) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ١/ ١٤٨.

(٨٣) سورة النساء/ آية ٤٦.

(٨٤) سورة البقرة/ آية ١٠٤.

(٨٥) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، مرجع سابق، ٢/ ٥٧.

(٨٦) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ١/ ١٤٨.

(٨٧) صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، للبخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، (كتاب الاستئذان)، حديث رقم ٥٧٨٨، وللحديث روايات أُخرى: أُنظر: حديث رقم ٥٧٨٦، ٥٧٨٧، وأُنظر: الجامع الصغير المختصر، للإمام البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٥/ أحاديث برقم ٢٣٠٨، ٥٩٠١.

(٨٨) تفسير الطبري، مرجع سابق: ٦/ ٩٢- ٩٤.

(٨٩) سورة المائدة/ آية ١١.

(٩٠) سيرة ابن هشام، مرجع سابق: ٣/ ٣٥٢ فما بعدها.

(٩١) سورة البقرة/ آية ٤٤.

(٩٢) سورة المائدة/ الآيات ٧٨- ٧٩.

(٩٣) سورة البقرة/ الآيات ٨٣- ٨٥.

(٩٤) سورة آل عمران/ آية ١٨٧.

(٩٥) تفسير ابن كثير، مرجع سابق: ١/ ٤٣٦.

(٩٦) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، مرجع سابق، ٢/ ١٨٤.

(٩٧) المرجع السابق، ٩/ ١٣٢.

(٩٨) سورة يوسف/ آية ١٠.

(٩٩) سورة يوسف/ الآيات ١٥- ١٨.

(١٠٠) سورة يوسف/ آية ٨٨.

(١٠١) سورة الأعراف/ آية ١٢٧.

(١٠٢) سورة آل عمران/ آية ١١٢.

(١٠٣) سورة البقرة/ آية ٥٧.

(١٠٤) سورة البقرة/ آية ٦٠.

(١٠٥) سورة البقرة/ آية ٦١.

(١٠٦) بنو إسرائيل في القرآن الكريم: محمد عبد السلام محمد، مرجع سابق، ص٣٠.

(١٠٧) سورة المائدة/ آية ٦٤.

(١٠٨) اليهود في القرآن الكريم: صلاح أبو إسماعيل، مرجع سابق، ص٨٢.

(١٠٩) سورة الإسراء/ آية ٤.

(١١٠) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ٢/ ٣٧.

(١١١) سورة المائدة/ الآيات ٢٠- ٢٦.

(١١٢) سورة الحشر/ الآيات ١٤- ١٥.

(١١٣) سورة البقرة/ آية ٩٦.

(١١٤) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ١/ ١١٨.

(١١٥) سورة البقرة/ الآيات ٦٧- ٧٣.

(١١٦) سورة البقرة/ من الآية ٦٧.

(١١٧) سورة القصص/ الآيات ٧٦- ٨٢.

[118] سورة المائدة/ الآيات ٦٢- ٦٣.

[119] اليهود في القرآن: عفيف عبد الفتاح، مرجع سابق، ص٤٧.

[120] سورة البقرة/ آية ٧٤.

[121] سورة البقرة/ آية ٨٨.

[122] سورة النساء/ آية ١٥٥.

[123] سورة المائدة/ آية ٦٠.

[124] سورة الأعراف/ من الآية ٤٣.

[125] سورة الصافات/ الآيات ١٨١- ١٨٢.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

❋ أبو إسماعيل: صلاح

١. اليهود في القرآن الكريم دار البلاغ، الكويت (د. ت).

❋ الآلوسي: شهاب الدين محمود شكري (ت ١٢٧٠)

٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).

❋ أيمن: عبد العزيز جبر

٣. روائع البيان لمعاني القرآن، وبهامشه: أسباب النزول، للواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت ٣٦٨هـ)، دار الأرقم، عمان- الأردن، ط١، ١٩٩٧.

❋ البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ)

٤. صحيح حالبخاري (الجامع الصحيح)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١.

❋ البردوسوي: إسماعيل حقي

٥. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، اختصره: محمد علي الصابوني، دار القلم، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩.
❋ ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)
٦. زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٩٦٥.
❋ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن (ت ٨٠٨هـ)
٧. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، المعروف بـ(تاريخ ابن خلدون) أو (المقدمة)، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨.
❋ أبو داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥هـ)
٨. سنن أبي داود، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ.
❋ رضا: محمد رشيد (ت ١٣٥٣هـ)
٩. تفسير القرآن الحكيم، المشهور بتفسير المنار، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٤٦هـ.
❋ الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، جار الله المعتزلي (ت ٥٣٨هـ)
١٠. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧.
❋ سوسه: أحمد نسيم
١١. العرب واليهود في التاريخ، دار الكتاب العربي، دمشق، ط٢، ١٩٧٣.
❋ الشرقاوي: محمود
١٢. الأنبياء في القرآن الكريم، دار الشعب بالقاهرة، ١٩٧٠.
❋ شلتوت: محمود
١٣. من هدى القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٢، (د. ت).
❋ الشريف: محمد
١٤. الأديان في القرآن، دار المعارف بمصر، ط٤، ١٩٨٠.
❋ طبارة: عفيف عبد الفتاح
١٥. اليهود في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٠، ١٩٨٤.

❋ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

١٦. جامع البيان من تأويل آي القرآن، (تفسيرالطبري)، حققه وخرج أحاديثه محمود محمد شاكر، راجع أحاديثه: أحمد محمد شاكر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

❋ عبد السلام: محمد

١٧. بنو إسرائيل في القرآن الكريم، دار الشعب بالقاهرة، ١٩٧٩.

❋ عبد الواحد: علي

١٨. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار القلم، القاهرة، ١٩٧٣.

❋ عرنوق: مفيد

١٩. التوراة والتراث السوري، منشورات دار النضال للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٦.

❋ العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)

٢٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٦.

❋ ابن عطية: عبد الحق (ت ٥٤١هـ)

٢١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، قطر، ١٩٨٧ (دون ذكر المطبعة).

❋ العقاد: عباس محمود

٢٢. إبراهيم ابو الأنبياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩.

❋ القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري المالكي (ت ٦٧١هـ)

٢٣. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: إبراهيم أطفيس وأحمد عبد الحليم البردوني وغيرهما، دار الكتاب العربي بالقاهرة، ١٩٦٧.

❋ ابن كثير: عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)

٢٤. تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩.

❋ موسى: حبيب

٢٥. الوطن اليهودي وعلاقته بالأرض المقدسة، دار دجلة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٤٧.

❋ النجار: عبد الوهاب

٢٦. قصص الأنبياء في القرآن الكريم، دار إحياء العربي، بيروت، (د. ت).

❃ النجفي: حسن

٢٧. معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، مكتبة النجف، ١٩٦٩.

❃ ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت ٢١٣هـ)

٢٨. السيرة النبوية، المعروفة بسيرة ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٧١.

الحديث الضعيف ومدى الاحتجاج به في الفكر الإسلامي

د. طه عبد الله محمد السبعاوي

د. قاسم محمد أحمد الخزرجي

كلية أصول الدين / قسم الحديث وعلومه

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد الصادق الأمين ورضي الله تعالى عن الصحابة والتابعين والعلماء العاملين إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن هذا البحث جاء نتيجة لحوار عقلي وفكري مما طُرِحَ ويُطْرَحُ من تساؤلات كثيرة عن حكم الضعيف ودرجاته- والقَدْر الذي يمكن الاستدلال به وهل يجب على المنصف أن يميز ما بين الحكم على الشيء- باعتبارين مختلفين أم لا!؟ ثم هل لما حُكِم عليه بالضّعف في أوهن الدرجات يمكن اعتباره من تراث هذه الأمة...؟!

كثير من هذه التساؤلات يحاول البحث أن يجيب عنها وبأسلوب يجمع بين أهل الحديث والفكر الإسلامي.

ولا شك أن للأحاديث الضعيفة أثرها السيئ على الأمة فإننا عندما نستدل بالحديث على العموم نكون قد استدللنا بالمصدر الثاني من مصادر التشريع، أي أننا نشرع بناءاً على ما أعطاه الله تعالى لنبيه من تخويل فعلينا أن نلتزم القواعد التي وضعها علماء هذه الأمة في قبول الأحاديث وردها من خلال استقرائهم للأدلة. والحديث كلما ازداد ضعفه ازداد أثره السيئ على الأمة حتى يصل إلى مرتبة الموضوع وهو ما نسب إلى الرسول ﷺ كذباً، وهو شر أنواع الرواية.

ثم أن المصنفات في الأحاديث الضعيفة لا تخلو عما ليس منها، أي أن فيها من الأحاديث التي ليست بضعيفة ولا موضوعة، ولكنها قليلة بالنسبة إلى الكتب ككل، فمثلاً كتاب الموضوعات لابن الجوزي والذي وصفه الحافظ ابن كثير في مختصره بأنه كتاب حافل في الموضوعات نجده قد أخطأ في أحاديث قليلة عدها من الموضوعات وليست كذلك وهذا لا يعني أن ما فيه ليس بموضوع بسبب أن نسبة قليلة من كتابه أخطأ فيها، وكذا الحال في بقية كتب الأحاديث الضعيفة- ولكننا ينبغي لنا أن لا نتعجل في حكم الضعف أو الوضع على الحديث لمجرد وروده في هذه الكتب، بل علينا أن نبحث في حال الحديث إن كان لنا علم في الحديث، أو أن نتتبع أقوال أئمة هذا الشأن في الحديث المراد الاستدلال به، والعكس بالعكس، فمن أراد أن يستدل بحديث ضعيف فلا يستدل به مجرداً اعتماداً على أن

هناك بعض الأحاديث التي ليست بضعيفة ولا موضوعة قد أوردها المصنفون في كتبهم فهذا ما لم يقل به أحد ولا يتماشى مع المنهج العلمي في الاستدلال أو التأليف.

وقد جاء البحث في مبحثين، بينا في الأول منهما ماهية الحديث الضعيف من حيث تعريفه وأقسامه وكيفية روايته وحكم العمل به، وتناولنا في الثاني مدى الاحتجاج بالحديث الضعيف في الفكر الإسلامي. وإنما هذا من باب زكاة العلم والتذكير، وإن صحة العمل منعقدة بنية المرء وما نريد إلاّ خدمة هذا الدين الحنيف، وإن كنّا قد أخطأنا أو فاتنا ما يجب ذكره فحسبنا أنا ذكّرنا مَن هو أعلم وأفقه بشي له نفع وفائدة، وإن كّنا موفقين فهذا محض فضل الله علينا فله الحمد والشكر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
مفهوم الحديث الضعيف

المطلب الأول: تعريف الحديث الضعيف

لغة: هو اسم فاعل من الفعل ضعف يضعف بضم العين في الماضي والمضارع من الباب الخامس، والضعيف ضد القوي، وضعف الشيء: هزل أو مرض وذهبت قوته أو صحته، ويجمع الضعيف على ضعفاء وضعفى وضعاف(١).

اصطلاحا: عرف الحديث الضعيف بتعريفات عدة هي:

١. كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا الحديث الحسن(٢).
٢. هو ما لم يبلغ مرتبة الحسن(٣)، وهذا التعريف أفضل من الذي قبله، فإن ما لا يبلغ مرتبة الحسن لن يبلغ مرتبة الصحيح.
٣. هو ما فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول(٤)، وهذا التعريف وإن اختلفت ألفاظه عن الذي قبله إلا أن مؤداهما واحد أو بعبارة أخرى أقول: هذا التعريف سبب للذي قبله.

المطلب الثاني: أقسام الحديث الضعيف

ينقسم الحديث الضعيف إلى أقسام كثيرة، وذلك بحسب فقده شرطا أو صفة أو أكثر من صفات القبول كما تقدم في التعريف، فالحديث إذا فقد صفة الاتصال فهو إما مرسل أو

منقطع أو معضل أو معلق أو مدلس، وإذا فقد عدم العلة كان معللا، وهكذا، وقد جعل الحافظ محمد بن حبان البُسْتي الحديث الضعيف خمسين قسماً إلا واحداً [١].

وليس الضعيف كله بدرجة واحدة وإنما يتفاوت ضعف الحديث بحسب شدة ضعف رواته وخفته، فمنه ضعيف كالمرسل والمنقطع والمعضل والمعلق، ومنه ما هو أضعف كالمقلوب والمصحف والمدرج والشاذ والمضطرب، ومنه ما هو أشد ضعفاً كالمنكر والمتروك والمعلل، حتى تصل أنواع الضعيف إلى درجة الموضوع وهو شرّها، وإن كان البعض قد جعله قسيم الضعيف في المردود لأنه ليس بحديث في الحقيقة، ومن أنواع الضعيف ما يجبر بمتابع أو شاهد وذلك إذا كان ضعفه خفيفاً كأن يكون راجعاً إلى سوء حفظ راويه أو جهالته أو لانقطاع في سنده، فإنه يجبر بروايته من طريق أو طرق أخرى مماثلة له، أو أقوى منه، يرتفع بها من درجة الضعيف إلى درجة الحسن لغيره، ومنه ما لا يجبر كون ضعفه شديداً كأن يكون راجعاً إلى فسق راويه أو كذبه أو نحوهما[٢].

المطلب الثالث : كيفية رواية الضعيف

ينبغي لمن أراد أن يروي حديثاً ضعيفاً بغير إسناد أن يتنبه إلى أنه لا يجوز له أن يرويه بصيغ الجزم كقال رسول الله ﷺ وما أشبهها من صيغ الجزم، لئلا يجزم بنسبة ذلك القول إلى الرسولﷺ وهو يعرف ضعفه، وإنما يقول روي عن رسول الله كذا، أو بلغنا عنه كذا، أو نقل عنه وما أشبهها من صيغ التمريض المشعرة بضعف الحديث والشك في نسبته للنبي ﷺ[٥].

المطلب الرابع : حكم العمل بالحديث الضعيف

ينقسم الحديث من حيث القبول والرد على قسمين مقبول ومردود- أما المقبول فهو الصحيح والحسن وأما المردود فهو الضعيف وقد اختلف علماء الحديث في الاحتجاج بالضعيف- على ما سيأتي- فمنهم من لم يحتج به عموماً لا في العقائد ولا الأحكام ولا الفضائل ومنهم من خص الاحتجاج به في الفضائل، وقد كان العلماء من المُحدِّثين عندما يروون أحاديث الأحكام يتشددون ويقبضون أيديهم وعندما يروون أحاديث الترغيب والترهيب يتساهلون بعض الشيء، قال الخطيب البغدادي: «قد ورد عن غير واحد من السلف أنه لا

يجوز حمل الأحاديث المتعلقة بالتحليل والتحريم إلا عمن كان بريئاً من التهمة بعيداً عن الظنة، وأما أحاديث الترهيب والترغيب والفضائل فيتساهل فيها بعض الشيء»[٦].

وقد نقل عن سفيان الثوري والإمام أحمد بن حنبل ما يؤيد هذا قال الإمام أحمد: «إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد وإذا روينا في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد»[٧].

ولكننا إذا قمنا بتتبع أقوال العلماء واستقرأناها في هذه المسألة لتوصلنا إلى أن هذا المذهب ليس مذهبا مطردا عند جميع الأئمة، بل إننا نجد أن بعضهم على خلافه، ومن هنا انبثق خلاف بين أهل العلم في مسألة العمل بالحديث الضعيف، هل يعمل به في غير الأحكام والحلال والحرام أو لا، والعلماء في ذلك على ثلاثة مذاهب:

الأول: لا يعمل به مطلقاً لا في الأحكام ولا في الفضائل، ذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر عن يحيى بن معين[٨]، ونسبه السخاوي في فتح المغيث لأبي بكر بن العربي[٩]، والظاهر أنه مذهب البخاري ومسلم كما يظهر ذلك في صحيحيهما ومن تشنيع الإمام مسلم على رواة الضعيف، وهو مذهب ابن حزم الأندلسي[١٠].

الثاني: يعمل به مطلقاً إذا لم يكن في الباب غيره، وقد عزي هذا المذهب إلى أحمد بن حنبل وتبعه أبو داود السجستاني فقد روى أنه يعمل بالضعيف إذا لم يجد غيره وروي عنهما: الحديث الضعيف أحب إلينا من رأي الرجال[١١].

الثالث: يعمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب ونحوها مع التساهل في إسناده وروايته من غير بيان ضعفه، أما إذا كان في العقائد كصفات الله سبحانه وتعالى، وما يجوز عليه وما يستحيل أو كان في الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وغيرها، فإنه لا يعمل به، ولا يجوز التساهل في إسناده، قال النووي: «قال العلماء: الحديث ثلاثة أقسام صحيح وحسن وضعيف، قالوا: وإنما يجوز الاحتجاج من الحديث في الأحكام بالحديث الصحيح أو الحسن، فأما الضعيف فلا يجوز الاحتجاج به في الأحكام والعقائد، ويجوز روايته والعمل به في غير الأحكام كالقصص وفضائل الأعمال والترغيب والترهيب»[١٢]. وإلى نحو ما تقدم ذهب الإمام العراقي شرط ألا يكون الحديث موضوعا[١٣].

ولكن ينبغي ملاحظة أن من جوز من الأئمة العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال لم يجوزه على إطلاقه وإنما وضعوا شروطا للعمل هي:

١. أن يكون الضعف في الحديث غير شديد فيخرج بذلك ما انفرد به أحد الكذابين أو المتهمين ومن فحش غلطه.
٢. أن يكون مندرجاً تحت أصل عام في الدين فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل معمول به أصلاً.
٣. أن لا يعتقد ثبوته عند العمل به بل يعتقد الاحتياط لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله[١٤].

إذن إذا نظرنا إلى ما تقدم من أقوال العلماء صار لزاما علينا أن لا نتوسع في مفهوم الاحتجاج بالحديث الضعيف، وأن نتقيد بما وضع العلماء من الضوابط- فليس لنا أن نثبت عقيدة أو أن نقوم بعبادة وردت إلينا بحديث ضعيف إطلاقا منا لتجويز بعض العلماء العمل بالحديث الضعيف ونترك القيود التي وضعوها رحمهم الله للعمل به، إذ ليس معنى العمل بالحديث الضعيف أننا نستحب عبادة لمجرد ورود حديث ضعيف بها، فإنَّ هذا لم يقل به أحد من العلماء بل المعنى أنه إذا ثبت استحباب عبادة معينة بدليل شرعي صحيح، ثم جاء حديث ضعيف في فضل تلك العبادة فإنه لا بأس من العمل بهذا الحديث الضعيف حينئذ، وأستطيع أن أقرب ما تقدم بمثال تطبيقي يجعل المسألة أكثر وضوحا ويدفع به اللبس الذي ربما يحصل للبعض، أخرج الإمام مسلم بسنده عن جابر بن سمرة «أن النبي ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس»[١٥] وأخرج الإمام الترمذي في جامعه أن النبي ﷺ قال: «**من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة قال: قال رسول الله ﷺ: تامة تامة تامة**»[١٦]، فهذا الحديث ضعيف فيه أبو ظلال واسمه هلال بن زيد القسملي الأزدي قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم والنسائي ضعيف وقال الذهبي: ضعفوه[١٧] وقد جاءت المخالفة هنا من وجهين أحدهما أن الحديث الأول مروي من فعل النبي ﷺ والثاني من قوله، والوجه الآخر أن الحديث الأول ذكر العبادة ولم يذكر فضلها- أما الحديث الثاني فقد ذكرها وفضلها، والنتيجة أن الجلوس بعد صلاة الفجر للذكر حتى تطلع الشمس عبادة ثبتت بحديث صحيح أما الأجر أو الفضل المترتب على هذه العبادة فقد ثبت بحديث ضعيف ويجوز

الأخذ به هنا لأنَّ العمل بالحديث الضعيف في هذه الحال لا يترتب عليه محظور شرعي كالقول باستحباب عبادة لم تثبت في الشرع، بل إنْ حصل له هذا الثواب وإلا فلا ضرر عليه.

المبحث الثاني
مدى الاحتجاج بالحديث الضعيف في الفكر الإسلامي

المطلب الأول: الجهود العلمية في خدمة السنة النبوية وحفظها وإحياءها

بعد الاتصال الكبير للعالم الإسلامي بالعالم الغربي وعظم الأثر والتأثير- ظهرت نهضة حديثية كبيرة بعدما أدركت الأمة الإسلامية عظم الأخطار المحدقة بها- لاسيما بعد عودة الاستعمارية بثوبها الجديد إلى العالم العربي وعلى قسميه الاستيطاني والفكري هذا الأخير الذي يفوق في الخطر والخبث ما عداه، وتوضح الأمر بعدما ظهرت دسائس الحاقدين، وشبهات الماكرين حول السُّنة النبوية المطهرة- لاسيما تلك التي أثارها خبثاء الاستشراق ثم تلقفتها نفوسٌ تملكتها العبيدية للغرب لضعفها وتذبذبها- كل هذا حدى بخيرة علماء هذا العصر أن يتصدوا للتأليف والرّد على شبهات ودسائس أعداء هذا الدين، وتفنيد كل أغاليطهم وافتراءاتهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اجتهد أهل العلم في هذا العصر بإعادة النظر وتجديد الطريقة التي يؤلف بها الكتاب في هذا الفن وبالشكل الذي يقتضيه الحال، فكان من بين أهم تلك المؤلفات الجليلة الباعث الحثيث للشيخ أحمد محمد شاكر، والوسيط في علوم الحديث للشيخ الدكتور أبو شهبة محمد بن محمد، وكتاب لمحات في أصول الحديث للدكتور محمد أديب صالح، والحديث النبوي علومه ومصطلحه، وبلاغته، كتبه للدكتور محمد بن لطفي الصباغ وأصول الحديث علومه ومصطلحه للأستاذ الدكتور محمد عجاج الخطيب وتيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحّان وكذلك مؤلَّف الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح للدكتور مصطفى الخَنَّ والدكتور بديع السيد اللّحام، والسنة ومكانتها في التشريع للدكتور مصطفى السباعي، وغيرها من الكتب التي الكتب التي أعادت الصلة الوثيقة بين هذا العلم وفنونه وبين طالبيه مع سهولة ووضوح وموسوعية شاملة بأسلوب عصري يربط بين النتاج القديم والمنهج الجديد الذي يستخلص قواعد ومقاييس المحدّثين القائمة على فلسفةٍ نقدية وقتية فيها مراعاة واهتمام للجوانب الحديثية بصورة عامة.

وإن في ذلك كله حفظ الله تعالى لسنة نبيه ﷺ إذ يهيئ لها في كل عصر وفي كل مرحلة رجال ليحملوا رايتها ويذبّوا عنها.

وقد بذل علماء الأمة في هذا الشأن جهوداً جبارة لحفظ حديث النبي ﷺ وتخليصه من الموضوع وما ألصق به فصنفوا العلوم وألفوا الكتب حتى صار من علوم الحديث ما صنف في أسماء الصحابة- وتواريخ الرجال وأحوالهم وكذلك طبقات الرواة، ومعرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب، وفي الجرح والتعديل، وفي الوضاعين والموضوعات وإذ عرفنا بأن عدد ما أُلف في هذا الصدد يزيد على المائتين وخمسين مؤلفا- فيها ما يقارب الأربعين في الموضوعات فقط ونذكر من أشهرها:

١. تذكرة الموضوعات: لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٩-٥٠٧هـ)- وهو مرتب على حروف المعجم مع ذكر الحديث ومن جرح راويه من الأئمة.
٢. الموضوعات الكبرى: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ) في أربعة مجلدات تساهل في الحكم على بعض تلك المرويات بالوضع مما أكثر انتقاد العلماء له.
٣. الباعث على الخلاص من حوادث القصاص: للحافظ عبد الرحيم العراقي (٧٢٥-٨٠٦هـ)- وقد لخصّه الإمام السيوطي في كتابه (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص).
٤. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة- للسيوطي (٨٤٩-٩١١ هـ).
٥. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: للحافظ السخاوي (٨٣١-٩٠٢هـ).
٦. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: لأبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣-١٢٥٥هـ).

وإن من علماء الحديث من فتح الله عليه فكان رحمة على الأمة وإنّ منهم من هو أمين على الحديث فيوصله كما أخذه إلى من عساه أعلم وأفقه فكان في ذلك أيضاً كلُّ الخير، ومنهم المتعالمين الذين أصبحوا فتنة في هذه الأمة إذ ليس لهم حفظ صحيح ولا فهم مستقيم ولا أهلية القول عن رسول الله ﷺ بدون الوقوع في اللحن الجلي وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**مثلُ ما بعثني اللهُ به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً- فكانت منها**

طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير – وكانت منها أجادب أمسكت الماء– فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا– وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ– فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعَلِم وعَلَّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً– ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»(١٨).

وما أكثر الصنف الثالث اليوم وما أندر الأول وأما الصنف الثاني فقد ظفر به أولئك الأعلام الأفذاذ ممن دوّن لنا حديث النبي ﷺ وسنته.

ثم إن مكانة الحافظ الفقيه في الحديث النبوي الشريف عظيمة القدر رفيعة المنزل ذاك أن طبيعة الحفظ في العربي أصيلة اشتهر بها وكانت قبائل العرب في الحفظ تتفاوت وتتنافس حتى قيل بأن أشهر العرب في الحفظ قبيلة كلب ومما يروى عن الأصمعي عن عوانة بن الحكم قال: «لقي رجلٌ أعرابياً– فقال له: مِمَّن الرّجل؟ قال: من قومٍ إذا نسي الناسُ علمهم حفظوه عليهم قال: أنت إذاً من كلب قال أجل»(١٩).

وإن كان الحفظ بعد الفقه والفهم في المنزلة فإن الفقه والفهم بدون مخافة الله وطاعته لا قيمة لها ورحم الله السّلف إذ كانوا يقولون: «ترى الرجل لبيباً داهياً فطناً ولا عقل له فالعاقل مَن أطاع الله»(٢٠).

قال ابن عبد البر: «... كانوا– أي العرب– مطبوعين على الحفظ، مخصوصين بذلك»(٢١). فكانوا إذا سمعوا طبع ما سمعوه بل كان بعضهم يحفظ الشعر وما فيه الشيء الكثير في سمعة واحدة «وليس أحدٌ اليوم على هذا»(٢٢).

وعوداً على الصنف الثاني الذي ما عاد اليوم موجوداً إذ يندر بل لا يوجد اليوم من يقول: أخبرنا ولا حدثنا... فذاك عصر قد ذهبت رجالاته.

وإن كان الخطيب يقول في زمانه عن أصحاب الحفظ من أهل الحديث مما يوصف بالصنف الثاني: «... غير أن المستحقين لها يقلّ معدودهم، ويعزُّ بل يتعذر وجودهم»(٢٣).

قال أبو علي الحافظ النيسابوري: «لم يكن بالعراق في أقران أبي محمد بن صاعد أحدٌ في فهمه والفهم عندنا أجلّ من الحفظ»(٢٤).

وإذا ما ذكرنا شروط الحافظ الذي يوصف بهذا الوصف وهي الشهرة والطلب والأخذ من أفواه الرجال لا الصُّحف والمعرفة بطبقات الرواة ومراتبهم والمعرفة بالتجريح

والتعديل[٢٥]- ستجد أن الشرط الثاني والذي عدّه ابن أبي حاتم في جرح الرواة، ستجده هو المعتمد، ولاشك في ذلك فالذي يأخذ من الصحف لا يؤمن وقوعه في الخطأ من جانبين:

أولهما: التغيير والتبديل لمبنى الكلمات وهو ما يسمى بالصحفي.

وثانيهما: التغيير والتبديل للمعاني بسبب الفهم الخاطئ وهذا أشد ضرراً وخطراً من الذي قبله والذي قبله سبب من أسبابه وما أكثر أهل النوعين إلا أن الأدهى والأمر أن أخطرهما صار يخوض فيه من هب ودب يملؤون مجالسهم وخطبهم بأفهامهم الخاطئة حتى إذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون.

قال الشعبي: «إنما كان يطلب هذا العلم من اجتمعت فيه خصلتان: العقل والنّسك، فإن كان عاقلاً ولم يكن ناسكاً، قال: هذا أمرٌ لا يناله إلاّ النُّساك فلن أطلبه، وإن كان ناسكاً ولم يكن عاقلاً، قال: هذا أمرٌ لا يناله إلاّ العقلاء فلن أطلبه، قال: فلقد رهبت أن يكون يطلبه اليوم من ليس فيه واحدة منهما- لا عقل ولا نسك»[٢٦]- قال الإمام الذهبي معلّقاً: «أظنه أراد بالعقل الفهم والذكاء» [٢٧].

قال الذهبي في ترجمة الطوسي الذي كان له العقل بلا نسك ولا زكاء: «وكان يعدُّ من الأذكياء- لا الأزكياء»[٢٨]. والحق أن الأمرين مطلوبان لمن أراد طلب العلم، فليس من اعتماد كامل على أحدهما دون الآخر، وإن كان حفظ النصوص الصحيحة لاعتمادها، والنصوص الضعيفة لاجتنابها يعد وسيلة وأداة رئيسة للاستنباط العقلي الصحيح، فهو ينبني هنا على قواعد منضبطة. وإن كان ثمة ما يؤاخذ عليه المرء مع فهمه وذكائه فإن هناك ما يمدحه ويبشره بالخير، قال ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين**»[٢٩].

المطلب الثاني: حكم ما ضعف في ميزان الفكر الإسلامي

مما لا شك فيه أن ما حكم عليه من قبل أهل العلم بالضعف والوهن والوضع فهذا ما يقوله الفكر الصحيح أيضاً.

فالمفكر المسلم لا يجرؤ أن يضفي قدسية كلام النبوة إلى شيء من الحروف أو الكلمات علاوة أن يضيف الجمل إلى النبي ﷺ ولم يثبت ذلك قط. وإنما الكلام هنا عما حكم عليه بهذا الحكم الاصطلاحي فعودي وأهمل وشنع به عموماً من غير النظر إلى أنه في

أصله منسوب إلى علماء الأمة وفقهائها وأهل الأصول أو أهل الحكمة أو الطب وما إلى ذلك، حتى ظن الناس بأن الحكم الاصطلاحي في كونه موضوعاً أو ضعيفاً لا يجوز قبوله ولا روايته ولا الاستفادة منه، بل وجب حرقه ورميه ومعاقبة كاتبه وقارئه والمحدث به فلم يفرقّوا بين كون الحكم عليه بهذا الوصف بسبب رفعه ونسبته إلى النبي ﷺ وهذا أمر كبير وخطير وإثمه معلوم.

لكن الاستفادة والاستدلال به بعد إعادته وردّه إلى قائله وأصله والحكم عليه ثم أخذ المقبول منه فلا بأس به أبداً بل هو من تراث هذه الأمة التي أنجبت الحكماء والعلماء والفقهاء وأسدت إلى العالم النور والخير و الهداية، وقد جمع أبو حفص بن بدر الموصلي كتاباً سماه (معرفة الوقوف على الموقوف) أورد فيه ما أورده أصحاب الموضوعات في مؤلفاتهم وهو صحيح عن غير النبي ﷺ إما عن صحابي أو تابعي فمن بعده، وقال: إن إيراده في الموضوعات غلط، فبين الموضوع والموقوف فرق(٣٠).

من هذا المنطلق نعدّ كل كلام عُرف قائله ومصدره وكان فيه من الحكمة والخير ما ينفع المسلم خاصة والإنسان عامة وليس في معناه تعارض مع أي دليل أو نص شرعي ثابت، أو تعارض مع العقل والذوق والطبع السليم، فليس من شك بأنه مورد من موارد التراث الإسلامي.

فالحكمة ضالة المؤمن وهو أحق بها- لكن على أن ينسب الأمر لأهله.

وحال هذا التراث كحال ما حسن من أشعار الجاهلية وأقوال الحكماء والبلغاء فيهم فقد كان الصحابة ﷺ لا تخلو مجالسهم من ذكر الأشعار والأخبار على زمن الجاهلية مما ليس فيه بأس، وفي ذكره فائدة وترويح للنفس.

وموقف الفكر الإسلامي من كل ثقافة ومن كل موروث ثقافي أنه أولى بالخير والحكمة من غيره وفق الشروط الشرعية.

المطلب الثالث: إعادة الأمور إلى نصابها وأصولها

وذلك أن الإفراط في الشيء يأتي بعكس المطلوب، وعلى قدر المساواة لذلك فإن التفريط في الشيء عواقبه وخيمة أيضاً. وعليه فإن إدعاء المحافظة على الدين والكتاب

والسنّة لا يكون بهدم التراث الفكري لسلف الأمة بدعوى التحقيق والتدقيق كما يفعل المستشرقون ومن توالد من أفكارهم.

وكذلك لا قيمة للتراث عند من أضاعوا أصل دينهم وأساس إيمانهم من القرآن الكريم والسنّة– ذاك أن من عرف حق القرآن والسنّة ومكانتهما من الفقه والتفسير وعلوم الحديث وغيرها– حريّ بأن يكون محافظاً ومقيماً لما بُني على أساسهما من تراث الأمة، ومن ضيع القرآن والسنّة كان لغيرهما أضيع.

نعود فنقول إن حجم الحديث الضعيف ليس بالقليل الذي لا يضر إهماله والعياذ بالله لذا وجب أن نفرق بين ما كان منه حديثاً أصيلاً وبين ما كان دخيلاً، والحديث الأصيل قد يكون مرفوعاً أو موقوفاً أو مقطوعاً ويؤخذ به لأنه ترقى بإحدى الطرق الثلاث وهي:

١.تعدد الطرق، أو وجود شواهد له، وهو قول جماهير الأمة من العلماء والفقهاء– فقد قالوا: بإنه مع تعدد طرقه يرتقي لدرجة الحسن لغيره مع وجود بعض الشروط والكلام هنا أذ من الضعيف ما ينجبر بتعدد الطرق ومنه ما لا ينجبر[٣١].

٢.إذا تلقته الأمة بالقبول فإنه يعمل به على الصحيح وينزل منزلة المتواتر بجامع العدد الكبير في التلقي والنقل، ومن ذلك حديث «**لا وصية لوارث**»[٣٢]، قال عنه الإمام الشافعي إنه لا يثبته أهل الحديث ولكن العامة تلقته بالقبول وعملوا به و جعلوه ناسخاً لآية الوصية[٣٣]. ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له أو عملاً به أنه يوجب العلم وهذا ما عليه أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد (رحمهم الله تعالى أجمعين).

٣.إذا تأيد الحديث الضعيف بظاهر القرآن الكريم قال القطان: «هذا القسم لا يحتج به كلّه بل يعمل به في فضائل الأعمال ويتوقف على العمل به في الأحكام، إلاّ إذا كثرت طرقه أو عضده أتصال عمل أو موافقة شاهد صحيح أو ظاهر القرآن»[٣٤].

لكن ما تقدم لا يقتضي الاحتجاج بالضعيف فإن الاحتجاج إنما هو بالهيئة المجموعة كالمرسل حيث اعتضد بمرسل آخر ولو ضعيفاً، كما قاله الشافعي والجمهور[٣٥].

المطلب الرابع: موقف الفكر الإسلامي من التراث الموضوع

إن الحديث والتراث المروي لا بدّ أن يميز ويحقق فما كان منه خبيثاً وقد مُليء بالعفن الفكري وكان الأصل فيه مؤامرات الزنادقة ومن أظهر الإيمان وأبطن الكفر والعداء لهذا الدين فهذا يردُّ ولا يرتجى منه خير البتة- فهي كالنبتة الخبيثة في الأرض ليس لها من ثمرة يتقبلها العقل والقلب السليم ولا الذوق ولا الطبع والعرف، فقد كان بعض الزنادقة يتغّفل الشيخ فيدس في كتابه ما ليس من حديثه فيرويه ذلك الشيخ ظناً منه أنه من حديثه وقد وقع هذا لحماد بن سلمة مع ربيبه عبد الكريم بن أبي العوجاء(٣٦). ذاك أن أهم مقاصد هؤلاء الزنادقة هو الاستخفاف بالدين والتلبيس على المسلمين.

وفي تراث الأمة ما نسب كذباً إلى النبي ﷺ نصرة لأهوائهم أو مذاهبهم أو تنكيلاً بخصومهم ومن ليس على منهجهم وكل ذلك مرفوض في ميزان الفكر الإسلامي، وفي تراث الأمة من أتخذ الكذب والتلفيق صنعة يتجر بها- بل كان أحدهم يسهر الليلة في وضع الحديث- وهذا مرفوض البتة في ميزان الفكر.

ومنهم من حمله جهله في الدين فتزهد وتعبد وأفرط في ذلك فراح يرغب ويرهب ليحث الناس على الخير فينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله وهذا النوع مرفوض أيضاً.

قال الإمام الغزالي فيهم: «وهذا من نزعات الشيطان ففي الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله ورسوله ﷺ غنيةٌ عن الاختراع في الوعظ»(٣٧).

ومن أمثلة ذلك: «إن الله يكره البطال»، «إن الله يحب المؤمن المحترف»(٣٨). وأما ما جاء في التراث الإسلامي ونسب إلى الضعف بل الوضع وتحقق منه فإذا به وقع من غير قصد وعمد- فإن الزيادة الموضوعة مرفوضة والأصل مقبول بعد تخليصه وإعادته إلى ما كان عليه قبل التشويه والتزوير.

كما أن ما شاع على ألسنة العوام وكأنها أحاديث وحكم عليها من حيث كونها حديثاً بالضعف والوضع كأحاديث الإشادة بالعقل وكذلك الأحاديث الواردة التي أصلها مستمد من أقوال الصحابة والتابعين(٣٩).

ومن أمثلة ذلك:

«تفقهوا قبل أن تسوّدوا» وهو لسيدنا عمر رضي الله عنه- وكذا «كلمة حقٍ أريد بها باطل» وهي لسيدنا علي رضي الله عنه- قالها لما خرجت الحرورية الذين كانوا معه وقالوا: «لا حكم إلاّ لله»، وكذلك «الأرض المقدسة لا تقدس أحداً- إنما يقدس الإنسان عمله» من كلام سلمان الفارسي

ﷺ و «زكاة الحلي عاريته» لعبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)- وقول سفيان ابن عيينة «عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة»[٤٠].

وفي تراث الأمة ما أعطي حكم الوضع والضعف وأصله مأخوذ من كلام الفقهاء والأصوليين وأئمة الفقه ومن أمثلة ذلك:

«إدفع الشك باليقين» و«الضرورات تبيح المحظورات» و«أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر»[٤١]. وكذلك «زكاة الأرض يبسها» وهو من كلام أبي حنيفة- و«الأب أحقّ بالطاعة- والأم أحقّ بالبر» وهو من كلام ابن المبارك (رحمه الله)[٤٢].

ومن التراث الصوفي، وكلام الزهاد مما شهره بعضهم على أنه أحاديث للنبي ﷺ:

«ألسنة الخلق أقلام الحق» و«الصلاة على النبي لا ترد» من كلام أبي سليمان الداراني و«الظهور يقطع الظهور»[٤٣]، وغيرها.

وفي تراث الأمة ما أصله حكمة أطباء واشتهرت على الألسنة ثم أضيفت إلى كلام النبوة بغير حق مثل: «أخر العلاج الكي» و«المعدة بيت الداء- والحمية رأس كل دواء»- «وأطعموا نسائكم في نفاسهنّ التمر» وغير ذلك[٤٤].

وهناك الحكم والأمثال، مثل:

«إتق شرّ من أحسنت إليه» و«الحسود لا يسود» و«الناس على دين ملوكهم» وغيرها[٤٥].

وعلى الرغم مما تحمله بعض هذه الجمل والعبارات من بلاغة وحكمة- لكن أن تنسب إلى النبي فيضفى عليها قدسية الدين والوحي فلا وألف لا...

ومهما كان الكلام حكيماً بليغاً فليس ما فيه من خير وإن عظم مدعاة للكذب على رسول الله ﷺ أو له.

والضابط فيما تقدم أنه متى رفعت إلى النبي ﷺ بحيث يقول راويها قال رسول الله رددنا عليه روايته وأسقطنا استدلاله ومتى ما نسب كل ما تقدم لقائله الأصلي طبقنا عليه شروط القبول والرد- ثم يعامل كل قول بما يناسبه من الضوابط الشرعية.

المطلب الخامس: وقفة مع أسباب الوضع

إن كتب هذا الفن قد ملئت بالتفصيل في أسباب الوضع للحديث عن رسول الله ﷺ ولعل أبرز ما يذكر هاهنا:

الأحزاب السياسية- وتسييس الدولة والذي عانت وتعاني منه الأمة حتى يومنا هذا لاسيما ما كان من حال الشيعة وخصومهم والخوارج وآثارهم كذلك ما فعله الزنادقة ووضعهم للحديث عداوة للإسلام والمسلمين إضافة إلى التفرقة العنصرية والتعصب المقيت للقبيلة والبلد والإمام ولا يخفى حال القصاصين الذين اتخذوا من الوضع مهنة وصنعة ارتزاق مع وجود صنف رغبوا في الخير وتكثيره فراحوا لجهلهم يكذبون ويضعون الأحاديث كما أن للخلافات المذهبية والكلامية أثراً كبيراً فكل يريد نصر فكره ومذهبه مع وجود صنف اتخذ من وضع الحديث وسيلة تقرّب إلى الحكام والسلاطين.

فلما كثرت الأسباب أزداد وتضاعف الجهد على العلماء العاملين للدفاع عن دينهم وسنة نبيهم فالتزموا الإسناد والتثبت في الحديث وتتبعوا كل كذبة رفعت إلى النبي ﷺ وراحوا يبينون أحوال الرواة، ووضعوا القواعد الرصينة لمعرفة الحديث الموضوع وكشفه.

كل ذلك الجهد المتقدّم من علماء الأمة وسلفها الصالح وضع لنا الضوابط الموصلة لاطمئنان القلب بأن لا ينسب شيء من الكلام إلى رسول الله ﷺ وأن يعرف مصدره.

وكان كفيلاً بأن يميز كلام الرسول ﷺ المعصوم من كلام غيره من البشر وعليه فإننا نجد لزاما أن يكون هناك توازن منضبط في هذه المسألة، توازن بعيد عن اللين المفرط الذي أدخل على الأمة في تراثها الحديثي من الطامات ما أدخل، وبعيد عن التشدد الضيق الذي أخرج من الأمة من تراثها الحديثي ما أخرج.

ونرجو أن يكون ما تقدم خطوة إيجابية لحل عقدة من عقد التحسس المذموم لا المحمود تجاه تراث الأمة التي أخرجت للناس لتأمر بالخير وتعمر الأرض وتكون نعم الخليفة. وإن كان ما ذكرنا من أسباب الوضع في تلك العصور ما ذكرنا فكيف اليوم ونحن نعيش زمن التكالب على الأمة الإسلامية وضرب كل مفصل حساس في جسدها- فالسياسة اليوم اتخذت من الدين مغرماً وبعض الأفكار المنسوبة اتخذته مغنماً- وكل شيء يقوي ويحيي القبلية والتعصب أصبح مشروعاً، بل هي الحرية والديمقراطية المطلوبة!!!، لذا وجب أن ننصف تراثنا وأن لا نعطي لعدونا ذريعة لعولمة طريقة التفكير عندنا.

والحق أن مادة الحديث الموضوع- إلا ما تقدمت الإشارة إلى استثنائه- لا تصلح مادة فكرية للمسلم بعد كل هذا التحذير والتنفير منه فالحديث الموضوع ليس بحديث على الحقيقة- ومضمونه لا تحل روايته ومن باب أولى الاستدلال به في جميع المعاني سواء العقائد أو الأحكام أو القصص والترغيب والترهيب وغيرها- فهو من هذه الناحية فارق الحديث الضعيف الذي جوز بعض العلماء العمل به في الترغيب والترهيب والمواعظ بالشروط المذكورة.

إذن إذا سأل سائل: هل تصلح مادة الحديث الضعيف والموضوع أن تكون مادة فكرية للمسلم؟ قلنا: الجواب لا تصلح والحديث الضعيف ومن باب أولى الموضوع لا يصلح للاستدلال إلا ما حكم عليه بالضعف أو الوضع خطأ- أو من باب الصناعة الحديثية البحتة، وكذا الحديث الضعيف المروي في الفضائل بشروطه المتقدمة، فمثل هذا يصلح أن يكون مادة فكرية- فهنا ساحة الاحتياط في الاستدلال، ولجم عنان الخوض في الأفكار التي إن انبتت على الضعيف والموضوع فلن توصلنا إلا إلى مذاهب فاسدة وآراء شاذة ومشارب ملوثة- فالمقدمات الخاطئة توصل إلى النتائج الخاطئة بلا شك.

الخاتمة

نستطيع أن نوجز أهم النتائج التي توصلنا لها في بحثنا هذا، والتي من الممكن أن تكون بمثابة توصيات بما يأتي:

١. أن تراث الأمة الحديثي الذي يكون مادة فكرية للمفكر الإسلامي فيه المقبول والمردود.
٢. للمفكر أن يستدل بالحديث المقبول وبعض من الحديث المردود بشروط وضوابط.
٣. أن الحديث المردود احتوى خطأً أو من باب الصناعة الحديثية على جزء صالح أن يكون مادة فكرية للمسلم.
٤. على الباحث في الفكر الإسلامي الحذر كل الحذر من استخدام الحديث المردود- لما له من آثار ذات مردود سلبي على المجتمع المسلم.
٥. ليس كل حديث موضوع لا يصلح أن يكون مادة فكرية، فمنه ما هو آثار عن الصحابة والتابعين، أو أقوال وحكم ألصقت بالنبي ﷺ، فهي باعتبار وضعها على النبي ﷺ لا

تصلح مادة فكرية، لما فيها من إضفاء الشرعية عليها، أما بعد تجريدها ونسبتها لقائليها، فلا ضير في استخدامها شرط أن لا تكون مخالفة للشرع أو العقل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

(١) ينظر: مختار الصحاح: ١٦٠، ولسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر بيروت، (د. ت): ٢٠٣/٩.

(٢) علوم الحديث لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهر زوري ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، حققه نور الدين عتر، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م: ٤١، والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، حققه: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط١، دار الفكر، دمشق١٤٠٦هـ: ٣٧.

(٣) فتح المغيث للسخاوي محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت ٢٦٨/١، وينظر تدريب الراوي لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، حققه عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م: ٩٦/١.

(٤) ينظر: المنهل الروي: ٣٧، و منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر، ط١، دار الفكر، دمشق، (د. ت): ٢٨٦

(٥) ينظر: تدريب الراوي: ١١٢.

(٦) ينظر: اختصار علوم الحديث، لابن كثير إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر، مصورة مطبعة الزمان بغداد: ٥٩، والمصدر السابق.

(٧) ينظر: علوم الحديث: ٤٩، واختصار علوم الحديث: ٤٥.

(٨) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ) مصورة المكتبة العلمية في المدينة المنورة عن الطبعة الهندية: ١٣٣.

(٩) المصدر نفسه: ١٣٤.

(١٠) ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ): ١٥/١.

(١١) فتح المغيث للسخاوي: ٢٥٢/١.

(١٢) ينظر: مقدمة صحيح مسلم للإمام مسلم، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ١٢/١، والمحلى لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة- بيروت، (د.ت): ٥٣/١.

(١٣) ينظر: المحلى: ٦٨/١.

(١٤) المجموع لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي المكتبة السلفية، المدينة المنورة (د.ت): ٥٩/١ وينظر: الأذكار له أيضا دار العلوم، عمان- الأردن، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م: ٥.

(١٥) ينظر: تدريب الراوي: ٢٩٨/١.

(١٦) ينظر: عن شروط العمل بالحديث الضعيف في: فتح المغيث ٢٦٨/١، وتدريب الراوي: ٢٩٩/١.

(١٧) صحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه حتى تطلع الشمس: ٤٦٤/١ رقم٦٧٠، وأخرجه الترمذي في جامعه: كتاب الصلاة- باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس: ٤٨٠/٢ رقم ٥٨٥، وقال: حسن صحيح.

(١٨) جامع الترمذي: كتاب الصلاة- باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس: ٤٨١/٢ رقم ٥٨٦، وقال: هذا حديث حسن غريب قال: وسألت محمد بن إسماعيل عن أبي ظلال فقال هو مقارب الحديث.

(١٩) ينظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي: حققه محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي- حلب ١٣٦٩ه: ١٠٤/١، والجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت٣٢٧هـ)، ط: ١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن- الهند، ١٣٧١هـ: ٧٣/٩، والمغني في الضعفاء للذهبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ه/١٩٩٧م: ٧٩٣/٢.

(٢٠) الحديث: متفق عليه من حديث بُريد عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ﷺ- أخرجه البخاري: كتاب العلم- باب فضل من علم وعلَّم: ٤٢/١ رقم (٧٩)- ومسلم: كتاب الفضائل- باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم: ١٧٨٧/٤ رقم (٢٢٨٢).

(٢١) معجم الأدباء لياقوت الحموي ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م :٥١٤/٤.

(٢٢) الإحكام في أصول الأحكام: لسيف الدين علي بن محمد الآمدي، مطبعة دار المعارف، مصر،، ١٣٣٢ هـ/١٩١٤م: ٩/١.

(٢٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، ط١، المطبعة المنيرية، القاهرة (د.ت): ٢٩٦/١.

(٢٤) المصدر نفسه: ٢٩٦/١.

(٢٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي: ١٧٢/٢.

(٢٦) سير أعلام النبلاء: للحافظ شمس الدين الذهبي تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م : ٥٠٨/١٤.

(٢٧) ينظر: النكت على كتاب ابن الصلاح: للحافظ ابن حجر العسقلاني تحقيق: د. ربيع ابن هادي الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م: ٢٦٨/١.

(٢٨) سير أعلام النبلاء: ٣٠٧/٤.

(٢٩) المصدر نفسه: ٣٠٧/٤.

(٣٠) المصدر نفسه: ٣٣٥/١٨.

(٣١) الحديث: متفق عليه عن معاوية ﷺ، أخرجه البخاري: كتاب العلم- باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين: ٣٩/١ رقم (٧١)- ومسلم: كتاب الزكاة- باب النهي عن المسألة: ٧١٨/٢ رقم (١٠٣٧).

(٣٢) ينظر: تدريب الراوي: ١٩٥/١، واليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر لعبد الرؤوف المناوي، حققه المرتضى الزين أحمد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض ١٩٩٩م: ٢٢٦/٢ وتوجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر الجزائري الدمشقي حققه عبد الفتاح أبو غدة، ط١، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م: ١٧٧/١.

(٣٣) ينظر: نكت الحافظ بن حجر على المقدمة: ٤٠٨/١-٤٠٩.

(٣٤) أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب الوصايا- باب ما جاء لا وصية لوارث: ٤٣٣/٤، رقم (٢١٢٠)، وقال عنه: حسن صحيح، وابن ماجه: كتاب الوصايا- باب لا وصية لوارث: ٩٠٦/٢ رقم (٢٧١٤)، والدارقطني في سننه: ٩٨/٤، رقم (٩٣)، قال ابن

حجر: (رواه أحمد والأربعة إلا النسائي وحسنه أحمد والترمذي وقواه ابن خزيمة وابن الجارود ورواه الدار قطني من حديث ابن عباس وزاد في آخره (إلا أن يشاء الورثة) وإسناده حسن)، بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر، ط٤، جمعية إحياء التراث الإسلامي- الكويت ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م: ٢٨٦.

[٣٥] ينظر: فتح المغيث: ١/٢٨٨-٢٨٩.

[٣٦] ينظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لجمال الدين القاسمي ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م: ١٠٩، والقول المنيف في حكم الحديث الضعيف: فواز أحمد زمرلي دار ابن حزم، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، لبنان- بيروت، ص:٩٠-٩١.

[٣٧] ينظر: قواعد التحديث: ١٠٩.

[٣٨] تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: لعلي بن محمد بن عراق ط١: مكتبة القاهرة: ١/ ١١.

[٣٩] المصدر نفسه: ١/١٢.

[٤٠] الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: للملا علي القاري، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م: ص١٢٧.

[٤١]الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث: لأحمد بن عبد الكريم العامري الغزي، ط١: دار الراية- الرياض،١٤١٢هـ/١٩٩٢م: ٨٨.

[٤٢] تنظر الأقوال في: الجد الحثيث: ٢١- ٦٣- ٩٧- كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع: للملا علي القاري، ط١، مكتب المطبوعات الإسلامية سوريا- حلب ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م: ٩٤.

[٤٣] ينظر: الجد الحثيث: ١٧- ٢٥.

[٤٤] المصدر نفسه: ١٥- ٥٩.

[٤٥]المصدر نفسه: ٢٤، ٧٤- ٧٩.

[٤٦] ينظر: الأسرار المرفوعة: ٧٥- ٣٠٢، وكتاب المنار المنيف في الصحيح والضعيف: لابن القيم محمد بن أبي بكر، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب- سوريا١٣٩٠هـ/١٩٧٠م: ٦٤-٦٥.

(٤٧) ينظر: المصدر السابق: ٨٠- ١٨٧- ٣٦٧.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١.**الإحكام في أصول الأحكام**: لسيف الدين علي بن محمد الآمدي (مطبعة دار المعارف- مصر ١٣٣٢هـ/١٩١٤م).

٢.**اختصار علوم الحديث**: لعماد الدين إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تعليق وشرح صلاح محمد محمد عويضة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣.**الأذكار**: للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار العلوم، عمان- الأردن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤. **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**: للملا علي القاري(دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).

٥. **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**: للإمام ابن حجر، ط٤، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٦. **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي**: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، حققه عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧. **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**: لعلي بن محمد بن عراق ط١، مكتبة القاهرة.

٨. **توجيه النظر إلى أصول الأثر**: لطاهر الجزائري الدمشقي حققه عبد الفتاح أبو غدة، ط١، مكتبة المطبوعات الإسلامية- حلب ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٩. **جامع بيان العلم وفضله**: لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، ط١، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د. ت).

١٠. **الجامع الكبير**: للإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ)، حققه د. بشار عواد معروف، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

١١. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: لمحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، حققه محمود الطحان، مكتبة المعارف- الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٢. **الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث:** لأحمد بن عبد الكريم العامري الغزي ط١، دار الراية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١٣. **الجرح والتعديل:** لعبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي (ت٣٢٧هـ)، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن- الهند، ١٣٧١هـ.

١٤. **سير أعلام النبلاء:** لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ)، حققه شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.

١٥. **صحيح البخاري:** للإمام البخاري، اعتنى به محمد محمد تامر، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٦. **صحيح مسلم:** للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٧. **الضعفاء والمتروكين للنسائي:** حققه محمود إبراهيم زايد، ط١، دار الوعي- حلب ١٣٦٩هـ.

١٨. **علوم الحديث:** لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، حققه نور الدين عتر، ط٣، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٩. **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير:** لابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ)، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.

٢٠. **فتح المغيث:** لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

٢١. **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث:** لمحمد جمال الدين القاسمي، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢٢. **القول المنيف في حكم العمل بالحديث الضعيف:** لفواز أحمد زمرلي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٣. **كشف الخفاء ومزيل الإلباس مما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس:** لإسماعيل ابن محمد العجلوني (ت١١٦٢هـ)، حققه أحمد القلاش، ط٣، دار إحياء التراث، بيروت، ١٣٥١هـ.

٢٤. **الكفايـة:** للخطيب البغدادي، المكتبة العلمية في المدينة المنورة، مصورة عن الطبعة الهندية. (د. ت).
٢٥. **لسان العرب:** لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر بيروت. (د. ت).
٢٦. **المجموع شرح المهذب:** للنووي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة. (د. ت).
٢٧. **سالم حلى:** لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة– بيروت، (د.ت).
٢٨. **مختار الصحاح:** لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت٦٦هـ)، حققه محمود فاخر، مكتبة لبنان ناشرون– بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢٩. **المصنوع في معرفة الحديث الموضوع:** للملا علي القاري ط١، مكتب المطبوعات الإسلامية سوريا– حلب، ١٣٨٩هـ /١٩٦٩م.
٣٠. **معجم الأدباء لياقوت الحموي:** ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٣١. **المغني في الضعفاء:** للذهبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٣٢. **مقدمة صحيح مسلم:** للإمام مسلم، مكتبة الرشد الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٣٣. **المنار المنيف في الصحيح والضعيف:** لابن القيم محمد بن أبي بكر، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب– سوريا١٣٩٠هـ /١٩٧٠م.
٣٤. **منهج النقد في علوم الحديث:** للدكتور نور الدين عتر، ط١، دار الفكر، دمشق، (د.ت).
٣٥. **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي:** لمحمد بن إبراهيم بن جماعة، حققه: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، ط١، دار الفكر– دمشق ١٤٠٦هـ.
٣٦. **النكت على كتاب ابن الصلاح:** للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي، ط١، الجامعة الإسلامية– المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
٣٧. **اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر:** لعبد الرؤوف المناوي، حققه المرتضى الزين أحمد، ط١، مكتبة الرشد– الرياض، ١٩٩٩م.

مفهوم النبوة والإعجاز
عند المسلمين

د. ملاك محمد ثابت عبد الحميد

كلية التربية للبنات / قسم العقيدة

المقدمة

الحمد لله الذي أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى الخالد، وخاتمة الكتب السماوية المنزلة على ساداتنا أنبياء الله عز وجل ورسله الكرام، عليهم أفضل الصلاة والسلام، شرَّف الله به لغة الضاد بهذا البيان الذي بلغ حد الإعجاز في التبسيط والإيجاز، كان من يسمعه من أعلام البلاغة والبيان تنبهر له أنفسهم وتتفتح لسماعه جوانحهم، إن هذا الكتاب السماوي العزيز قد حوى من أخبار الأمم الغابرة الشيء الكثير، وفصّل حياة المسلم في معاشه ومعاده، واقرَّ التوحيد لأنه فطرة الله التي فطر الناس عليه.

لقد رعى الله تعالى البشرية رعاية كريمة وأرسل إليهم الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين لكي لا تكون لهم حجة على الله في يوم القيامة. قال تعالى﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[١]. هذا وقد تضمن البحث على مقدمة ومبحثين:

المبحث الأول/ النبوة عند المسلمين، ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول/ مفهوم النبوة عند المسلمين.

المطلب الثاني/ تفسير ظاهرة الوحي عند المسلمين.

المطلب الثالث/ مستلزمات النبوة عند المسلمين.

المبحث الثاني/ مفهوم الإعجاز والتحدي, ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول/ تعريف الإعجاز وإثباته.

المطلب الثاني/التحدي والمعارضة.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

وختاما أرجو أن يكون هذا الجهد خالصا لوجه الله تعالى، وان ينفعني يوم ألقى وجهه الكريم في اليوم العظيم الذي لا مفرّ منه.

المبحث الأول
النبوة عند المسلمين

المطلب الأول: مفهوم النبوة عند المسلمين

النبي لغة: تأتي مهموزة وغير مهموزة فإذا كانت اللفظة بالهمز (النبيء) فهي مشتقه من النبأ وهو الخبر, فالنبي هو المخبر عن الله تعالى. ومن النبيء الذي هو الطريق الواضح، لأن الأنبياء هم الطرق الموصلة إلى الله تعالى. وإن كانت بلا همز (النبي) فهي مشتقة من النبوة أو النباوة أي: الارتفاع لأن النبي مرتفع الرتبة على غيره(٢).

وأما اصطلاحا: فإن النبي إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوحي إليه إلى الخلق(٣). حيث اقتضت رحمة الله بعباده أن جعل الرسل من جنسهم ليمكن اتصالهم بهم(٤). قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(٥) إن العقول مهما بلغت من السمو فهي قاصرة لا تستطيع الوقوف على معرفة محاسن الأمور ونتائجها بدون معين يهدي إلى طريق الرشاد، وهذا المعين هم الرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

يزداد على ذلك أن فائدة الشرع تفضل ما حكم به العقل وتبيّن ما يقصر عنه. وكما أن الطبيب يعرف من خصائص الأدوية مما قد يعرفه العامة، ولكن بعد جهدٍ طويل يجربون ويقعون في المهالك فضلاً عما في ذلك من تعطيل المصالح، وكما لا يقال نستغني بالخبرة من العوام عن الطبيب، فكذلك لا يقال نستغني بالعقل عن النبي(٦)، وكان من رحمة الله أن ختم عهد النبوة برسالة سيدنا محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٧). وعموماً لا يختلف المفهوم العام عند المسلمين في جميع مذاهبهم الإسلامية، لكن هناك أراء تزيد أو تنقص حسب رأي المجتهد، حيث اعتمد البعض منهم على العقل، ووثقوا بحكمه في التحسين والتقبيح دون الرجوع إلى النصوص والمأثورات في تعريفهم لمفهوم النبوة، بل عرضوا النصوص والمأثورات على العقل فليدرك حسنها وقبحها،و بهذا فإن الحاكم هو العقل، والشرع مؤيد لحكمه(٨)، فقالوا: لولا العقل لما عرفنا متى يؤاخذ بما يتركه أو بما يأتيه، ومن يحمد ومن يذم، ولذلك تزول المؤاخذة عمن لا عقل له. ومن هنا يمكن القول بأنهم لا ينتقصون من درجة النبوة والشرع، فقد ذهبوا إلى أن العقل محتاج إلى النبوة، والنبوة محتاجة إلى العقل، نعرض إثباتها فهم يقارنون بينهما لاستناد النبوة والعقل إلى أصل واحد، فالناصب لأدلة النبوة وما يترتب عليها من شرع ناصب لأدلة العقل وهو الله

تعالى. فالشرع عندهم حجة والتفضيل بما هو مجمل بالعقل، ولاكتمال العقل فهو كاشف ومبين لما هو ثابت في العقل كما أنهم حكموا بالوجوب على بعثة الأنبياء وذلك لضرورتها ومساندتها لأدلة العقل(٩).

ومنهم من اعتمد منهجا خاصا في التوقف ما بين العقل والنبوة، لأنهم لم يغلبوا العقل على الشرع ورفضوا التسليم بأحكامه. وهو أنه ليس لأفعال الإنسان وتصرفاته صفة حقيقية أو اعتبارية لكون تلك الأفعال حسنة أو قبيحة كما قال الآخرون، وليس حسن الأفعال وقبحها لذواتها ولا لصفاتها فلا حكم للعقل في حسنها وقبحها. ولا حاكم إلا الله تعالى، لأن الإنسان غير مستقل بإيجاد أفعاله إذ إن أفعاله مخلوقة لله تعالى، فلا يحكم العقل على وجه الاستقلال على ترتيب الثواب والعقاب على أفعاله، فالحسن ما حسنه الشرع، والقبيح ما قبحه الشرع(١٠).

وقال أبو بكر الباقلاني(١١): «لا سبيل من ناحية العقل إلى إعابة شيء، ولا إلى خطره، ولا إلى إباحته، وأن ذلك لا يثبت في أحكام الأشياء إلا من جهة السمع»(١٢). ويقرر الأشعري(١٣): «أن العقل يستطيع أن يدرك وجود إله، ولكن العقل آلة الإدراك فقط، أما الأصل الوحيد لمعرفة الله تعالى فهو الوحي»(١٤).

فالعقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإن تلقي التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع(١٥).

وفي ضوء ما تقدم يتضح أن ليس للعقل شأن كبير كما هو الحال عند البعض فهو لا يوجب شيئاً من المعارف ولا يقتضي تحسيناً ولا تقبيحاً، ولا يوجب على الله تعالى رعايته لمصالح العباد، ولا لطفاً ولا أي شيء، فهذه الواجبات كلها واجبة بالسمع، فمعرفة الله بالعقل تحصل وبالسمع تجب أي أن الواجب على المكلف النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الله وتوحيده وصفاته وعدله وحكمته ثم النظر والاستدلال المؤديان إلى جواز إرسال الرسل وتكليف العابد ما يشاء. وعلى هذا كان منهج الاشعرية(١٦). في الاستدلال على العقائد، فسلكوا النقل والعقل معاً، فلا يتخذون من العقل حاكم ليؤولوها كما ذهب المعتزلة(١٧)، ولا يقفون عند مظاهر النصوص كما ينهج فريق من الفقهاء والمحدثين، وإنما يتخذون العقل خادماً لظواهر النصوص(١٨).

المطلب الثاني: تفسير ظاهرة الوحي عند المسلمين

لم يكن محمد ﷺ أول نبي خاطب الناس باسم الوحي وحدثهم بحديث السماء، بل كانت ظاهرة الوحي متماثلة عند الجميع لأن مصدرها واحد وغاياتها واحدة[١٩]. وحرص القرآن الكريم على تسمية ما نزل على قلب محمد ﷺ وحياً ليشابه مدلول الوحي بين جميع النبيين تشابه اللفظ الدال عليه. قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[٢٠]. وعلى هذا فالوحي: إبلاغ الله تعالى أوامره ونواهيه إلى الناس بواسطة أنبيائه المصطفين وذلك بطريقة خفية غير مألوفة للناس[٢١]. وعليه فالوحي يختلف في مفهومه هذا عن الإلهام والمكاشفة التي تقول بها المسيحية فالوحي: هو عمل روح الله أو عمل روح القدس لأن روح القدس يختار أشخاصاً ويعمل في أفكارهم وفي قلوبهم ويجعلهم أداة لكشف النقاب بواسطتهم عن حقيقة لم تكن معروفة[٢٢].

إن طبيعة الحقائق الدينية والأخبار الغيبية تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين، وعلى هذا النمط رسم النبي الكريم فيما صح من حديثه طريقة نزول الوحي على قلبه، فهو لم يخلط إطلاقا بين الشخصيتين الإنسانية المأمورة المتلقية وشخصية الوحي الآمرة المتعالية، بل إنه إنسان ضعيف بين يدي الله، وكان حريصاً على متابعة جبريل عليه السلام في كل حرف يدرّسه إياه. قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾[٢٣]، وهذا دليل على استقلال ظاهرة الوحي استقلالاً مطلقاً، وتفردها عن العوامل النفسية تفرداً كاملاً، فالنبي ﷺ لا يملك حتى استخدام ذاكرته في حفظ القرآن، بل إن الله يتكفل بتحفيظه إياه.

إن الوحي ركن أساسي للنبوة، وقد تميز به كل نبي عن غيره من الآدميين، فالله سبحانه وتعالى أوحى إلى جميع أنبيائه من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ. وقد عرف ورقة بن نوفل أن الذي ألمَّ برسول الله ﷺ في غار حراء إنما هو ملك الوحي بمعرفته لأوصافه، وهو ملك الوحي الذي جاء من قبله إلى الأنبياء كموسى وعيسى عليهما السلام. ولقد أكد لخديجة رضي الله عنها ورسول الله ﷺ بأن النازل هو ملك الوحي حيث قال ورقة بن نوفل: هذا (الناموس) الذي نزل على موسى، وأن ورقة أعلن أن الذي لقيه محمد ﷺ في غار حراء هو ملك الوحي، الذي أجمع أهل الديانتين اليهودية والنصرانية على الإيمان بنزوله إلى موسى، ولم يقل ورقة إن الذي نزّله الله على عيسى عليه السلام، لأن اليهود ينكرون نبوة عيسى وصلته

بالوحي. ولكن المتعارف في جميع الديانات السماوية إن جميع الأنبياء قد وصلهم الله بهذا الملك جبريل عليه السلام[٢٤].

المطلب الثالث : مستلزمات النبوة عند المسلمين

الصفات الضرورية للأنبياء: نقصد بها شرائط النبوة التي يجب أن تتوفر في صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما يعبر عنها أكثر علماء الكلام، فللأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أجمعين صفات تميزوا بها عن سائر الخلق، ليحملوا الأمانة العظيمة (أمانة الوحي) وتبليغ الدعوة والرسالة لعباده. كما خَصَّهم الله سبحانه وتعالى بكونهم أكمل البشر خلقا وأفضلهم علماً وأشرفهم نسباً ووهبهم الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم[٢٥]. قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[٢٧].

وقال الله تعالى عن كليم الله موسى عليه السلام[٢٨]: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[٢٩]. وهذه الصفات الضرورية للأنبياء هي:

١- الذكورة:

إن الذكورة شرط في النبي فلا يجوز أن تكون إمراة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾[٣٠] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾[٣١]. وكذلك أن النبوة تكليف شاق وحمل ثقيل لا تطيقه المرأة الضعيفة، لكونه يحتاج إلى مجاهدة، وصبر، والتردد إلى جمهور الناس، والأنوثة توجب الستر، وأن المرأة لا تصلح للأمارة والسلطنة والقضاء وإقامة الصلاة بالإجماع[٣٢]. أما الأشعري والقرطبي وبعض أهل الظاهر فلم يشترطوا الذكورة وقالوا بنبوة مريم عليها السلام مستدلين بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾[٣٣]، وبإرسال الروح إليها بقوله ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[٣٤]، وبنبوة أم موسى عليها السلام، قال عز وجل ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[٣٥].

ورد الجمهور: بأن اصطفاء مريم عليها السلام لم يكن وحيا بشرع إذ لا دلالة عليه في الآيات المذكورة، والوحي إلى أم موسى لا يراد به إلا معنى الإلهام[٣٦]، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾[٣٧].

٢- السلامة من النقائص:

يقصد السلامة من نقيص الخلقة، فالأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، أكمل الناس خلقاً حال الإرسال وبعده[٣٨]. وبهذا فإن عقدة لسان موسى عليه الصلاة والسلام كانت قبل الإرسال، وأزيلت بدعوته عن الإرسال بدليل دعاء موسى عليه السلام حين أوصى الله تعالى وأمره بالدعوة قال: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾[٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾[٤٠] ويتطلب سلامته من العيوب المنفرة، وما روي عن أيوب عليه السلام قد أصابه ضرر في بدنه فدعا ربه، بعد أن أشتد الكرب والضرر، فكشف الله عنه ما أصابه من كرب وبلاء. وقد كان قبل نبوته وزال بعدها. قال تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٤١]. وكذلك أن يكون سالماً من دناءة الصناعة كالحجامة، ومن قلة المروءة، كالأكل على الطريق، لأن العرف يستنكر ذلك[٤٢]، وكذلك سالماً من الفظاظة والغلظة، لأن قسوة القلب مُبعدة للعبد عن الله تعالى، إذ أنها منبع المعاصي. قال النبي محمد[٤٣] ﷺ: «**أن أبعد الناس من الله القاسي القلب**» وكذلك قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٤٤].

٣- الصدق:

وهو مطابقة الخبر للواقع، وهذه صفة ملازمة للنبوة، وأنها صفة ملازمة لدعوة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وهي صفة فطرية[٤٥]. فيجب في حقهم الصدق في كل ما يبلغونه عن الله تعالى سواء كان قولاً أم فعلاً[٤٦]. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٤٧].

وأقسام الصدق ثلاثة هي:

أ. الصدق في الدعوة والرسالة.

ب. الصدق في تبليغ الأحكام.

ج. الصدق فيما ينطق به من أمور الدنيا[٤٨].

والدليل على صدق الأنبياء جميعاً، هو قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾[٤٩]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[٥٠].

٤- التبليغ:

وهو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المرسل إليهم ليرشدوهم إلى سعادة الدارين، فكل رسول من الرسل يجب أن يعتقد فيه بأنه بلغ كل ما أمره الله بتبليغه إلى أمته، ولم يخف عن الناس شيئا من ذلك لا عمداً ولا نسياناً.

وأقسام الموحى به ثلاثة:

أ. قسم أمروا بكتمانه، وهو خاص بين الرسل صلى الله عليهم أجمعين وبين ربهم.

ب. قسم خيّروا بين التبليغ والكتمان.

ج. قسم أمروا بتبليغه، والتبليغ هذا أصبح واجباً إلى من أرسلوا إليهم[٥١]. ولو كتموا ما أمروا بتبليغه لكانوا ملعونين لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝١٥٩﴾[٥٢]، وعند متابعة آيات القرآن الكريم نجد بعض السور أو الآيات الكريمة تبدأ بقوله تعالى: (قل) وهو أمر موجه للنبي ﷺ، ليبلغه لأمته، فيبلغها الرسول كما نزلت عليه دون زيادة أو نقصان.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾[٥٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾[٥٤].

٥- العصمة:

تعني الحفظ أو الصيانة، وقيل المنع، يقال: عصمته عن الطعام، أي منعته عن تناوله[٥٥]، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾[٥٦]، أي امتنع امتناعاً شديداً. قال تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ۝٤٣﴾[٥٧] أي يمنعني من الغرق.

وقال القرطبي رحمه الله: «وسميت العصمة، عصمة لأنها تمنع من ارتكاب المعصية. أما العصمة شرعاً: حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنوب والمعاصي، وارتكاب المنكرات والمحرمات»(٥٨).

واختلف الناس في تفسير العصمة أذكر منها:

العصمة: لطف من الله تعالى يحمله إلى فعل الخير ويزجره عن فعل الشر، مع بقاء الاختيار، تحقيقاً للابتلاء. لأنه لو لم تكن كذلك لما استحق المعصوم مدحاً ولا ثواباً، إذ لا اختيار له حينئذ، ولأمتنع تكليفه بالأوامر والنواهي(٥٩). وهنا من الضروري أن نتناول وبشكل مختصر ومبسط عن العصمة قبل النبوة وما بعدها، وهل العصمة عن الكبائر فقط، أم عن الكبائر والصغائر من الذنوب.

إن الأنبياء عليهم السلام معصومين عن الكذب، خصوصاً فيما يتعلق بالشرائع، وتبليغ الأحكام، وإرشاد الأمة، أما عمداً فبالإجماع، وإما سهواً فعند الأكثرين، وكذلك هم معصومون عن الكفر، قبل الوحي وبعده بالإجماع، وكذلك عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافاً للحشوية(٦٠)، وأما سهواً فجوزه الأكثرون(٦١). وأما الصغائر فيجوز سقطاً عند الجمهور، خلافاً للجبائي(٦٢) وأتباعه، وتجوز سهواً بالاتفاق، إلا ما يدل على الخسة، كسرقة لقمة، والتطفيف بحبة(٦٣). قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾(٦٤).

٦- الفطانة:

التفطن والتيقظ وحدّة العقل والذكاء وقوة الحجة وسداد الرأي، فكل رسول يجب أن يعتقد فيه أنه بلغ من الفطنة حداً لا يجاري فيها من معاصريه الالتزام والخصوم في المحاجة وإبطال دعاويهم الباطلة(٦٥).

ويستحيل عليهم ضدها وهي الغفلة والبلادة والبله وذلك:

أ. لأنهم أرسلوا لإقامة الحجج وإبطال الشبه، فلو انعدمت عندهم الفطانة لعجزوا عن إقامة الحجة وهو باطل..

ب. لأنهم قادة المجتمع والمرجع في حل مشكلاته.

ج. لأننا مأمورون بالإقتداء بهم، والمقتدى به لا يكون بليداً، لأن البلادة من صفات النقص وهو لا يليق بهم(٦٦). وقال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾(٦٧).

المبحث الثاني
مفهوم الأعجاز والتحدي

المطلب الأول: تعريف الأعجاز وإثباته

الإعجاز لغة: إثبات العجز، والعجز: القصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي محمد ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة القرآن الكريم وكذلك إعجاز الأجيال بعدهم.

والإعجاز في اللغة: مصدر من الفعل الرباعي (أعجز) المتعدي بالهمزة وفعله الثلاثي (عجز- يعجز- عجزاً) من باب (ضرب يسمع) بمعنى ضعف ضعفاً.

فيقال: أعجز فلان فلاناً، أي صيرّه عاجزاً. قال الراغب الأصفهاني[٦٨]: «أصل العجز: التأخر عن الشيء وحصوله عن عجز الأمر، وصار في العرف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة: قال عز وجل: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ﴾[٦٩]» وأعجزت فلاناً وعجزته جعلته عاجزاً. وقال أبن منظور[٧٠]: «ومعنى الإعجاز: الفوت والسبق، يقال: أعجزت فلاناً: أي فاتني إذ عجزت عن طلبه وإدراكه».

الإعجاز اصطلاحاً: لما كان الإعجاز في الشيء أن يكون ذلك هو أن الشيء بصفة يعجز الخصم أن يأتي بمثله، فالأعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق، والمراد بأنه أبلغ من جميع ما عداه، بأنه أبلغ من كل ما هو غير كلام الله تعالى حتى لا يمكن للغير الإتيان بمثله إلا الله عز وجل، فهو قادر على الإتيان بمثل القرآن مع كونه معجزاً، ولما كان القرآن في صياغته وبلاغته أمراً خارقاً للعادة اقترن بالتحدي المستمر وعجز من أن يجاريه أحد مع وجود القدرة على فهم معانيه ومراميه، فكان معجزاً وآية على صدق الرسول محمد ﷺ وصدق نبوته[٧١].

والإعجاز في القرآن، إنما يكون بلفظ القرآن ونظمه وبيانه، لا في أمر خارج عنه، وهذا ما أكده الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[٧٢]، فلو لم يكن سماعه حجة لما وقف أمره على سبحانه، ولا يكون حجة إلا وهو معجز.

قال الله عز وجل: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾[٧٣].

وهذا يدل على أن القرآن بنفسه معجز، وليس بأمر آخر، ومن هنا أنكر جمهور المفسرين والعلماء القول: بالصدفة الذي يقتضي أن الإعجاز إنما حصل بصرف الله عز وجل العرب عن الآتيان بمثله كما ذهب إلى ذلك إبراهيم النظام، وهو من أشهر علماء المعتزلة (ت ٢٣١هـ)[٧٤]، وكذلك المرتضى من الشيعة الأمامية[٧٥].

المطلب الثاني: التحدي والمعارضة

ثم بدا لقريش بعد أن أيأسهم رسول الله ﷺ من قبول ما جاؤوا به فقالوا: «نريد أن نسأل ربك أن تسَير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً، كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فقد كان شيخاً صادقاً فنسألهم عما تقول، أحق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك، وعرفنا منزلتك من الله وأنه بعثك إلينا رسولاً كما تقول».

فأجابهم ﷺ جواباً حكيماً يفحمهم به فقال: «**ما بهذا بعُثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن ترفضوه علي أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم**». قالوا: «فإذا لم يفعل لنا هذا فخذ لنفسك». وسأله آخرون: «قل لربك يبعث معك ملكاً يصدقك فيما تقول، ويراجعنا عنك، أو أرنا ربنا يخبرنا أنه أرسلك وحينئذ نؤمن بك».

وقال غيرهم: «الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً منا»، وقال آخرون: «إن محمداً يأكل الطعام كما نأكل نحن، ويمشي في الأسواق كما نمشي، ويلتمس المعاش كما نلتمس، فلا يجوز أبداً أن يمتاز علينا بالنبوة»، وقالوا جميعاً: «أفما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألك عنه ونطلب منك ما نطلبه؟ فقد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمان!! وإنا والله لن نؤمن بالرحمان أبدا»، «يريدون بقولهم هذا كاهناً يهودياً باليمامة يقولون اسمه الرحمان» فأنزل الله في ذلك آية تكذبهم وتعرفهم ما كانوا يجهلون بأن الرحمن من أسمائه تعالى[٧٦]: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾[٧٧].

لقد بُعث الرسول ﷺ فيهم أربعين عاماً، فلم يحدثهم بنبوة ولا برسالة فهذا الأمر يخضع

لمشيئة الله فقط. قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[٧٨]. فهذا النبي ﷺ قد نشأ بينهم، وترعرع على مرأى ومسمع منهم بل كانوا يعرفونه بالصدق والأمانة، ورجاحة العقل، ولم يعهدوا عليه كذباً، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[٧٩].

فلم الشك في أمره مع أنه قد تجرد عن كل مطمع دنيوي. قال تعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[٨٠] ولم الشك في أمره وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا يمكن أن يستمد من كتاب[٨١]. قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[٨٢].

لقد أعجز القرآن الكريم الفصحاء البلغاء، لحسن تأليفه والتئام كلماته، بهرت العقول بلاغته، وظهرت على كل قول فصاحته، أحكمت آياته وفصلت كلماته، فحارت فيه عقولهم، وتبلورت فيه أحلامهم، وهم رجال النظم والنثر، وفرسان السجع والشعر، وقد جاء على وصف مباين لأوصاف كلامهم النثر، لأن نظمه لم يكن كنظم الرسائل والخطب، والأشعار، وأسجاع الكهان[٨٣]. فقد تحدى العرب والعجم، والإنس والجن أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله[٨٤]، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[٨٥]. فقطع لهم بأنهم لن يفعلوا وهي كلمة يستحيل أن تكون إلا من الله عز وجل، ولا يقولها عربي في العرب أبداً وقد سمعوها واستقرت فيهم ودارت على ألسنتهم وقد بالغت هذه الآيات في استفزازهم لتثبت أن القدرة فيهم على المعارضة كقدرة الميت على أعمال الحياة، لن تكون، ولن تقع فقال لهم عز وجل: (لن تفعلوا) أي أن هذا فوق القوة وفوق الحيلة وفوق الاستعانة وفوق الزمن، ثم جعلهم وقوداً، ثم قرنهم بالحجارة، ثم سماهم كافرين، فلو أن فيهم أي قوة بعد ذلك لانفجرت، ولكن الرماد غير البارود كما قيل: فنزعوا إلى القول أنه ساحر أو شاعر أو مجنون أو أساطير الأولين، ولما انقطعت بهم كل السبل بذلوا له السبق كما يبذل المحرج آخر وسيلة وخاطروا بأنفسهم وأموالهم[٨٦].

بعد ذلك لم تقم للعرب قائمة بعد أن أعجزهم القرآن بمنهج الفصاحة التي هي اكبر أمرهم، ومن جهة الكلام الذي هو سيد عملهم، بل تصدعوا عنه وهم أهل البسالة والبأس، وهم مغاوير الحروب وهم كالحصى عدداً وكثرة، وليس لرسول الله ﷺ إلا نفسه وإلا نفراً قليلاً معه، لم يستجيبوا له ولم يبذلوا أنفسهم في نصرته إلا بعد أن سمعوا القرآن، فكانت الكلمة منه تقع على أحدهم وتفعل فعلها في نفسه كما تفعل الخطبة العصماء أو القصيدة البليغة في القبيلة[٨٧]. فعند ما جاء الوليد بن المغيرة إلى الرسول ﷺ وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة، وكان يقال له ريحانه قريش، وقال للرسول ﷺ: أقرأ علي، فقرأ ﷺ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[٨٨]، وقال له أعده، فأعاد ذلك، قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمحذق، وما يقول هذا بشر، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه»[٨٩].

وعندما سمع العرب القرآن الكريم اختلفوا في أمره: فمنهم من ظهر له إن هذا القرآن بلغ مرتبة الفصاحة والبلاغة لا تدركها القوى البشرية وأن فيه خواص كاملة، لا يمكن عند العقل اجتماعها في مجموع كلام مهما تأنق فيه واضعه، واتسع اطلاعه على الماضي والحاضر والمستقبل وعلى أحوال الأمم في مختلف شئونها، وإن أحاط بجميع الفنون والأدب والحكم والسياسات[٩٠].

ولقد كان من أعجب أمور العرب أنهم كانوا يتخاذلون عن قتال النبي محمد ﷺ وجماعته على كثرة ما استنجدتهم قريش لحربه وما عملته في الحج والمواسم على الرغم من معرفتهم من مغبة الأمر، وأنه ذاهب بعبادتهم لا محالة، فلم يجمعوا كيدهم ولم يستغلوا فرصة لهم كانت سانحة ممكنة من التخلص من الدعوة ورجالها وكان ذلك بسبب وجود القرآن الكريم، فإن كل آية كانوا يسمعونها كانت تصيبهم بالشلل الاجتماعي والخذلان في النفوس فلا يحسون منها إلا تراجع الطبع وفتور العزيمة فتقع الحرب ابتداءاً في أنفسهم بين الوهم واليقين وإن نصبوا الحرب وأقدموا عليها كانت نفوسهم مخذولة وعزائمهم واهنة وما أقدموا عليها إلا من باب المكابرة وهم عارفون نهايتها المؤلمة لهم[٩١].

لقد أعلن الرسول الكريم ﷺ النبوة، وقدم برهاناً عليها، وهو القرآن الكريم، واظهر المعجزات الباهرة، كما هو ثابت لدى أهل التحقيق من العلماء. هذه المعجزات بمجموعها الكلي ثابتة قطعية كقطعة ثبوت دعوة النبوة، حتى أن إسناد المعجزات إلى السحر الذي

يورده القرآن الكريم في مواضع كثيرة على لسان الكفار إلا لداء ليشير إلى أنهم لم ينكروا وقوع المعجزات- ولم يسعهم ذلك- وإنما أسندوها إلى السحر خداعاً لأنفسهم وتعزيزاً بإتباعهم(٩٢).

إن السماء منحت النبي محمد ﷺ أعظم رسالة حملها نبّي، وأكمل دعوة قام بها رسول، إنه يحمل آخر كلمة من الله إلى الناس هي الكلمة الأخيرة... الكلمة الحاسمة فيما بين السماء والأرض فليس بعدها كلام إنها الخاتمة. وهو خاتم النبيين.. ليس بعده نبي.. وليس وراءه بشير ولا نذير وإذا كان كذلك.. فإن لنا أن نقول إن (محمداً) ﷺ هو منتخب الإنسانية كلها، وهو مجتمع كمالاتها، وأتم صورها.. ذلك لأنه جاء إلى الإنسانية حين بلغت رشدها، وحين أرادها الله أن تستقلّ بوجودها، وأن تستقيم على الطريق الذي يمليه عليها تفكيرها، دون أن يقوم عليها من السماء رسول يدعوها إلى الله، ويرسم لها منهاج الإيمان وقواعد السلوك(٩٣).

إن مزية الرسالة المحمدية هو ترشيحها للخلود والتعميم، ذلك أن آيات الأنبياء السابقين الخارقة حادثات وقعت وانقضت ولكن أسلوب الدعوة القرآنية هذا الذي أختلف كل الاختلاف عنه أسلوب الكتب المنزلة على بعض أولئك الأنبياء، هو أسلوب خالد حي قوي في كل زمان ومكان ببراهينه، ودلائله، وحيويته، ونفوذه، وفصاحته، ومعقوليته، ومنطقه، وسموه، ولذلك وما زال معجزة النبوة الخالدة الكبرى(٩٤).

الخاتمة

بعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث بعون الله تعالى، لابد لنا من وقفه تأمل واستذكار لما حققه هذا البحث من مقاصد، وما توصلت إليه من نتائج، فأقول موجزة:

١. الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بشر، وكان إرسالهم إلى البشر من البشر، وهذه رحمة من الله سبحانه وتعالى ليمكن اتصالهم بهم. فهو قانون الهي لا يختلف ولا يلتفت إلى عارضه، لأنها معارضة للمعقول. قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾(٩٥) لكنهم في جميع الأحوال هم على أكمل الكمال.

٢. النبوة: خاصة بالرجال ولا تكون للنساء، وذلك لأنها عبئ ثقيل وتكليف شاق لا تحمله طبيعة المرأة الضعيفة. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾[٩٦]، ولكن الأشعري والقرطبي وبعض أهل الظاهر قالوا: بأنها تجوز للمرأة واستدلوا بنبوة مريم وأم موسى عليهما السلام.

٣. أن النبي محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء، ومعجزته الكبرى هي القرآن الكريم الذي تحدى بألفاظه ومعانيه وبلاغته العرب جميعاً وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة.

٤. الأنبياء جميعاً يشتركون في نظر الإسلام في وصف النبوة، لأن النبوة في نفسها لا تتفاضل ولا تختلف، إلا إن محمد ﷺ بحكم كونه خاتم الأنبياء والمرسلين يعد أرفعهم منزلة وأعلاهم مقاماً. بدليل قول الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[٩٧].

٥. الإعجاز في الشيء أن يكون الشيء بصفة يعجز الخصم أن يأتي بمثله، فالإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق أبلغ من جميع ما عداه من الطرق.

الهوامش

[١] سورة فاطر، الآية:٢٤.

[٢] الأربعين في أصول الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، ط٢، المطبعة العربية، مصر، ١٣١٤هـ، ٢٢.

[٣] المصدر نفسه.

[٤] النبوة والعقل في الإسلام، رياض ناصر محمد، رسالة ماجستير، ١٩٨٧م، ٩.

[٥] سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

[٦] ينظر علم الكلام، دراسة لأراء الأشاعرة، د. أحمد رعد طاهر محمود صبحي، ط٤١، مؤسسة الجامعة، مصر، (د.ت)، ٢/٢٩٦.

[٧] سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

[٨] الخلاف ونشأة الأحزاب الإسلامية، د. محمد عمارة، ط٢، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٤م، ٢٠٩.

[٩] النبوة والعقل، رياض ناصر، ١٧٦.

[١٠] فلسفة الشريعة، د. مصطفى الزلمي، دار الرسالة للطباعة، بغداد ١٩٧٩م، ٢٨٨.

(١١) أبو بكر الباقلاني: أبو بكر محمد الطيب بن محمد بن جعفر، ولد بالبصرة عام (٣٣٨هـ)، وهو قاضي من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، توفي عام (٤٠٣هـ)، من كتبه: إعجاز القرآن ومناقب الأئمة وهداية المسترشدين، والتمهيد، الإعلام، الزركلي خير الدين، ط٢، القاهرة، (د.ت)، ٦/٧٤.

(١٢) التمهيد، الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م)، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م، ٣٢٤.

(١٣) الاشعري: هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر بن موسى الأشعري ولد سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم ثم رجع وجاهد بخلافهم وقد بلغ الأربعين من العمر. توفي في بغداد سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م. تاريخ الفلسفة الإسلامية، د.عصام الدين، ص٢٨٩؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١ ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م، ٣ /٢٥٠.

(١٤) تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة محمد عبد الهادي، ط٤، مطبعة لجنة التأليف والنشر، مصر، ١٩٥٧م، ٦٦.

(١٥) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني، عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري إمام الحرمين، كنيته أبو المعالي (ت ٣١٣هـ)، تحقيق: محمد يوسف، القاهرة، ١٩٥٠م، ٢٥٨.

(١٦) الأشاعرة: أصحاب أبي الحسن الأشعري، علي بن إسماعيل الأشعري المنتسب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ (ت ٣٢٤هـ)، ومن أشهر كتبه: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، والإبانة عن أصول الديانة. الملل والنحل، الشهرستاني، الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) القاهرة، ١٣١٢هـ، ١ /٩٤.

(١٧) المعتزلة: ظهروا في أوائل القرن الثاني الهجري في مدينة البصرة، ويعد واصل بن عطاء مؤسساً لها، وسموا بذلك لاعتزالهم قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة من المسلمين بأنه في منزلة بين المنزلتين، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية والجهمية والمعطلة والثنوية. شرح العقائد النسفية، التفتازاني، ص٥٣-٥٥؛ المعتزلة، زهدي جار الله، مطبعة مصر الأولى، ١٩٤٧م، ١، الكامل في اللغة والأدب،

المبرّد العلامة أبو العباس محمد بن يزيد المعروف، بالمبرد النحوي (ت٢٨٥هـ)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ٣/ ٩٢١.

(١٨) أصول الدين، د.عليان ود.الدوري، ٢٠١.

(١٩) جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٥-٣١٠هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٦ /٢٠.

(٢٠) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

(٢١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٦٧م، ١٢٨.

(٢٢) قاموس الكتاب المقدس، مادة الوحي، يوسف جورج، المطبعة الأمريكانية، ١٠٢.

(٢٣) سورة القيامة، الآية: ١٦-١٧.

(٢٤) نبوة محمد في القرآن، عتر حسن ضياء الدين، ط١، دار النصر، سوريا، ١٣٩٣هـ، ٨٦.

(٢٥) أصول الدين الإسلامي، د. الدوري، ود.عليان، ٢٥٨.

(٢٦) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.

(٢٧) سورة مريم، الآية: ٤١.

(٢٨) أصول الدين الإسلامي، المصدر السابق، ٢٥٨.

(٢٩) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.

(٣٠) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.

(٣١) سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٣٢) النبوة والعقل، رياض ناصر، ص١٠٠-١٠١.

(٣٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

(٣٤) سورة مريم، الآية: ١٧.

(٣٥) سورة القصص، الآية: ٧.

(٣٦) أصول الدين الإسلامي د.الدوري، د.عليان، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٣٧) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٣٨) أصول الدين الإسلامي، المصدر السابق، ص٢٥٩؛ النبوة والعقل، المصدر السابق، ١٠١.

(٣٩) سورة طه، الآية: ٢٧-٢٨.

(٤٠) سورة طه، الآية: ٣٦.

(٤١) سورة الأنبياء، الآية:٨٣-٨٤.

(٤٢) أصول الدين الإسلامي، د. الدوري ود. عليان، ٢٦.

(٤٣) سنن الترمذي، كتاب الزهد،٧/ ١٣٠.

(٤٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٤٥) النبوة والأنبياء، الصابوني، ٤٢.

(٤٦) رسالة التوحيد والفرق المعاصرة، الطائي، كمال الدين عبد المحسن مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ٦٦.

(٤٧) سورة الحاقة، الآية: ٤٤-٤٨.

(٤٨) أصول الدين الإسلامي، د. الدوري ود. عليان، ٢٤٥.

(٤٩) سورة يس، الآية: ٥٢.

(٥٠) سورة النجم، الآية: ٣-٤.

(٥١) النبوة والأنبياء، الصابوني، ٤٥.

(٥٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٥٣) سورة الكافرون، الآية: ١-٢.

(٥٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٥٥) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمود مرتضى الحسيني الواسطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ٢٩٩/٨.

(٥٦) سورة يوسف، الآية: ٣٢.

(٥٧) سورة هود، الآية: ٤٣.

(٥٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٧٧.

(٥٩) المصدر نفسه، ٧٧-٧٨.

(٦٠) الحشوية: وهم الذين يحشون الأحاديث بالإسرائيليات، وهم فرقة من المشبهة، أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة. المنية والأمل، الهمداني، القاضي عبد الجبار، صححه وأضاف إليه أحمد بن يحيى بن المرتضى، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣١٦هـ، ٧٠.

(٦١) شرح العقائد النسفية، التفتازاني، ٨٩.

(٦٢) الجبائي: عبد السلام بن أبي يحيى علي محمد الجبائي بن عبد الوهاب ابن سلام بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ﷺ، وأبو هاشم يعد من الفلاسفة البارزة والمتكلمين المشهورين، ولد سنة (٢٤٧هـ)، وينسب إلى حمران، وهذه النسبة إلى قرية من قرى البصرة، كان أبو هاشم على درجة عظيمة من العلم والمعرفة والفلسفة وعلم الكلام واللغة والنحو، توفي سنة(٣٢١هـ) في بغداد. من أشهر كتبه: الجامع الكبير، الأبواب الكبيرة، الأبواب الصغيرة، الجامع الصغير. تاريخ الفلسفة الإسلامية، د.عصام الدين، ٢٥٠.

(٦٣) شرح العقائد النسفية، المصدر السابق، ٨٩.

(٦٤) سورة ص، الآية: ٤٧.

(٦٥) رسالة التوحيد والفرق المعاصرة، الطائي، ٦٩.

(٦٦) أصول الدين الإسلامي، د.عليان، ود.الدوري، ٢٥٧.

(٦٧) سورة الأنعام، الآية: ٨٣.

(٦٨) المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م، ٣٢٢.

(٦٩) سورة المائدة، الآية: ٣١.

(٧٠) لسان العرب، ابن منظور، ٢/٢٣٦.

(٧١) مقالات الإسلاميين، الأشعري، أبو الحسين علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ)، القاهرة، ١٩٥٠م، ١/٢٧١.

(٧٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٧٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥٠-٥١.

[٧٤] الملل والنحل، الشهرستاني، ٥٦/١.

[٧٥] الشيعة الإمامية: هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً. المصدر نفسه، ٤٦/١.

[٧٦] معجز محمد رسول الله ﷺ، الثعالبي، ٦٠-٦١.

[٧٧] سورة الملك، الآية: ٢٩.

[٧٨] سورة يونس، الآية: ١٦.

[٧٩] سورة سبأ، الآية: ٤٦.

[٨٠] سورة سبأ، الآية: ٤٧.

[٨١] دلائل النبوة ومعرفة أحوال أصحاب الشريعة، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (٣٨٤- ٤٥٨هـ)، وثق أصوله وخرج احاديثه وعلق عليه د.عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ١٢/١.

[٨٢] سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

[٨٣] إنسان العيون، الحلبي، ٣٤٤/٣.

[٨٤] دلائل النبوة، البيهقي، ١٢/١.

[٨٥] سورة البقرة، الآية: ٢٣-٢٤.

[٨٦] أعجاز القرآن الكريم، الرافعي، مصطفى صادق، ط٨، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٥م، ١٩٢.

[٨٧] المصدر نفسه، ١٩٣.

[٨٨] سورة النحل، الآية: ٩٠.

[٨٩] إنسان العيون، الحلبي، ٣٤٤/٣-٣٤٥.

[٩٠] محمد ﷺ المثل الكامل, المولى بك، ٩٦.

[٩١] أعجاز القرآن الكريم، الرافعي، ١٩٢- ١٩٣.

[٩٢] المعجزات الأحمدية، النورّسي، ٢٤.

[٩٣] النبي محمد إنسان الإنسانية، المصدر السابق، ١١٢.

[٩٤] معجزات النبي ﷺ، أحمد رجب، ١٠.

[٩٥] سورة الأنعام، الآية: ٩.

(٩٦) سورة النحل، الآية: ٤٣.

(٩٧) رواه أحمد،ج٢ رقم الحديث (٤٣٠٨).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(أ)

١- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢- الأربعين في أصول الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، ط٢، المطبعة العربية، مصر، ١٣١٤هـ.

٣- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، الجويني، عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري إمام الحرمين، وكنيته أبو المعالي (ت ٣١٣هـ)، تحقيق محمد يوسف، القاهرة، ١٩٥٠م.

٤- أصول الدين الإسلامي، د. قحطان الدوري ود. رشدي عليان، ط٤، مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

٥- الإعلام، الزركلي، خير الدين، ط٢، القاهرة، (د.ت).

(ت)

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني الواسطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

٧- تاريخ الفلسفة الإسلامية، د. عصام الدين محمد علي، منشأة المعارف بالإسكندرية، جلال حرى وشركاؤه، ١٤١٠هـ/١٩٦٤م.

٨- تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة محمد عبد الهادي، ط٤، مطبعة لجنة التأليف والنشر، مصر، ١٩٥٧م.

٩- التمهيد، الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م) المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م.

(ج)

١٠- جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٥-٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(خ)

١٢- الخلاف ونشأة الأحزاب الإسلامية، د. محمد عمارة، ط٢، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٨٤م.

(ر)

١٣- رسالة التوحيد والفرق المعاصرة، الطائي، كمال الدين عبد المحسن، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

(س)

١٤- سنن الترمذي، الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة (ت ٢٧٩هـ)، إشراف عزة الدعاسي، ط٢، المكتبة الإسلامية، تركيا، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

(ش)

١٥- شرح العقائد النسفية، العلامة المحقق سيف الدين التفتازاني (ت ٧٩١هـ/١٣٨٩م) طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه. (د.ت).

(ص)

١٦- صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ط١، المطبعة الخيرية، ١٣٣٥هـ.
١٧- صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٣٦١هـ)، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٥م.

(ع)

١٨- علامات النبوة والمعجزات النبوية، عبد الملك علي الكليب، ط٣، دار الأنبار، بغداد، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

١٩- علم الكلام، دراسة لأراء الأشاعرة، د. أحمد رعد طاهر محمود صبحي، ط٤، مؤسسة الجامعة، مصر. (د.ت).

(ف)

٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

٢١- فلسفة الشريعة، د. مصطفى الزلمي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.

(ق)

٢٢- قاموس الكتاب المقدس، مادة الوحي، يوسف جورج، المطبعة الأمريكانية.

(ك)

٢٣- الكامل في اللغة والأدب، المبرّد، العلامة أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرّد النحوي (ت ٢٨٥هـ)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(ل)

٢٤- لسان العرب، أبن منظور، الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار الفكر ودار صادر، بيروت، (د.ت).

(م)

٢٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، الإمام نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ) ط٢، دار الكتاب، بيروت، ١٩٦٧م.

٢٦- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله (ت ٤٠٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

٢٧- المعتزلة، زهدي جار الله، مطبعة مصر الأولى، ١٩٤٧م.

٢٨- المفردات في غريب القرآن، الاصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٩- مقالات الإسلاميين، الأشعري، أبو الحسين علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ)، القاهرة، ١٩٥٠م.

٣٠- الملل والنحل، الشهرستاني، الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)، القاهرة، ١٣٢١هـ.
٣١- المنية والأمل، الهمداني، القاضي عبد الجابر، جمعه وأضاف إليه أحمد بن يحيى بن المرتضى، حيدرآباد، الدكن، الهند، ١٣١٦هـ.

(ن)

٣٢- نبوة محمد في القرآن، عتر حسن ضياء الدين، ط١، دار النصر، سوريا، ١٣٩٣هـ.
٣٣- النبوة والأنبياء، الصابوني، محمد علي، ط١، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
٣٤- النبوة والعقل في الإسلام، رياض ناصر محمد، رسالة ماجستير كلية الشريعة، ١٩٨٧م.

(و)

٣٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

الشورى في معارك المسلمين الكبرى في صدر الإسلام

أ.م.د. خليف عبود الطائي

كلية الآداب/ قسم التاريخ

كانت العرب قبل الإسلام تعمل بنظم معينة ذات مدلولات لاحترام الإنسان ومشاركته في الحكم إذ بين ما عمل به هو الشورى فقد كان لكل قبيلة مجلس شورى يسمى مجلس القبيلة يتكون من أهل النفوذ والثراء والرأي ورؤساء العوائل المهمة في القبيلة عندما جاء الإسلام اوجب الشورى واوجب احترامها حتى إن الرسول ﷺ نفسه قد التزم رأي الأغلبية وان كان رأيهم مخالف رأيه وأصبحت الشورى من الأصول الثابتة والمبادئ الأساسية للأنظمة التي التزمت الفقه الإسلامي لقيادة الدولة العربية الإسلامية إذ اعتبرت الأمة صاحبة السيادة ومصدر السلطة.

الشورى لغة: يقال: شار العسل شوراً استخرجه من الوقية واجتباه فهي لاستخراج العسل من قرص الشمع[١]، والشورى اسم من المشاورة، تقول: شاوره في الأمر مشاوره، طلب رأيه فيه وشار الشيء: عرضه ليبدي ما فيه من محاسن، وأشار عليه بكذا نصحه ان يفعله مبيناً ما فيه من صواب[٢].

والشورى اصطلاحاً: استطلاع آراء الآخرين في أمر ما بهدف الوصول إلى الصواب فيه. وتعني عدم الانفراد بالتصرف قبل معرفة الصواب باستخراج رأي الغير وإجالة النظر فيه. وتوحي بعدم الاستبداد الفردي، وبعدم الارتجال في كل عمل يهدف إليه الفرد أو الجماعة[٣]. وهي تستلزم حصول المناقشة في الأمر والحوار فيه وتبادل وجهات النظر له، والعناية به قبل الإقدام عليه، حتى تظهر المصلحة من خلال الحوار[٤].

الشورى في القران والسنة

جاء في القران الكريم ذكر الشورى بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[٥] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ أي: لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها[٦]. ولقد وضعت صورة المؤمنين الذين يستجيبون لربهم ويمدحهم ويثني عليهم، اذ كانوا يستعينون على مواجهة الأمور بالتشاور فيما بينهم فهم لا يستبدون بالأمور بل

يجعلونها شورى بينهم فيكون ذلك مدحاً للمشاورة قال ابن العربي: وهذه سيرة أولية وسنة نبوية وخصلة عند جميع الأمم مرضيه[٧].

وجاء في أية أخرى قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[٨] وقوله تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾فقد روى الإمام احمد: حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «**لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما**» وروى ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزم؟ فقال «**مشاورة أهل الرأي واتباعهم**»[٩].

أما في السنة النبوية الشريفة فقد قال رسول الله ﷺ «**رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس، وما استغنى مستبد برأيه، وما هلك احد عن مشورة، وإذا أراد الله بعبد هلكة أول ما يهلكه رأيه**»[١٠].

وقال ﷺ «**ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد**»[١١] وقوله ﷺ «**المستشير معان والمستشار مؤتمن**»[١٢] وجاء قوله ﷺ في هذا الصدد «**إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه**»[١٣].

الشورى في معركة بدر

كانت الأمور تسير بين المسلمين وقريش إلى سيطرة احدهما على المنطقة ونهاية الثاني، فكان ما بينهم صراع قائم على كافة الجبهات فكلاً منهما يتحين الفرصة ليثخن لجروح الآخر، وعندما بلغ المسلمين أن قافلة لقريش خرجت من مكة المكرمة باتجاه الشام وهذه القافلة كانت تحمل أموالاً كبيره لقريش. وبهذا فقد استنفر رسول الله ﷺ المسلمين لمهاجمة القافلة بعد أن استخبر عنها بشكل تفصيلي. وخرج رسول الله ﷺ مع أصحابه فلما وصل بدر بلغه ﷺ اتجاه القافلة واتاه الخبر بمسير قريش فاستشار الناس[١٤]، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن، ثم قال: يا رسول الله! إنها والله قريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت والله لا تُسلم عزها أبداً، ولتقاتلنك، فتأهب لذلك أهبته، واعد لذلك عدته. [١٥] ثم بعد ذلك قام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله! امض

لأمر الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ۝٢٤﴾[١٦] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا. فقال له رسول الله خيراً ودعا له بخير[١٧]. وفي رواية أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهال قال: سمعت ابن مسعود يقول: شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لان أكون صاحبه أحب إلى ما عدل به إلى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين[١٨].

لم يكتف رسول الله ﷺ بما تحدث به أبو بكر وعمر والمقداد وهؤلاء جميعهم من المهاجرين، فقال ﷺ فقال: **أشيروا علي أيها الناس**، وإنما يريد الأنصار، وكان يظنهم لا ينصرونه إلا في الدار، لأنهم شرطوا له أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم[١٩]. وقد أدرك الصحابي سعد بن معاذ، وهو حامل لواء الأنصار: مقصد النبي ﷺ من ذلك فنهض قائلاً: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال ﷺ «**أجل**» فقال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك. فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت ما بالبحر فخضته، لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا نصير في الحرب، صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله[٢٠]. فسر النبي ﷺ لما جاء في حديث سعد بن معاذ، وهو عليه السلام ما كان يريده من أصحابه مهاجرين وأنصار فقال ﷺ «**سيروا وابشروا فان الله تعالى وعدني احد الطائفتين والله لكأني انظر إلى مصارع القوم**»[٢١] ولم يبدأ النزال بعد واحتل المسلمين موقعاً لهم في أرض المعركة غير أن احد الصحابة من له علم بطبيعة الحروب قد أشار على النبي ﷺ بموقع جديد يؤمن سيطرة المسلمين على ارض المعركة ففي رواية قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمه أنهم ذكروا ان الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره، أم هو الحرب والمكيدة؟ قال: **بل هو الرأي والحرب والمكيدة** فقال: يا رسول الله، فان هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم – قريش– فننزله وتغور– أي: نحزب – ما وراء القلب، ثم نبي عليه حوضاً، فنملأه ماء ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله

ﷺ: **لقد أشرت بالرأي** فنهض رسول الله ﷺ بالجيش، حتى أتى اقرب ماء من العدو. فنزل عليه شطر الليل ثم صنعوا الحياض، وغوروا ما عداها من القلب(٢٢).

تلك إذن هي القيادة الحكيمة للنبي ﷺ وسماعه للمشورة من جنده والأخذ بما هو جيدٌ ومفيد. وبعد انتهاء المعركة وانتصار المسلمين فيها كان من حصيلة هذا الانتصار سبعون أسيراً(٢٣). ولم يكن هنالك قد نزل نص قرآني بكيفية التعامل بمثل هذه الحالة لان بدر هي المعركة الكبيرة التي خاضها المسلمون ضد المشركين. وأراد رسول الله ﷺ أن يستشير قادة المسلمين بذلك، فاستشار أبي بكر وعمر ﭭ: فقال لهما «**ما ترون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام(٢٤). وهذا ما كان يحصل عند العرب حتى: أن رسول الله ﷺ قد قبل فدية قريش للأسيرين اللذين أُسرا في سرية عبد الله بن جحش(٢٥). أما عمر بن الخطاب ﷺ فقد قال: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنِّي من فلان (نسيباً لعمر) فاضرب عنقه، فان هؤلاء أئمة الكفر صناديدها(٢٦). وفي رواية قال الأعمش عن عمرو بن مره عن أبي عبيده عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ «**ما تقولون في هؤلاء الأسارى؟**» فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستتبهم لعل الله يتوب عليهم. وقال عمر: يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم: وقال عبد الله بن رواحه: يا رسول الله أنت في واد كثير الحطب فاضرم الوادي عليهم ناراً ثم القهم فيه. فسكت رسول الله ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً ثم قام فدخل... وقال: «**انتم عالة فلا ينفلتن احد منهم الا بغداء أو ضربه عنق**» قال ابن مسعود– قلت يا رسول الله إلا سهيل بن بيضاء فأنه يذكر الإسلام. فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع على حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ «**إلا سهيل بن بيضاء...**»(٢٧) فأمر رسول الله ﷺ في رجلين من الأسارى فضربت أعناقهما وهما عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية والنضر بن الحارث بن كلده بن عبد مناف بن عبد الدار. واخذ الفداء من ثمانية وستين رجلاً(٢٨).

معركة أُحد

كانت وقعة احد في شوال بعد بدر بسنة: اجتمعت قريش واستعدت لطلب ثأرها يوم بدر[٢٩]. ونزلت قريش منزلها بأُحد يوم الأربعاء فأقاموا بها ذلك اليوم، ويوم الخميس ويوم الجمعة. [٣٠] وقبل ذلك تجمعت لدى رسول الله ﷺ المعلومات الاستخبارية عند تحركات قريش، وبدأ يريد رأي المسلمين في الموقف «وكان رأي رسول الله ألا يخرج من المدينة»[٣١] وقال «**أنا في جنة حصينة**»[٣٢] وكان يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ممن أكرمهم الله بالشهادة يوم احد، وغيرهم ممن كان فاتته بدر وحضروه: يا رسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم أو ضعفنا، قال عبد الله بن أُبي ابن سلول: يا رسول الله أقم بالمدينة فان أقاموا أقاموا بشر مجلس، وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤوا، وان دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم الصبيان والنساء بالحجارة من فوقهم، فلم يزل الناس يا رسول الله ﷺ الذين من أمرهم حب لقاء الله، حتى دخل رسول الله ﷺ بيته فلبس لامته[٣٣]. فتلاوم القوم فقالوا: عرض نبي الله ﷺ بأمر وعرضتم بغيره، فقالوا: أمرنا لأمرك تبع. فقال رسول الله ﷺ «**انه ليس لنبي اذا لبس لامته ان يضعها حتى يقاتل**»[٣٤].

وفي هذه المشورة والمحاورة خير دلالة على ما في الإسلام من تقدير للشورى فنجد رسول الله ﷺ خرج من المدينة بناءاً على رأي الأكثرية بالرغم من رغبته في البقاء داخل المدينة وبذلك عمق مفهوم الشورى في الإسلام.

حروب الردة

كانت بيعة أبي بكر لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنه ١١[٣٥]. وقال ابن كثير «البيعة العامة كانت في بقية يوم الاثنين وصبيحة يوم الثلاثاء»[٣٦]. وقد تنبأ جماعة من العرب، وارتد جماعة ، ووضعوا التيجان على رؤوسهم، وامتنع قوم من دفع الزكاة إلى أبي بكر[٣٧]. وقد كان الأمر ثقيلاً على أبي بكر ﷺ، حيث كان المرتد يعني انه أنكر شيئاً من الدين وقد عرف ابن حزم المرتد بأنه: كل من صح عنه انه كان مسلماً متبرئاً من كل دين حاشا دين الإسلام، ثم ثبت عنه انه ارتد عن الإسلام وخرج إلى دين كتابي أو غير كتابي أو إلى غير دين[٣٨].

وكان ممن تنبأ طليحة بن خويلد الأسدي بنواحيه، وكان أنصاره غطفان ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاري، والأسود العنسي باليمن، ومسيلمة بن حبيب الحنقي باليمامة، وسجاح بنت الحارث التميمية، ثم تزوجت بمسيلمة، وكان الأشعث بن قيس مؤذنها. فخرج أبو بكر في جيشه إلى ذي القصة* ودعا عمرو بن العاص واستشاره في قيادة الجيش(٣٩). إلا أننا سنذكر ما قام به قبل ذلك حيث لما كانت الردة قام أبو بكر ﵁ خطيباً في الناس. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي هدى فكفى وأعطى فأغنى، إن الله بعث محمداً ﷺ والعلم شريد، والإسلام غريب طريد، قد رث حبله، وخلق ثوبه، وضل أهله منه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يعرف عنهم شراً لشر عندهم، وقد غيروا كتابهم والحقوا فيه ما ليس منه، والعرب الآمنون يحسبون أنهم في منعة من الله، لا يعبدونه، ولا يدعونه، فأجهدهم عبثاً، وأظلهم ديناً في ظلف الأرض مع ما فيه من سحاب، فختمهم الله بحمده وجعلهم الأمة الوسطى، ونصرهم بمن اتبعهم، ونصرهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركبه الذي انزله عليهم، واخذ ما يريهم، وبغى هلكتهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾(٤٠). إن من حولكم من الأعراب قد منعوا شاتهم، وبعيرهم، ولم يكونوا في دينهم- وان رجعوا إليه- ازهد منهم يومهم هذا، ولم تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا، على متقدم من بركة نبيكم وقد وكلكم إلى المولى الكافي الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه. ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(٤١).

والله لا ادع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل شهيداً من أهل الجنة، ويبقى منها خليفته وذريته في أرضه قضاء الله الحق وقوله الذي لا خلف له(٤٢). ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾(٤٣). وعندما حدثت الردة كان أبو بكر ﵁ قد شاور المسلمين بذلك وسمع آرائهم فيما يمكن فعله لتدابر الأمر قبل ان يستفحل وقد أشار عليه عمر بن الخطاب ﵁ بان يترك مانعي الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان

في قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق ﷺ من ذلك وأباه(٤٤). وقد نقل لنا البخاري رواية قال حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن أبي شهاب اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عقبه أن أبا هريرة قال: توفى النبي ﷺ واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله ﷺ «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله فمن قال: لا اله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**».

قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر فعرفت انه الحق(٤٥). وعندما تحرك جيش المسلمين خرج أبو بكر الصديق ﷺ على رأس الجيش إلى ذي القصة فخرج إليه علي بن أبي طالب ﷺ ليبدي رأيه في قيادة الجيش حيث روي عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: خرج أبي شاهراً سيفه راكباً راحلتهُ إلى وادي ذي القصة. فجاء علي بن أبي طالب ﷺ فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال رسول الله يوم احد: **لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك**، فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً. فرجع(٤٦). وكان رأي الإمام علي ﷺ هو رأي جميع الصحابة. وقسم الجيش الإسلامي إلى احد عشر لواء وجعل خالد بن الوليد القائد العام لهذه الجيوش فلم ترتح الأنصار لذلك لأن قادة الألوية من المهاجرين فاخذ الصديق ﷺ برأيهم وجعل قرية (ذي القصة) مركز انطلاق الجيوش الإسلامية وبذلك يظهر مدى عبقرية القيادة وخبرتها الجغرافية الدقيقة(٤٧).

معركة اليرموك

بعد ان استقر الأمر في الجزيرة العربية، وتقدم جيش المسلمين في مناطق من العراق أراد أبو بكر الصديق أن يبدأ بتحرير بلاد الشام من الروم فدعا عمر وعثمان وعلياً وطلحه والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وأبا عبيده بن الجراح، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم، فدخلوا عليه، فقال: ان الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه، ولا تبلغ الأعمال جزاءها، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم من جمع كلمتكم، وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام، نفى عنكم الشيطان، فليس يطمع ان تشركوا

بالله، ولا ان تتخذوا الهاً غيره، فالعرب أمة واحده، بنو أب وأم، وقد أردت ان استنفركم إلى الروم بالشام. فمن هلك هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار. ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين، مستوجباً على الله عز وجل ثواب المهاجرين. هذا رأيي الذي رأيت فليشر على كل امرئ بمبلغ رأيه(٤٨). هذه المقدمة الرائعة والكلمة الموجزة للخليفة أبي بكر الصديق ﵁ في مجلس الشورى الموسع الذي عقده وختمها بانه ابدى رأيه ومتروك الأمر لكل واحداً من الحاضرين ان يعطي رأيه. ولا يعني هذا انه قدم لكي لا احد يعترض عليه ولكنه أوجز للحاضرين الموقف عندما ناشدهم بقوله ان العرب ابناء أب وأم اي ان عرب الشام هم إخوانكم ومحتلين من أجنبي غير مسلم. عند ذاك بدأ الآخرون يدلون برأيهم فبدأهم عمر بن الخطاب ﵁ فقام فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي محمد ﷺ ثم قال: «الحمد لله، الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، قد والله أردت لقاءك لهذا الرأي الذي ذكرت، فما قضى الله ان يكون ذلك حتى ذكرته الآن، فقد أصبت أصاب الله بك سبل الرشاد، سرّب اليهم الخيل في اثر الخيل، وابعث الرجال والجنود تتلوها الجنود، فان الله عز وجل ناصر دينه، ومعز الإسلام وأهله ومنجز ما وعد رسوله»(٤٩). وبعد ان أكمل عمر بن الخطاب ﵁ رأيه المساند لما قاله الخليفة، لم تكتمل الصورة بعد ولابد من ان يقول الآخرين من الحاضرين أو بعضهم رأيهم في مثل هذا الأمر الخطير. قام عبد الرحمن بن عوف، فقال: يا خليفة رسول الله، انها الروم وبنو الأصفر حدّ حديد، وركن شديد، والله ما أرى ان تقحم الخيل اقحاماً، ولكن تبعث الخيل، فتعبر في ادنى أرضهم، ثم تبعثها فتغير، ثم نرجع إليك، فإذا فعلوا ذلك مراراً أضروا بعدهم، وغنموا من أرضهم، فقووا بذلك على قتالهم، ثم تبعث إلى أقاصي أهل اليمن والى ربيعه ومضر فتجمعهم إليك، فان شئت عند ذلك غزوتهم بنفسك، وان شئت بعثت على غزوهم غيرك، ثم جلس وسكت الناس(٥٠). اذن كان عبد الرحمن بن عوف قد وافق رأي الخليفة وعمر (رضي الله عنهما) ولكنه ذهب إلى أكثر من ذلك حيث تحدث عن الخطط المطلوب تنفيذها لأجل غزو الروم وتحرير بلاد الشام. وكان الخليفة أبو بكر الصديق ﵁ يريد آراء اخر ولا يكتفي برأيين فقط فقال للحاضرين: ماذا ترون رحمكم الله؟ فقام عثمان بن عفان ﵁ فحمد الله واثنى علبه بما هو أهله، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال: رأيي انك ناصح لأهل هذا الدين، عليهم شفيق فاذا رأيت رأياً علمته رشداً وصلاحاً وخيراً، فاعزم على إمضائه

غير ظنين ولا متهم. فقال طلحه والزبير وسعد وأبو عبيده بن الجراح وسعيد بن زيد وجميع من حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار: صدق عثمان فيما قال، ما رأيت من رأي فامضه، فانا سامعون لك مطيعون، لا نخالف أمرك، ولا نتهم رأيك عن دعوتك، فذكروا هذا وشبهه. (٥١) وعندما تحدث الصحابة ﷺ كان الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ساكتاً كشأنه في مثل هذه الأمور فهو لا يبتدئ الكلام ويكون كلامه حازماً دقيقاً معتمداً على مسنداً لرأيه فهو الذي لم يوافق أبو بكر ﷺ بان يقود جيش المسلمين ضد أهل الردة(٥٢). وهو الذي اخذ برأيه بعد ذلك عمر بن الخطاب ﷺ في قيادة جيش المسلمين في معركة نهاوند(٥٣). وغير ذلك. وهنا انتبه الخليفة أبو بكر ﷺ فان علي بن أبي طالب ﷺ في القوم لا يتكلم فقال أبو بكر ما ترى يا أبا الحسن؟ فقال انك مبارك الأمر، ميمون النقيبة، وانك ان سرت إليهم بنفسك، أو بعثت إليهم نصرت ان شاء الله(٥٤). وجاء عن اليعقوبي، فاستشار علي بن أبي طالب، فأشار ان يفعل، فقال: ان فعلت ظفرت(٥٥). فقال أبو بكر: بشرك الله بخير، فمن اين علمت هذا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون**»(٥٦). هنا اكتملت المشورة وأصبح القرار واضحاً فاتخذه الخليفة وأنفذ الجيش العربي الإسلامي لتحرير الشام.

معركة القادسية

في السنة الرابعة عشر للهجرة تجمعت لدى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ المعلومات بان الفرس يعدون العدة ويتجمعون للقضاء على المسلمين في العراق بعد المعارك التي حدثت بين الطرفين. وبذلك كان من اعمال الخليفة ﷺ ان يحث الناس ويحرضهم على الجهاد والدفاع عن المسلمين وتحرير ارض العراق العربية وقد قاد ﷺ اول يوم من المحرم في هذه السنة الجيش العربي الإسلامي من المدينة، فنزل على ماء يقال له صرار * وكان معه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحه بن عبيد الله ﷺ غير ان الخليفة عمر بن الخطاب لما سار بالجيش إلى صرار لم يعرف الناس ماذا يريد به فتثبت الناس لمعرفة نوايا الخليفة وكانوا يحترمون أمير المؤمنين فيترددون بالاستفسار مباشره منه فكانوا يرمونه بعثمان بن عفان أو بعبد الرحمن بن عوف ثم بالعباس عم النبي ﷺ(٥٧) وقد طلب الخليفة اجتماع وجوه الصحابة ودعا علي بن أبي طالب ﷺ الذي استخلفه على

المدينة. للاستشارة، فكان رأي عبد الرحمن بن عوف أن يقيم ويرسل قائداً غيره على الجيش وأشار أن يكون هذا القائد سعد بن أبي وقاص[٥٨]. غير أن هنالك رواية أخرى تقول "كتب المسلمون إلى عمر بن الخطاب ﷺ يعلمونه كثرة من تجمع لهم من أهل فارس ويسألونه المدد، فاراد ان يغزو بنفسه وعسكر لذلك، فأشار عليه العباس بن عبد المطلب، وجماعه من مشايخ اصحاب رسول الله ﷺ بالمقام وتوجيه الجيوش الزائدة ففعل ذلك، وأشار عليه علي بن أبي طالب بالمسير، فقال له: «اني قد عزمت على المقام وعرض علي ﷺ الشخوص فأباه فاراد عمر توجيه سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل العدوي. ثم بدا له فوجه سعد بن أبي وقاص»[٥٩]. غير ان ابن أبي حديد يقول: ورأى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ برأيه الثاقب الا يخرج الخليفة عمر ﷺ بنفسه وقال: «انك ان تخرج لا يكون للعجم همه الا استئصالك لعلمهم انك قطب رحى العرب فلا يكون للإسلام بعدها دولة» وأشار عليه غيره من الناس أن يخرج بنفسه فاخذ برأي الإمام علي ﷺ[٦٠]. والباحث مع الرواية الأخيرة ويمكن أن يكون رأي عبد الرحمن بن عوف قد قيل في البداية قبل ان يعقد اجتماع الصحابة بحضور علي، وان الخليفة كان يهتم برأي علي ففي معركة القادسية فقد كتب سعد بن أبي وقاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول: «ان الناس سألوه ان يقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم»[٦١] فقام عمر باستشارة بعض الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب ﷺ فأجابه «دعهم يكونوا مادة للمسلمين»[٦٢]. وعندما اراد الخليفة عمر ﷺ بعد القادسية ان يحدد له راتب كخليفة من بيت المال. استشار الصحابة واخذ برأي علي ﷺ[٦٣]. وكذلك سنرى في معركة نهاوند.

معركة نهاوند

بعد ان تم تحرير العراق بمعركة القادسية وما تلاها رأى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ان تتوقف الجيوش الاسلامية عن التقدم والانسياح مكتفياً بما حققه وهو تحرير الأرض العربية في العراق من براثن الاحتلال الفارسي. فقال ﷺ «وددت ان بين السواد وبين الجبل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم»[٦٤] وبذلك توقفت حركة الفتح الإسلامي الا ان الفرس لم يتعضوا من هزائمهم المتكررة فراحوا إلى تجميع فلول قواتهم المبعثرة، وراح ملكهم يزحجر يحرص مرازبته (حكام الأقاليم) وأناطوا القيادة بـ(الفيرزان) احد مشاهير قادتهم[٦٥]. وعند هذه الحالة كان هنالك رأي للمقاتلة العرب وقادتهم في العراق ازاء ما يحصل امامهم

ولابد من أخبار الخليفة وإبداء الرأي، فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر ﷺ يقول «ان أهل الكوفة يستأذنوك في الانسياح، وكان عمر منعهم من ذلك، فلما بلغه تجمع الفرس شخص اليه بالخبر، بعد ان استخلف عبد الله بن عبد الله بن عتبان على الكوفة»(٦٦).

وبينما الحال على ما هو عليه لم يتخذ الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بعد قراراً ازاء تجمع الفرس كتب عمار بن ياسر إلى الخليفة يعلمه بتجمع الفرس بأرض نهاوند وجاء برسالته «بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر امير المؤمنين من عمار بن ياسر، سلام عليك: اذن الموقف عظيم والخطر داهم وقوة العدو تحتاج إلى موقف حاسم وقوه كبيرة» وفي المسجد النبوي الشريف حيث تجمع المسلمون بدأ تدارس الموقف وبدأ الصحابة يقولون ارائهم حول الموقف وما يلزم ان يتخذ فقام عثمان بن عفان ﷺ فقال: «أرى يا امير المؤمنين ان نكتب إلى أهل الشام فيسيروا من شامهم والى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم، ثم تسير أنت بأهل الحرمين إلى الكوفة والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين، فانك ان سرت قلّ عندك ما تكاثر من عدد القوم وكنت اعز عزاً وأكثر يا أمير المؤمنين، انك لا تستبقي بعد نفسك من العرب باقية، ولا تمتع من الدنيا بعزيز، ولا تلوذ منها بحريز. ان هذا يوم له ما بعده من الأيام، فأشهده برأيك واعوانك ولا تغب عنه، وجلس»(٦٧) كان رأي عثمان ان تجمع كل قوى الأمة بقيادة اميرها وتتقدم لهذا الخطر الداهم. غير ان الخليفة عمر ﷺ مازال يريد ان يسمع مشورة الآخرين من الصحابة فقام إليه علي بن أبي طالب ﷺ فقال: «أما بعد يا أمير المؤمنين فانك ان شخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وان شخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وانك ان شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا ثلاث فرق؛ فرقه في حرمهم وذراريهم وفرقه في أهل عهدهم حتى لا ينقضوا، ولتسر فرقه إلى إخوانهم بالكوفة مدداً لهم، ان الأعاجم ان ينظروا إليك غداً قالوا: هذا أمير المؤمنين أمير العرب واصلها، فكان ذلك اشد لكليهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر»(٦٨) كان رأي علي ﷺ واضحاً مفصلاً وكان قبل ذلك تحدث طلحه بن عبيد ان أمرنا الله ان نمتثل بأمرك(٦٩). عند ذلك اطمأن عمر بن الخطاب ﷺ لمشورة كبار

الصحابة ﷺ وقد مال لرأي علي بن أبي طالب ﷺ فقال بعد ان انتهى علي من ابداء رأيه «هو الرأي الذي كنت رأيته، ولكنني أحببت ان تتابعوني عليه». فكتب بذلك إلى الأمصار[٧٠]. وتابع مشورة المسلمين ليس بالقرار الذي يمكن أن يعتمده في حرب الفرس فحسب بل بمن سيكون قائداً للمسلمين في هذه المعركة الكبرى والمصيرية في مستقبل الإسلام. فقال ﷺ «أشيروا علي برجل أوليه ذلك الثغر، وليكن عراقياً فقالوا: أنت اعلم بجندك وقد وفدوا عليك فقال: والله لا وليس أمرهم رجلاً ليكونن أول الأسنة اذ لقيها غداً فقيل من هو؟ قال: النعمان بن حفرن المزني، فقالوا هو لها»[٧١] وعندما تقررت الوجهة وحدد قائد المعركة كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كعادته وأسلوب قيادته الإسلامية يسمع لكل رأي ومشورة وهو صاحب القرار النهائي. فينقل لنا البلاذري بهذا الصدد رواية عن شيبان. قال: «حدثنا حماد بن سلمه عن أبي عمران الجواني عن علقمة بن عبد الله عن معقل بن يسار ان عمر بن الخطاب شاور الهرمزان فسأل ما ترى ان نبدأ بأصبهان أو بأذربيجان فقال الهرمزان: أصبهان الرأس وأذربيجان الجناحان. فإذا قطعت الرأس سقط الجناحان والرأس»[٧٢]. الا ان مجريات الأحداث تؤكد ان هذه المشورة كانت بعد نهاوند وليس قبلها.

أما بعد، فان ذا السطوات والنقمات المنتقم من أعدائه المنعم على أوليائه هو الناصر لا أهل طاعته على أهل الإنكار والجحود من أهل عداوته، ومما حدث يا أمير المؤمنين ان أهل الري وسمنان وساوه وهمذان ونهاوند وأصفهان وقم وقاشان وراوند واسفندهان وفارس وكرمان وضواحي أذربيجان قد اجتمعوا بأرض نهاوند في خمسين ومائه الف من فارس وراجل من الكفار، وكانوا أمروا عليهم أربعة من ملوك الأعاجم منهم ذو الحاجب خرزاد بن هرمز وسنفاد بن حشروا وجهانيل بن فيروز وشروميان بن اسفنديار، وإنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا وتكاتبوا وتواصوا وتآثقوا على انهم يخرجوننا من ارضنا ويأتونكم من بعدنا، وهم جمع عتيد وبأس شديد ودواب فره وسلاح شاك ويد الله فوق ايديهم فاني اخبرك يا امير المؤمنين انهم قد قتلوا كل ما كان منا في مدنهم، وقد تقاربوا مما كنا فتحناه من أرضهم، وقد عزموا ان يقصدوا المدائن ويسيروا منها إلى الكوفة، وقد والله هالنا ذلك وما اتانا من امرهم وخبرهم، وكتبت هذا الكتاب إلى امير المؤمنين ليكون هو الذي يرشدنا وعلى الأمور يدلنا والله الموفق لصانع بحوله وقوته، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فرأي امير المؤمنين أسعده الله فيما كتبته والسلام»[٧٣].

غير ان البلاذري يقول في فتح نهاوند «وكانت عدة المشركين يومئذ ستين الفاً ويقال مائه الفاً، وقد كان عمار بن ياسر كتب عمر بن الخطاب بخبرهم منهم ان يغزوهم بنفسه»[٧٤] وبعد هذا وما وصل للخليفة من أهل العراق وما وصله من كتاب وسمع من سعد بن أبي وقاص فقد اخذ عمر بن الخطاب ﷺ كتاب عمار بن ياسر ومشى به إلى منبر رسول الله ﷺ وهو باك ينادي «أين المسلمون أين المهاجرون والأنصار من ههنا من المصلين» فلم يزل ينادي حتى امتلأ عليه المسجد رجالاً، ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: «اما بعد ايها الناس، فان الشيطان قد جمع لكم جموعاً كثيره واقبل عليكم الا وان أهل الري واصبهان واهل همذان واهل نهاوند امم مختلفة الوانها واديانها، الا وانهم تعاقدوا وتعاهدوا على ان يسيروا اليكم فيقتلوكم الا؛ وان هذا يوم له ما بعده من الايام الا؛ فاشيروا علي برأيكم»[٧٥].

الشورى في حملة عبد الله بن سعد: غزوة سبيطله

كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قد امر والى مصر عمرو بن العاص بان لا يغزو افريقية وفي رواية للبلاذري «حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي ابن طلحه قال: سار عمرو بن العاص حتى نزل طرابلس في سنة اثنتين وعشرين فقوتل، ثم افتتحها عنوه وأصاب بها أحمال بزيتون كثيرة مع تجار من تجارها فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين وكتب إلى عمر بن الخطاب انا قد بلغنا طرابلس وبينها وبين افريقية تسعة ايام، فان رأى امير المؤمنين ان يأذن لنا في غزوها فعل، فكتب اليه ينهاه عنها ويقول: ما هي افريقية ولكنها مفرقه غادره مغرور بها. وذلك ان اهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم فكانوا يغدرون به كثيراً، وكان ملك الاندلس صالحهم ثم عذر بهم وكان خبرهم قد بلغ عمر»[٧٦]. وعندما توفى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ولى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح وقد كتب عبد الله بن سعد إلى الخليفة «يخبره بما نال المسلمون من عدوهم»[٧٧] بعد ان كان يبعث المسلمين من جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في ايام عمرو، فيصيبون من أطراف افريقية ويغنمون»[٧٨] وهنا كان يدرس الموقف من قبل الخليفة عثمان ﷺ وكان بين ان يبقى على وصية سلفه عمر بن الخطاب ﷺ إلى عمر بن العاص وبين ان يلبي طلب واليه الجديد ويدعمه بقوه من عنده لأجل ان ينساح في الفتوحات

وكلا الأمرين يحتاج إلى قرار واضح وصريح فما كان من الخليفة عثمان بن عفان ﷺ الا ان يرد إلى الصحابة مستشيراً[٧٩]، اياهم اي الموقفين يتخذ، وكان قد التقى الصحابي المسور بن محرمه الذي نقل لنا عن طريق الزهري الرواية التالية «قال المسور: خرجت من منزلي بليل طويل أريد المسجد، فاذا عثمان ﷺ في مصلى النبي ﷺ يصلي، فصليت خلفه، ثم جلس فدعا ليلاً طويلاً، حتى أذن المؤذنون، ثم قام منصرفاً إلى بيته، فقمت في وجهه، فسلمت عليه، فقال: يا ابن محرمه، واتكأ على يدي، اني استخرت الله في ليلتي هذه في بعث الجيوش إلى افريقية، وقد كتب إلى عبد الله بن سعد، يخبر بخبره مع المشركين، وغلبهم وقرب حوزهم من المسلمين. فقلت: خار الله لأمير المسلمين، قال: فما رأيك يا أبا محرمه؟ قلت: اغزوهم. قال: اجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، واستشيرهم، فما اجمعوا عليه فعلته، أو ما اجمع عليه أكثرهم فعلته، ولتكن انت رسولي إليهم واحضر معهم»[٨٠].

من هنا نرى ان الخليفة عزم على الاستشارة واخذ برأي الإجماع أو الأكثرية وهذا هو ما ينبغي في الشورى. وقد اجتمع عثمان بن عفان ﷺ بوجوه الصحابة واستشارهم في امر الفتح فاجمعوا على موافقته، باستثناء أبو الأعور سعيد بن زيد الذي تمسك برأي عمر بن الخطاب في الا يغزوها احد من المسلمين[٨١]. ثم انه عزم على غزوها بعد ان استشار فيه وكتب إلى عبد الله في سنة سبع وعشرين ويقال: في سنة ثمان وعشرين. ويقال في سنة تسع وعشرين يأمره بغزوها واحده بجيش عظيم[٨٢].

هوامش البحث

[١] ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب. تحقيق عبد الله علي الكبير واخرون، مطبعة دار المعارف، مجلد٢، ص٣٢٩.

[٢] ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم، النهاية في غريب الحديث والاثر. تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر الزاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٣، ج١ ص٥٥٨.

[٣] الدكتور محمود بابللي: الشورى في الاسلام، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت، ط١، ص٢١.

[٤] عز الدين التميمي: الشورى بين الاصالة والمعاصرة، دار البشير للنشر والتوزيع. عمان، الاردن، ط١، ١٩٨٥ ص١٥.

[٥] سورة الشورى الآية ٣٨.

[٦] عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي: تفسير القران العظيم. طبعة جديدة منقحة متضمنة تحقيقات العلامة محمد ناصر الدين الالباني خرج احاديثه محمود بن الجميل ووليد بن محمد بن سلامه وخالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ج٧ ص١٤٠.

[٧] أبو عبد الله محمد بن الازرق الاندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك، ج١ ص٢٩٤.

[٨] سورة التوبة الآية ١٥٩.

[٩] ابن كثير: تفسير القران العظيم ج٢ ص٨٩-٩٠.

[١٠] البيهقي: احمد بن الحسين، السنة الكبرى، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن ١٣٤٤- ١٣٥٥هـ ج١٠ ص١٠٩، الاصبهاني: أبي نعيم احمد بن عبد الله حلية الاولياء وطبقات الافياء، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٧٤م ج٣ ص٢٠٣.

[١١] القرطبي: محمد بن احمد، الجامع لأحكام القران، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٦٧ ج٤ ص٢٥١.

[١٢] الترمذي: الإمام أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق احمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ج١٠ ص٢٦١، ابن كثير، تفسير ج٢ ص٩٠.

[١٣] ابن كثير: تفسير ج٢ ص٩٠.

(14) البخاري: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، صحيح البخاري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم العلامة احمد محمد شاكر، دار ابن إبراهيم، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ كتاب المغازي ص٤٦٥-٤٦٦.

(15) المقريزي: تقي الدين بن العباس احمد بن علي، امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع، صححه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة، ١٩٤١م، ج١ ص٧٥.

(16) سورة المائدة الاية ٢٤.

(17) المقريزي: امتاع الاسماع ج١ ص٧٥.

(18) البخاري: صحيح البخاري ص٤٦٥-٤٦٦.

(19) المقريزي: امتاع الاسماع ج١ ص٢٧٥.

(20) ابن هشام: أبو محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق وضبط مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد الحفيض شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م ص٤٢٠-٤٢١.

(21) ابن كثير: أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، بعناية وتوثيق عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضويه، دار المعرفة، لبنان ج٣ ص٢٦٢.

(22) ابن هشام: السيرة، ص٤٢٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٢ ص٤٤٠.

(23) اليعقوبي: احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، علق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، دار الاعتصام. ط١، ١٤٢٥هـ.

(24) أبي عبيد: القاسم بن سلام، كتاب الاموال، صححه وعلق حواشيه محمد حامد الفقي ص١١٥.

(25) ابن الاثير: الكامل ج٢ ص٨٠.

(26) أبي عبيد: الأموال ص١١٥.

(27) أبي عبيد: الأموال ص١١٥. ابن كثير: تفسير القران العظيم ج٤ ص٥٢.

(28) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣٠.

(29) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣١.

(30) محمد بن اسحاق المطلبي: الشهير بابن اسحاق، كتاب السيرة والمغازي، تحقيق د.سهيل زكار، دار الفكر، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص٣٢٤.

(٣١) اليعقوبي: تاريخ ج٢ ص٣١، ابن هشام: السيرة ص٥٢٣.

(٣٢) الطبري: تاريخ الرسل ج٢ ص٥٠٢.

(٣٣) ابن اسحاق: كتاب السيرة والمغازي ص٣٢٤، ابن هشام: السيرة ص٥٢٣.

(٣٤) ابن اسحاق: المغازي ص٣٢٤. ابن هشام: السيرة ص٣٢٥، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣١، الطبري.

(٣٥) اليعقوبي: ج٢ ص٨٦.

(٣٦) ابن كثير: البداية والنهاية ج٦ ص٣٠٥.

(٣٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٦ ص٨٧.

(٣٨) علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي: المحلى، تحقيق احمد محمد شاكر، مطبعة المكتب التجاري، بيروت، ١٣٤٧هـ ج١١ ص١٨٨.

* ذي القصة: موضع بينه وبين المدينة اربعة وعشرون ميلاً وهو بريد من المدينة تلقاء نجد (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥ ج٤ ص٤٠٦).

(٣٩) اليعقوبي: تاريخ ج٢ ص٨٧.

(٤٠) سورة ال عمران الاية ١٤٤.

(٤١) سورة ال عمران الاية ١٠٣.

(٤٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٦ ص٣١٦.

(٤٣) سورة النور الاية ٥٥.

(٤٤) ابن كثير: البداية والنهاية ج٦ ص٣١٥، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ص٦٠-٦١.

(٤٥) صحيح البخاري ص٨٠٥.

(٤٦) ابن كثير: البداية والنهاية ج٦ ص٣١٩، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٦٢.

(٤٧) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٦٢، ج٤ ص٦٨.

(٤٨) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢ ص٦٣-٦٤.

(٤٩) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢ ص٦٤.

(٥٠) م.ن.

(٥١) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢ ص٦٥.

(٥٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج٦ ص٣١٩، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٦٢.

(٥٣) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج٣ ص٧.

(٥٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج٢ ص٦٥.

(٥٥) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٩٠.

(٥٦) البخاري: صحيح البخاري ص٨٤٩ فقد نقل الروايه عن عبيد الله بن موسى عن اسماعيل عن قيس عن المغيره بن شعبه عن النبي ﷺ.

* صرار: موضع على ثلاثة اميال عن المدينة (ياقوت الحموي: معجم البلدان ج٣ ص٣٩٨).

(٥٧) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٣ ص٤٨١، ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٩٩، مسكويه: أبي علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تجارب الامم وتعاقب الهمم، نحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م ج١ ص٢٠٩.

(٥٨) الطبري: تاريخ ج٣ ص٤٨١، ابن الاثير: الكامل ج٢ ص٢٩٩- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٩٨.

(٥٩) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٥٥.

(٦٠) أبو حامد عز الدين عبد الحميد المدائني: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، مطبعة دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٧ ج٩ ص٩٦.

(٦١) الحنبلي: ابن فرج عبد الرحمن بن رجب، الاستخراج لاحكام الخراج، ط١، بيروت، ١٩٧٩ ص٩.

(٦٢) أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصاري، الخراج، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص٣٦.

(٦٣) ابن عبد ربه: شهاب الدين احمد، العقد الفريد، تقديم خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٦٨ ج٤ ص٩٥.

(٦٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج٣ ص٩٣٥.

(٦٥) م.ن. ج٣ ص٥٣٥.

(٦٦) محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون: ايام العرب في الاسلام، مطبعة إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٠ ص٣٠٩.

(٦٧) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج٣ ص٧.

(٦٨) م.ن. ج٣ ص٨.

(٦٩) الواقدي: أبي عبد الله محمد بن عمر. فتوح الشام، المطبعة العثمانية المصرية (مصر ١٩٣٥) ص٩١.

(٧٠) الدينوري: أبي حنيفة احمد بن دوواد، الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عفر، مراجعة جمال الدين الشبال، مطبعة دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠ ص١٣٥.

(٧١) النويري: شهاب احمد عبد الوهاب، نهاية الادب في معرفة فنون الادب، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٠ ج١٩ ص٢٥٣٥

(٧٢) فتوح البلدان ص٣٠٠.

(٧٣) ابن اعثم: أبو محمد احمد بن اعثم الكوفي، الفتوح، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن (الهند ١٩٦٨) ط١ ج٢ ص٣٣-٣٤.

(٧٤) فتوح البلدان ص٣٠٠.

(٧٥) ابن حبان: محمد بن حبان أبي حاتم التميمي: الثقات، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن (الهند ٩٧٥) ط١ ج٢ ص٢٢٤-٢٢٥.

(٧٦) فتوح البلدان ص٢٢٧.

(٧٧) المالكي: أبو عبد الله بن أبي عبد الله، كتاب رياض النفوس، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١ ج١ ص٨.

(٧٨) ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦١ ص٤٢، البلاذري: فتوح البلدان ص٢٢٨، المالكي: رياض النفوس ج١ ص٨، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ح. س كولان وإليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠ ج١ ص٩.

(٧٩) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٢٨، ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص١٨٧، الطبري: تاريخ ج٤، ابن عذارى: البيان المغرب ج١ ص٩، المالكي: رياض النفوس ص٨-٩، قدامه بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد ١٩٨١ ص٣٤٣.

(٨٠) المالكي: رياض النفوس ص٨-٩.

(٨١) م.ن ص٩.

(٨٢) البلاذري: فتوح البلدان ص٢٢٨.

المصادر والمراجع

القران الكريم

المصادر

١-ابن الأثير: عز الدين أبي الحسين علي بن أبي الكرم:

- الكامل في التاريخ: تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمد محمود محمد الطناحي وطاهر الزاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٣.

٢-ابن اسحق: محمد بن اسحق المطلبي: كتاب السيرة والمغازي، تحقيق سهيل زكار دار الفكر، ١٩٨٧.

٣-الاصبهاني: أبي نعيم احمد بن عبد الله، حليه الأولياء وطبقات الأوفياء، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧٤.

٤-ابن اعثم الكوفي: أبو محمد احمد بن الاعثم: كتاب الفتوح، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر ١٩٨٨.

٥-الأندلسي: أبو عبد الله محمد بن الأزرق: بدائع السلك في طبائع الملك.

٦-البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري: صحيح البخاري، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، تقديم العلامة احمد محمد شاكر، دار ابن الهيثم، القاهرة. ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤.

٧-البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر: فتوح البلدان، تحقيق محمد حامد نقي.

٨-البيهقي: احمد بن الحسن: السنن الكبرى، مطبعة دار المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن ١٣٤٤- ١٣٥٥هـ.

٩-الترمذي: الإمام أبو عيسى الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق احمد محمد شاكر مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠- ابن حاتم: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صححه وعلق عليه الحافظ عزيز بك وجماعه من العلماء، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٧.

١١- ابن حبان: أبي حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي: كتاب الثقات، وضع حواسية إبراهيم شمس الدين وتركي المصطفى. دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨.

١٢- ابن حبيش: الإمام عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش: غزوات ابن حبيش وهو كتاب الغزوات الضامنة والفتوح الحافلة الكائنة في ايام الخلفاء الأول الثلاثة. أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر، وذي النورين عثمان، تحقيق د.سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣- ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني: شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار إحياء الكتب العربي، ط٢، ١٩٦٧.

١٤- ابن حزم: علي بن احمد بن سيعد بن حزم الأندلسي: المحلى، تحقيق احمد محمد شاكر. مطبعة المكتب التجاري، بيروت ١٣٤٧هـ.

١٥- الحنبلي: الإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب: الاستخراج لأحكام الخراج: صححه وعلق عليه الأستاذ السيد عبد الله الصديق، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩.

١٦- الدينوري: أبي حنيفة احمد بن داوود، الأخبار الطوال: تحقيق عبد المنعم عفر، مراجعة جمال الدين الشبال، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠.

١٧- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: تاريخ الخلفاء: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٨- الطبري: جرير بن محمد الطبري، تاريخ الرسل والملوك: تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٦٢.

١٩- ابن عبد ربه: احمد بن محمد، العقد الفريد: تحقيق محمد سيعد العريان، دار الفكر دمشق ١٩٤٠.

٢٠- ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح مصر والمغرب: تحقيق عبد المنعم عامر.

٢١- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب: تحقيق ومرجعة ج. س. كولان و.. إليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٢٢- ابو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الاموال: صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي، مصر.
٢٣- ابن عساكر: أبو القاسم علي بن هبة الله، تهذيب تاريخ دمشق: رتبه الشيخ عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩.
٢٤- قدامه بن جعفر بن وهب الكاتب: الخراج وصناعة الكتابة: شرح وتعليق د.محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد ١٩٨١.
٢٥- القرطبي: محمد بن احمد، الجامع لاحكام القران: دار الكتاب العربي للطباعه والنشر، القاهرة ١٩٦٧.
٢٦- ابن كثير: عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي:
- تفسير القران العظيم، طبعة جديدة منقحة متضمنة تحقيقات العلامة محمد ناصر الدين الالباني، خرج أحاديثه محمود بن الجميل ووليد بن محمد بن سلامة وخالد محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- البداية والنهاية، بعناية وتوثيق عبد الرحمن اللاذقي ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة- لبنان.
٢٧- المالكي: أبو عبد الله بن أبي عبد الله، كتاب رياض النفوس: تحقيق د.حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥١.
٢٨- المقريزي: تقي الدين بن العباس احمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع: صححه وشرحه محمود محمد شاكر. مطبعة لجنة التأليف والترجمه بالقاهرة، ١٩٤١م.
٢٩- مسكويه: أبي علي احمد محمد يعقوب مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم: تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ٢٠٠٣م.
٣٠- ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب: تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، مطبعة دار المعارف.
٣١- النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب، نهاية الأدب في معرفة فنون الأدب: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٧٥.
٣٢- ابن هشام: أبو محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية: تحقيق وضبط مصطفى السقا، ابراهيم الايباري، عبد الحفيظ شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣٣-ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥٥.
٣٤-اليعقوبي: احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: علق عليه ووضع حواشيه، خليل المنصور، دار الاعتصام، ط١، ١٤٢٥هـ.
٣٥-ابو يوسف: يعقوب بن ابراهيم، الخراج: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩.

المراجع

١-عز الدين التميمي: الشورى بين الاصالة والمعاصرة. دار البشير للنشر والتوزيع. عمان- الاردن ١٩٨٥.
٢-محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون: أيام العرب في الإسلام. مطبعة إحياء الكتب العربية. ط١، ١٩٥٠.
٣-محمود بابلكي: الشورى في الإسلام. دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط١.

خصوصيات النبي ﷺ ودلالتها في التشريع

د.عبد الحافظ عبد محمد الكبيسي

رئيس قسم التأريخ/ كلية الآداب

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمّد رسول الله، وعلى آله، وأصحابه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فإنّ من مصادر التشريع الإسلامي الرئيسة: القرآن الكريم، والسُّنة النبوية، وليس للمسلم خيار فيما يأتيه من أمر الله، أو أمر رسوله ﷺ انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]، والرسول الكريم- عليه الصلاة والسلام- هو المخصوص بتبليغ رسالة ربه، ولذا وجب أتباعه فيما صحّ عنه، بل نفى الله الإيمان عمن لا يرضى بحكمه، فقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، ولذا، فنحن بحاجة ماسة للتعرف على جانب مما خصَّ الله به رسوله دون أمته، لأنّ هناك كثيراً من المسلمين لا يُميزون بين خصائص رسول الله ﷺ وبين ما هو مشترك بينه وبين أمته، فيفعلون الخصوصيات النبوية ظناً منهم أنه امتثال لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

لكن من يتصفح القرآن- المعجز- والسُّنة النبوية يرى مسائل واسعة فيهما من الأحكام الشرعية التي ليست مُلزمة للأمة، وليست محلاً للتأسي والإقتداء، وهذا مما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع المهم.

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الموضوع كتب فيه العلماء والباحثون قديماً وحديثاً، فمن موجز، ومن مطنب، ومنهم من تناوله بالتوسط بين هذا وذاك، جزى الله الجميع خيراً، لكن يبق لكل كاتب منهجه في البحث، وكما قال الشاعر:

ما حوى العلم جميعاً أحدٌ　　　لا ولو مارسه ألف سنة

اسأل الله جلّ وعلا أن يُلهمني الرشد، ويجنبني العثار، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما كتبته، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

منهج البحث:

بعد الاستعانة بالله، رأيت أن يكون بحثي هذا محصوراً على (خصوصيات النبي ﷺ ودلالتها في التشريع) مُبتعداً عن الإطناب، إذ ليس من هدف هذا البحث استقصاء كلَّ الخصائص، وإنما التركيز على أنّ في أفعال النبي ﷺ العموم والخصوص، وقد حاولت جاهداً أن يكون بحثي موضوعياً، مستمداً معلوماته من المصادر الأصيلة من قرآن وسنة وإجماع الصحابة ﷺ، فعزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها من السور وذكر أرقامها، وخرّجت كلّ الأحاديث الواردة في البحث، ولم أنس ترجمة الأعلام غير المشهورين، وبينت المعاني اللغوية من معاجم اللغة المعتمدة.

خطة البحث:

قسمت البحث بعد المقدمة، على ثلاثة مباحث لكل مبحث عدة مطالب، ثم خاتمة.

أما المقدمة، فتكلمت فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره. فيما خصصت المبحث الأول عن: السُّنة النبوية، وضمّ هذا المبحث ثلاثة مطالب، المطلب الأول تناولت فيه المعاني اللغوية والاصطلاحية لكلمة السُّنة، ودرست في المطلب الثاني حجيّة السُّنة من الكتاب، والسُّنة نفسها، والإجماع، وهكذا بينت في المطلب الثالث تقسيمات السُّنة من حيث كونها تشريعاً، أو كونها ليست مصدر تشريع.

وأما المبحث الثاني فعرضت فيه (خصوصيات النبي ﷺ ودلالتها في التشريع)، وكان في ثلاثة مطالب، المطلب الأول جعلته للتعريف بالخصائص وأدلة حجيتها، وتحدثت في المطلب الثاني عن عدد الخصوصيات، في حين كان المطلب الثالث لإيضاح الحكمة من الخصوصيات. وتركز المبحث الثالث على: (تصنيف الخصوصيات) واشتمل على ثلاثة مطالب، وخاتمة.

المطلب الأول خصوصيات النبي ﷺ في باب النكاح، وكتبت في المطلب الثاني عن خصوصيات النبي ﷺ في باب الطهارة والعبادات، أما المطلب الثالث فقد عقدته عن خصوصيات النبي عليه الصلاة والسلام، في الأبواب الآتية: الجهاد والفرائض والتبرك بآثاره ﷺ وانتهى البحث بخاتمة أوجزت فيها النتائج التي توصلت إليها.

المبحث الأول
(السُّنة النبوية ومكانتها من التشريع)

المطلب الأول: تعريف السُّنة لغة واصطلاحاً.

السُّنة لغة: مشتقة من سَنَّ، والسين والنون، أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة[١].

والسُّنة: السيرة، وسنة رسول الله ﷺ، سيرته، قال خالد بن زهير الهذلي:

فلا تجزعن من سُنّة أنت سِرْتها فأوّلُ راضٍ سنة من يَسيرُها[٢]

فالسُّنة إذن: السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة، والجمع: سُنَن على وزن غُرف.

وأما السَّنَن: فالوجه من الأرض، ويقال: فلان على سَنَن واحد: أي طريق[٣].

ويُحمل على هذا المعنى قوله ﷺ: «**مَنْ سَنّ فِي الإِسْلاَمِ سُنّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ. مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنّ فِي الإِسْلاَمِ سُنّةً سَيّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»[٤].

السُّنة في الاصطلاح: لها تعاريف كثيرة واكتسبت عدة معان بناءً على الاختلاف «في الأغراض التي يُعنى بها كل فئة من أهل العلم»[٥] ومع «ما بينها من فروق لها ارتباط وثيق بهدي المصطفى ﷺ »[٦].

وإني أريد بالسُّنة ما عناه الأصوليون، لأننا نبحث عن دلالتها في الأحكام الشرعية، وهو ما نقل عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

المطلب الثاني: حجيّة السُّنة:

اتفق من يعتد به من أهل العلم، على أن السُّنة من مصادر التشريع وأنها أصل من أصول الدين تقوم بها الحجة وتستقل بالتحليل والتحريم أحياناً[٧].

ودليل حجيتها من الكتاب، والسُّنة، والإجماع.

أولاً- القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢].

فهذا أمر رباني بوجوب طاعة الرسول ﷺ ومن لم يفعل ذلك متعمدا فقد كفر، بل جعل سبحانه طاعة الرسول ﷺ كطاعته، فقال: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وحذّر عز وجل عن الخروج عن أمره ونهيه ﷺ، فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

دلت هذه الآيات البينات وغيرها كثير، على وجوب العمل بالسُّنة النبوية في زمانه ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً- السُّنة نفسها:

قال ﷺ في خطبة الوداع: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله**»(٨).

فهذا الحديث دليل على أنّ السُّنة صنو ما نطق به القرآن من تحليل أو تحريم، كما أنه تعهد وضمان من الضلال عند التمسك بهما.

وقال ﷺ: «**ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب، فربّ مُبلّغ أوعى من سامع**»(٩).

وقال صلوات ربي عليه: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**»(١٠).

أقول: صاحب هذا القول، أعني به الذي يفصل السُّنة عن القرآن، أحد رجلين: إما كافر بكلا المصدرين، فهذا لا محل له في بحثنا.

وإما مؤمن بما أخبر به ﷺ من القرآن، وينكر الاحتجاج بالسُّنة، فهذا القول باطل عقلاً وشرعاً، لأنّ القرآن والسُّنة مصدرهما واحد وهو الوحي، والكذب مستحيل في حقه ﷺ، والصدق دليل معجزته، والقرآن المحفوظ من الزيادة والنقص قال عنه: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ١- ٤]. فالله سبحانه

حفظ لفظ القرآن، وحفظ معناه في سنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة: ١٩]، فلا تطع أخي المسلم، لمن يتنطع فينكر وجوب العمل بالسنَّة.

ثالثاً- الإجماع:

من يتعرف على تصرفات الصحابة ﷺ في حياة رسول الله ﷺ، وبعد وفاته، لا يخفى عليه أن الرسول عليه الصلاة والسلام، كان قدوتهم في تطبيق أحكام الدين، يُفسّر لهم أحكام القرآن، ويحكم بينهم في المنازعات، وكانوا يلتزمون حدود أمره ونهيه، ويتبعونه في أعماله، وعبادته، ومعاملته، إلا ما علموا أنه خاص به ﷺ، فانعقد على ذلك إجماعهم، واستمر المسلمون على هذا النهج، [ولم يخالف في ذلك إلا من لا حظَّ له في دين الإسلام، أو متنطع جاهل»(١١). ولا أجدني مضطراً لأضرب الأمثال على هذا الامر.

رابعاً- المعقول:

مما لا يختلف فيه اثنان لهما أدنى معرفة بالإسلام، أنَّ القرآن الحكيم، هو أساس الشريعة الأول، ولا خلاف بين المسلمين، أنّ القرآن حُجّة الله على عباده، يجب عليهم العمل بما ورد فيه، بيد أن من خصائص التشريع القرآني أنه اتخذ وجوهاً، سأكتفي بوجه واحد للاستدلال العلمي هو: الإجمال والعموم.

لقد اتسم القرآن المجيد عند عرض آيات الأحكام بالخطوط العريضة، ولاسيما في مجال العبادات، والأنكحة، والحدود، والقضاء، والجهاد، ونحو ذلك، كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النور: ٥٦]، ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣] وما إلى ذلك، فهذه الخاصية للقرآن، أعطت السُّنة النبوية: مهمة البيان والتفصيل، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

«فلو لم تكن السُّنة قد بينت هذا الإجماع لبقيت هذه النصوص معطلة»(١٢).

فلذلك يحكم العقل السليم، والبحث الحصيف بحجية السُّنة «إلا أنّ للكتاب مكانة أعلى فهو كلام الله عز وجل مُنزل اللفظ والمعنى، والسُّنة ليست كذلك فهي ألفاظ المعصوم

من البشر ﷺ عدا الأحاديث القدسية فهي من الله لفظا ومعنى غير أنها غير مُعجزة، وإن كانت معانيها وحياً غير متلو، فتكون بهذا الاعتبار في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم»(١٣).

المطلب الثالث: تقسيمات السُّنة.

تنقسم السُّنة على قسمين:

أ- السُّنة من حيث كونها تشريعاً عاماً أو خاصاً.

التشريع العام: ما صدر عن الرسول ﷺ عدا الأحاديث القدسية فهي من الله لفظا ومعنى غير انها غير معجزة على وجه التبليغ بصفة أنه رسول، من واجباته يُبين مجملاً في الكتاب، أو يخصص عاماً، أو يُقيد مطلقاً، سواء في العبادات، أو العقائد، أو الأخلاق، ونحو ذلك، فهذا تشريع عام يجب على المكلف التفاعل معه أمراً أو نهياً، ولا يتوقف أبداً في ذلك على شيء سوى العلم به والوصول إليه.

التشريع الخاص: نوعان:

- الخاص بالذات: هو ما دلّ الدليل على أنه من خصوصياته ﷺ، مثل: جمعه بأكثر من أربع زوجات(١٤) أو كون زوجاته أُمهات المؤمنين لا يجوز لأحد أن يتزوج منهن بعده ﷺ(١٥)، وكشهادة خزيمة له وحده(١٦). وهذا القسم خاص بذات رسول الله ﷺ، لا يشاركه فيه أحد من الأُمة، ولا يقتدى به فيه.
- الخاص بالوصف: ما صدر عن الرسول ﷺ بوصف الإمامة والرياسة العامة، مثل صرف أموال بيت المال في جهاده، أو جمعها من محالها، أو تولية القضاة والولاة وعقد المعاهدات، فهذا ليس تشريعاً عاماً، بل هو خاص بمن اتصف بالوصف الذي ابتنت عليه هذه التصرفات، فلا يجوز الإقدام عليها لكل أحد من تلقاء نفسه بحجة أن النبي ﷺ فعله أو طلبه، بل على المكلف أن يتقيد في ذلك بقضاء القاضي، فمن كان له على آخر حق وجحده وله عليه بينة، فليس له أن يأخذه بنفسه، بناءً على أن رسول الله ﷺ، حكم بالبينة، بل عليه أن يتقيد بحكم الحاكم(١٧).

ب- السُّنة من حيث كونها ليست مصدراً للتشريع:

هي كل ما صدر عن الرسول ﷺ، باعتباره بشراً كالأكل والشرب، والقيام والقعود، والنوم واللبس، والتزاور والمساومة في البيع والشراء، أو ما صدر منه على سبيل التجارب، والعادة الشخصية أو الاجتماعية كالذي ورد في شؤون الزراعة، والطب، أو ما كان سبيله التدبير في شؤون الحياة، كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية، وتنظيم الصفوف في الموقعة الواحدة، واختيار الأماكن وما إلى ذلك، فكل ما نقل من هذا ليس شرعاً يتعلق به طلب الفعل أو الترك، وإنما هو من الشؤون البشرية التي ليس فيها تشريع ولا مصدر تشريع(١٨).

ومع هذا، فقد كان من الصحابة ﷺ، من يقتفي أثر الرسول ﷺ، ويحرص على متابعته في ذلك، كعبد الله بن عمر ﷺ، وهذا- لعمر الحق- مسلك متألق لا يقوى عليه إلا الخواص.

المبحث الثاني
خصوصيات النبي ﷺ ودلالتها في التشريع

المطلب الأول: التعريف بالخصائص وأدلتها.

قبل أن نسترسل، نقول: إنّ الدارس للقرآن الكريم، والسُّنة النبوية، يلحظ أحكاماً شرعية خاصة برسول الله ﷺ وأحكاماً يسري حكمها لأمته، وأحكاماً مشتركة بينه ﷺ وبين أمته، وسنولي بشيء من التفصيل ما اختص الله به نبيه محمداً- عليه الصلاة والسلام- انسجاماً مع صلب موضوعنا.

الخصائص لغة: خصّه بالشيء يخُصّه خَصّاً وخُصوصاً وخَصُوصِيّةً وخُصُوصِيّةً والفتح أَفصح وخِصِّيصَى وخصّصَه واخْتصّه أَفْرَدَه به دون غيره ويقال اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ له إِذا انفرد وخَصّ غيرَه واخْتصّه بِبِرِّهِ ويقال فلان مُخِصٌّ بفلان أَي خاصّ به وله به خِصِّيّة(١٩).

الخصائص النبوية اصطلاحاً: هي أحكام أبيحت أو فرضت أو حرمت على رسول الله ﷺ دون سائر أمته سواء في الدنيا أو في الآخرة.

أدلة حجية الخصوصية:

أولاً– القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] فهذا نص على الخصوصية والمنع من الاشتراك دون خفاء فلا يقع فيه الخلاف

ثانيا– السنة النبوية: قال ﷺ: «**إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**»[٢٠] وذلك عندما واصل الصيام، ونهى أصحابه عن الوصال، فكان الوصال من خصائصه ولا يقصد به التشريع.

وبناء على ما تقدم من آية كريمة، وحديث شريف، يتأكد أنّ للنبي ﷺ، أحكاماً اختص بها دون سائر أمته.

أحكام اختص بها غير النبي ﷺ:

نجتزئ من تلكم الأحكام الخاصة بغير رسول الله ﷺ، الآتي:

١. أجاز رسول الله ﷺ لأبي بردة هانئ بن دينار الأنصاري التضحية بعناق، وقال له: «**تجزئ عنك ولا تجزئ عن أحد بعدك**»[٢١].
٢. جعل عليه الصلاة والسلام، شهادة خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين، وحكم بها لنفسه، ومن أجل ذلك سُمي خزيمة، «**ذا الشهادتين**»[٢٢].

المطلب الثاني: عدد الخصوصيات.

تفاوتت أقوال العلماء والمؤلفون في السيرة النبوية وفي الشمائل المحمدية، في عدد (خصائص الرسول ﷺ) بين مستطرد، وبين مضيق، فابن حزم ضيق دائرة الخصوصيات النبوية، مشترطاً للخصوصية ورود النص المخصِّص، في حين توسع السيوطي، حتى زادت عنده الخصوصيات على الألف، كما ذكر ذلك في كتابه (الخصائص الكبرى)، وقال: إنّه تتبع الخصائص عشرين سنة، فاستوعب في كتابه كل ما ورد، وأنه التزم أن لا يذكر في كتابه خبراً موضوعاً[٢٣]، لكن محقق الكتاب الشيخ محمد خليل هواس، قال: إنّ السيوطي لم يلتزم بشرطه في تنزيه كتابه عن الأخبار الموضوعة[٢٤]. ويردف مؤلف كتاب (أفعال

الرسول ﷺ): إنّ ما جعله السيوطي من الخصائص إذا عُرض على ميزان النقد لم يثبت منه في تقديره أكثر من ثلث الألف أو ربعه، وهذا في الخصائص بصفتها العامة[٢٥].

أما ما اختص به ﷺ في أحكام أفعاله: فإن بعض فقهاء الشافعية والمالكية، ذكروها في مؤلفاتهم في أوائل كتاب النكاح وهي كثيرة، وذكروا غيرها تبعاً لها[٢٦].

وأول من استطرد فيها المزني صاحب الشافعي ﷺ وقد ذكرها القرطبي المالكي بالتفصيل، وحصرها في (٣٧) خاصية، قال: إنّ منها المتفق عليه، والمختلف فيه[٢٧] (٢٧)، وذكرها السيوطي فجعلها (٦٥) خاصة، وذكرها الرملي الشافعي فعقدها في (٤٧) خاصة[٢٨]. «واختلاف الفقهاء والمجتهدين، يرجع إلى اختلافهم في كون المصدر دليلاً أو غير دليل، واختلافهم في ثبوت المصدر، أو عدم ثبوته، واختلافهم في الترجيح عند التعارض، واختلافهم في أنواع الدلالات وسائر طرق الاستفادة، ثم يأتي بعد كل هذا تفاوتهم في الإحاطة وفي الأفهام وملكة الاستنباط، وكمال الذوق الفقهي، فهذه الأمور الرئيسة التي ترجع إليها أسباب اختلاف الفقهاء من غير تفصيل، ففي هذا الطور كثرت الفتاوى في الواقعات والنوازل، وفيها ما ينطوي على استنباط أحكام، وفيها ما لا استنباط فيه، ولكنه تطبيق للأحكام المعروفة»[٢٩].

وخلاصة الكلام: ثبوت الخصوصية بدليل صحيح، والأصل فيما يُنقل عن الرسول ﷺ، الأُمة تشاركه فيه إلى أن يقوم الدليل على أنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

وهنا يبرز سؤال مهم:

هل تجوز مشاركتنا للنبي ﷺ، في بعض خصوصياته، مثل عدم أكل الثوم والبصل؟

في هذه المسألة قولان:

القول الأول: ما نقله الشوكاني عن إمام الحرمين– الجويني–: ليس عندنا نقل لفظي أو معنوي في أنّ الصحابة كانوا يقتدون به في هذا النوع، ولم يتحقق عندنا ما يقتضي ذلك، فهذا محل خلاف[٣٠].

القول الثاني: قاله الغزالي: ما عرف أنه خاصية له ﷺ فلا يكون دليلاً في حق غيره[٣١].

من هنا، فما كان مختصاً به عليه الصلاة والسلام، من الأحكام مع وجود الدليل على ذلك، فالأمة ليست مُلزمة، ولا تشاركه فيه ولسنا متعبدين به من حيث فعله الذي تعبّد رسول الله ﷺ، به، بمعنى أن فعله ﷺ لا يكون سبباً لتعبدنا، فلا ينافي تعلق العبد به، وهكذا من اقتدى به في الامتناع من أكل الثوم والبصل يؤجر، ويكون في حقه مكروهاً(٣٢).

المطلب الثالث: الحكمة من الخصوصيات.

لاشك فإنّ رسول الله ﷺ، كان يشارك أُمته في البشرية، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠] وكان يشارك الأنبياء في نزول الوحي والعصمة من المعاصي وتأييدهم بالمعجزات، ونحو ذلك، ولكن نحن بصدد ما انفرد به حبيبنا محمد ﷺ، عن جميع البشر، ولنعلم: «إذا ثبتت الخصوصية في فعل من أفعال النبي ﷺ، فإنها تقتضي أن حكم غيره ليس كحكمه وذلك إجماع»(٣٣).

ومن أجل هذا قال الفقهاء: فائدة معرفة الخصائص كانت، لئلا يقتدي بها جاهل إذا سمع الحديث مثلاً أنّ النبي ﷺ فعل كذا(٣٤).

وعلى هذا الأساس، فإنّ منشأ الحكمة للإختصاص، يعود إلى الرسالة التي كُلّف بها، لأنها الرسالة الخالدة، إذ لا نبي بعده، وهي الرسالة الخاتِمة لكل الرسالات السماوية، فلا وحي ينزل، ولا رسول يُبعث، وهذه الخصوصيات أسهمت في نجاح دعوته ﷺ، وإنجاز مهمته، من عدة وجوه:

١- الإعداد للرسالة قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام. وذلك عندما أخذ الله الميثاق على الأنبياء، أن يؤمنوا به، ويأخذوا العهد على أقوامهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

٢- توثيق رسالته، ومن ذلك عدم معرفته بالكتابة، ونظم الشعر، فضلاً عما أخبر به من المغيبات التي وقعت بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى، وبهذا يبقى للرسالة ثقتها، ودليل تصديقها.

٣- تهيئته لأداء الرسالة، وإعداده لتحمّل أعبائها، ومن ذلك الإعداد ما كلفه الله به من قيام الليل [ليتم له تدبر الوحي الإلهي وتعلمه وتفهمه في أنسب الأوقات لذلك[٣٥]. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ١- ٤]. فهذه الآيات وإن كانت مشتركة مع أُمته، إلا أنها نسخت من الوجوب في حق غيره ﷺ.

ومن ذلك أيضاً: حادثة الإسراء والمعراج، وما فيهما من مؤازرة وتسلية للرسول ﷺ، ولاسيما «بعد عام الحزن، ورفض أهل الطائف لدعوته عليه الصلاة والسلام»[٣٦].

٤- إدامة الرسالة من بعده ﷺ، وذلك بحفظ القرآن الذي أُوحي به إليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

زد على هذا، بقاء طائفة من الأمة على الحق، لا يضرها من ضلّ، وفي هذا المضمار حديث لرسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يُقاتلوا آخرهم المسيح الدجال**»[٣٧].

وفي هذا دعوة للتمسك بهذه الرسالة، وعدم السير وراء المتخاذلين، الذين أخلدوا إلى الأرض، وآثروها على نصرة الحق وأهله.

٥- ما حباه الله به من مزايا سامقة، وحسبه شرفاً: إضافة اسمه باسم ربه في الشهادتين عبر الأذان والصلاة، كما جعل الله له الأرض مسجداً وطهورا، ووعده بالمقام المحمود والحوض المورود يوم البعث.

٦- إنّ شخصية الرسول ﷺ تمثلت فيها كل جوانب الحياة الفاضلة، فرسول الله كان أباً، وما كل رسول كان أباً، ورسول الله كان قائداً، وما كل رسول حارب، ورسول الله بُعث كافة للناس، ولم يبعث كافة للناس سواه، إذن الرسول بين الرُسل كان العلم، وصدق الفاطر العليم إذ يقول: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

المبحث الثالث
تصنيف خصوصيات النبي ﷺ

عرفنا آنفاً من الخصوصيات النبوية: ما تشاركه فيه أمته ﷺ، ومنها ما ينفرد به عن أُمته، ويشاركه كل الأنبياء أو بعضهم، وهذا، وذاك ليسا داخلين في موضوع بحثنا.

بقي حديثنا عما انفرد به، ﷺ، عن جميع البشر سواء أكانوا أنبياء، أم غيرهم، واتخذ حكماً شرعياً.

بعد هذا التمهيد الموجز، نقول: اتفق الفقهاء أنّ رسول الله ﷺ، اختص في أفعاله بثلاثة أنواع: واجبات، ومحرمات، ومباحات. غير أنهم اختلفوا في المندوبات، والمكروهات.

أ- **الواجبات على رسول الله ﷺ**، مثل تخيير نسائه بين زينة الحياة ومفارقته، وبين البقاء تحت عصمته، صلوات الله عليه. والمستفاد من هذا الواجب- كما يقول الفقهاء-: زيادة الأجر، لأن ثواب الفرض أربى من ثواب النفل.

ب- **الأفعال المحرمة بحقه ﷺ**، كنكاح من لم تهاجر معه، «وفائدة تخصيصه بالتحريم: كمال التطهير والتنزيه، لأنّ أجر المحرم أكثر من أجر ترك المكروه»(٣٨).

ج- **الأفعال المباحة له، ﷺ**، كالجمع بأكثر من أربع زوجات.

أما المندوب، فهو لدى السيوطي والجويني(٣٩)، وأبو شامة أيضاً، من خصائصه ﷺ، وذكروا لذلك مثلاً (الوصال في الصيام).

لكن الشاطبي، لا يرى الوصال من الخصوصيات، بل يعده من المباحات(٤٠).

بقي المكروه له، ﷺ، فلم أعثر بمثال له: ولأجل هذا، يسعنا المقام أن نصنف خصائصه، ﷺ، على أربعة أقسام.

المطلب الأول: خصوصيات النبي ﷺ، في باب النكاح.

شملت خصوصيات النبي ﷺ، باب الطهارة والعبادات، والأطعمة، فضلاً عن النكاح والجهاد، ونحو ذلك، لكن نستهل الخصوصيات بـ(باب النكاح)، وهذا دأب الفقيه المزني(٤١)، وتابعه الأصحاب، إضافة إلى أنَّ الخصوصيات في هذا الباب أخذت حيزاً واسعاً بين الأبواب الأخرى.

أ- أوجب الله على نبيه، ﷺ، تخيير أزواجه، بين زينة الدنيا وطلاقهن، وبين اختيار الدار الآخرة، والبقاء أزواجاً له، ﷺ، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٢٩].

واختُلف في سبب نزول هذه الآية على أقوال، منها:

١- أنّ نساءه تغايرن عليه ﷺ، فحلف أن لا يكلمهن شهراً، ومكث في غرفتهن شهراً. قال الغزالي: فأمر بتخييرهن، لأن العبرة توغر الصدور، وتنفر القلب، وتوهن الاعتقاد.

٢- إنهن اجتمعن، وقلن: نريد كما تريد النساء من الحلي والثياب فطالبنه بذلك، وليس عنده[٤٢]. فأُمر بإلقاء زمام الأمر إليهن ليفعلن ما يخترنه، ونزه منصبه العالي عن التأذي والإيذاء.

٣- إنّ الله خيّره بين الغنى والفقر، فاختار الفقر، فأمره الله بتخيير نسائه ليكون من اختارته منهن موافقة لاختياره[٤٣].

واختلف أيضاً: هل كان هذا التخيير واجباً عليه، أو مستحباً؟

رجح النووي وغيره: الوجوب[٤٤].

ب- أُبيح له ﷺ، الجمع بأكثر من أربع نسوة، فقد مات عن تسع زوجات.

روى البخاري عن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ، يطوف على نسائه في الساعة الواحدة من ليل أو نهار، وكنّ (إحدى عشرة امرأة)، قلت لأنس: هل كان يطيق ذلك؟ كنا نتحدث أنه أُعطي قوة ثلاثين، وفي رواية أربعين[٤٥].

ج- وقد ذكر القرطبي[٤٦]: مما أحلّ له ﷺ، جملة من الأحكام في هذا الباب، من بينها: النكاح بلفظ الهبة[٤٧]، والنكاح بغير ولي[٤٨]، والنكاح بغير صَدَاق[٤٩]، والنكاح في حالة الإحرام.

المطلب الثاني: خصوصيات النبي ﷺ في باب الطهارة والعبادات.

نظراً لكثرة الخصوصيات في باب الطهارة والعبادات، وغيرها، سنكتفي بعرض مثال واحد، لكل باب.

١- الطهارة:

أُمر رسول الله ﷺ، بالوضوء لكل صلاة، فلما شقّ ذلك عليه، أُمر بالسواك، وعمدتنا في هذا الباب، حديث أُم سلمة قالت، قال رسول الله ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالسواك، حتى خشيت على أضراسي..**»[٥٠].

٢-الوضوء:

كان عليه الصلاة والسلام، لا ينتقض وضوؤه بالنوم، والدليل على هذا، حديث ابن عباس، أنه ﷺ، نام حتى نفخ، ثم جاءه المؤذن، فخرج فصلى ولم يتوضأ.

فقالت عائشة، يا رسول الله: تنام قبل أن توتر؟ فقال: «**يا عائشة تنام عيني ولا ينام قلبي**»[٥١].

٣- الصلاة:

مما اختص الله به عبده محمداً ﷺ: وجوب صلاة الضحى والأضحية، والوتر، وفي هذا السياق حديث البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ثلاث هُنّ عليّ فرائض وهي لكم تطوع: النحر، والوتر، وركعتا الضحى**»[٥٢].

٤- الزكاة:

أفرد الله رسوله ﷺ، بحرمة أكل الصدقة، سواء كان فرضاً أو تطوعاً، وقال: «**إنّ الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد**»[٥٣].

٥- الصيام:

كان عليه الصلاة والسلام، يُقَبِّل زوجته وهو صائم، وعندما سُئلت عائشة عن ذلك، قالت: **وأيكم يملك إربه كما كان رسول الله ﷺ يملك إربه**[٥٤].

وللعلماء في هذا، أقوال:

أ- هذا من جملة ما خُصَّ به رسول الله ﷺ.

ب- يكره لغيره ﷺ.

ج- يحرم على غيره ﷺ.

لكن الذي نرجحه من وحي جواب السيدة عائشة (رضي الله عنها):

أنه كان من خصوصياته ﷺ.

٦- الحج:

لا يخفى، أنّ لمكة خصوصية، انفردت بها على سائر الأماكن، غير أنها أُبيحت لرسول الله ﷺ يوماً أو بعض يوم، فدخلها بغير إحرام، وعلى رأسه المغفر وعمامة سوداء(٥٥). ومما يثبت هذا حديث رسول الله ﷺ إذ قال: «**فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ، فيها، فقولوا له: إنّ الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها كحرمتها بالأمس**»(٥٦).

فدلّ على عدم جواز قياس غيره، عليه(٥٧).

المطلب الثالث: خصوصيات النبي ﷺ، في الجهاد، والفرائض والتبرك.

١- باب الجهاد:

١- مما خُصّ به رسولنا ﷺ: إذا لبس لأمة الحرب لم يجز له أن ينزعها حتى يَقْضي الله أمره، ومن ذلك ما جرى يوم (أُحد) حين أشار عليه جماعة من المؤمنين بالخروج إلى عدوه إلى (أُحد)، فدخل فلبس لأمتَهُ، فلما خرج عليهم قالوا: يا رسول الله: إن رأيت أن ترجع؟ فقال: «**إنه لا ينبغي لنبي إذا أخذ لامته أن يرجع حتى يُقاتل**»(٥٨).

٢- ومما وجب عليه صلوات الله عليه: مصابرة العدو وإن زاد على الضعف، ولنقرأ قوله عليه الصلاة والسلام، لعروة إبان صلح الحديبية: «**فإن أبوَا فوالله لأُقاتلنهم- يعني قريشاً- على هذا الأمر حتى تنفرد سالفتي**»(٥٩).

٣- وكذلك أوجب الله على رسول الله ﷺ، الشورى، وإن كان أغنى الناس عنها، ولكن ليُعلّم أصحابه، ومن بعدهم تستلهم الأمة، كيف تكون السياسة، وكان ذلك تنفيذاً للأمر الرباني: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، ومن لا يستشر أهل العلم والدين فعزله واجب(٦٠).

والمستوحى من هذا: أنّ من تجاوز هذه المعطيات من الحكام، يُعدُّ حاكماً مُستبداً، «يحق لرئيس الدولة، استفتاء الأمة في المسائل الخطيرة، وأن يضع نظاماً مفصلاً لكل هذه المسائل وغيرها، كما يجب توفير حرية الرأي للمواطنين لإبداء آرائهم في شورى الدولة، في الحدود الشرعية، فلا يجوز التشهير والسباب، وفاحش الكلام، والافتراء، والتضليل بحجة

إبداء الرأي، ولا يجوز لأحد أن يشيع الفساد، أو الفاحشة بحجة إبداء الرأي مع تربية الأفراد على المبادئ والأخلاق والمفاهيم الإسلامية، من مخافة الله وتقواه في السّر والعلن، عندها يقف الإنسان عند الحدود الشرعية»[٦١].

٢- باب الفرائض:

ومن خصوصياته ﷺ، أنّ ما تركه يُعدُّ صدقة في بيت مال المسلمين، كما جاء في الحديث الصحيح: «**لا نورث، ما تركناه صدقة**»[٦٢].

وعلى هذه القاعدة النبوية، التزم أبو بكر ﷺ، عندما سألته السيدة فاطمة رضي الله عنها، ميراثها من أبيها، فقال: **إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليه في عهده**[٦٣].

وقال القرطبي: إنه لا يورث في جُملة ما أُحِلَّ له ﷺ، وإنما ذُكر هذا، في قسم التحليل، لأنّ الرجل إذا قارب الموت بالمرض زال عنه أكثر ملكه، ولم يبق له إلا الثلث خالصاً، وبقي مُلك رسول الله ﷺ كاملاً[٦٤].

الحكمة في كون الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- لا يُورّثون:

أ- لئلا يتمنى قريبهم موتهم، فيهلك بذلك.

ب- لئلا ينفر الناس عنهم، ويظنوا فيهم الرغبة في الدنيا، وجمعها لورّاثهم، أو يُفتتن بعض الذين أسلموا وتابعوهم[٦٥].

وقبل هذا، وبعده، يواجهنا سؤال ملحاح:

هل خصوصيات النبي ﷺ، تسري لغيره؟

الذي عليه الإجماع: عدم جواز تعدية الخصوصيات الثابتة للنبي عليه الصلاة والسلام، فلا يصح لأتباع ولي مهما كان، تحريم نكاح زوجته بعد موته، أو رفع الصوت بحضرته، ونحو ذلك. ومما يؤيد هذا، ما ورد عن أبي برزة الأسلمي، قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق. قال، فقال أبو برزة: ألا أضرب عنقه؟ قال: فانتهره أبو بكر، وقال: ما هي لأحد بعد رسول الله ﷺ[٦٦].

والمستفاد فقهاً من هذه الرواية: لو كان للولي الاشتراك في هذا النوع من الخصوصيات، لكان أولى الناس بذلك، صدّيق الأُمة بعد نبيها، وأكرم (أوليائها) على الله تعالى(٦٧).

ومما يستوحى من كلام أبي بكر ﷺ، أيضاً: أنّ سبّ أيّ إنسان بعد النبي ﷺ، لا يُوجب القتل(٦٨).

وقبل أن نأتي إلى طي بحثنا هذا، نجيب على سؤال:

هل التبرك بآثار النبي ﷺ، من خصوصياته، ولا يصح تعديتها لولي، أو صالح..؟

لقد ثبت أن الصحابة ﷺ، كانوا يتبركون ويستشفون بفضل وضوئه ﷺ(٦٩)، بل شرب بعضهم دم حجامته ﷺ وجمعت أُمّ سليم عرقه(٧٠) لتطيّب به صبيان المسلمين، كما حنّك عليه الصلاة والسلام، بعض صبيان الصحابة بالتمر(٧١).

يقابل هذا كله، أنّ كُتب السير والشمائل المحمدية، لم تُبرّز أنّ الصحابة ﷺ، تبركوا بأفاضل بعضهم كالخلفاء الراشدين، فهل يا تُرى: تركهم التبرك بهؤلاء الأولياء المشهود لهم بالجنة، أو غيرهم، يعني أنّ التبرك خاص برسول الله ﷺ، أم تركوه من باب سدّ الذرائع، لئلا يصل الجهال إلى الغلو في الدين فيعبدوا غير الله تعالى- كما يقول الشاطبي-(٧٢)؟

لكني أمام هذه المسألة المُشتبه فيها، أعرض رأياً للمناقشة:

أليس من حقوق البُنّوة: التحنيك؟

ومن الذي يقوم به، أليس هو الرجل الصالح أو المرأة الصالحة...؟

ثم أليست الرقية الشرعية، بعضاً من التبرك...؟

ألم يستسقِ عمر بن الخطاب بالعباس ﷺ......؟

كما جاء في صحيح البخاري(٧٣)، أن عمر ﷺ، كان إذا قحطوا يستسقي بالعباس ابن عبد المطلب ﷺ، وقال إنا كنا نستسقي إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا، فيسقون. وفي هذا يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمي سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقي بشيبة عمر
توجه بالعباس في الجدب راغباً إليه فما إن رام حتى أتى المطر

ومنا رسول الله فينا تراثه فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر[٧٤]

أقول هذا، حتى لا نُسارع بالجواز، أو المنع، والله أعلم.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة المباركة، في ميادين السيرة والشمائل المحمدية، لا يفوتني أن أُسجل في خاتمتها، ما خلصتُ إليه من نتائج أَجْمِلُها بالآتي:

١. السُّنة النبوية، هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وليس للمسلم خيار، تجاه أمر رسول الله ﷺ، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

٢. في السُّنة النبوية، أحكامُ أُبيحت، أو فُرضت، أو حُرِّمت على رسول الله ﷺ، ومن ثم هي ليست مُلزمة للأُمة، وليست محلاًّ للتأسي والإقتداء، وهذا ما سمّاه أهل السير بـ: **خصوصيات النبي ﷺ**.

٣. الحكمة من الخصوصيات: تعود إلى الرسالة، إذ أسهمت في نجاحها، وديمومتها، مثل حادثة الإسراء والمعراج، أو إخباره عن مغيبات وقعت في حياته ﷺ، أو بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى.

٤. الفائدة من معرفة الخصوصيات، أنّ كثيراً من المسلمين، لا يُميزون بين خصائص رسول الله عليه الصلاة والسلام، وبين ما هو مشترك بينه، وبين أُمته، فيفعل الخصوصيات، تحت ذريعة الإتباع.

٥. خصوصيات النبي صلوات الله عليه، تكاد تكون شاملة لكل أبواب الفقه، ابتداءً بباب الطهارة، مروراً بالعبادات، والنكاح، وانتهاءً بالفرائض، والجهاد، وما إلى ذلك.

٦. تفاوت أهل السير، ومن ألّف في هذا الباب، في عدد الخصوصيات، بين مستطرد أوصلها إلى (الألف)، وبين مضيّق، حصرها بـ(٣٧) خاصية.

٧. ثبوت حجيّة الخصوصيات، بالقرآن الكريم، والسُّنة النبوية.

٨. لا يجوز تعدية الخصوصيات الثابتة للرسول ﷺ، لغيره، وهذا الذي عليه الإجماع.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

The Peculiarities of the Prophet (peace be upon him)

And its Significance in Legislation

We may sum up this paper as follows:

١. Sunna of the Prophet is the second source of the Islamic Legislation، and the Muslim has no choice but to follow it، as it is mentioned in the Glorious Quran: " so let those who go against His Command beware، lest a trial befall them، or there befall them a painful chastisement." [The Light: ٦٣]

٢. In Sunna of the Prophet، there are allowed، imposed، or prohibited rules on the Prophet، therefore، they are not obligatory to the Nation، and should not be followed. These obligations are called by the Sunna followers as the Prophet Peculiarities.

٣. The wisdom of these Peculiarities is that they were of great help to the success and continuity of the Islam Message، such as the night of Prophet Muhammad's ascension to the seven heavens، inform the Prophet about the hidden or the unseen incidents that happened in his life، or what would happen after his pass away.

٤. The benefit of the Peculiarities is that a lot of Muslims do not distinguish between these Peculiarities that are extremely restricted to the Prophet and those that are in common between him (the Prophet) and his Nation. So، the Muslim follows these Peculiarities thinking that he is following the Sunna of the Prophet.

٥. The Peculiarities of the Prophet (peace be upon him) are comprehensive to all types of Jurisprudence: the rules of purity، the acts of worship، marriage، religious obligations، and Jihad.
٦. The Sunna followers disagreed on the number of these peculiarities; some said they were a thousand and others said they were ٣٧.

٧. The principle of Peculiarities proved its liability in the Glorious Quran and the Sunna.

٨. The Peculiarities that are restricted to the Prophet should not be followed by other Muslims and this was agreed upon by the consensus of Muslim legal scholars.

هوامش البحث

(١) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، المحقق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩، ٦١/٣، مادة (سَنّ).

(٢) ابن دريد:أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، الهند حيدر أباد، ط١، ١٣٤٥هـ. جمهرة اللغة، ٣٩٤/١.

(٣) الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، بيروت، المكتبة العلمية، (ب.ت)، ٢٩٢/١ مادة (سنن).

(٤) أخرجه مسلم من حديث جرير بن عبد الله، في كتاب العلم، شرح النووي على صحيح مسلم ٨٠/١٣.

(٥) د.مصطفى السباعي: السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دمشق، دار الوراق، ٢٠٠٧م، ص٦٧.

(٦) الأستاذ محمد مجير الخطيب الحسيني: المدخل إلى السّنة النبوية، دمشق، المشرق للكتاب، ٢٠٠٩م، ط١، ص٩.

(٧) أ. د.حمد عبيد الكبيسي: أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، دبي، مطابع البيان التجارية، ٢٠٠٤م، ط٣، ص١٥٣.

(٨) مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ١٣٢٢/٥، باب النهي عن القول بالقدر.

(٩) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، القاهرة، المكتبة السلفية، ١٣٩٠هـ، ١٦٧/١.

(١٠) ابن حنبل: الإمام أحمد بن محمد، (ت٢٤١ هـ)، المسند، ٤١٠/٢٨، المكتب الإسلامي، (ب،ت).

(١١) الشوكاني: المحدث محمد بن علي بن محمد الصنعاني، (ت١٢٥٠ هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٣٥٦هـ، ص٣٦.

[١٢] أ.د.حمد عبيد الكبيسي: أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، دبي، ٢٠٠٤م، مطابع البيان التجاري، ص١٥٣.

[١٣] محمد مجير الخطيب الحسني: المدخل إلى السُّنة النبوية، ص٦٦.

[١٤] البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ط٢، ٦١/١.

[١٥] القرطبي: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت، ٢٠٠٢م، دار الكتاب العربي، ط٥، ١٢٣/١٤.

[١٦] الشوكاني: نيل الأوطار، القاهرة، المطبعة العثمانية، ١٩٥٧م، ١٤٤/٥، العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، بغداد، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٨م، ٤٢٤/١.

[١٧] أ. د.حمد الكبيسي: أصول الأحكام، ص٥٥-٥٦.

[١٨] الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ٢٤٧/١.

[١٩] ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، (ت٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، ١٩٥٦، دار الفكر، ٢٤/٧، مادة (تخصص).

[٢٠] رواه البخاري برقم (١٩٦٧)، عن أبي سعيد الخدري، كتاب الصوم، باب الوصال إلى السحر.

[٢١] رواه مسلم عن البراء بن عازب برقم (١٩٦١)، كتاب الأضاحي، باب وقتها، النسائي: المحدث أحمد بن شعيب بن علي، (ت٣٠٣هـ)، سنن النسائي القاهرة، ١٩٨٧م، دار الحديث، رقم (٤٣٩٥)، كتاب الضحايا، باب ذبح الضحية قبل الإمام.

[٢٢] أبو داود: الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار إحياء التراث العربي، رقم (٣٦٠٧) كتاب الأقضية، باب إذا الحاكم صدّق الشاهد الواحد، يجوز له أن يحكم به، والنسائي برقم (٤٦٤٧).

[٢٣] السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (ت٩١١هـ)، الخصائص الكبرى، تحقيق الشيخ محمد خليل هراس، ٨١/١.

[٢٤] المصدر السابق: ٥٢/٣.

[٢٥] د.محمد سليمان الأشقر: أفعال الرسول ﷺ، ودلالتها على الأحكام الشرعية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٣م، ط١،٧٦/٦.

(٢٦) ابن الملقن: الإمام سراج الدين أبو حفص علي بن أحمد، (ت٨٠٤هـ)، خصائص النبي، تحقيق السيد يوسف أحمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ص١٤.

(٢٧) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢١٢/١٤.

(٢٨) الرملي: محمد بن أحمد، شمس الدين الشافعي، (ت١٠٠٤هـ)، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي، في الفقه الشافعي، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٣٥٧هـ، ١٧٥/٦.

(٢٩) ابن الملقن: خصائص النبي ﷺ، ص١٥.

(٣٠) الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص٣٥.

(٣١) الغزالي: الإمام أبو حامد محمد بن محمد، (ت٥٠٥هـ)، المستصفى من علم الأصول، بيروت، دار العلوم الحديثة، ٤٩/٢.

(٣٢) د.فؤاد حسني قلع: مقاصد تصرفات الرسول ﷺ، دمشق مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م، ط١، ص٢٠٠-٢٠١.

(٣٣) الآمدي: الإحكام في أُصول الأحكام، ٢٤٧/١.

(٣٤) الرملي: نهاية المحتاج، ١٧٤/٦.

(٣٥) د.محمد سلمان الأشقر: أفعال الرسول ﷺ، ٢٦٧/١.

(٣٦) د.فؤاد حسني قلع: مقاصد تصرفات الرسول ﷺ، ص٢٠٢.

(٣٧) الألباني: الشيخ محمد ناصر الدين، الجامع الصحيح، تحقيق الألباني، رقم الحديث: ٣٦٣٨.

(٣٨) د.محمد سليمان الأشقر: أفعال الرسول ﷺ، ٢٧٣/١.

(٣٩) السيوطي: الخصائص الكبرى، ٢٨٤/٢.

(٤٠) الشاطبي: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ)، الموافقات في أُصول الشريعة، القاهرة، مطبعة المكتبة التجارية، ٦٢/٣-١٥٠.

(٤١) المزني: أبو إبراهيم المصري، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمير بن مسلم، الفقيه، صاحب الشافعي، وتفقه عنه خلق كثير، وصنف التصانيف وكان زاهداً، وعالماً، وغواصاً على المعاني الدقيقة ولم يكن له معرفة بالحديث كما ينبغي، توفي سنة (٢٦٤هـ)، ينظر الذهبي: تأريخ الذهبي، وفيات: (٦١-٧٠).

(٤٢) روى مسلم في صحيحه: ١٤٧٨/٢٩، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، عن جابر بن عبد الله، قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أُضحك النبي ﷺ، فقال يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة، سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فقال رسول الله ﷺ «**هُنَّ حولي كما ترى يسألنني النفقة**»، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ، ما ليس عنده... الحديث.

(٤٣) ابن الملقن: كتاب خصائص النبي ﷺ، ص٥٧.

(٤٤) سنن النسائي: ٥٦/٦، باب النكاح (ما افترض على رسول الله ﷺ).

(٤٥) رواه البخاري عن أنس ﷺ (٢٦٨)، باب: الغسل، باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غُسُل واحد.

(٤٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢١١/١٤-٢١٣، وهي في البخاري برقم (٥٠٨٦)، عن أنس بن مالك، كتاب النكاح، باب من جعل عتق الأمة صداقها.

(٤٧) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

(٤٨) لحديث زينب بنت جحش، أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ، وتقول: زوجكُنَّ أهلوكُنَّ، وزوجني الله من فوق سبع سموات. البخاري، كتاب التوحيد، ٤٠٣/١٣، من حديث أنس، والترمذي، ٧٤/٩، في التفسير من حديث أنس.

(٤٩) ثبت أنه عليه الصلاة والسلام، أعتق صفية بنت حُيي، وجعل عِتْقَها صَدَاقُها.

وممن جزم بأن ذلك كان من الخصائص يحيى بن أكثم فيما أخرجها البيهقي، قال: وكذا نقله المزني عن الشافعي. ينظر: فتح الباري، ٣٣/٩، كتاب النكاح.

(٥٠) ابن حنبل: الامام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد بن حنبل، (ت٢٤١هـ)، بيروت المكتب الاسلامي (ب.ت) المسند، ٣٦٢/٥.

(٥١) الإمام مسلم: بن الحجاج بن مسلم القشيري، (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٥م، ١٨١/٢.

(٥٢) البيهقي: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، (ت٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، بيروت، دار المعرفة، ١٣٥٦هـ، ٦٦٤/٩.

(٥٣) رواه مسلم برقم (١٠٧٢) كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة.

(٥٤) متفق عليه، صحيح البخاري رقم ٢٩٦، ١١٥/١، باب مباشرة الحائض، صحيح مسلم رقم ٢٩٣، ٢٤٢/١، باب مباشرة الحائض فوق الإزار.

(٥٥) ابن حزم: الإمام أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد، (ت٤٥٦هـ)، المحلى، القاهرة، دار الطباعة المنيرية، ١٩٥٢م، ٦٧/٧.

(٥٦) أخرجه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا يعضد شجر الحرم، ٥٠/٤، رقم (١٨٣٢)، ومسلم كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلالها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، ٩٨٧/٢، رقم (١٣٥٤)، من حديث أبي شريح العدوي.

(٥٧) الشوكاني: نيل الأوطار، ٣٥٥/٤.

(٥٨) ابن حنبل، المسند، ٣٥١/٣، وله شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ١٢٩/٢، وصححه وأقره الذهبي.

(٥٩) أخرجه البخاري، برقم (٢٧٣١)، باب الشروط في الجهاد.

(٦٠) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٩/٤.

(٦١) د.عبد الكريم زيدان: أُصول الدعوة، دمشق، مؤسسة الرسالة، ص٢٢٥، بتصرف بسيط.

(٦٢) ابن حنبل: المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر، إسناده صحيح، ١٥٨/١.

(٦٣) ابن كثير: إسماعيل بن عمر، أبو الفداء، (ت٧٧٤هـ)، الفصول في سيرة الرسول ﷺ، ص١٦٦، والحديث في مسند الإمام أحمد، /١٥٨، وأخرجه البخاري برقم (٤٠٣٣) كتاب المغازي باب حديث بني النضير.

(٦٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٤٢١١-٢١٣.

(٦٥) ابن الملقن: خصائص الرسول ﷺ، ص١٩٩.

(٦٦) ابن حنبل: المسند ٥٦٥/١، باب ما جاء في أُمور تبيح دم المسلم.

(٦٧) د.محمد سليمان الأشقر: أفعال الرسول ﷺ، ٢٨٢/١.

(٦٨) د.فؤاد حسني قلع: مقاصد تصرفات الرسول ﷺ.

(٦٩) صحيح البخاري، ٨٠/١، باب استعمال فضل وضوء الناس.

(٧٠) التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح، تحقيق الألباني، بيروت، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٥هـ، ط٣، ٢٥٨/٣.

(٧١) صحيح مسلم: ١٦٩١/٣.

(٧٢) الشاطبي: الاعتصام، الرياض، دار الفكر، ٦/٢.

(٧٣) صحيح البخاري، رقم الحديث (١٠١٠).

(٧٤) ابن العديم: عمر أحمد أبي جرادة (ت٦٢٨هـ)، بغية الطلب في تأريخ حلب تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، ٤٨١/١.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

(أ)

١. الآمدي: الإمام علي بن أبي علي، بن محمد (ت٦٣١هـ)، مصر، طبعة صبيح (ب.ت).
الإحكام في أُصول الأحكام.

٢. العسقلاني: الإمام أحمد بن حجر (ت٨٥٢هـ)، بغداد، دار الرسالة للطباعة، ١٩٧٨م.
الإصابة في تمييز الصحابة.

٣. الشاطبي: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ)، الرياض، دار الفكر، (ب.ت).
الاعتصام.

٤. الشوكاني: المحدّث محمد بن علي بن محمد الصنعاني (ت١٢٥٠هـ)، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٣٥٦هـ.
إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.

٥. أ. د.عبد الكريم زيدان، دمشق، مؤسسة الرسالة.
أصول الدعوة.

٦. أ. د.حمد عبيد الكبيسي، دبي، مطابع البيان التجاري، ٢٠٠٤م.
أُصول الأحكام وطرق الاسنباط في التشريع الإسلامي.

٧. د. محمد سليمان الأشقر، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٣م.

أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية.

(ب)

٨. ٩-ابن العديم: عمر احمد بن ابي جرادة (ت٦٢٨هـ) بيروت، دار الفكر، ط١، ١٩٨٨م.
بغية الطلب في تأريخ حلب.

(ج)

٩. ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت٣٢١هـ)، الهند، حيدر أباد الدكن، ط١، ١٣٤٥هـ.
جمهرة اللغة

١٠. القرطبي: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت٦٧١هـ)، بيروت، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٢م.
الجامع لأحكام القرآن.

(خ)

١١. ابن الملقن: الإمام سراج الدين أبو حفص علي بن أحمد (ت٨٠٤هـ)، بيروت، دار الكتب العلمية، ط، (ب.ت).
خصائص النبي ﷺ تحقيق السيد يوسف أحمد.

١٢. السيوطي: الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت٩١١هـ).
الخصائص الكبرى. تحقيق الشيخ محمد خليل هراس.

(س)

١٣. **ابن ماجه:** الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، (ب.ت).
سنن ابن ماجه. تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي.

١٤. أبو داود: الإمام الحافظ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٣هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ب.ت).

سنن أبي داود. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

١٥. البيهقي: الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي (ت٤٥٨هـ)، بيروت، دار المعرفة، ١٣٥٦هـ.

السنن الكبرى.

١٦. النسائي: الإمام المحدث أحمد بن شعيب بن علي (ت٣٠٣هـ)، القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٧م.

سنن النسائي.

١٧. د.مصطفى السباعي، دمشق، دار الوراق، ٢٠٠٧م.

السّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

(ص)

١٨. البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، الرياض، دار السلام للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م.

صحيح البخاري.

١٩. القشيري: الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم (ت٢٦١هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٥م.

صحيح مسلم.

(ف)

٢٠. العسقلاني: الإمام أحمد بن حجر (ت٨٥٢هـ)، القاهرة، دار المنار، ١٩٩٩م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري.

(ل)

٢١. ابن منظور: العلامة أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت٧١١هـ)، بيروت، دار الفكر، ١٩٥٦م.
لسان العرب.

(م)

٢٢. ابن حنبل: الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أحمد (ت٢٤١هـ)، بيروت، المكتب الإسلامي، (ب.ت).
المسند.

٢٣. النيسابوري: الإمام أبو عبد الله محمّد بن عبد الملك (ت٤٠٥هـ)، بيروت، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٧٠م.
المستدرك على الصحيحين.

٢٤. ابن حزم: الإمام أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦هـ)، القاهرة، دار الطباعة المنيرية، ١٩٥٢م.
المحلى.

٢٥. الغزالي: حجة الإسلام، أبو حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، بيروت، دار العلوم الحديثة، (ب.ت).
المستصفى في علم الأُصول.

٢٦. الشاطبي: الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت٧٩٠هـ)، القاهرة، مطبعة المكتبة التجارية، (ب.ت).
الموافقات في أصول الشريعة.

٢٧. د. فؤاد حسني قلع، دمشق، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م. **مقاصد تصرفات الرسول ﷺ.**

٢٨. **محمد مجير الخطيب الحسني**، دمشق، المشرق للكتاب، ٢٠٠٩م.
المدخل إلى السُنّة النبوية.

٢٩. ابن فارس: أبو الحسين بن زكريا، المحقق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.
معجم مقاييس اللغة.

٣٠. الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ، بيروت، المكتبة العلمية، (ب.ت).
المصباح المنير.

(ن)

٣١. الشوكاني: القاهرة، المطبعة العثمانية، ١٩٥٧م.
نيل الأوطار.

٣٢. الرملي: الإمام محمد بن أحمد شمس الدين الشافعي (ت١٠٠٤هـ)، القاهرة، مصطفى الحلبي، ١٣٥٧هـ.
نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي.

أحكام ممارسة الطب
في منظور الفقه الإسلامي

م.م. أنور فرحان عواد
كلية الشريعة والقانون

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه وفضله بكل أنواع التفضيل والتكريم، ومنحه العقل والنطق وقوة البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، صفوته من خلقه، وحجته على عباده، وأمينه على وحيه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين، ومن سار على نهجه واتبع ملته إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن التطبب مهنة نبيلة شرفها الله تعالى فكانت معجزة نبي الله عيسى عليه السلام، وعدد سيدنا إبراهيم عليه السلام نعم الله عليه فكان منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[١]، والعلم بالطب كبقية العلوم التي علمها الله تعالى للإنسان ما لم يعلم، ودراسته كشف عن آيات الله في خلقه، قال تعالى: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٢]، ومزاولة الطب من رحمة اله تعالى بعباده وهو عبادة ومرتبة عالية ترفع صاحبها إلى أعلى الدرجات إن عمل وفق الشريعة الإسلامية لذا ينبغي أن تجري المهنة في اتجاه الإحسان والرحمة مهما كانت الظروف والملابسات فهي تسمو عن الاعتبارات والأعراف التي درج الناس عليها، فليس للطبيب أن يتعامل باعتبارات العداوة أو الخصومة بل يجب عليه أن يتعامل بلطف وحنان ويبذل كل ما في وسعه في سبيل شفاء المريض وإسعاده وفي هذا شكر لله تعالى على هذه النعمة العظيمة التي منحها الله إياها وهي معالجة الناس في سبيل شفاءهم وتحصيل رضوان الله تعالى فكل هذا يزيد من تمسكنا بشريعتنا، إن الناس الذين جربوا كل قوانين الأرض وأنظمتها وأفكارها ومعارفها في عصرنا الحاضر رجع الواعون منهم إلى حضارة الإسلام ليجدوا فيه الحل الأمثل، لأنه مهما تقدمت الإنسانية ووصلت إلى أعلى مستويات الرقي والتقدم فإنها لم تجد أكثر مما جاء به الإسلام مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[٣].

خطة البحث

إن هذه الدراسة اقتضت مني تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة أما المقدمة فقد استعرضت فيها أهمية الطب، وأما المبحث الأول فقد أسميته الطب ومشروعيته، وتناولت فيه ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: التعريف بالطب والطبيب لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: مشروعية الأعمال الطبية في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثالث: صفات الطبيب المسلم.

وأما المبحث الثاني فقد أسميته حكم خطأ الطبيب وضمانه وقسمته إلى ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: الطب ضرورة شرعية وواجب إنساني.

المطلب الثاني: حكم خطأ الطبيب المتقن لمهنته الطبية.

المطلب الثالث: حكم خطأ المتطبب الجاهل

وأما الخاتمة فكانت خلاصة للبحث، وما توصلت إليه من نتائج وأفكار وما ظهر لي من سبق الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية في أعلى درجات تطورها وأرقى تقدمها، هذا وإني قد بذلت ما في وسعي من جهد ليأتِ البحث وافياً للغرض ملماً بجميع جوانبه، فكل جهد محدود بحدود ما وفق الله تعالى لصاحبه وما فتح عليه، فلا أرى نفسي قد أديت كل المطلوب غير أن ما لا يدرك جله لا يترك كله.

هذا وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
الطب ومشروعيته

المطلب الأول: التعريف بالطب والطبيب لغة واصطلاحا

الطبيب

الطب في اللغة: بكسر الطاء يأتي لعدة معان منها.

١. الحذق: فكل حاذق طبيب عند العرب والطب هو المهارة في الأشياء(٤).

٢. العلاج: فالطب هو علاج الجسم والنفس(٥).

٣. الطبيب لغة: هو الإنسان المختص بعلم الطب أو العالم به(٦).

٤. الاصطلاح: يقال طببته إذا أصلحته(٧).

وفي الاصطلاح: هو الحاذق في صناعة وله بها بصارة ومعرفة، بحيث يجلب الصحة المفقودة أو يحفظها بالشكل والشبه ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض(٨).

وقد عرفه ابن سينا بأنه: علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة، ليحتفظ بالصحة حاصلة ويستردها زائلة(٩).

وفي القانون: بأنه الشخص الحائز على درجة أو شهادة طبية من سلطة معترف بها تؤهله ممارسة الطب بجميع فروعه(١٠).

التطبيب لغة- الطب: بكسر الطاء وهو علاج الجسم والنفس، وبالكسرة الشهوة والإرادة والشأن والعادة والتطبيب يعني تغطية الخرز بالطبابة(١١).

والتطبيب المداواة والعلاج، يقال طب فلان فلانا أي: داواه، وجاء يستطب لوجعه: أي يستوصف الأدوية أيها يصلح لدائه(١٢).

وفي الاصطلاح: التطبيب علاج الجسم والنفس، فالتطبيب مرادف للمداواة، وهي لفظة لها علاقة بالدواء(١٣).

والتطبيب: هو نشاط يتفق في كيفيته وظروف مباشرته مع القواعد المقررة في علم الطب ويتجه في ذاته أي: وفق المجرى العادي للأمور إلى شفاء المريض(١٤).

المطلب الثاني: مشروعية الأعمال الطبية في الشريعة الإسلامية

يعتبر الإسلام بحق، الدين الرباني الذي حرر التعليم الطبي وممارسة العلاج من الاعتماد على الرقي والتمائم والعرافة وأبطل الاعتقاد بأن المرض ناتج عن الشياطين والنجوم والأرواح الشريرة، فليس المرض عقاباً على الخيانة ونقض العهد مع الخالق، وليس الطبيب كالكاهن، كما أن العلاج ليس من حق السحرة ولا المشعوذين(١٥). فقد بين الرسول الكريم ﷺ للعرب والناس كافة أن العدوى والمايكروب ليس هما السبب الوحيد في حصول المرض بل هناك أسباب أخرى بيد الله سبحانه وتعالى(١٦).

فالمرض ابتلاء من الله تعالى يكفر به الذنوب ويرفع الدرجات إذا تلقاه المسلم بصبر واحتساب فقد صح عن رسول الله ﷺ إنه قال: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**»(١٧).

كما أن طلب العلاج من قدر الله فلا منافاة بينه وبين الإيمان بالقدر والتوكل على الله سبحانه وتعالى(١٨).

فقد ورد أن أحد الصحابة سأل الرسول ﷺ قائلاً: يا رسول الله أرأيت رقىً استرقيها ودواء نتداوى به وتقاةً نتقيها هل ترد من قضاء الله شيئاً؟

فقال: «**هي من قدر الله**»(١٩).

وإن الأخذ بوسائل الطب وتعاطي الدواء تظافرت مشروعية أدلته من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول نوجزها فيما يأتي:

أولاً- القرآن الكريم:

١. قال تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٢٠).

دلت الآية على أن الله عز وجل أخبر عيسى عليه السلام أنه يقول ذلك لبني إسرائيل احتجاجاً منه بهذه العبر والآيات عليهم في نبوته، وذلك أن الأكمه والأبرص لا علاج لهما(٢١)، فيقدر على إبرائهما ذو طب بعلاج، ودلت على أن مداواته كانت بالدعاء وحده(٢٢).

٢. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾(٢٣).

وفي هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على أن في القرآن شفاء للمؤمنين من كل الأمراض الروحية والجسدية، الظاهرة والباطنة، وأما كونه شفاء من الأمراض الجسدية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثير من الأمراض(٢٤).

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[٢٥].

فالعسل شفاء للأمراض كما أن القرآن شفاء لما في الصدور ومن كانت نيته طاهرة ويقينه بالله كبيراً فإن العسل يعد شفاء له من كل مرض وداء[٢٦].

هذا وإن كان أكبر الدواء هو تقدير الغذاء[٢٧]. وقديماً قال أحد السلف[٢٨]: «جمع الله الطب كله في نصف آية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾»[٢٩].

ثانياً- السنة النبوية الشريفة:

حثت السنة النبوية الشريفة على التداوي والأخذ بأسباب العلاج:

١. فقد صح عن الرسول ﷺ أنه قال: «**لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل**»[٣٠].

٢. وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء**»[٣١].

٣. روي عن أسامة بن شريك الثعلبي أنه قال: كنت عند رسول الله ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «**نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير واحد**» فقالوا: ما هو؟، قال: «**الهرم**»[٣٢].

نلاحظ أن في هذه الأحاديث إثباتاً لمشروعية الطب والتداوي وحثاً على استعمال الأدوية[٣٣]. وحرمة التعرض للهلاك بإهمال العلاج[٣٤].

وفي ذلك تنشيط للأطباء والمختصين على زيادة التدقيق والبحث وإجراء التجارب كما أن في ذلك تقوية لنفس المريض فإذا استشعرت نفسه إن لدائه دواءً يزيله تعلقت بأمل الرجاء وخففت من مرارة اليأس وتنشطت قوى الدفاع في أعضائه مما يعين على سرعة الشفاء بإذن الله تعالى[٣٥].

٤. عن أبي حزامة ؓ قال: قلت يا رسول الله أرأيت رقىً نسترقيها ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيء؟ قال: «**هي من قدر الله**»[٣٦].

ثالثاً- الإجماع:

نقل جمع كبير من الفقهاء على مشروعية الأعمال الطبية[٣٧].

جاء في المغني: «ويجوز الاستئجار على الختان والمداواة وقطع السلعة لا نعلم فيه خلافاً، ولأنه فعل يحتاج إليه مأذون فيه شرعاً»[٣٨].

وجاء في تحفة الفقهاء: «واجمعوا أن الإمام إذا قطع يد السارق، أو البزاغ، والختان والفصاد والمأمور لقطع اليد إذا سرى فعلم لا يجب عليهم شيء»[٣٩].

رابعاً- المعقول:

إن في حفظ الصحة حفظاً للنفس ومنعاً لها من الإتلاف، وإن الله قد أنزل الداء والدواء، وإنما أنزله إلى الناس بمعنى أعلمهم إياه وأذن لهم فيه، كما أعلمهم التغذي بالطعام والشراب وإباحته لهم وهذا غير ظاهر في جواز التداوي كما في ذلك من المنافع[٤٠].

وكذلك حرمة إهلاك النفس بترك علاجها، كما فيه حث الأطباء ذوي الاختصاص للبحث وإجراء التجارب لاكتشاف الأدوية الناجحة للأمراض، وفي ذلك تقوية لنفس المريض إذا استشعرت أن لدائه دواء يزيله مما يعين على سرعة الشفاء بإذن الله[٤١].

فالمقصد العام للشارع من تشريعه الأحكام سواءً كانت تكليفية أم وضعية هو تحقيق مصالح الناس بكفالة ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتحسينياتهم[٤٢].

والضروري: هو ما تقدم عليه حياة الناس ولا بد منه لاستقامة مصالحهم، وإذا فقد اختل نظام حياتهم ولم تستقم مصالحهم، وعمت فيهم الفوضى والمفاسد[٤٣].

فقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٤٤]. فأوجب دفع الضرر عنها[٤٥]، ومن دفع الضرر عنها صونها ومعالجتها عند الحاجة.

ومما هو معلوم أن الشارع إذا أوجب أمراً تضمن ذلك إيجاب ما يتوقف عليه[٤٦].

لذا فإن الأمر بالتداوي يتضمن الأمر بممارسة الطب وإن التطبيب جلب للمنافع ودفع للمضار[٤٧]. والغرض منه حفظ الصحة موجودة وردها مفقودة[٤٨]. وهي من المقاصد الأساسية في التشريع الإسلامي.

والذي أميل إليه والله أعلم أن الأساس الصحيح في إباحة عمل الطبيب وعدم ترتيب المسؤولية عليه إذن من الشرع[٤٩].

فالشريعة الإسلامية عندما رخصت للطبيب بأن يزاول هذه المهنة فقد أذنت له بأن يعمل كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الشفاء، وهناك قاعدة شرعية تقول (الجواز ينافي الضمان)[٥٠]، فإن فعل الطبيب ما يجوز له فعله فلا يسأل عن الضرر الحادث ولو كان سبباً له[٥١].

المطلب الثالث: صفات الطبيب المسلم

قال رسول الله ﷺ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» رواه احمد ورجاله رجال صحيح[٥٢].

فالعنصر الأخلاقي له أهمية في تكوين شخصية المسلم، والطبيب المسلم إنما يستمد أخلاقه من أخلاق هذا الدين.

إذ تحتل الأخلاق بصفة عامة مكانة في تكوين شخصية المسلم مهما كانت مهنته أو صفته، يقول الإمام الرازي العالم المسلم: «واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس حافظاً لغيبهم كتوماً لأسرارهم لاسيما أسرار مخدومه، فإنه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من أخص الناس به مثل أبيه وأمه وولده، وإنما يكتمونه خواصهم، ويفشونه إلى الطبيب ضرورة إذا عالج من نسائه أو جواريه أو غلمانه أحداً...» ومهما نجح الطبيب في عمله ووفق في معالجته فليتواضع وليحمد الله تعالى أن يسر له ذلك وفتح عليه في هذا المجال[٥٣].

وأشار السبكي إلى الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب فقال: «من حقه بذل النصح والرفق بالمريض، وإذا رأى علامات الموت لم يكبره أن ينبه على الوصية بلطف من القول، وله النظر إلى العورة عند الحاجة وبقدر الحاجة».

يقول الإمام الرازي: «وما رأيت من المتطببين إذا عالج مريضاً شديد المرض فبرأ على يديه دخله عند ذلك عجب وكان كلامه كلام الجبارين، فإذا كان كذلك فلا كان ولا وفق ولا سدد»[٥٤].

ومن مظاهر اهتمام المسلمين بهذا الجانب الأخلاقي في إعداد الطبيب نصحوا أن لا يعلم الطب إلا صاحب أخلاق عالية ودين مستقيم وسلوك متميز لذا فكثير من أساتذة الطب المسلمين رفضوا تعليم سيئي الخلق هذا العلم[٥٥].

المبحث الثاني
حكم خطأ الطبيب وضمانه

المطلب الأول: الطب ضرورة شرعية وواجب إنساني

إن المتفق عليه في الشريعة الإسلامية بأن تعلم فن الطب فرض من فروض الكفاية، وإنه واجب حتم على كل شخص لا يسقط إلا إذا قام به غيره، وقد اعتبر تعلم الطب فرضاً وذلك لحاجة الناس للتطبيب[٥٦].

وإزاء هذه القيمة العظمى والمسؤولية الكبرى للإنسان فإن الله سبحانه وتعالى قد سلحه بالعلم وعلم الطب هو أبرز وسائل المعرفة لحماية ذلك المخلوق الذي كرمه الله سبحانه وتعالى لكي يؤدي رسالته في هذه الحياة[٥٧].

ولما كان الطب ضرورة شرعية وواجباً إنسانياً فقد كفل المشرع ما يقوم به من أعمال، فحين يقتضي الشرع رعاية مصلحة عامة جديرة بالاعتبار فإنه يجوز إخضاع الفرد لأفعال تمس سلامته البدنية كما في مجالات الإعداد لمهنة الطب كالإطلاع على عورة الإنسان[٥٨]، ودراسته ظاهراً وباطناً حياً وميتاً دون أن يخل ذلك بالاحترام والتكريم الذي يستحقه الإنسان وفي نطاق من خشية الله، وبالقدر والمنهاج الذي يراه أهل الاختصاص[٥٩].

ومن هذه المجالات: الإثبات الجنائي من أجل إظهار الحقيقة كالفحص الطبي من غسيل المعدة وفحص الدم والبول، والتحليل التخديري للتحقيق مع المتهم، والتحصين الإجباري ضد بعض الأمراض المعدية لغرض حماية المصلحة العامة.

وقد نص الفقهاء على جواز شق بطن الإنسان بعد وفاته في بعض المجالات[٦٠].

مثلاً لو أن حاملاً ماتت وفي بطنها ولد يضطرب، فإن كان غالب الظن أنه ولد حي، وهو في مدة يعيش غالباً، فإنه يشق بطنها، لأن فيه إحياء الآدمي بترك تعظيم الآدمي وترك تعظيم أهون من مباشرة سبب الموت[٦١].

لذا فإن حماية النفس يعد من مبادئ التكريم التي خص الله تعالى الإنسان بها حيث يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[٦٢].

ومعالم تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان كثيرة منها:

أولاً: أن الله قد نفخ فيه من روحه وأضاف خلق الإنسان إلى نفسه تشريفاً وتكريماً[٦٣]. حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٦٤]. فقد أسجد الله

سبحانه وتعالى له الملائكة[٦٥]، وجعله خليفة في الأرض، وألهمه عقلاً وتمييزاً وطاقة وإرادة[٦٦].

قال سبحانه وتعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٦٧].

هذه القيمة العظمى للإنسان هي التي فرضت إحاطة مخلوق الله المكرم بسياج من الضمانات التي قدرتها النصوص الشرعية لدرجة أن الاعتداء على الإنسان يعد اعتداء على المجتمع بأسره[٦٨].

إن من العجيب أن المسلمين إذا برعوا في فرع من فروع الطب وجدناهم في ذات الوقت بالمقدمة عند فروعه الأخرى، لا يقلون تمييزاً في أي جانب من جوانبه[٦٩].

فقد كان الطب نضالاً مستمراً بين الإنسان والمرض منذ القدم، ولقد أسهم المسلمون بقسط من هذا المجال وبذلوا جهوداً كبيرة من أجل التوصل إلى حقيقة الأمراض، والطريقة المثلى لعلاجها، وإذا تعمق الباحث في دراسته للمدن الإسلامية وقابلها بما كانت عليه أوربا أثناء تغلب الإسلام فإنه يعطي المسلمين نصيبهم من العمل في سبيل تقدم الإنسانية[٧٠].

ويمكن إعطاء صورة بسيطة في هذا المجال من خلال الاهتمام بفروع الطب المختلفة.

فقد أبدع علماءنا في هذا المجال، فها أنت تراهم قد اهتموا أيما اهتمام بدراسة العلوم الأساسية للطب كـ(علم التشريح) الذي يعتبر من أهم العلوم الأساسية في الطب إن لم يكن أهمها فقد مارسوه[٧١]، وإن كان على مجال ضيق ومما يدل على تلك المساهمة مؤلف ابن النفيس (شرح تشريح القانون)[٧٢].

وفي المجال العلمي يعظم شأنهم في كثير من الجوانب، فقد مارسوا الجراحة بل وأبدعوا فيها وقد سموها (علم الصناعة) وهم أول من أفردها بالكتابة فقد كتب علي بن العباس فصلاً خاصاً عنها في كتابه (كامل الصناعة) ثم تبعه الرازي بموسوعته (الحاوي في الطب)[٧٣].

المطلب الثاني: حكم خطأ الطبيب المتقن لمهنته الطبية

اتفق الفقهاء من الحنفية[٧٤] والمالكية[٧٥] والشافعية[٧٦] والحنابلة[٧٧] على مشروعية ممارسة الأعمال الطبية مما تتضمن من مساس بالأبدان إضافة إلى عدم مسؤولية الطبيب عن هذه الأعمال ما دام لم يتجاوز حدودها المقررة فالجراح أو الطبيب أو الختان أو الحجام بصفة عامة لا يسأل إلا عن الخطأ الفاحش وهو الذي لا يمكن أن يقع فيه طبيب آخر[٧٨]. فإن فعل الطبيب ما لا يفعله مثله ممن أراد الصلاح وكان عالماً بهذا فهو ضامن لتجاوزه في عمله الحدود المتعارف عليها عند أهل المهنة، أما إذا كان فعل الطبيب هو ما يفعله مثله من أهل العلم بصناعة الطب فلا ضمان عليه وان ارتكب خطأ يسيراً، وهو الذي يمكن أن يقع فيه طبيب مماثل[٧٩].

فهذه النصوص تؤكد على أنه يجب على من يزاول الطب أن يكون طبيباً ومن أهل المعرفة، علماً بأن القيام بالتطبيب مقيد وفق طبيعة الإجازة الطبية، فقد تكون هذه الإجازة عامة لمهنة الطب وقد تكون مقصورة على أعمال معينة وفي حالات خاصة، فالطبيب هو العارف بتركيب البدن، ومزج الأعضاء والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلاماتها، والأدوية النافعة فيها، والاعتياض عما يوجد فيها، والوجه في استخراجها وطريق مداواتها بالتساوي بين الأمراض والأدوية في كمياتها، ويخالف بينها وبين كيفياتها، فمن لم يكن كذلك فلا يجعل له مداواة المريض، ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه، ولا يتعرض لما لا علم له فيه[٨٠].

وورد في حاشية الدسوقي: «كذا الختان والطبيب فإذا اختتن الخاتن صبياً أو سقى الطبيب مريضاً دواءً أو قطع له شيئاً أو كواه فمات من ذلك فلا ضمان على واحد منهما لا في ماله ولا على عاقلته... وهذا إذا كان الختان أو الطبيب من أهل المعرفة ولم يخطئ في فعله»[٨١].

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام مالك اشترط إضافة إلى رضا المريض إذن الحاكم، ولا يعد الرضا صحيحاً إلا إذا أذن الإمام للطبيب بمزاولة العلاج والجراحة[٨٢].

إذ أن الشارع لا يثق في غير من رخص لهم بالعلاج[٨٣]. إذ هم في تقديره الذين يستطيعون القيام بعمل طبي يطابق الأصول العلمية، ويتجه في ذاته إلى شفاء المريض، وهناك مراسيم تنظم مزاولة المهنة الطبية[٨٤] في هذا العصر كالتسجيل لدى الصحة

والانتساب إلى نقابة الأطباء وغير ذلك، فالشخص الذي يقوم بالتطبيب أو الجراحة دون الحصول على الشروط المطلوبة يعد مسؤولاً عن عمله طبقاً للقواعد العامة للطب.

يجب على كل من يزاول مهنة الطب أن يكون لديه ترخيص من السلطة المختصة في الدولة إذ تمنح الدولة هذا الترخيص بعد التثبت من صلاحية الشخص للقيام بأعمال الطب والجراحة، ويقتضي ذلك بطبيعة الحال حصوله على الإجازة العلمية في الطب والجراحة.

ويضرب الفقهاء مثلاً في قصة فتاة سقطت من سطح فانتفخ رأسها فقال كثير من الجراحين إن شققتم رأسها تموت وقال واحد منهم إن لم تشقوه اليوم تموت وأنا أشقه وأبريها فشقه فماتت بعد يوم أو يومين، ولما سئل في ذلك أحد الفقهاء أفتى بأنه ما دام الشق بإذن وما دام الشق معتاداً، ولم يكن فاحشاً خارج الرسم، أي: لم يكن هناك خروج فاحش على القواعد الفنية المرسومة لهذا الشق فإذن الطبيب لا يضمن ولا يترتب عليه أية مسؤولية(٨٥).

ونستخلص مما تقدم أن الطبيب الحاذق في عمله وحاصل على الإجازة العلمية ويعمل ضمن نطاق عمله الطبي وبذل الجهد في سبيل شفاء المريض من غير حيف ولا تعدي بأنه لا يسأل جنائياً ولا مدنياً عن نتيجة أفعاله التي يمارسها على المريض ما دام قائماً بعمله على وجهه المشروع، يقول ابن عابدين(٨٦): ولا ضمان على حجام ولا بزاغ(٨٧).

ولا فصاد لم يجاوز الموضع المعتاد فإن جاوز ضمن الزيادة كلها، لأن فعلهم لا يتقيد بشرط السلامة(٨٨).

وقال ابن قدامة: «وأما إذا كان حاذقاً وجنت يده مثل أن تجاوز قطع الختان إلى الحشفة أو إلى بعضها، أو قطع في غير محل القطع أو بآله يكثر ألمها أو في وقت لا يصلح وأشباه من هذا ضمن فيه كله»(٨٩).

إن إباحة الأعمال الطبية وعمليات الجراحة والعلاج مشروطة بأن يكون ما يجريه الطبيب مطابقاً للأصول الفنية والعلمية المقررة في مجال اختصاصه، فإن حصل تفريط من جانب الطبيب في إتباع هذه الأصول أو إذا خالفها كان مسؤولاً عن جريمة عمدية، كما لو استعمل في إجراء العملية أداة غير معقمة. وذلك لأن عمل الطبيب يقتضي الانتباه واتخاذ الحيطة والحذر لدقة وخطورة ما يقوم به من عمل في جسم الإنسان، وينبغي أن يلاحظ أن فشل العلاج لا يعد قرينة قاطعة على خطأ الطبيب، فقد يفشل العلاج على الرغم من قيام

الطبيب بما ينبغي من إجراءات وفق أصول عمله الفني، لأنه على الطبيب أن يلتزم بمعالجة المريض والعناية به ضمن متطلبات العلم ولا يضمن له الشفاء[٩٠] ولا يسأل الطبيب إلا إذا ثبت إنه قد خرج على القواعد والأصول المقررة في اختياره العلاج المناسب أو الطريقة المقررة في العلاج، أو أهمل إهمالاً لا يصح أن يصدر عن طبيب، كما لو أهمل في متابعة حالة المريض بعد العملية، أو أهمل الاستشارة الضرورية في الوقت المناسب ففي هذه الحالة تنص مسؤولية الضمان على الطبيب لإهماله في عمله وعدم الاحتياط[٩١].

لذا نستنتج من هذا كله أنه إذا تخلف شرط من شروط إباحة العمل الطبي أو الجراحي[٩٢]، قامت مسؤولية الطبيب أو الجراح أو الختان أو الحجام عن الضرر الذي أصاب المريض (ويسميه الفقه السراية)[٩٣]. أي ما ينتج عن العمل من ضرر[٩٤]. فإن فعل الطبيب ما لا يفعله مثله ممن أراد الصلاح وكان عالماً بهذا فهو ضامن لتجاوزه في عمله الحدود المتعارف عليها عند أهل المهنة، أما إذا كان فعل الطبيب هو ما يفعله مثله من أهل العلم بصناعة الطب فلا ضمان عليه وإن ارتكب خطأ يسيراً[٩٥].

المطلب الثالث: حكم خطأ المتطبب الجاهل

لا يجوز للمتطبب الجاهل معالجة المرضى، ويجب منعه من ذلك، لأن ذلك يفضي إلى إتلاف أبدان الناس، إذا ثبت خطأ المتطبب فإنه يضمن السراية[٩٦]، تطبيقاً لقول الرسول ﷺ: «**من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن**»[٩٧].

وفي رواية لأبي داود: أيما طبيب تطبب على قوم لا يعرف له طب قبل ذلك فأعنت فهو ضامن[٩٨] فإذا قام هذا المتطبب بمزاولة الطب فهو معتداً آثم لأنه غير مأذون له من جهة الشرع ولأنه يفسد أبدان الناس وأرواحهم ومن هنا كان ضامناً لما اقترفته يداه[٩٩]. حتى إن بعض الفقهاء نصوا على منع هذا الصنف من المتطببين من العمل[١٠٠] عقوبة لاعتدائهم، أما من عالج غيره ولم يعرف الطب فهو ضامن وذلك لمنع الطبيب الجاهل ولحماية مهنة الطب من الدخلاء يجب صدور الترخيص بممارسة العمل الطبي أو الجراحي من صاحب الرعية المختص[١٠١].

وقد نص الفقهاء على أنه يحجر على الطبيب الجاهل أي يمنع من عمله لأنه يفسد أبدان الناس، إذا قام بالعمل الطبي الجراحي فهو معتد غير مأذون من جهة الشرع كما أنه بإدعائه الطب غرر بالعليل، ويلزمه حينئذ الضمان(١٠٢).

واستدلوا بأدلة عدة على ضمان المتطبب الجاهل:

١. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا﴾(١٠٣).

وجه الدلالة:

دلت الآية الكريمة على أن معنى (التهلكة) إذا تسببت في هلاكها وقيل التهلكة كل شيء تصير عاقبته إلى الهلاك، وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه(١٠٤).

٢. عن عمر بن شعيب عن أبيه وعن جده ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من تطبب ولم يعرف منه طب فهو ضامن**»(١٠٥).

وجه الدلالة:

بين النبي ﷺ أن لا يمارس الطب إلا من كان مختصاً به عارفاً بقوانينه، فإذا لم يكن كذلك كان ضامناً للضرر الذي يقع نتيجة خطئه، ويضمن من يدعي الطب ما نجم عن تطبيبه الخاطئ لأنه أخل بمسؤوليتين:

أحدهما: لأنه غر الناس بدعواه أنه طبيب وهو ليس كذلك.

ثانياً: لجهله بالأمور الطبية فيضمن الضرر والتلف الناجم عن جهله.

وكذلك دل الحديث على أن الطبيب أو الجراح أو الحجام أو الختان إذا قام بعمله فإنه يضمن ما أتلفه إذا لم يكن في صنعته حاذقاً أو عارفاً(١٠٦).

والحمد لله رب العالمين وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، الحمد لله الذي يسر لهذا البحث المتواضع الموسوم بـ(أحكام ممارسة الطب في منظور الفقه الإسلامي) وفي آخر المطاف هذه أهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث:

١. إن الشرع والقانون أباحا الأعمال الطبية لأنها لا تشكل اعتداءً على جسم الإنسان وروحه، بل هي تصونه وتعمل على شفائه.
٢. إن علة العمل الطبي هو إذن الشارع للطبيب في ممارسة عمله.
٣. إن من يتصدى للعمل الطبي يجب أن يكون طبيباً مرخصاً له بممارسة هذا العمل وأن يأذن له المريض أو وليه، وأن يقصد بعمله علاج المريض بإخلاص.
٤. لا مسؤولية على الطبيب إذا لم يؤدي عمله شفاء المريض أو زاد في مرضه أو أدى إلى وفاته، إذا قام بعمله بإخلاص مع توفر جميع شروط الإباحة.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

هوامش البحث

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٠.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام النحوي أبي الفضل مرتضى الحسيني الوسطي الزيدي، المطبعة الخيرية، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان: ٢٥٨/٣–٢٦٠، وينظر: مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، طبعة الكويت، وطبعة دار المعاجم في مكتبة لبنان سنة ١٩٨٨م : ٤١١.

(٥) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي، مطبعة المأمون، الطبعة الرابعة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م: ٩٦/١، المعجم الوسيط: ٥٤٩/٢.

(٦) تهذيب الصحاح لمحمد بن احمد بن محمد بن بختار الزنجاني، تحقيق: عبد السلام هارون، واحمد عطار، ومحمد الصبان، دار المعارف مصر، مادة (طبب)، وينظر: مختار الصحاح: ٤١١.

(٧) ينظر: تاج العروس، للزبيدي مادة (طبب): ٣/٢٥٨-٢٦٠.

(٨) أحكام القرآن، لأبي عبد الله بن احمد القرطبي (ت٦٧١هـ) دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى: ١٩٢/٧، فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار المعارف، بيروت، ط٤، ١٤٠٨هـ: ١١٠/١٠، شرح صحيح مسلم، الطبعة البهية المصرية ١٩٨٨م: ١٩٢/١٤.

(٩) القانون في الطب، لأبي علي الحسين بن علي بن سينا (ت٤٨٦هـ)، بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد: ٣/١.

(١٠) مجموعة البيانات والقوانين لسنة ١٩٢٥، تصدرها وزارة العدل، بغداد، ١٩٢٦: ٥٩.

(١١) لسان العرب، مادة (طبب) لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ) دار المعارف- القاهرة.

(١٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- مصر.

(١٣) مختار الصحاح مادة (طبب).

(١٤) مقدمة ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن إبراهيم بن خلدون، مطبعة الهلال، بيروت ١٩٨٣م/٣٠٩هـ.؟؟؟؟؟

(١٥) أخلاق الطبيب، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي: ٨٩، تحقيق: عبد اللطيف محمد، طبعة أولى ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، دار التراث، القاهرة.

(١٦) المنتقى شرح الموطأ، للإمام مالك أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التيجي القرطبي، طبعة دار الكتب العربية: ٢٦١/٧-٢٦٥.

(١٧) رواه البخاري عن أبي هريرة، صحيح البخاري مع فتح الباري: ١١٠/١٠.

(١٨) الفتاوى الهندية، تأليف مجموعة من فقهاء الهند على رأسهم الشيخ ناظم، مطبوع مع الفتاوى الخانية، طبعة دار إحياء التراث، والمطبعة الأميرية: ٣٥٤/٥، حاشية القليوبي: ٣٤٤/١، أعلام الموقعين، لأبن القيم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية،

بيروت (ت١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م): ٣٩٤/٤، أحكام القرآن، للقرطبي: ١٩٣/١٠، فتح الباري: ١١١/١٠، عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق العظيم آبادي: ٣٥٢/١٠.

(١٩) رواه الترمذي عن ابن خزامة، جامع الترمذي: ٢٣٢/٦ برقم (٢١٤٤)، وقال الحسن، مسند الإمام احمد للإمام احمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، المكتبة الإسلامية، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت: ٤٢١/٣.

(٢٠) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٢١) الأكمه: معناه الذي يولد أعمى وقد (كمه)، ومعنى البرص داء معروف، مختار الصحاح، للرازي: ٤٤، ٤٢٤.

(٢٢) تفسير الطبري، للإمام محمد بن أبي جرير الطبري: ٢٧٧/٢، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤، ينظر: تفسير الرازي للإمام الفخر الرازي: ٦٠/٨، المطبعة البهية المصرية- الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

(٢٣) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

(٢٤) التفسير الكبير، للإمام الرازي: ٨٤/٢١، مطبعة دار الكتب العلمية، طهران.

(٢٥) سورة النحل: الآية ٦٩.

(٢٦) أحكام القرآن، للقرطبي: ١٣٧/١٠.

(٢٧) أحكام القرآن، للقرطبي: ١٩٢/٧.

(٢٨) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٢. نقل ابن كثير هذا الأثر في تفسيره دون أن يعزوه لقائل.

(٢٩) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٣٠) رواه مسلم عن جابر، ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٩٠/١٤-١٩١.

(٣١) رواه البخاري عن أبي هريرة، ينظر: صحيح البخاري مع فتح الباري: ١١٠/١٠.

(٣٢) جامع الترمذي: ١٠٩/٦، وقال حسن صحيح.

(٣٣) النووي شرح صحيح مسلم: ١٩١/١٤، إحياء علوم الدين، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت: ١٦/١.

(٣٤) فتح القدير للعلامة كمال الدين محمد عبد الواحد الشهير بابن الهمام، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت: ٣٥٢/٥، مغني المحتاج: ٢٠٢/٤.

(٣٥) الطب النبوي، للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية، طبعة سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٢.

(٣٦) مسند الإمام احمد،: ٢٤٤/١، سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، خلف جامع الأزهر، مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة: ١٩٢/٨.

(٣٧) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الشربيني الخطيب، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م: ٢٢/٤، وحاشية ابن عابدين المسماة ورد المحتار على الدر المختار، طبعة مكتبة ماجدية، باكستان، وطبعة دار الفكر: ٦٨/٦.

(٣٨) المغني لموفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، دار الفكر، بيروت: ٣١٣/٥.

(٣٩) تحفة الفقهاء، لعلاء الدين السمرقندي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية- بيروت: ١٠٢/٣.

(٤٠) المنتقى على موطأ مالك، للباجي: ٢٦١/٧، دار الكتاب العربي، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٣٢هـ.

(٤١) الطب النبوي، لابن القيم: ص٢٢، المكتبة الثقافية- بيروت.

(٤٢) علم أصول الفقه، للشيخ عبد الوهاب خلاف، الطبعة الحادية عشر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، دار القلم، الكويت: ١٩٧.

(٤٣) ينظر: المصدر السابق: ١٩٩، وأصول الفقه، للشيخ محمد الخضري بك، الطبعة السادسة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر: ٣٠٠.

(٤٤) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(٤٥) علم أصول الفقه، لخلاف: ٢٠١، ينظر: أصول الفقه للخضري بك: ٣٠١.

(٤٦) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، طبعة دار المعارف: ١٧/٦، إحياء علوم الدين: ١٦/١، حاشية ابن عابدين: ٥٦٥/٦.

(٤٧) كشاف القناع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، طبعة السعودية: ٧٦/٢.

(٤٨) الطب النبوي، للذهبي، طبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦١م: ١٠٢، مقدمة ابن خلدون: ٢٦٤.

(٤٩) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، نشر دار الكتب العربية، بيروت، ومطبعة دار الإمام، القاهرة ١٩٧١م: ٣٠٥/٧، والمبدع في شرح المقنع لأبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح الحنبلي، طبعة أولى١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، الناشر المكتب الإسلامي، دمشق: ١١٠/٥.

(٥٠) المدخل الفقهي العام: الفقه الإسلامي في ثبوت الجديد: الدكتور مصطفى احمد، الزرقاء، الطبعة العاشرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، مطبعة طربين، دمشق.

(٥١) بدائع الصنائع: ٣٠٥/٧.

(٥٢) حديث صحيح: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن علي بن أبي بكر الهيثمي (ت١٣٥٢هـ)، مكتبة القدس، القاهرة: ١٨٨/٨.

(٥٣) أخلاق الطبيب نقلاً عن الإعداد التربوي المهني للطبيب عند المسلمين، د. عبد الرحمن النقيب، ط دار الفكر: ١٩١.

(٥٤) ينظر: المصدر السابق.

(٥٥) عيون الأدباء في طبقات الأطباء، لابن أصيبعة، منشورات دار مكتبة الحياة: ٦١/٣.

(٥٦) حاشية ابن عابدين: ٣٨٨/٦-٣٨٩، فتح القدير، لابن الهمام: ٣٥٢/٥، مغني المحتاج: ٢٠٢/٤، المغني: ١٦٢/٩.

(٥٧) نظرة الإسلام للطب، بحث لإبراهيم الصياد مقدم في مؤتمر الطب الأول، الكويت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م: ٥٦.

(٥٨) وذلك في مداواة النساء للرجال وقت الحرب وفي ظروف طارئة، ينظر: صحيح البخاري: ٦١/٦، صحيح مسلم: ١٨٩/١٢، وإحياء علوم الدين، للغزالي: ٦١/١.

(٥٩) المغني: ٧٧/٧، نهاية المحتاج إلى شرح المناهج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس احمد بن حمزة بن شهاب الدين المنوفي الرملي المصري الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت: ٣٥/٨.

(٦٠) الفتاوى الهندية: ٣٦٠/٥، حاشية الدسوقي: ٤٢٩/١، مغني المحتاج: ٣٦٧/١.

(٦١) تحفة الفقهاء، للسمرقندي: ٣٤٥/٣، القوانين الفقهية، للإمام أبي عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، دار القلم، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، شباط ١٩٧٧: ص٨٤.

(٦٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٦٣) فتح القدير: ١٣٠/٣، أحكام القرآن، للقرطبي: ٢٤/١٠.

(٦٤) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(٦٥) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٦٦) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٦٧) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٦٨) ينظر: أحكام القرآن، للقرطبي: ١٤٦/٦، تفسير الفخر الرازي: ٢١٢/١١.

(٦٩) الأمن والأمان في شريعة الرحمن، د.احمد صبحي آل سلوم، مقال في مجلة الحكمة، ع٢١: ١١-١٢، سنة ١٤٢١هـ.

(٧٠) بحث الطب والتداوي: د.محمد عبد الجواد النتشة، ضمن مجلة الحكمة ع١٧، ص٣٢، ١٤١٦هـ.

(٧١) البحث العلمي عند العرب والمسلمين في الطب: د.علي الدفاع: ٤٧، والطب عند العرب والمسلمين، تاريخ ومساهمات، د.محمود الحاج قاسم: ٩٩.

(٧٢) البحث والتداوي، د.محمد النشتة: ٤١، والطب الإسلامي للدكتور احمد طه، دار الأندلس العربية، القاهرة: ٤٧.

(٧٣) الطب الإسلامي لأحمد طه: ٦٣.

(٧٤) حاشية رد المحتار على الدر المختار: ٥٦٧/٦، بدائع الصنائع: ٣٠٥/٧.

(٧٥) حاشية الدسوقي: ٢٥/٤-٢٦، المنتقى: ٢٦١/٧.

(٧٦) الأم للشافعي: ١٨٥/٦، مغني المحتاج: ٣٥/٤.

(٧٧) كشاف القناع: ٧٧/٢.

(٧٨) مغني المحتاج: ٣٥/٤.

(٧٩) الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، تأليف احمد شرف الدين: ٥٠.

(٨٠) مسؤولية الأطباء ذكره عبد العزيز المراغي، مجلة الأزهر ٥٠ مجلد: ٢٠٧، نقلاً عن حق الطبيب في ممارسة الأعمال الطبية: ١/٣٣-٣٤.

(٨١) حاشية الدسوقي: ٤/٢٥-٢٦، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد القرطبي، الطبعة العاشرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢/٤١٨.

(٨٢) المنتقى، للباجي: ٧/٢٦١، التاج والإكليل لمختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الشهير بالمواق، مطبوع مع شرح الخرشي، دار صادر، بيروت: ٦/٣٢١.

(٨٣) بدائع الصنائع، للكاساني: ٧/٣٠٥، المنتقى، للباجي: ٧/٢٦١.

(٨٤) تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، لداود بن عمر الأنطاكي، وبالهامش (النزهة البهيجة في تشكيل الأذهان وتعديل الأمزجة)، للمؤلف، المكتبة الثقافية- بيروت: ١/٩.

(٨٥) حاشية ابن عابدين: ٦/٥٦٧.

(٨٦) حاشية ابن عابدين: ٦/٥٦٥.

(٨٧) البزاغ: أي البيطار والفصاد: من فصد: أي شق العرق، مختار الصحاح: ٥٣٠.

(٨٨) الاختيار لتعليل المختار، لبعد الله بن محمود ابن مودود الموصلي الحنفي، الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت: ٤/٩٦، الأم، للشافعي: ٦/١٨٩.

(٨٩) المغني: ٦/١٢١.

(٩٠) مجموعة المقررات الجزائية التي أصدرتها محكمة تمييز العراق، جمع سلمان بيات: ٢٩٠-٢٩١، والقرار رقم (٥٣٥) في ١٩٦٨/١١/٣٠.

(٩١) الفقه الجنائي في قرارات محكمة التمييز، الدكتور عباس الحسيني وكمال السامرائي، طبعة سنة ١٩٦٩، المجلد الثاني: ٢/٢١٧-٢٢١.

(٩٢) مغني المحتاج: ٤/٣٥.

(٩٣) الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، احمد شرف الدين أستاذ القانون المدني المساعد بجامعة عين شمس، مصر، والمجلس الوطني والثقافي والفنون والآداب، الكويت (ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م): ٥٠، والسراية معناها ما ينتج عن العمل من ضرر.

(٩٤) المغني، لابن قدامة: ٣٥/٤.

(٩٥) الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، د.احمد شرف الدين: ٥٤.

(٩٦) حاشية ابن عابدين: ٨٦/٦، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد: ٢٥٤/٢، القوانين الفقهية، لابن جزي: ٢٨٨.

(٩٧) سنن أبي داود (ت٢٧٥هـ) هو سليمان بن الأشعث بن بشير أحد أئمة المحدثين، رحل في طلب الحديث، وله المصنفات العظيمة منها السنن، طبعة دار الجيل، بيروت: ٣٢٩/١٢ (٤٥٦٢).

(٩٨) المصدر نفسه.

(٩٩) بداية المجتهد، ابن رشد: ٤٥٤/٢، المبدع، لابن مفلح: ١١/٥، أعلام الموقعين، لابن القيم: ٢٩٥/٤.

(١٠٠) حاشية الطحاوي على الدر المختار لأحمد الطحاوي الحنفي (ت١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، دار المعرفة، بيروت: ٨٤/٤.

(١٠١) المسؤولية الجنائية في الفقه الإسلامي، احمد فتحي بهنسي: ١٥٠، ط١، القاهرة ١٩٦١.

(١٠٢) الأم، للإمام الشافعي: ١٩/٦، مجمع الضمانات في مذهب الإمام أبي حنيفة، للبغدادي، طبعة عالم الكتاب: ٣٤، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، الدرديري لمخاصر خليل، لمحمد بن عرفة الدسوقي: ٥٢/٤.

(١٠٣) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

(١٠٤) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: ١٧١/١ ص٢، شركة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

(١٠٥) رواه أبو داود: ٥٢/٨-٥٣، والمستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار التراث العربي، بيروت: ٢١٢/٤.

(١٠٦) نظرية نفي الضرر في الفقه الإسلامي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الشريعة من قبل الطالب عبد الجبار حمد حسن شرارة: ١١٩، بإشراف الدكتور عبد الله الجبوري والدكتور آدم وهيب النداوي، ١٩٩٠.

المصادر

القرآن الكريم:

١. الأحكام الشرعية للأعمال الطبية، تأليف الدكتور احمد شرف الدين، أستاذ القانون المدني المساعد بجامعتي عين شمس والكويت، والمجلس الوطني والثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢. أحكام القرآن، لأبي عبد الله بن احمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى.

٣. إحياء علوم الدين، لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٤. الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود ابن مودود الموصلي الحنفي، الطبعة الثالثة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٥. أخلاق الطبيب، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، نقلاً من الإعداد التربوي والمهني للطبيب عند المسلمين للدكتور عبد الرحمن النقيب، ط دار الفكر.

٦. الأم، للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٧. الأمن والأمان في شريعة الرحمن: د. احمد صبحي آل سلوم، ضمن مجلة الحكمة، ع ٢١، ص١١-١٢، ١٤٢١هـ.

٨. البحث والتداوي عند العرب والمسلمين في الطب: د. علي الدفاع.

٩. بدائع الصنائع، لأبي بكر بن سعود الكاساني، طبعة دار الكتاب العربي، طبعة دار الكتب العلمية.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس، للإمام النحوي أبي الفضل مرتضى الحسيني الوسطي الزيدي، المطبعة الخيرية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

١١. تحفة الفقهاء، لعلاء الدين السمرقندي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢. تفسير الرازي، للإمام الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، للإمام محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الحرمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

١٣. تهذيب الصحاح، لمحمود بن احمد بن محمد بن بختيار الزنجاني، تحقيق: عبد السلام هارون، واحمد عطار، ومحمد الصبان، دار المعارف، مصر.

١٤. جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي، طبعة ثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

١٥. حاشية ابن عابدين المسماة برد المحتار على الدر المختار، طبعة مكتبة ماجدية، باكستان، وطبعة الفكر، طبعة دار إحياء التراث.

١٦. حاشية الطحاوي على الدر المختار، لأحمد الطحاوي الحنفي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، دار المعرفة، بيروت.

١٧. حاشية القليبوي على شرح جلال الدين المحلي لمنهاج الطالبين، أبو العباس احمد بن سلامة شهاب الدين القليبوبي، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

١٨. حق الطبيب في ممارسة الأعمال الطبية، والمسؤولية الجنائية: عادل إبراهيم، رسالة في القانون، جامعة بغداد ١٩٧٧م.

١٩. سنن ابن ماجه، للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، خلف جامع الأزهر، مطبعة إحياء الكتب العربية، القاهرة.

٢٠. سنن أبي داود، للإمام أبي داود بن سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الجيل، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، طبعة دار الجيل لنفس السنة.

٢١. صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، نشر دار الفكر.

٢٢. الطب الإسلامي: د. احمد طه، دار الأندلس العربي، القاهرة.

٢٣. الطب النبوي والعلم الحديث: محمود ناظم النسيمي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق.

٢٤. الطب النبوي، لأبو عبد الله محمد بن احمد الذهبي، طبعة أولى ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، مطبعة البابي الحلبي، مصر.

٢٥. الطب النبوي، للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية، طبعة سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٦. علم أصول الفقه، للشيخ عبد الله خلاف، الطبعة الحادية عشر ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، الناشر دار القلم، الكويت.

٢٧. علم أصول الفقه، للشيخ محمد الخضري بك، الطبعة السادسة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، دار الاتحاد العربي للطباعة، مصر.

٢٨. مقدمة ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن إبراهيم بن خلدون، مطبعة الهلال، بيروت ١٩٨٣م.

٢٩. عيون الأدباء في طبقات الأطباء، لابن أصيبعة، منشورات دار مكتبة الحياة.

٣٠. الفتاوى الهندية، تأليف مجموعة من فقهاء الهند على رأسهم الشيخ ناظم، مطبوع مع الفتاوى الخانية، طبعة دار إحياء التراث، والمطبعة الأميرية.

٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أبي الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، المطبعة البهية المصرية.

٣٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، نشر دار المعرفة، بيروت.

٣٣. فتح القدير، للعلامة كمال الدين محمد عبد الواحد الشهير بابن الهمام، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت.

٣٤. الفقه الجنائي في قرارات محكمة التمييز، د. عباس الحسني، وكمال السامرائي، المجلد الثاني، جرائم الاعتداء على الأشخاص، طبعة سنة ١٩٦٩.

٣٥. القاموس المحيط، لمجد الدين الفيروز آبادي، مطبعة المأمون، الطبعة الرابعة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٣٦. القانون في الطب، لأبي علي الحسين بن علي بن سينا، بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد.

٣٧. كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، طبع ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، المكتب الإسلامي.

٣٨. لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٢٥هـ)، ملتزم الطبع والنشر شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

٣٩. لسان العرب: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرك (ت٧١١هـ)، دار المعارف، القاهرة.

٤٠. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ١٣٥٢هـ، مكتبة القدس، القاهرة.

٤١. مجموعة المقررات الجزائية التي أصدرتها محكمة تمييز العراق، جمع سلمان بيات، رقم القرار (٥٣٥) في ١٩٦٨/١١/٣٠.

٤٢. مختار الصحاح، للشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، مطبعة الكويت، وطبعة دائرة المعاجم في مكتبة لبنان سنة ١٩٨٨م، مطبعة المركز العربي للثقافة والفنون، لبنان.

٤٣. مسؤولية الأطباء، ذكره عبد العزيز المراغي، مجلة الأزهر، ٥٠ مجلد.

٤٤. المستدرك على الصحيحين: محمد عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار التراث العربي، بيروت.

٤٥. مسند الإمام احمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.

٤٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن علي المقري الفيومي (ت٧٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

٤٧. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد الشربيني الخطيب، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، مصر ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

٤٨. المغني، لموفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، دار الفكر، بيروت.

٤٩. المنتقى شرح موطأ الإمام مالك، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ، مطبعة السعادة، مصر.

٥٠. نظرة الإسلام للطب، بحث لإبراهيم الصياد، مقدم من مؤتمر الطب الأول، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٥١. نظرية نفي الضرر في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة بالقانون للدكتور عبد الجبار حمد حسين شرارة، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة– جامعة بغداد.

٥٢. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس احمد بن حمزة بن شهاب الدين المنوفي الرملي المصري الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير، طبعة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣. القوانين الفقهية، للإمام أبي عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن جزي الكلفي (ت٧٤١هـ)، دار القلم، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، شباط ١٩٧٧م.

٥٤. تفسير الفخر الرازي، للإمام الفخر الرازي المشهور بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، للإمام محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الجرمي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٥٥. تذكرة أولي الألباب والجامع للعجيب العجاب، لداود بن عمر الأنطاكي، وبالهامش (النزهة المبهجة في تشحين الأذهان وتعديل الأمزجة) للمؤلف، المكتبة الثقافية، بيروت.

٥٦. بداية المجتهد ونهاية المقتصد: الإمام القاضي أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن راشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (ت٥٩٥هـ)، الناشر الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٥٧. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد عرفة الدسوقي، مطبوع بهامش الشرح الكبير، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

٥٨. أعلام الموقعين، لابن القيم، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية، بيروت.

حقوق الجنين في الشريعة الإسلامية

د. نهاية محمد سعيد نصيف القيسي
كلية البنات

المقدمة

تتعالى كل يوم الصيحات بحقوق الإنسان، ويُتَّهم المسلمون بأنهم لا يحترمون حقوق الإنسان، وهذا افتراء على الله وعلى رسوله ﷺ، وعلى الإسلام والمسلمين والبشرية جمعاء، فالإسلام أعطى لكل ذي حق حقه حتى حقوق الطفل وهو في بطن أمه، بل قبل أن يبدأ تكونه وتخلقه، وذلك بحسن الاختيار عند التفكير في الزواج، مراعاة لعامل الوراثة والبيئة في سلوك الأولاد؛ لأن العرق دساس كما هو معروف وقد قال بعض الحكماء لأولاده: لقد أحسنت إليكم كباراً وصغاراً وقبل أن تولدوا، لأنني اخترت لكم أُمًّا لا تسبون بها.

قرر الإسلام للجنين حقاً في الأصل الوحيد بأن شرع الزواج وجعله الطريق الوحيد للذرية والأبناء، قال تعالى: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾[1]، فجعل الرحم مكان الزرع والنطفة هي البذرة.

والشهود من شروط العقد في الإسلام فعندما يتزوج المسلم يشهد المسلمون على ذلك، وهذا يحفظ حق الجنين في أبوين ثابتين معلومين موثقين.

كما جعل الإسلام إعلان الزواج من الفوارق بين النكاح والسفاح فالإعلان معناه معرفة الجميع بالزواج ومصدر الذرية والجنين.

كما شرع الإسلام العدة لبراءة الرحم، وهذا يحفظ للجنين حقه في أصله فلا يضيع الجنين بين الأزواج كما يحدث إذا غابت العدة.

وإذا تكون الجنين في بطن أمه وجب احترام حقه في الحياة فلا يجوز إجهاضه، ولو حصل عدوان عليه فأسقط وجبت على المعتدي فدية يطلق عليها اسم (الغرة)[2].

وأوجب الإسلام مسؤولية الأب والأم عن الجنين؛ لأنه من رعيتهم وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فقد قرر الإسلام النفقة على الحامل وحمايتها اجتماعياً وفي هذا حماية لحق الجنين في الغذاء والدفء والهدوء، قال تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[3].

كما قرر العلماء أن صحة المرأة الجسمية والنفسية لها تأثير في الجنين، فلابد من توفير ما يحفظ لها ذلك.

ومن مظاهر وصايا الشرع بالأم الحامل جواز فطرها في رمضان إذا خافت على نفسها أو على جنينها من الصيام.

ولابد من حفظ حق الجنين في الميراث فلو توفي الزوج وامرأته حامل، قدّر له ما يستحقه إن جاء ذكراً أو أنثى، كما قرروا وجوب معالجة الزوجة من الأمراض وبخاصة إذا كانت حاملاً؛ لأن المرض يؤثر في الجنين إلى غير ذلك مما يؤكد عناية الإسلام بالأطفال قبل أن يفكر المعاصرون في ذلك بقرون.

هذهِ مقدمة مجملة لحقوق الجنين وسوف أتطرق إلى تفاصيل دقيقة في هذا البحث مفصلة القول في آراء الفقهاء وأدلتهم وترجيحاتهم التي تدل على مدى سماحة الإسلام وعدالته.

وقد قسمت البحث إلى أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف حق الجنين لغة واصطلاحاً.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحق لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الجنين لغة واصطلاحاً والألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثاني: حق الجنين في أبوين صالحين مراعاة صحة أمه وفيه مطلبان.

المطلب الاول: حق الجنين في اختيار ابوين صالحين

المطلب الثاني: حق الجنين في مراعاة صحة الأم الجسدية والنفسية

المبحث الثالث: حق الجنين في الحياة.

المطلب الأول: حرمة الإجهاض وأقوال الفقهاء في ذلك.

المطلب الثاني: عقوبة الاعتداء على الجنين.

المبحث الرابع: أهلية الجنين وحقوقه المالية.

المطلب الأول: أهلية الجنين.

المطلب الثاني: حق الجنين في الميراث.

وليعلم القارئ الكريم أن الغاية من البحث هو أن يعلم الإنسان أن الإسلام دين الله تعالى هو الحق ولا حق سواه ولن يجد عدلاً وسعادة إلا فيه ولا اطمئنان إلا به، هذا والله تعالى أسأل القبول وحسن الختام.

المبحث الأول
حق الجنين لغةً واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريف الحق لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الحق في اللغة: مصدر من حق الأمر حقاً حقوقاً بمعنى وجب وثبت أو صح وصدق كقوله تعالى: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾(٤).

واستحق الشيء، واستحق الأمر: أستوجبه، واستحق الإثم: وجبت عليه عقوبته، وحقق الأمر: أثبته وصدقه، والاستحقاق طلب الحق(٥).

ثانياً: تعريف الحق شرعاً: هو الحكم المطابق للواقع، ويطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل(٦).

ويعرف ايضاً: ظهور كون الشيء حقاً واجباً للغير، وأيضاً ما ثبت به الحكم(٧).

والحق من أسماء الله تعالى، هو المحقق كونه ووجوده، قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾(٨).

والحق: هو الثابت بلا شك.

والحق: الحزم، والحق: الصدق والعدل وهو من صفات القرآن الكريم إذاً الحق يدور حول معنى الثبوت والوجوب.

يقال حق الإنسان: يعني من حقه فعل كذا أو ترك فعل كذا أو تملك كذا، دون تبعة عليه.

وحق الإنسان يلزم غيره عدم الاعتداء على أي نوع من حقوقه وبأي لون من ضرر.

وقد وضع الإسلام الحنيف موضوع الحقوق في منزلة خطيرة حتى نرى الوعيد الشديد لمن تعدى عليها أو استنقصها.

ومن هنا جعل الإسلام الحق الخاص للفرد منظومة مع حق الجماعة فيتكون من مجموع حقوق الأفراد حق الجماعة الذي تقوم عليه الأمة ولا يتأتى هذا إلا بالعدل، وبالوقوف على أن الفرد لا يعيش منعزلاً عن مجتمعه، مع حقه أيضاً في العزلة، لكن طالما رضي الحياة وسط مجموعة أفراد- وهذا ما يعرف بالمدنية- وجبت له حقوق وعليه واجبات هي حقوق الآخرين.

وعرف بعض المعاصرين الحق بأنه: «كل مصلحة مستحقة لصاحبها شرعاً»(٩).

ويستفاد من ذلك:

١- أن الحق مصلحة؛ لأن الضرر لا يسمى حقاً أبداً.

٢- والحق بذلك كل ما يخص الشخص من المنافع، أدبية كانت أم مادية، تعلقت بالمال كحق الملكية وحق الشفعة، أم بالنفس كحق الولاية، وحق الحضانة، أو تعلقت بحق النظام العام كحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- وبهذا قال المصلحة لا تشمل الأعيان؛ لأنها لا تسمى مصلحة، ويؤيد ذلك أن الفقهاء يذكرون الحقوق في مقابلة الأعيان[١٠]. والحنفية يذكرونها في مقابلة الأموال[١١].

٤- وهذهِ المصلحة مستحقة بالاختصاص بصاحبها، وإن لم تحقق لصاحب الحق نفسه فائدة أو منفعة، كحق الله تعالى في عبادته وإقامة حدوده، وهذا الحق لا يعود بالنفع على الله تعالى فهو الغني سبحانه، ولكن نفعه عائد إلى الناس.

- **مصادر الحق:**

إنما أصبح الحق حقاً استناداً إلى أمر الله ونهيه (التشريع) فكل أنواع الحقوق مردها إليه: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾[١٢]. وأمر الله ونهيه أي حكمه منه قوله تعالى: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[١٣].

- **إثبات الحق:**

تثبت الحقوق بالأدلة خاصة في موضع النزاعات كمن أدعى على غيره مالاً فعليه وصف مصدره، وهل كان ببيعاً أو قرضاً أو عوضاً[١٤].

وأدلة إثبات الحقوق تنحصر في:

الكتابة، شهادة الشهود، القرائن، الإقرار واليمين، المعاينة والمخابرة.

ولم تفرق الشريعة بين الأفراد في الحقوق إلا لما عليهم من واجبات، فحق الفقير في الحياة هو نفسه حق الغني، وحق الغني في التملك لا يمنع حق الفقير في الأخذ، وحق الحاكم لا يكون بإنتقاص حق المحكوم في ماله أو نفسه، وهذا هو الظلم، وهكذا وضعت شريعتنا ضوابط وحدوداً حتى لا تختلط الحقوق أو تذوب، وهو ما يسمى باحترام الحقوق.

حتى وضعت كذلك ضوابط لأصحاب الحق ولو لم يقدروا على استعماله مثل حق الجنين والمجنون وكذا حق الغائب.

المطلب الثاني: تعريف الجنين لغة واصطلاحاً والألفاظ ذات الصلة

أولاً: الجنين في اللغة: هو الولد ما دام في رحم الأم[١٥].

وفي القرآن الكريم ورد لفظ الجنين في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾(١٦).

ثانياً: معنى الجنين شرعاً.

قال الإمام القرطبي في تفسيره: معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾، جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن سمي جنيناً لاجتنابه واستتاره(١٧).

وقال ابن حجر العسقلاني: «الجنين حمل المرأة ما دام في بطنها، سمي بذلك لاستتاره»(١٨).

والجنين: وصف للحمل ما دام في بطن أمه والجمع: أجنة، وأجُنن، سمي بذلك لاجتنانه أي: استتاره، يقال: «جن الجنين يجن جنا وأجن واجتن واستجن: استتر، وأجنت المرأة جنيناً: حملته»(١٩).

والحمل: ما يحمل في البطون من الأولاد.

يقال: حملت المرأة ولدها، وبولدها تحمل حملاً: حبلت، فهي حامل(٢٠).

وفي المبحث الاتي نجد كيف راعى الإسلام حق الجنين منذ كونه نطفة إلى أن يبلغ أشده حتى يلقى الله تعالى، بل وضع الإسلام ضوابط للمرحلة التي تسبق تكون هذا الجنين وذلك بحسن اختيار الزوج والزوجة، كما سيأتي في المبحث الثاني.

المبحث الثاني
حق الجنين في أختيار أبوين صالحين ومراعاة صحة امه

المطلب الأول: حق الجنين في اختيار ابوين صالحين

بيّن القرآن الكريم وكذا سنة رسوله الأمين ﷺ في ضرورة الاهتمام والتدقيق عند اختيار الزوج وكذا الزوجة لاختيار ابوين صالحين لانجاب مولود صالح سليم.

وبيّن الله تعالى أن الأسرة الصالحة تنشأ بين أبوين صالحين يتقيان الله تعالى بإقامة أوامره والانتهاء عن نواهيه.

قال تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾[٢١]، فجعل العلة صلاح الأب الذي هو عليه الكسب غالباً، فعليه أن يطعم زوجته التي تحمل ولده حلالاً طيباً.

ويقول رسول الله ﷺ: «**يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به**»[٢٢].

فتأمل ماذا يصنع السحت وهو الحرام بالإنسان بدءاً من جسده وعقله وسلوكه ومستقبله، وهذا مع تسليمنا بأن لا تزر وازرة وزر أخرى، حيث لا ذنب لهذا الجنين أن أطعمهُ أبواه حراماً، ولكننا نذكر حقه، وإن كان لا يقدر على إعماله.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ ﴾[٢٣].

فقد أسند ترتيب الشقاء إلى آدم ﷺ خاصة، دون زوجه إيجازاً؛ لأن شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون مع الإيماء إلى شقاء الرجل أصل شقاء المرأة[٢٤]، إذن فالرجل هو المسؤول عن الكسب من مطعم وملبس ومشرب ومسكن، وقبل هذا وذاك عن التربية.

ويقول رسول الله ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»، قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟ قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**» ثلاث مرات[٢٥].

فقد جعل لقبول الرجل زوجاً للمرأة شرطين:

١- الدين.

٢- الخلق.

والدين يشمل: إقامة الصلاة، والصوم، وأداء الزكاة للقادر، والحج للمستطيع... ويدخل فيه جميع أنواع العبادات التي هي أمارات على قوة وحسن دين فاعلها كالذهاب لصلاة الجماعة والالتزام بالهدي النبوي الشريف.

والأخلاق تجمع كل خصال الخير: من بر الوالدين، وإحسان لجاره، وحسن أسلوب ولهجة، وأداء للأمانة، وحفظ العهد، والصدق، والعفة، والصبر، والحكمة.

والمتأمل في مبحث الكفاءة في الفقه الإسلامي يراها لا تخرج عما سبق مع السلامة من العيوب والنسب والحرية، وأن يكون صاحب عمل يكتسب منه قوته[٢٦]، إذن ليست الكفاءة مادية فقط، بل يكون حسياً أيضاً فقد يكون سيئاً ذا مال لكنه فاسق ضال.

هذا ما يخص الرجل، أما ما يخص حق الجنين في أن يختار له والده أماً صالحة ذات دين، فيقول تعالى: ﴿ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[٢٧]، جمعت هذهِ الآية الكريمة صفة الزوجة التي تبني بيتاً تملؤه دفئاً وحناناً، وتزرعه ورعاً وتقوى، وتفيئه خلقاً وعفة، فبدأت بقوله تعالى: ﴿فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ ﴾.

يقول ابن عاشور: «أي إذا كان الرجال قوامين على النساء فمن المهم تفضيل أحوال الأزواج منهن ومعاشرتهن أزواجهن وهو المقصود»[٢٨].

فوصف الله الصالحات منهن وصفاً يفيد رضاه تعالى فهو في معنى التشريع: أي ليكّن صالحات، والقانتات المطيعات لله تعالى، والقنوت: عبادة الله، وقدّمه هنا للدلالة على تلازم خوفهن الله وحفظ حق أزواجهن ولهذا قال: ﴿ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾ ، أي: حافظات أزواجهن عند غيبتهم.

فمن كل ما شأنه أن يحرسه الزوج الحاضر من أحوال امرأته في عرضه وماله، فإذا حضر يكون من حضوره وازعان[٢٩]، يزعها بنفسه، ويزعها كذلك أشتغالها بزوجها، أما حال الغيبة فهو حال نسيان واستخفاف، فيمكن أن يبدو فيه من المرأة ما لا يرضي زوجها إن كانت غير صالحة أو سفيهة الرأي.

وقوله تعالى: ﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾[٣٠]، أي: حفظاً ملابساً لما حفظ الله، أي: أنهن يحفظن أزواجهن حفظاً مطابقاً لأمر الله تعالى، وأمر الله يرجع إلى ما فيه حق للأزواج إذا لم يكن فيه حرج على المرأة[٣١].

وجاء في حديث رسول الله ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك**»[٣٢].

فبيّن هذا الحديث الأسباب الداعية والمرغبة في الزواج من النساء[٣٣]:

١- **مالها:** وهي صاحبة المال إما من ورث أو اكتساب، كصاحب الأراضي والمنازل والسيارات والذهب... الخ.

٢- **حسبها:** ذات الشرف لمكانة آبائها وأقاربها، وبأن تكون من عائلة محترمة موقرة بين غيرها، ومن ذوي المناصب والمراكز المرموقة.

٣- **وجمالها:** وهذا أكثر ما يُرَغِّب الرجال في المرأة، حيث يفتتن الرجل بهذهِ الصفات من المرأة ويبحث عنها حتى يعميه جمالها عن كثير من عيوبها الخُلقية، فيسكت عنها

بدعوى إنها ستهدى بعد الزواج، حتى يتزوج بعضهم التي لا تصلي أو التي لا تتحجب، ثم هيهات أن يجني غير الشقاء والواقع مصدق لذلك.

٤- **ولدينها:** وصاحبة الدين هي التي تؤسس بنياناً قائماً على التقوى، وحتى تكون حقاً ذات دين يجب أن تكون:

١- مؤمنة إيماناً صحيحاً لا تشوبه شائبة شرك أو نفاق.

٢- تعبد الله تعالى بأداء الفرائض أداءً صحيحاً سليماً، وفق السنة الشريفة، تحافظ على السنن والرواتب والنوافل قدر استطاعتها مع إحسان أداء الصلاة دون عجل أو تفريط.

٣- مؤدية زكاة مالها إن كانت صاحبة مال مع التصدق بما تستطيع.

٤- صائمة رمضان صياماً سليماً يقوم أخلاقها ويرفع من إيمانها.

٥- حاجّة البيت إن استطاعت وتعتمر إن قدرت.

٦- لا تخرج متبرجة بل بزيّها الشرعي الذي لا يصف ولا يشف.

٧- قارئة للقرآن الكريم وتتعلم أحكامه، وتأخذ بقدر طيب من معرفة تفسيره وتجتهد في تعلم الدين، حتى تعبد الله على بصيرة.

٨- آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر، حتى تصبح امرأة صالحة مصلحة لأسرتها ومجتمعها، ذات صحبة نقية تعينها على الطاعة.

٩- بارّة بوالديها، مع عدم الإخلال بواجب زوجها عليها وبإذنه لها.

١٠- محسنة لجيرانها مقدمة يد العون للمحتاجين بإذن زوجها إلى آخر صفات المرأة المسلمة التي بيّنها كثير من العلماء.

والمتأمل لحديث رسول الله ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**»[٣٤].

وقوله ﷺ: «... **إلا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته**»[٣٥].

فليتأمل الإنسان الصادق حال طفل يشب في بيت مسلم من أبوين تقيين خاشعين قانتين لله تعالى.

أنظر إلى الجنين حين يرث هذهِ الصفات الحسنة من أبيه وأمه، أليس هذا الميراث أفضل وأبقى من ميراث المال الزائل والذي يكون غالباً سبباً في الفساد.

ويستحب له أن يتزوج غير القريبة لما في ذلك من فوائد كثيرة، فقد روي أن عمر ﷺ قال لآل السائب: قد أضويتم فأنكحوا في النوابغ، أي تزوجوا الغرائب وابتعدوا عن زواج الأقارب تحسيناً لنسلكم[٣٦]، وأمر الرسول ﷺ الرجل أن ينظر إلى المرأة قبل الزواج منها، وفي هذا ضمان للجنين أن أمه خالية من العيوب ومن الأصول الوراثية غير السوية التي يظهر أثرها على المرأة والرجل.

والأولى أن يستخير الله تعالى- وهي كذلك- ويستشير حتى لا يقدم على أولى خطواته بالخطأ والعجلة.

المطلب الثاني: حق الجنين في مراعاة صحة الام الجسدية والنفسية

اولاً: الاهتمام بحالة الام الصحية والجسدية:

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[٣٧]، تصف الآية الكريمة حالة الأم أثناء حملها، مما يصيبها من أثر هذا الحمل من آثار تظهر على وجهها وصحتها وسائر أحوالها، فيصيبها ضعف في البدن نتيجة هذا الحمل، مع كونها لا تترك عمل بيتها وخدمة زوجها وقد يكون لها أولاد في حاجة كذلك إلى خدمتها فترى الضعف يتضاعف عليها.

ثم هي في غالب أحوالها تهمل كثيراً في طعامها، مع أن الجنين يتغذى منها، فلا يزال الضعف في إزدياد إلى بدء الوضع وما يصاحبه من ألم ومعاناة، فكان حقاً لهذهِ الأم من وافر البر والرعاية خاصة من زوجها ولهذا يقول الرسول الكريم ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»[٣٨].

وفي هدي الرسول ﷺ خير بيان، حيث كان يلاطفهن قولاً وفعلاً فيدخل نساء الأنصار للّعب مع عائشة رضي الله عنها ويتتبع مكان شرابها إذا شربت وكان يسابقها في السفر وكان يريها- وهي متكئة على منكبه- لعب الغلمان من الحبشة في المسجد[٣٩].

فمن حق الزوجة أن يهتم الزوج بصحتها وكونها حاملاً تكون لها مزيد عناية واهتمام حفاظاً على صحة الجنين الذي في بطنها.

فمن حق الجنين أن يهتم الزوج بطعام الأم وغذائها بما ينبه عليه الأطباء مما يفيد الأم ويعينها على تحمل هذا العبء.

ففي الحديث يقول ﷺ: «.... **وأنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى فيِّ امرأتك..**»[٤٠]، دليل على وجوب الإنفاق على الأهل مع الثواب، وذلك بالاحتساب لوجه الله تعالى، وصدق نيته، ودفع مظنة عدم الأجر على الواجب[٤١].

وعلى هذا فعلى الرجل بذل الجهد في إطعام أهله ما يفيدهم مدة حملها، بما يساعدها على تحمل هذا العبء وهذا بقدر استطاعته، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وفيما روي عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «كان يبيع نخل بني النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم»[٤٢]، فهذا دليل على توفير الطعام للأهل حتى ولو لسنة.

وقال بعض العلماء: أن من النفقة الواجبة على الزوج لزوجته ما تحتاجه وهي حامل عند الوحم؛ لأنه من المعاشرة بالمعروف وبالتالي لا يجوز إيذاؤها حتى باللفظ الذي يؤلمها نفسياً؛ لأنه يؤثر في الجنين.

كذلك لابد للأم هي أيضاً أن تهتم بصحتها وصحة جنينها فعليها الابتعاد عن التدخين ويحرم عليها تناول المسكرات، أو المخدرات، وعلى الرجل الانتباه إلى ذلك، ونحن نتحدث عن الأحكام في مجتمع نظيف مسلم يتق الله في كل أموره.

أما المجتمعات الغربية والتي لا تدين بدين فإنها مجتمعات يكثر فيها شرب الخمر والأدمان على المخدرات والعلاقات المحرمة والتي كان من نتيجتها مرض الإيدز والذي ينتقل إلى الجنين ويخرج إلى الدنيا حاملاً لهذا المرض بسبب جناية أمه عليه، وهذا بفضل الله لا يوجد في المجتمعات الإسلامية ما التزمت بشرع الله وطبقت أحكامه لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[٤٣].

ومن مظاهر اهتمام الشريعة الإسلامية بصحة الأم الحامل مع جنينها جواز الفطر في رمضان للحامل إن خافت على نفسها أو خافت على الجنين أو على الاثنين معاً.

فقد ذهب جمع من أهل العلم منهم الحسن البصري وعطاء والضحاك والنخعي وربيعة والأوزاعي وأبو حنيفة إلى أن الحامل تفطر ولا إطعام عليها؛ لإنها بمنزلة المريض يفطر ويقضي، وهو قول الإمام مالك في الحبلى إذا أفطرت[٤٤].

وقال الشافعي وأحمد: «يفطران ويطعمان ويقضيان- أي الحامل والمرضع-[٤٥]. وذهب ابن عباس إلى أن الحامل والمرضع تفطران وتطعمان ولا قضاء عليهما لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[٤٦]، قال: كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة

الكبيرة، وهما يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكيناً، والحبلى والمرضع إذا خافتا، قال أبو داود: يعني على أولادهما: أفطرتا وأطعمتا»[٤٧].

هكذا نرى أن رخصة الأفطار في رمضان للحامل توضح حرص الدين الحنيف على الجنين والاعتناء به قبل أن يعرف المتقوّلون بحقوق الإنسان شيئاً عن ذلك ومن الجدير بالذكر أنه لا يوجد دين أو قانون أو اتفاقية دولية تذكر قانوناً أو اهتماماً بالجنين قبل أن يولد حيث أنهم ذكروا إعلان حقوق الإنسان واتفاقية حقوق الطفل وحقوق المرأة...

لكنهم لم يتحدثوا عن حقوق الجنين وهو في بطن أمّه قبل أن يولد، لكن الدين الإسلامي أعطى لكل ذي حق حقه ومن هذهِ الحقوق حق الجنين حتى من قبل أن يتخلق، بحسن اختيار الزوج لزوجته دينها وخلقها ونجابتها لكي يتربى الولد في بيئة نظيفة تقية ينعم بالدفء والحنان والأمان برعاية الله وحفظه.

ثانياً: الاهتمام بحالة الأم النفسية

الاهتمام النفسي: يكون بحسن العبارة وجمال الأسلوب، لما يشعرها بسعادته بهذا الحمل، ويخفف عنها عبء ومشقة ما تحمله وكان سبباً في تصبرها.

قال الله تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾** ﴾[٤٨].

الوهن: مصدر وَهَنَ، وهو الضعف وقلة الطاقة على تحمّل شيء[٤٩].

فإن حمل المرأة يقارنه التعب من ثقل الجنين في البطن، والضعف من كون الجنين يتغذى من أمه، ويتزايد ضعفها بامتداد زمن الحمل، فلا جرم أنه وهن على وهن، فهذا باعث على الوصية بالوالدين خاصة الأم.

وقد جمع الله تعالى بينهما الوصية، ثم خصص الأم بذكر درجة الحمل ودرجة الرضاع فتحصل للأم ثلاث مراتب وللأب مرتبة واحدة.

ولهذا قال رسول الله ﷺ حين سأله رجل: «من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال ﷺ: **أمك**، قال ثم من؟ **قال: أمك**، ثم قال: من؟ **قال: أمك**، قال: ثم من؟ **قال: أبوك**»[٥٠]، ولا يخفى عن مساق الحديث التأكيد على بر الأم، وخاصة المرأة الحامل إذ قد يقع التفريط في

الوفاء أو التعامل الحسن معها، وهي في أشد الحاجة للكلمة الطيبة واللمسة الحانية من الزوج أثناء حملها لما تلاقيه من تعب وضعف أخبرنا الله سبحانه وتعالى به.

المبحث الثالث
حق الجنين في الحياة.

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: حرمة الإجهاض وأقوال الفقهاء في ذلك

قررت الشريعة الإسلامية حق الجنين في الحفاظ على حياته فلا يجوز شرعاً قتل الجنين أو إسقاطه من غير سبب شرعي يقرره أهل العلم من الفقهاء والأطباء والاجتماعيين، وهذا الحق مكفول، ولا تفرق الشريعة الإسلامية في شأن الاعتداء على حياة الجنين بين صدوره من الأم أو الأب أو غيرهما وتحرم الشريعة الإسلامية الجاني الميراث إذا كان الجنين هو المجني عليه للأستيلاء على ميراثه، وفي هذا حماية لحق الجنين الضعيف في الحفاظ على حياته.

ويرى جمهور الفقهاء حرمة إسقاط الجنين وأنه لا ولاية لأحد على إسقاطه؛ لأن حق الحياة للجنين ملك لمانح الحياة ومقدرها لله سبحانه وتعالى، ويؤيد ذلك الأطباء والمتخصصون في علم الأجنة؛ لأن الجنين كائن حي من وقت النطفة وإندماج الأمشاج ولهذا لا يجوز قتله أو الاعتداء عليه.

معنى الإجهاض في اللغة: أجهضت الحامل- أي ألقت ولدها لغير تمام- فهي مجهضة ومجهض، والجمع مجاهيض، والولد مجهض، فالإجهاض إسقاط الأم جنينها قبل تمام خلقه في بطنها[٥١].

الإجهاض قتل نفس:

اعتبر فقهاء المسلمين الإجهاض قتل نفس، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾[٥٢]، وقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[٥٣].

وربما يقال: لا حياة في الجنين في الأشهر الأولى بدليل قوله ﷺ: «**إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك،**

ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: أكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح...»[٥٤].

ثبت علمياً أن دبيب الحياة في الجنين يبدأ من بدء الحمل به، وأن قلبه ينبض بالدم في شرايينه من أسبوعه الخامس، وأن جنين الأشهر الثلاثة تام الخلقة وإن كان صغير الحجم[٥٥]، لأنه لو عدمت الحياة من الجنين لما نما وكبر، والحياة غير الروح.

والإجهاض يعرّض المرأة لمخاطر قد تؤدي بحياتها ويقول الإمام الغزالي: أن الإجهاض جناية على موجود حاصل[٥٦]، وله ثلاث مراتب:

الأولى: أن تقع النطفة[٥٧] في الرحم وتختلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة.. وإفساد ذلك جناية.

الثانية: فإن صارت مضغة وعلقت كانت الجناية أفحش.

الثالثة: وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة، ازدادت الجناية تفاحشاً.

وهكذا حمى الإسلام الجنين من جريمة إجهاضه سواء نتج بالقول من أمر الزوج، أو بالفعل المادي أو المعنوي كتناول الدواء المعين لهذا الغرض.

ولابد من الإشارة إلى أنه يجوز الإجهاض في حالات خاصة جداً مثل الحالة الصحية للأم وقاية لها وعلاجاً وذلك بقرار من طبيب اختصاصي مسلم يقضي أن المعالجة لا تثمر إلا حياة واحدة فيرجح إنقاذها.

حكم الإجهاض:

اتفق الفقهاء على تحريم الإجهاض دون عذر بعد الشهر الرابع أي بعد مائة وعشرين يوماً من بدء الحمل ويعد ذلك جريمة موجبة للغرّة؛ لأنه إزهاق نفس وقتل إنسان.

وقد قسم العلماء الجناية على الإنسان بحسب خطورتها أنواع ثلاثة: جناية على النفس وهي القتل، وجناية على ما دون النفس وهي الضرب والجرح، وجناية على ما هو نفس من وجه دون وجه وهي الجناية على الجنين أو الإجهاض في اصطلاح القانونيين، وسميت كذلك، لأن الجنين يعد جزءاً من أمه، غير مستقل عنها في الواقع، ومن جهة أخرى

به نفساً مستقلة عن أمه بالنظر للمستقبل؛ لأن له حياة خاصة، وهو يتهيأ لأن ينفصل عنها بعد حين، ويصبح ذا وجود مستقل[٥٨].

وقد يكون الإجهاض بفعل فاعل أو تلقائياً وهو بمعنى الإسقاط والطرح والإملاص والإلقاء، وقد فرّق العلماء بين أحكام الإلقاء- الإجهاض- دون سبب خارجي وحدوثه بفعل فاعل.

والأصل في الإجهاض هو الحظر، وذكرنا قول الغزالي -رحمه الله- ومنه يفهم أن الإجهاض محظور في جميع فترات الحمل منذ أن يكون نطفة ولكن ما ذهب إليه ليس محل إتفاق بين الفقهاء، فهناك فترات يجوز فيها إسقاط الحمل عند الفقهاء، وفترات أخرى يحرم فيها الإسقاط، ونوجز أقوالهم فيما يأتي:

أولاً: مذهب الحنفية.

يباح الإسقاط بعد الحمل، ما لم يتخلق منه شيء، ولن يكون ذلك إلا بعد مائة وعشرين يوماً؛ لأنه ليس بآدمي، وهذا يقتضي أنهم أرادوا بالتخليق: نفخ الروح[٥٩].

ومن الأعذار: أن ينقطع لبنها بعد ظهور الحمل، وليس لأبي الصبي ما يستأجر به الظئر ويخاف هلاكه، وحمل بعضهم الإسقاط المطلق على حالة العذر؛ لأن الماء بعد ما وقع في الرحم مآله الحياة، فله حكم الحياة، وهذا التأويل معقول وضروري[٦٠].

وجاء في فتح القدير أيضاً: «وهل يباح الإسقاط بعد الحبل؟ يباح ما لم يتخلق منه شيء، ثم في غير موضع قالوا: ولا يكون ذلك إلا بعد مائة وعشرين يوماً»[٦١].

وفي الفتاوى الخانية: «وإذا أسقطت الولد بالعلاج قالوا: إن لم يستبن شيء من خلقه لا تأثم، ولا أقول به فإن المحرم إذا كسر بيض الصيد يكون ضامناً- أي عليه الجزاء أو الكفارة-؛ لأنه أصل الصيد، فلما كان مؤاخذاً بالجزاء ثمة فلا أقل من أن يلحقه إثم ها هنا إذا أسقطت بغير عذر، إلا أنها لا تأثم إثم القتل، وإن أسقطت بعدما استبان خلقه وجبت الغرة»[٦٢].

ثانياً: مذهب المالكية.

جاء في الشرح الكبير للدردير: «ولا يجوز إخراج المني المتكون في الرحم ولو قبل الأربعين يوماً، وإذا نفخت فيه الروح حرم إجماعاً»، وقال الدسوقي تعليقاً على قول الدردير:

«ولو قبل الأربعين يوماً»، هذا هو المعتمد، وقيل: «يكره إخراجه قبل الأربعين يوماً»[٦٣]، ومعنى ذلك أن المالكية لا يجيزون الإسقاط قبل مضي أربعين يوماً على الحمل، ولم يستثنوا حالة العذر، والمعتمد في المذهب هو التحريم كما في الإجهاض بعد نفخ الروح، جاء في القوانين الفقهية لابن جزي: «إذا قبض الرحم المني لم يجز التعرض له، وأشد من ذلك إذا تخلق وأشد من ذلك إذا نفخ فيه الروح فإنه قتل للنفس إجماعاً»[٦٤].

إلا أن بعض فقهاء المالكية يجيزون الاجهاض والاسقاط قبل نفخ الروح مع الكراهة[٦٥].

ثالثاً: مذهب الشافعية.

جاء في نهاية المحتاج للرملي[٦٦]: أختلف أهل العلم في النطفة قبل تمام الأربعين على قولين:

قيل لا يثبت لها حكم السقط، والوأد، وقيل لها حرمة ولا يباح إفسادها، ولا التسبب في إخراجها بعد الاستقرار في الرحم.

قال أبو إسحق المروزي: يجوز إلقاء النطفة والعلقة، ونقل ذلك عن أبي حنيفة.

رابعاً: مذهب الحنابلة.

قال الحنابلة: لو شربت الحامل دواءً فأسقطت به جنيناً، فعليها غرة لا ترث منها؛ لأنها هي القاتلة للجنين بإسقاطها له فلزمتها الغرة كما لو جنى عليه غيرها، ولا ترث من الغرة شيئاً؛ لأن القاتل لا يرث، وعليها عتق رقبة؛ لأنه قد ثبت للجنين الإسلام تبعاً لأبويه[٦٧].

واجتمعت كلمة فقهاء الحنابلة على أنه يحرم الإسقاط بعد مرور مائة وعشرين يوماً على بدء الحمل، وهي المدة التي ينفخ الروح بعدها في الجنين اما اذا كان الحمل قبل نفخ الروح وليس بعدها فالحنابلة يقولون بجواز الاسقاط [٦٨].

خامساً: مذهب الظاهرية.

قال ابن حزم: «مسألة المرأة تتعمد إسقاط ولدها إن كان لم ينفخ فيه الروح فالغرة عليها، وإن كان قد نفخ فيه الروح، فإن كانت لم تتعمد قتله فالغرة –أي دية الجنين– على

عاقلتها والكفارة عليها، وإن كانت تعمدت قتله فالقود –القصاص عليها أو المفاداة في مالها»[٦٩].

فالظاهرية لا يجيزون إسقاط الحمل لا قبل مضي أربعة أشهر على الحمل، ولا بعد مضي هذهِ المدّة ولم يذكر ابن حزم استثناء من منع الإسقاط لا لمرض ولا لغيره من الأعذار.

الاجهاض العلاجي:

إذا كان الإجهاض للعلاج فإنه يجوز ذلك قبل نفخ الروح في الجنين –أي قبل مضي أربعة أشهر على الحمل– وسواء كان ذلك بأخذ دواء خاص للإجهاض أو بدون دواء؛ لأن الإسقاط للعلاج بسبب المرض وحاجة المرأة لذلك من الأعذار الشرعية المبيحة للإسقاط قبل نفخ الروح، كما أن هذا الإجهاض جائز عند القائلين بجوازه مطلقاً قبل نفخ الروح.

أما إذا مضى على الحمل أربعة أشهر فأكثر – أي بعد نفخ الروح فيه– فإن الفقهاء لم يجيزوا الإسقاط، الا في حالة انقاذ الام من الموت المحقق ولم يستثنوا من تحريم الإسقاط حالة المرض وضرورة العلاج، بل أن بعض الفقهاء صرّح بعدم الجواز حتى لو أدى عدم الإجهاض إلى موت الأم[٧٠].

وقال الشيخ محمود شلتوت: «إذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاء الجنين بعد تحقق حياته يؤدي لا محالة إلى موت الأم، فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمرنا بإرتكاب أخف الضررين، فإن في بقائه موت الأم وكان لا منفذ لها سوى إسقاطه، كان إسقاطه في تلك الحالة متعيناً، ولا يضحى بها في سبيل إنقاذه؛ لأنها أصله وقد استقرت حياتها»[٧١].

نصل من ذلك كله الى حرمة إسقاط الجنين إلا في حالة واحدة إذا تعارضت المحافظة عليه مع هلاك أمه بشهادة أهل الاختصاص، والرأي المختار عدم جواز الإجهاض بمجرد بدء الحمل، لثبوت الحياة، وبدء تكوين الجنين إلا لضرورة، كمرض عضال أو سارٍ كالسل أو السرطان أو عذر قاهر، وأميل إلى ما قاله الغزالي الذي يعتبر الإجهاض ولو من أول يوم كالوأد جناية على موجود حاصل[٧٢].

المطلب الثاني: عقوبة الاعتداء على الجنين

أولاً: الاعتداء المادي بالضرب ونحوه:

إذا ضرب إنسان أب أو أم أو غيرهما امرأة حاملاً على بطنها أو ظهرها أو جنينها أو رأسها أو عضو من أعضائها، فأجهضت أو ألقت جنينها، فإما أن تلقيه ميتاً أو حياً وفيه حالتين:

الحالة الأولى: في حالة إلقاء الجنين ميتاً.

إذا أنفصل الجنين عن أمه ميتاً، فعقوبة الجاني هي دية الجنين، ودية الجنين ذكراً أو أنثى، عمداً أو خطأً: (غرة) عبد أو أمة، قيمتها خمس من الإبل أي نصف عشر الدية، أو ما يعادلها وهو خمسون ديناراً أو خمسمائة درهم عند الحنفية أو ستمائة درهم عند الجمهور[٧٣] على الخلاف في تقويم الدينار بالدراهم.

والدليل عليه أحاديث صحيحة متعددة منها:

- ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: «اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فقضى أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة[٧٤]، وقضى بدية المرأة على عاقلتها»[٧٥].

ودية الجنين تكون معجلة لا منجمة (أي مقسطة) وتكون من النقدين: الذهب أو الفضة، ولا تكون من الإبل، وتكون في حال الجاني في العمد مطلقاً، وكذا في حالة الخطأ، إلا أن تبلغ ثلث دية الجاني فأكثر فتكون حينئذ على العاقلة[٧٦] كما لو ضرب مجوسي مسلمة فألقت جنيناً.

أما في حالة الخطأ أو شبه العمد فتحمل العاقلة الدية والجاني واحد من العاقلة عند الجمهور، وليس واحداً منها عند الحنابلة كما بان في دية القتل شبه العمد، والدليل له حديث المغيرة: أن امرأة ضربتها ضَرَّتها بعمود فسطاط (خيمة)، فقتلتها وهي حبلى، فأتي بها إلى النبي ﷺ فقضى فيها على عصبة القاتلة بالدية في الجنين غرة، فقال عصبتها: أَنَدِيْ ما لا طعم ولا شرب ولا صام ولا استهل[٧٧]، مثل ذلك يْطل[٧٨].

لكن الشافعية قالوا: إن كانت الجناية خطأ وجبت دية مخففة، وإن كانت شبه عمد وجبت دية مغلظة كما في الدية الكاملة.

ونص الحنفية على أن العاقلة تضمن الغرة إذا أسقطت الأم عمداً جنينها ميتاً بدواء أو فعل، كأن ضربت هي بطنها بلا إذن زوجها فإن أذن أو لم يتعمد فلا غرة لعدم التعدي(٧٩).

ولا خلاف بين العلماء في إلزام الأم الغرة في هذهِ الحالة، وأضاف إليها الشافعية والحنابلة وجوب الكفارة(٨٠).

وتتعدد الغرة بتعدد الأجنة(٨١)، وتجب دية الجنين عند الحنفية والحنابلة في سنة، وهو الأصح عند الشافعية(٨٢)؛ لأن التأجيل في ثلاث سنين خاص بدية نفس كاملة، فإن كانت الدية بمقدار ثلث دية المسلم كدية الذمي فتؤجل سنة فقط، ومثلها دية المأمومة.

واتفق أئمة المذاهب الأربعة وهو الراجح عند المالكية(٨٣)، على أن الغرة تورث عن الجنين بحسب الفرائض الشرعية المعلومة لذوي الفرض والتعصب والجاني الضارب إذا كان قريباً ولو أباً لا يرث من الغرة شيئاً؛ لأنه قاتل بغير حق، والقاتل لا يرث بنص الحديث النبوي.

ويشترط لوجوب دية الجنين شرطان:

١- أن تؤثر الجناية في الجنين كضرب أو إيجار دواء ونحوهما.

٢- إنفصال الجنين ميتاً، فلو لم ينفصل أو أنفصل حياً، لم تجب له الدية.

هل تجب الكفارة على الضارب؟

لا كفارة عند الحنفية(٨٤)، على الضارب، إن سقط كامل الخلقة ميتاً، إلا أن يشاء ذلك فهو أفضل تقرباً إلى الله تعالى بما يشاء إن استطاع، ويستغفر الله سبحانه وتعالى بما صنع، أي أنه لا كفارة وجوباً بل ندباً، وكذلك قال المالكية(٨٥) تستحب الكفارة في قتل الجنين ولا تجب.

وقال الشافعية والحنابلة(٨٦): تستحب الكفارة في الإجهاض، سواء ألقت الأم الجنين حياً أم ميتاً؛ لأنه نفس مضمونة، والجنين محكوم بإيمانه تبعاً لأبويه أو لأحد أبويه، وإن كان من أهل الذمة فهو من قوم بيننا وبينهم ميثاق، وقد نص الله على الكفارة في أهل الميثاق فمن لم يجد الرقبة حكماً أو شرعاً بأن وجدها بأكثر من ثمن المثل، صام شهرين

متتابعين، قال تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾[٨٧].

الحالة الثانية: حالة إلقاء الجنين حياً.

إذا أنفصل الجنين حياً ثم مات بسبب الجناية عمداً، فهل يجب القصاص من الضارب؟

قال المالكية[٨٨]: الراجح وجوب القصاص إذا أدى الفعل في الغالب إلى الموت كالضرب على البطن أو الظهر، وتجب الدية فقط لا الغرة إذا لم يؤد الفعل غالباً إلى نتيجة كالضرب على اليد أو الرجل؛ لأن الجنين إذا استهل صار من جملة الأحياء فلم يكن فيه غرة.

وقال الحنفية والحنابلة والأصح عند الشافعية[٨٩]، إن الجناية على الجنين لا تكون عمداً، وإنما هي شبه أو خطأ؛ لأنه لا يتحقق وجود الجنين وحياته حتى يقصد، فتجب الدية كاملة، ولا يرث الضارب منها شيئاً.

وأوجب الحنفية في هذهِ الحالة الكفارة، كما قال الشافعية والحنابلة في إيجابها مطلقاً، سواء في حالة إلقاء الجنين ميتاً أو حياً.

وتتعدد الدية بتعدد الأجنة، فإن ماتت الأم أيضاً من الضربة بعد موت الجنين أو أنه خرج الجنين بعد موت الأم حياً ثم مات، فعلى الضارب ديتان: دية الأم، ودية الجنين لوجود سبب وجوبهما، وهو قتل شخصين موت الجنين بعد موت الأم.

إن خرج الجنين بعد موت الأم ميتاً، فعلى الضارب دية الأم ولا شيء عليه عند الحنفية والمالكية[٩٠] في الجنين، وإنما عليه التعزير إذا لم يقم دليل قاطع على أن الجناية أدت لموت الجنين أو إنفصاله، وإنما يحتمل أنه مات بموت الأم، فهو يجري حينئذٍ مجرى أعضائها.

وقال الشافعية والحنابلة[٩١]: يجب على الضارب دية الأم وغرة الجنين، سواء ألقته في حياتها- أي الأم- كما لو خرج الجنين ميتاً ثم ماتت الأم فإن لم تسقط الأم جنينها فلا شيء فيه؛ لأنه لا يثبت حكم الولد إلا بخروجه.

جنين غير المسلمة: تجب غرة جنين المرأة الذمية بالجناية عليها، لكن تقدير الغرة مختلف فيه بحسب كون الجنين مسلماً أو غير مسلم، ولو من أب كافر.

أما الحنفية: فغرته عندهم مثل غرة الجنين المسلم؛ لأن دية الكافر كدية المسلم عندهم، وكذلك غرته مثل غرة المسلم عند الحنابلة[٩٢]؛ لأن الجنين مسلم تبعاً لدار الإسلام، فتقدر الذمة مسلمة.

وعند المالكية[٩٣]: غرة الجنين من الذمية تساوي عُشر دية الأم.

والأصح عند الشافعية[٩٤]: غرة جنين اليهودي أو النصراني كثلث غرة المسلم، بناء على أن الغرة مقدره بنصف عشر دية الأب[٩٥].

ثانياً: الاعتداء المعنوي

يحدث الاسقاط أحياناً بفعل معنوي غير مادي، كالتخويف والإرهاب والصيحة الشديدة ونحوها.

فلو طلب الحاكم امرأة إلى مجلس القضاء، فأجهضت جنينها فزعاً أو زال عقلها.

ففي كل هذهِ الأحوال: لا ضمان لديته عند الحنفية لعدم تعدي السبب، أي لم يكن المذكور سبباً كافياً للضمان، وذلك إذا لم يكن التخويف فجأة، فإن كان الصياح ونحوه على إنسان فجأة، فمات من صيحته أو قال له: قع، فوقع، فهو قاتل له قتلاً شبه عمد، فتجب الدية[٩٦].

وقال المالكية[٩٧]: يكون المتسبب فيما ذكر في غير حال الإجهاض قاتلاً عمداً يجب عليه القصاص إن كان على وجه العداوة، أما إن كان على وجه اللعب أو التأديب فعليه الدية.

وقال الشافعية والحنابلة[٩٨]: إن فعل ما ذكر عمداً فهو شبه عمد موجب الدية وإلا فهو خطأ؛ لأنه سبب إتلافه، ووافق الشافعية على هذا في الصبي، ولهم في البالغ قولان: تجب الدية؛ لأن الفاعل مسؤول عن فعله ما دام قد أدى للموت، والبالغ في حال غفلته يفزع من الصيحة كما يفزع الصبي.

وقيل في وجه آخر: لا تجب الدية؛ لأن البالغ بما يتميز به عادة من ضبط الأعصاب لا يفزع مع الغفلة، وأن فزع فنادراً، ولا حكم للنادر.

إلا أن هذين المذهبين اختلفا في حالة الإجهاض من الفزع، فإن أجهضت المرأة فاتفقا على ضمان الجنين إذا ألقته أمه ميتاً، لقصة عمر الآتية:

وأما إن فزعت المرأة فماتت، فقال الشافعية(٩٩) لم تضمن ديتها؛ لأن ما حدث ليس يسبب لهلاكها في العادة.

وقال الحنابلة(١٠٠): تجب ديتها أيضاً؛ لأن الحاكم أفزعها فكان متسبباً في موتها.

وأما قصة عمر ﷺ فهي أنه أرسل إلى امرأة فبينما هي في الطريق فزعت، فجاءها الطلق(١٠١)، فألقت ولداً، فصاح الصبي صيحتين ثم مات فاستشار عمر أصحاب النبي ﷺ، فأشار بعضهم أن ليس عليك شيء، إنما أنت والٍ ومؤدب، وصمت علي، فأقبل عليه عمر، فقال ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال: أن ديته عليك؛ لأنك أفزعتها، فألقته، فقال عمر: أقسمت عليك ألا تبرح حتى تقسمها على قومك، أي قريش(١٠٢).

ومن حق الجنين في الحياة: منع إقامة الحد على أمه حال حملهِ حفاظاً على حياته.

تقضي الشريعة الإسلامية أن تؤجل العقوبة على المرأة الزانية الحامل إلى حين وضع الحمل حيث قال ﷺ للمرأة الغامدية: «**أذهبي حتى تضعي حملك**»، وفي هذا حماية للجنين وعدم تحميله وزر أُمه.

ففي حديث عن بريدة، قال: ثم جاءت رسول الله ﷺ امرأة من غامد من الأزد، فقالت: يا رسول الله طهرني، فقال: «**ويحك: أرجعي فأستغفري الله وتوبي إليه**، فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك، قال: **ما ذاك؟**، قالت: أنها حبلى من الزنى، فقالت: (أنت؟)، قالت: نعم، فقال لها: حتى تضعي ما في بطنك»، قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي ﷺ فقال: قد وضعت الغامدية، فقال: «**إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه**»، فقام رجل من الأنصار فقال: إلي رضاعه يا نبي الله، قال: فرجمها(١٠٣).

وقد أخذ العلماء من هذا الحديث فوائد منها:

- عدم رجم الحبلى حتى تضع، وهذا مجمع عليه لئلا يقتل جنينها.

- وكذا لو كان حدها الجلد وهي حامل، لم تجلد بالإجماع حتى تضع، وحيث أن الحمل هو نوع مشقة للمرأة، وهو موجب لضعفها، فتنفيذ العقوبات عليها يضر بالحمل، وإن إقامة العقوبة عليها يضر بالجنين لذلك يجب تأخير العقوبة إلى أن تضع، سواءاً كانت تلك العقوبة حداً أو قصاصاً.

وقد أجمع الفقهاء على عدم رجم المرأة الحامل إذا اعترفت بالزنى حتى تضع حملها(١٠٤)، والحامل إذا زنت فإنها لا تحد حالة الحمل سواء كان حدها جلداً أو رجماً، لكن يؤخر إلى أن يستغني ولدها عنها إذا لم يكن أحد يقوم بتربيته؛ لأن في التأخير صيانة الولد من الضياع(١٠٥)، وتحبس الحامل إن كان ثبت زناها بالبيّنة إلى أن تلد ثم إذا ولدت يُنظر في حالها فإن كانت محصنة ترجم حين تضع ولدها وإن كانت غير محصنة تركت حتى تخرج من نفاسها ثم يقام عليها الحد، وإن ثبت الحد بالأقراء لا تحبس لكن يقال لها: إذا وضعت فأرجعي، فإذا وضعت ورجعت فإنها يقام الرجم عليها إذا كان للولد من يقوم بإرضاعه، وإن لم يكن ينظر إلى أن ينفطم ولدها(١٠٦).

واستدلوا على ذلك بحديث الغامدية حيث أن النبي ﷺ لم يرجم المرأة التي زنت؛ لأنها كانت حاملاً، وتركها حتى وضعت ثم أقام عليها الحد.

يقول ابن القيّم في كتابه زاد المعاد في دلالة حديث الغامدية: «وأن الحد لا يقام على الحامل وأنها إذا ولدت الصبي أمهلت حتى ترضعه وتفطمه»(١٠٧).

«ولأن في إقامة الحد عليها في حال حملها إتلافاً لمعصوم، ولا سبيل إليه وسواء لأنه لا يؤمن الولد من سراية الضرب والقطع، وربما سرى إلى نفس المضروب والمقطوع فيفوت الولد بفواته، فإذا وضعت الولد فإن كان الحد رجماً لم ترجم حتى تسقيه (اللبأ)(١٠٨)؛ لأن الولد لا يعيش إلا به»(١٠٩).

فالحفاظ على حياة الجنين أكبر من مصلحة إقامة الحد على أمِّه إذ لا تزر وازرة وزر أخرى.

المبحث الرابع
أهلية الجنين وحقوقه المالية

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: أهلية الجنين

إن أهلية الإنسان تبدأ من مبدأ حياته في بطن أمه إلى اكتمال خلقته، وهي تمر في مراحل أو أدوار خمسة وهي:

١- دور الجنين.

٢- دور الطفولة (عدم التمييز).

٣- دور التمييز.

٤- دور البلوغ.

٥- دور الرشد.

الأهلية نوعان: أهلية وجوب، وأهلية أداء.

وأهلية الوجوب نوعان:

أولاً: أهلية الوجوب الناقصة: هي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق له فقط أي تؤهله للإلزام ليكون دائناً لا مديناً، وتثبت للجنين في بطن أمه قبل الولادة. [١١٠]

وسبب نقص أهليته أمران: فهو من جهة يعد جزءاً من أمه، ومن جهة أخرى يعد إنساناً مستقلاً عن أمه متهيئاً للأنفصال عنها بعد تمام تكوينه.

لذا فإنه تثبت له بعض الحقوق الضرورية النافعة له، وهي التي لا تحتاج إلى قبول، وهي أربعة أنواع[١١١]:

١- النسب من أبويه.

٢- الميراث من قريبه المورثِ، فيوقف له أكبر النصيبين على تقدير كونه ذكراً.

٣- استحقاق الوصية الموصى له بها.

٤- استحقاقه حصته من غلة الوقف الموقوفة عليه.

لكن الحقوق المالية الثلاثة الأخيرة ليست للجنين فيها ملكية نافذة في الحال بل تتوقف على ولادته حياً، فإن ولد حياً ثبت له ملكية مستندة إلى وقت وجود سببها، أي بأثر رجعي، وإن ولد ميتاً رد نصيبه إلى أصحابه المستحقين له، فغلة الوقف تعطى لبقية المستحقين، والموصى به يرد إلى ورثة الموصي، وحصة الميراث المجمدة له توزع لبقية الورثة.

وثبوت الحق للجنين في الوقف هو رأي الحنفية والمالكية، أما رأي الشافعية والحنابلة فلا يثبت له حق التملك إلا بالإرث والوصية، فلا يصح عندهم الوقف على الجنين؛ لأنه يشترط إمكان التملك في الحال وهو لا يتملك.

أما الحقوق التي تحتاج إلى قبول كالشراء والهبة فلا تثبت له، ولو مارسها عنه وليه– الأب أو الجد– إذ ليس له ضرورة بها، ولأن الشراء له يلزمه بالثمن وهو ليس أهلاً للإلتزام.

وأما الواجبات أو الإلتزامات لغيره فلا تلزمه، كنفقة أقاربه المحتاجين(١١٢).

ثانياً: أهلية الوجوب الكاملة: هي صلاحية الشخص لثبوت الحقوق له، وتحمل الواجبات (أو الإلتزامات) وتثبت للشخص منذ ولادته حياً، دون أن تفارقه في جميع أدوار حياته، فيصلح لإكتساب الحقوق والإلتزام بالواجبات، ولا يوجد إنسان فاقد لهذهِ الأهلية(١١٣).

وقال الحنفية: تثبت أهلية الوجوب بمجرد ظهور أكثر الجنين حياً(١١٤).

وقال بعض الفقهاء: لا تثبت هذهِ الأهلية إلا بتمام ولادة الجنين حياً(١١٥).

- أهلية الأداء: هي صلاحية الشخص لصدور التصرفات منه (أو لممارستها ومباشرتها) على وجه يعتد به شرعاً وهي ترادف المسؤولية، وتشمل:

حقوق الله من صلاة وصوم وحج وسواها، والتصرفات القولية أو الفعلية الصادرة عن الشخص.

فالصلاة ونحوها التي يؤديها الإنسان تسقط عنه الواجب، والجناية على مال الغير توجب المسؤولية.

وأساس ثبوتها أو مناط هذهِ الأهلية هو التمييز أو العقل أو الإدراك، فمن ثبتت له أهلية الأداء صحت عباداته الدينية كالصلاة والصوم، وتصرفاته المدنية كالعقود(١١٦).

ولا وجود لعلة الأهلية للجنين أصلاً، ولا الطفل قبل بلوغ سن التمييز، وهو تمام سن السابعة، فقبل التمييز تكون هذهِ الأهلية منعدمة، والمجنون مثل غير المميز لا تترتب على تصرفاتهما آثار شرعية، وتكون عقودهما باطلة إلا أنهما يؤاخذان مالياً، ويقوم الولي (الأب أو الجد) أو الوصي بمباشرة العقود التي يحتاجها الطفل غير المميز أو المجنون.

وأهلية الأداء نوعان:

١– ناقصة.

٢- كاملة.

أهلية الأداء الناقصة: هي صلاحية الشخص لصدور بعض التصرفات منه دون البعض الآخر، وهي التي يتوقف نفاذها على رأي غيره، وهذهِ الأهلية تثبت للشخص في دور التمييز بعد تمام سن السابعة إلى البلوغ، ويعد في حكم المميز الشخص المعتوه الذي لم يصل به العته إلى درجة اختلال العقل وفقده وإنما يكون ضعيف الإدراك والتمييز (١١٧).

أما أهلية الأداء الكاملة: فهي صلاحية الشخص لمباشرة التصرفات على وجه يعتد به شرعاً دون توقف على رأي غيره، وتثبت لمن بلغ الحلم عاقلاً أي للبالغ الرشيد، فله بموجبها ممارسة كل العقود، من غير توقف على إجازة أحد. (١١٨)

مما سبق يظهر لنا أن للجنين من بدء الحمل إلى الولادة أهلية ناقصة تمكنه من ثبوت أربعة حقوق ضرورية ذكرت سابقاً وهي النسب والأرث والوصية والوقف، وليست له أهلية أداء مالية.

المطلب الثاني: حق الجنين في الميراث

حفظ الإسلام حق الجنين في الميراث إذا ولد حياً فقد ذكر الفقهاء أن الحمل من جملة الورثة فلابد من رعاية حقه وحفظ ميراثه حتى ينفصل فإذا أنفصل حياً أخذه، وتقسم التركة في الإسلام على أساس حجز أكبر نصيب ممكن لهذا الحمل، أي يراعى الأصلح والأنفع له، كما تصح الوصية للجنين وكذلك غلة الوقف كما سنبين في هذا المبحث.

أولاً: حق الجنين في الميراث.

الحمل إذا كان غير وارث أو كان محجوباً بغيره، لا يوقف له شيء من التركة، فإذا مات شخص وترك زوجةً وأباً، وأماً حاملاً من غير أبيه، فإن الحمل في هذهِ الصورة لا ميراث له؛ لأنه لا يخرج عن كونه أخاً أو أختاً لأم، والأخوة لأم لا يرثون مع الأصل الوارث وهو هنا الأب.

إذا توفي شخص وكان أحد الوارثين حملاً أتقسم التركة أم ينتظر بها حتى تعرف النتيجة بوضع الحمل؟

إذا كانت المدة قصيرة ولا ضرر في إبقاء التركة إلى حين ظهور الحمل، أوقفت التركة إلى حين ظهوره، وكذلك الشأن إذا كانت المدة طويلة ورضي بذلك الورثة.

وإن كان الحمل محجوباً على جميع التقادير تقسم التركة ولا ينتظر إلى حين وضع الحمل.

أما إذا لم يكن الحمل محجوباً وكانت المدة طويلة، ولم يرضَ الورثة بإبقاء التركة إلى حين وضع الحمل، وطالبوا بقسمتها فإنهم يجابون إلى ذلك، فإن كان حاجباً للورثة بحال من الأحوال بقيت الأموال إلى حين الولادة(١١٩).

وإن كان بعض الورثة لا يرث مع الحمل على بعض التقادير فإنه لا يعطى شيئاً.

وأما من لا يختلف نصيبه على أي حال فإنه يعطى هذا النصيب، وذلك مثل أن يموت شخص ويترك أخاً وزوجة حاملاً وأخاً لأب.

فالأخ لأب لا يعطى شيئاً؛ لأن الحامل إذا جاء ذكراً يحجبه وتعطى الأم السدس؛ لأنها على أية حال تستحقه وتعطى الزوجة الثمن؛ لأنها تستحقه مهما كان المولود، أي يعطى للحمل أحسن الأحوال، ويعطى للوارث أقل الأحوال.

- **المدة التي يجب أن يأتي بها الحمل ليستحق الميراث:**

اتفق الفقهاء على أن أقل مدة يمكن أن يأتي بها الحمل هي ستة أشهر، وذلك لما روي أن امرأة في زمن عثمان ﷺ، تزوجت وبعد ستة أشهر وضعت فأرادوا أن يقيموا عليها الحد فقال ابن عباس ﷺ، أما أنها لو حاججتكم إلى كتاب الله لأحجتكم فقالوا: وكيف ذلك؟ قال: إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾(١٢٠)، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ ﴾(١٢١)، فلم يبق للحمل إلا ستة أشهر فوافق على ذلك عثمان ﷺ، وعلي ﷺ وغيرهما ولم يقيموا عليها الحد(١٢٢).

- **أكثر مدة يجب أن يأتي بها الحمل ليرث:**

أما أكثر مدة الحمل فإن المسألة فيها خلاف كبير جداً فذهب الأحناف إلى أن أكثر الحمل سنتان(١٢٣)، وذلك لما روي عن عائشة لأنها قالت: «الولد لا يبقى في بطن أمه أكثر من سنتين ولو فلكه مغزل»(١٢٤)، وقالوا إن هذا لا يمكن أن يعرف بالعقل فلابد أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد سمعته عن الرسول ﷺ.

وقال الظاهرية: أن أكثر مدة الحمل تسعة أشهر(١٢٥).

وذهب الشافعية وأصح الروايات عند أحمد أنها أربع سنين، بينما ذهب الليث بن سعد إلى أنها ثلاث سنوات، وقال المالكية أنها خمس سنوات، وقال الزهري: أنها سبع سنوات.

وأعدل هذهِ الآراء وأحسنها على ما نعتقد رأي محمد بن الحكم من المالكية، وهو أن أكثر مدة الحمل سنة هلالية.

والسنة الهلالية: تنقص عن السنة الشمسية ما بين(١٢٦) أحد عشر إلى اثنى عشر يوماً وهذا الراجح.

ويمكن الرجوع إلى الطب الحديث حيث باستطاعته أن يكشف لنا ذلك ويغنينا عن كثير من العناء.

أما الشروط التي يجب توافرها ليكون الحمل وارثا:

١- **أن يكون الحمل موجوداً في البطن عند موت مورثه**، وذلك؛ لأن الميراث خلافه الحي لا يمكن أن تكون إلى المعدوم، لذا لزم أن يكون موجوداً ويستدل على وجوده في بطن أمه عند وفاة مورثه أن يأتي لأقل من ستة أشهر إن كانت ذات الحمل من ذوات الأزواج، والزوج يعاشرها معاشرة الأزواج، أما لو جاءت به لأكثر من ستة أشهر فإنه لا يرث إلا إذا اعترف الورثة بوجوده مسبقاً، وقالوا أنه كان موجوداً عند الوفاة.

أما إذا كانت ذات الحمل معتدة سواء كانت العدة من طلاق أو من وفاة، ففي هذهِ الحالة يجب أن تأتي به لأقل من سنة كما رجحنا ذلك سابقاً، فإذا جاءت به لأكثر من سنة فإنه لا يرث إلا إذا اعترف به الورثة.

٢- **أن ينفصل حياً** وذلك؛ لأن من شروط الميراث كما مرَّ بنا سابقاً تحقق حياة الورثة عند موت المورِّث وحياة الوارث في هذهِ الحالة لا يمكن التحقق منها لعدم إمكاننا الإطلاع على ما في بطن الأم، فحياته محتملة كما أن موته محتملاً فلا تترجح الحياة إلا بإنفصاله حياً(١٢٧).

فهذا هو الحمل وهذهِ هي مدة الحمل والشروط التي يجب توفرها ليرث الجنين، وهي في غاية العدل والإنصاف لجميع الأطراف وبما فيهم الجنين، وهو اعتراف بوجوده وحقه في الحياة، وحقه في اكتساب الأموال من طريق الميراث.

حيث أننا توصلنا إلى ما يأتي:

١- يوقف للحمل نصيب واحد أيهما أحسن ويؤخذ كفيل من الورثة.

٢- أن يأتي لأقل من ستة أشهر من حيث الوفاة لذات الزوج أما إذا جاء لأكثر من ذلك، فأنه لا يرث إلا إذا اعترف به الورثة، وأن يأتي لأقل من سنة بالنسبة للمعتدة.

٣- أن ينفصل حياً.

وهذهِ بعض المسائل لتوضيح ذلك:

- مسألة: مات شخص وترك بنتاً وأباً وأماً وزوجة حاملاً فما نصيب كل منهم؟

الحل: (على اعتبار الجنين ذكراً).

بنت	ابن	أب	أم	زوجة حامل	تصح المسألة من
ق		١/٦	١/٦	١/٨	٢٤
للذكر مثل حظ الأنثيين					
١٣		٤	٤	٣	

الحل: (على اعتبار الجنين أنثى).

بنتين	أب	أم	زوجة	تصح المسألة
٢/٣	١/٦	١/٦	١/٨	٢٤
١٦	٤	٤	٣	

١٦ ÷ ٢ = ٨ نصيب البنت وكذلك نصيب الحمل.

ففي هذهِ الحالة يوقف له أحسن السهام، وهو على اعتبار أنه ذكراً، ويدفع للورثة أقل السهام حتى يولد حياً ويتبين جنسه فيعطى ما يستحق من تركة المورث.

الخاتمة

الحمد لله يا رب على ما يسرت لي إخراج هذه الورقات التي اسأل الله تعالى أن يتقبل ما فيها من حق وخير ويتجاوز عن التقصير والخطأ والنسيان الذي يعتري البشر.

وفي ختام هذا البحث اذكر أهم النتائج التي توصلت إليها وهي كالأتي:

١. إن الإسلام دين الله الحق ولا حق سواه فقد كفل حق الإنسان في الحياة وهو في بطن أمه جنيناً.

٢. وضع الإسلام ضوابط تسبق تكون هذا الجنين وذلك بحسن اختيار الزوج والزوجة.
٣. راعى التشريع حق الجنين في مراعاة صحة أمه الجسدية والنفسية لأنه يؤثر على حياة الجنين وسلامته.
٤. ضمن التشريع الإسلامي حق الحياة للجنين وحرم الاعتداء عليه أو على أمه، وان حصل اعتداء عليه فأوجب على المعدي العزة.
٥. ومن حق الجنين في الحياة حرّم الإسلام الإجهاض المتعمد، إلا إذا هددت حياة الأم وجنينها فيقدم سلامة الأم على سلامة الجنين.
٦. للجنين أهلية في استحقاق بعض الحقوق المالية ومنها الإرث على التفصيل الذي ذكره الفقهاء في ذلك.

وهذهِ الصفحات التي سطرت –بحول الله وقوته وتوفيقه وهاديته– ليست إلا قطرة من أنهار الإسلام العذبة ورافدا من روافده في هداية البشرية وإنسانيته ومراعاته لحقوق الدين الذي ارتضاه الله للعالمين رسالة هادية على لسان نبيّه ﷺ خاتم النبيين؛ لأن مرسله هو الله تعالى رب العالمين الصادق في قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾(١٢٨)، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾(١٢٩).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد بن عبد الله الصادق الوعد الأمين.

الهوامش

(١) سورة البقرة آية: ٢٢٣.

(٢) الغرّة: في الأصل البياض يكون في جبهة الفرس، ويقصد هنا تحرير عبداً أو أمة، كفارة لاسقاطه، ينظر: مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، كتاب الغين: ص٦٩٥، تحقيق أنس محمد الشامي (دار الحديث– القاهرة، ٢٠٠٨م).

(٣) سورة الطلاق آية: ٦.

(٤) سورة يس آية: ٧٠.

(٥) ينظر: لسان العرب، لابي الفضل جمال الدن محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ت ٧١١هـ، ط١، دار صادر– بيروت، ١٩٩٨ م. مادة (حقق): ٤٩/١٠.

(٦) ينظر: مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق أنس محمد الشامي (دار الحديث– القاهرة، ٢٠٠٨م)، كتاب (الحاء): ص ١٩٢.

(٧) ينظر: اعلام الموقعين عن رب العالمين شمس الدين ابي عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: ١/ ١٠٨، وشرح المنار عبد الرحمن بن ابي بكر العيني ت ٨٩٣هـ مخطوط رقم ٣٩٤٧ مكتبة الاوقاف العامة، بغداد: ص ٨٨٦، وتسير التحرير على كتاب التحرير لمحمد امين المعروف بأمير بادشاه، دار الفكر، بيروت، ٢/ ١٧٤.

(٨) سورة المؤمنون: آية: ٧١.

(٩) ينظر: الحق والذمة، علي الخفيف: ص٣٧، ونظرية الحق، ابراهيم سعد ومحمد حسن قاسم، منشورات الحلبي بيروت، ٢٠٠٧: ص٤٥، الفقه الإسلامي وأدلته: للدكتور وهبة الزحيلي (ط٤، دار الفكر– دمشق، ١٩٩٧م): ٤/١٠.

(١٠) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم، ت ٩٧٠هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م، ٦/ ١٤٨.

(١١) الاشباه والنظائر زين العابدين بن ابراهيم بن نجيم، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م، ١٢١.

(١٢) سورة الأنفال آية: ٨.

(١٣) سورة الانعام آية: ٥٧.

(١٤) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم، ت٩٧٠هـ: ٧/ ١٩٢، والمغني لابن قدامه موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامه المقدسي ت٦٢٠هـ مطبعة المنار- مصر: ١٢/ ٢٣٠، ومنح الجليل على مختصر العلامة خليل للشيخ محمد عليش وبهامشه تسهيل منح الجليل، دار صادر، بيروت: ٧/ ١٩٢، ومغني المحتاج للشيخ محمد الشربيني الخطيب دار احياء التراث العربي لبنان، ١٠/ ٢٨٨، والمهذب لابي اسحاق ابراهيم الشيرازي ت ٤٧٦هـ مطبعة العاصمة، القاهرة: ٢/ ٣١٩.

(١٥) ينظر: مقاييس اللغة، كتاب الجيم، ص١٥٤، والمعجم الوسيط، أخراج مجمع اللغة العربية، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مصر، ٤١/١.

(١٦) سورة النجم آية: ٣٢.

(١٧) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ٧٥/١٧.

(١٨) شرح العسقلاني لصحيح البخاري حققه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: ٢٤٧/١٢.

(١٩) مقاييس اللغة، كتاب الجيم، ص١٥٤.

(٢٠) ينظر: المصدر السابق، ص٢٢٧.

(٢١) سورة الكهف آية: ٨٢.

(٢٢) سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي بيروت، كتاب الجمعة باب ما ذكر في فضل الصلاة رقم الحديث (٤٦١٤) ٢/ ٥١٢، هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/ ١٤١ رقم الحديث (١٧٦٣) ومسند الامام احمد ٣/ ٣٢١، (١٤٤٨١)، سنن النسائي الكبرى: أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي بن عبد الرحمن النسائي ت٣٠٣هـ، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٤١٣٦.

(٢٣) سورة طه آية: ١١٨.

[٢٤] ينظر: تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس: ٣٢١/١٦.

[٢٥] أخرجه الترمذي: ٣٩٥/٣ (١٠٨٥) كتاب النكاح، باب ما اء في فضل التزويج والحث عليه، قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب واخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٨٢، ١٤٢٥٩.

[٢٦] ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: لأبي بكر علاء الدين بن مسعود أحمد الكاساني ت٥٨٧هـ، ط١، المطبعة الجمالية- مصر، ١٣٢٧هـ، ٢/ ٣١٨، والدر المختار: لمحمد بن علي الملقب علاء الدين الحصكفي الدمشقي، ت١٠٨٨هـ، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ، ٢/ ٤٣٧، وفتح القدير: للامام كمال الدين ابن الهمام، ت ٦٨١هـ، مركز اهل السنة ط١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤، الهند، ٢/ ٤١٩، والشرح الكبير للعلامة احمد بن محمد الدردير ت ١٢٠١هـ، تحقيق د. مصطفى وصفي، دار المعراف، القاهرة ١٣٩٢هـ، ٢/ ٢٤٩، والمهذب للشيرازي ٢/ ٣٩. ومغني المحتاج ٣/ ١٦٥، المغني لابن قدامه ٦/ ٤٨٢ وما بعدها، كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن أحمد بن علي بن إدريس البهوتي الحنبلي، ت ١٠٥١هـ، تحقيق الشيخ هلال مصيلحي، مصطفى هلال، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ: ٥/ ٧٢، والفقه الإسلامي للزحيلي: ٢٢٩/٧.

[٢٧] سورة النساء آية: ٣٤.

[٢٨] التحرير والتنوير لابن عاشور: ٤٠/٥، ٤١.

[٢٩] التحرير والتنوير لابن عاشور: ٤٠/٥، ٤١.

[٣٠] سورة النساء آية: ٣٤.

[٣١] التحرير والتنوير لابن عاشور: ٤٠/٥- ٤١.

[٣٢] صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ)، وضبطه ورقم أحاديثه محمد عبد القادر أحمد عطا ط١، مؤسسة الهدى، دار التقوى للتراث، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ٩/٣ كتاب (النكاح) رقم الحديث عند البخاري (٤٧٠٠)، وصحيح مسلم لابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١هـ، تحقيق محمد فواد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٠/ ٣٠٥ برقم (١٤٦٦) في الرضاع.

(٣٣) ينظر: كشاف القناع: ٥/ ٧-٨، ومغني المحتاج ١٢٦/٣ وما بعدها، والشرح الصغير للعلامة احمد بن محمد الدردير ت١٢٠١هـ، تحقيق د.مصطفى وصفي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ، ٢/ ٣٤١.

(٣٤) أخرجه مسلم ١/ ٣١٠، رقم الحديث (١٤٦٦)، كتاب الرضاع.

(٣٥) أخرجه أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت ٢٧٥هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الفكر للطباعة والنشر: ١٦٦٤/٢،١٢٦، في الزكاة، باب (حقوق المال)، وأخرجه الحاكم المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة: ٣٣٣/٤. واخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٨٣ برقم (٧٠٢٧).

(٣٦) ينظر: تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني: ١٤٦/٣، وتخريج أحاديث الأحياء: ٤٢/٢، وينظر: غريب الحديث لإبراهيم بن إسحق المربي، تحقيق سليمان إبراهيم محمد العايد، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ، ٣٧٩/٢.

(٣٧) سورة لقمان آية: ١٤.

(٣٨) أخرجه الترمذي: ٣٨٩٥، وأبو داود في الأدب: ٤٢٥٣، والدارمي عبد الله بن عبد الرحمن ابو محمد، تحقيق احمد زمرلي وخالد السبع ط١، دار الكتب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ: (٢٢٥٧) في النكاح وأنظر السلسلة الصحيحة محمد ناصر الدين الالباني ط٢، المكتبة الاسلامية، عمان، الدار السلفية الكويت، ١٤٠٦هـ: ١/ ٥٧٥ رقم الحديث(٢٨٥).

(٣٩) ينظر: فيض القدير الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي ت١٠٣١هـ، تحقيق أبي الوفا الأفغاني، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، ٤٩٥/٣.

(٤٠) أخرجه البخاري في الوصايا:٢/ ٢٣ ٢٥٣٧، ومسلم ١١/ ٨٦ رقم الحديث (١٦٢٨).

(٤١) أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني حققه محمد فؤاد عبد البالقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ: ٤١٢/٩، كتاب النفقات.

(٤٢) صحيح البخاري، كتاب (النفقات): ٣/ ٧٦ رقم الحديث ٤٩٣٨.

(٤٣) سورة الملك آية: ١٤.

(٤٤) ينظر: المغني لابن قدامه موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامه المقدسي، دار القاهرة ٢٠٠٨ م: ٣/١٣٩، والمجموع محي الدين بن شرف، تحقي محمود مطرحي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م: ٦/٢٩٣، وفتح القدير: ٢/٨٢، وغاية المنتهى: ١/٣٢٥.

(٤٥) ينظر: المجموع للنووي: ٦/٢٩٣.

(٤٦) سورة البقرة آية: ١٨٤.

(٤٧) أخرجه أبو داود، ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، ط٢، ١٣٨٩هـ: ٦/٤٣١.

(٤٨) سورة لقمان آية: ١٤.

(٤٩) ينظر: مقاييس اللغة، كتاب (الواو): ص٩٦٩.

(٥٠) البخاري، كتاب (الأدب) ٣/ ٢٠٩ رقم الحديث (٥٥١٤)، ومسلم ١٦/ ٣٣٧ كتاب البرد والصلة والآداب، برقم (٢٥٤٨).

(٥١) ينظر: مقاييس اللغة: ص١٧٨، والمعجم الوسيط: ١/١٤٤.

(٥٢) سورة الإسراء آية: ٣١.

(٥٣) سورة الأنعام آية: ١٥١.

(٥٤) رواه البخاري برقم (٢٩٦٩) في كتاب بدء الخلق: ٢/١٤٥، ومسلم ١٦/ ٤٢٩ برقم (٤٧٨١)، في كتاب القدر.

(٥٥) مجلة العرب، د.حسان حتحوت، العدد ٢٥٩، ص٢٩.

(٥٦) إحياء علوم الدين للغزالي: ٢/٤٧.

(٥٧) النطفة والنطافة: قليل من الماء يبقى في القربة والدلو، والنطفة ماء الرجل، والجمع نطف، ينظر لسان العرب: ٩/٣٣٥ مادة (نطف).

(٥٨) ينظر: فتح القدير للكمال بن الهمام ٢/ ٤٩٥، والفتاوى الخانية للإمام قاضي خان ت٥٩٢هـ، وهي مطبوعة على هامش الفتاوى الهندية ٣/ ٤١٠، الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي/ ٢٦٦، نهاية المحتاج للرملي ٨/ ٤١٦، المحلى لابن حزم ١١/ ٣١، الفقه الإسلامي: ٦/٢١٦.

(٥٩) فتح القدير للكمال ابن الهمام: ٤٩٥/٢.

(٦٠) فتح القدير: ٤٩٥/٢.

(٦١) المصدر السابق نفسه.

(٦٢) الفتاوى الخانية: ٤١٠/٣، وينظر: الدر المختار ورد المحتار لابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٦هـ، ١٧٦/٣.

(٦٣) الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي: ٢٦٦/٢– ٢٦٧.

(٦٤) ينظر: القوانين الفقهية لابن جزي أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي: ١٤١/١.

(٦٥) ينظر:حاشية الدسوقي: ٢/ ٢٢٦، والقوانين الفقهية لابن جزي الكلبي الغرناطي ت ٧٤١هـ دار العلم للملايين، بيروت ٢/ ١٤٠، وشرح الزرقاني على مؤطا مالك محمد بن عبد الباقي الزرقاني ت١١٢٢هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ: ٣/ ٢٣٠.

(٦٦) نهاية المحتاج للرملي: ٤١٦/٨.

(٦٧) ينظر: المغني لابن قدامة: ٧٩٩/٧، والعدة شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل للمقدسي ت٦٢٤هـ، ط٢، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٨٢هـ، ص٥٢، وينظر: الروض المربع بشرح زاد مختصر المقنع منصور بن يونس بن ادريس البهوتي مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٣٩٠هـ، ٣١٦/٢.

(٦٨) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للإمام أبي الحسن المرداوي ت ٨٨٥هـ، تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣٨٦/١.

(٦٩) المحلى لابن حزم الظاهري: ٣١/١١.

(٧٠) ينظر: الفتاوى الخانية: ٤١٠/٣، ومثله في الفتاوى الهندية، تاليف جماعة من علماء الهند في القرن الحادي عشر الهجري بتكليف من السلطان ابي المظفر محي الدين محمد على مذهب الحنفية، مصر ١٣١٠هـ، ٣٦٠/٥.

(٧١) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت: ص٢٨٩– ٢٩٠.

(٧٢) إحياء علوم الدين: ٤٧/٢.

(٧٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع:٣٢٥/٧، ومغني المحتاج للشيخ محمد الشربيني الخطيب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٠٣/٤، والمهذب لأبي إسحق إبراهيم الشيرازي، ت ٤٧٦هـ، مطبعة العاصمة، القاهرة: ١٩٨/٢، والمغني لابن قدامة: ٧٩٩/٧، وبداية

المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد القرطبي الملقب بابن رشد (الحفيد) ت٥٩٥هـ، المكتبة التجارية، مصر، ٤٠٧/٢، وينظر: الاجماع للامام ابن المنذر ت٣١٨هـ، تحقيق فؤاد عبد المنعم احمد، ط٣، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨ م، ١٢٠،

(٧٤) الوليدة: الأمة الصغيرة، أقل سنها سبع سنين، ينظر: مختار الصحاح للشيخ الامام محمد بن ابي بكر الرازي ت٦٦٦هـ، ط مدققة، اخراج دائرة المعاجم، لبنان، ١٩٨٥- ٣٠٦.

(٧٥) صحيح البخاري: ٤٢٣/٣ رقم الحديث (٦٣٩٩)، وينظر: نيل الأوطار في أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥هـ، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت، ١٩٧٣م، ٦٩/٧.

(٧٦) ينظر: الشرح الكبير: ٢٦٨/٤، وبداية المجتهد: ٤٠٨/٢.

(٧٧) استهل المولود: صاح عند الولادة، مختار الصحاح للرازي: ٢٩١.

(٧٨) رواه مسلم برقم (١٦٨١)، باب دية الجنين ١١/ ١٨٧.

(٧٩) الدر المختار للحصكفي، ت١٠٨٨هـ، وتنوير الأبصار للتمرتاشي: ٤١٨/٥.

(٨٠) ينظر: المغني لابن قدامة: ٨١٦/٧، والشرح الكبير: ٢٦٨/٤، وكشاف القناع: ٢١/٦.

(٨١) ينظر: الاجماع لابن المنذر: ١٢١.

(٨٢) المهذب: ١٩٨/٢، ومغني المحتاج: ٧٥/٤، ٧٩.

(٨٣) ينظر: البدائع: ٣٢٦/٧، والدر المختار: ٤١٧/٥، وتبيين الحقائق: ١٤٢/٦، والشرح الكبير: ٢٦٩/٤، والشرح الصغير: ٣٨٠/٤، ومغني المحتاج: ١٠٤/٤، والمغني: ٨٠٥/٧، وكشاف القناع: ٢٢/٦.

(٨٤) ينظر: البدائع: ٣٢٦/٧، وتبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: للإمام عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، ت٧٤٣هـ، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٣هـ، ١٤١/٦، واللباب شرح الكتاب: تأليف عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي، حققه وضبطه وعلق عليه: محمود أمين النواوي. ١٧١/٣، والدر المختار: ٤١٨/٥.

(٨٥) ينظر: القواعد الفقهية:٣٤٨، وبداية المجتهد: ٤٠٨/٢.

(٨٦) ينظر: المغني: ٨١٥/٧ وما بعدها، وكشاف القناع: ٦٥/٦، ومغني المحتاج: ١٠٨/٤، والمهذب: ٢١٧/٢.

(٨٧) سورة النساء آية: ٩٢.

(٨٨) الشرح الكبير: ٢٦٩/٤.

(٨٩) ينظر: البدائع: ٣٢٦/٧، وتبيين الحقائق: ١٤٠/٦، والدر المختار: ٤١٧/٥، والكتاب مع اللباب: ١٧٠/٣، والمغني: ٨١١/٨، ومغني المحتاج: ١٠٥/٤.

(٩٠) البدائع: ٣٢٦/٧، والشرح الكبير: ٢٦٩/٤، وبداية المجتهد: ٤٠٨/٢.

(٩١) ينظر: مغني المحتاج: ١٠٣/٤، والمغني: ٨٠٢/٧، وكشاف القناع: ٢٢/٦.

(٩٢) ينظر: كشاف القناع: ٢٣/٦، والمغني: ٨٠٠/٧.

(٩٣) الشرح الكبير: ٢٦٨/٤.

(٩٤) مغني المحتاج: ١٠٦/٤.

(٩٥) ينظر: الفقه الإسلامي للزحيلي: ٣٦٢/٦.

(٩٦) ينظر: الدر المختار: ٣٩٧/٥.

(٩٧) ينظر: الشرح الكبير للدردير: ٢٤٤/٤.

(٩٨) ينظر: المهذب: ١٩٢/٢، والمغني: ٨٣٢/٧.

(٩٩) ينظر: المهذب: ١٩٢/٢.

(١٠٠) ينظر: المغني لابن قدامة: ٨٣٢/٧.

(١٠١) الطلق: وجع الولادة، مختار الصحاح للرازي: ص١٦٦.

(١٠٢) ينظر في المصدرين: المهذب: ١٩٢/٢، والمغني: ٣٢/٧.

(١٠٣) صحيح مسلم، كتاب (الحدود)، باب (من اعترف على نفسه بالزنى)، برقم (١٦٩٥): ١٣٢٢/٣، وسنن أبي داود، كتاب (الحدود)، باب (المرأة التي أمر النبي ﷺ برجمها من جهينة من حديث بريدة)، برقم (٤٤٤٢): ١٥٢/٤.

(١٠٤) ينظر: الإجماع لابن المنذر: ١١٢، ومراتب الإجماع، علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣١/١، والمغني: ٣٢٧/١٢، وقال ابن قدامة: «ولا نعلم في هذا خلافا».

(١٠٥) ينظر: البحر الرائق: ١٢/٥، والفتاوى الهندية: ١٤٧/٢، والعناية شرح الهداية للامام اكمل الدين محمد بن محمود البابرتي ت ٧٨٦ هـ مطبوع على هامش الهدية: ٢٤٦/٥، ومغني المحتاج: ١٥٤/٤، وشرح مختصر خليل: لابي عبد الله بن محد بن عبد الرحمن المعروف

بالخطاب ت ٩٥٤ هـ مطبعة السعادة مصر ط١، ١٣٢٨هـ: ٨٤/٨، والمغني: ٣٢٧/١٢، والبحر الزخار: الجامع لمذهب علماء الامصار، المجتهد المهذب لدين الله احمد بن يحيى المرتضى ت ٨٤٠هـ ط١، ١٩٤٧ م، مطبعة السعادة مصر ١٥٥/٦.

(١٠٦) ينظر: الفتاوى الهندية: ١٤٧/٢.

(١٠٧) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية ت٧٥١هـ، الطبعة المصرية، القاهرة، ٣٠/٥.

(١٠٨) اللبأ: هو أول اللبن بعد الولادة، ينظر: لسان العرب: ١٥٠/١، ومختار الصحاح: ٢٤٦/١، والمعجم الوسيط: ٨١١/٢.

(١٠٩) المغني: ٣٢٨/١٢.

(١١٠) ينظر: التقرير والتحبير للامام محمد بن عبد الواحد الكمال ابن الهمام ت٨٦١هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٤: ٢/ ٢١٨.

(١١١) كشف الأسرار: ص١٣٥٩، والقواعد في الفقه الاسلامي لابن الفرج عبد الرحموت بن رجب الحنبلي ت٧٩٥هـ، ط١، ١٣٩١هـ، مكتبة الطلبات الازهرية: ص١٧٨، وفواتح الرحمن: محمد بن نظام الدين الانصاري، ط١، المطبعة الاميرية، بولاق، القارة ١٣٢٢هـ، ١/ ١٥٦، واصول الفقه الاسلامي د.وهبة الزحيلي ط١، دار احسان، طهران، ١٩٩٧: ١٦٥/١.

(١١٢) ينظر: القواعد لابن رجب: ص١٨١.

(١١٣) ينظر: مرآة الاصول في شرح مرقاة الوصول محمدبن فراموز بن علي المعروف بملا خسرو ت٨٨٥هـ: ٢/ ٤٢٥.

(١١٤) المصدر السابق نفسه.

(١١٥) ينظر: المغني: ٣١٦/٦.

(١١٦) ينظر: التقرير والتحبير ٢/ ٢١٩.

(١١٧) ينظر:التقرير والتحبير ٢/ ٢١٩.

(١١٨) مرآة الاصول ٢/ ٤٢٦.

(١١٩) ينظر: الفتاوى الهندية: ٤٥٥/٦، والوصايا والمواريث لحسين علي الأعظمي: ص٢٤٤، وأحكام المواريث عمر عبد الله: ص٢٩٥.

[١٢٠] سورة الأحقاف آية: ١٥.

[١٢١] سورة لقمان آية: ١٤.

[١٢٢] ينظر: السراجية: سراج الملة محمد بن عبد الرشيد السجاوندي الحنفي، مطبعة البابي الحلبي، مصر ١٣٦٣هـ، تبيين الحقائق للزيلعي: ٦/ ٢٤١، الدر المختار: ٥/ ٥٦٥، الرحبية: ٧٨، المغني: ٦/ ٣١٣- ٣٢٠، القوانين الفقهية: ٣٩٥.

[١٢٣] ينظر: تبيين الحقائق ٦/ ٢٤١.

[١٢٤] الموطأ، رقم الحديث (٦٢٧): ٢/٥٨٠.

[١٢٥] ينظر: المحلى لابن حزم الظاهري ١١/ ٦٥.

[١٢٦] ينظر: المغني لابن قدامة: ٦/٣٦٠، والوصايا والمواريث للأعظمي: ص٢٥٠.

[١٢٧] ينظر: المغني لابن قدامة: ٦/٣٦٠، والوصايا والمواريث للأعظمي: ص٢٥٠.

[١٢٨] سورة النساء آية: ٨٧.

[١٢٩] سورة النساء آية: ١٢٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإجماع للإمام ابن المنذر ت٣١٨هـ، تحقيق فؤاد عبد المنعم احمد، ط٣، دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٢. أحكام المواريث عمر عبد الله.
٣. إحياء علوم الدين: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار المعرفة، بيروت.
٤. الاشباه والنظائر، زين العابدين بن إبراهيم بن نجيم، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
٥. أصول الفقه الإسلامي، د.وهبة الزحيلي، ط١، دار إحسان، طهران، ١٩٩٧.
٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبي عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.

٧. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للإمام أبي الحسن المرداوي (ت ٨٨٥هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٨. البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ت٩٧٠هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٩. البحر الزخار، الجامع لمذهب علماء الأمصار، المجتهد المهذب لدين الله احمد بن يحيى المرتضى ت٨٤٠هـ، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٤٧م.
١٠. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر علاء الدين بن مسعود أحمد الكاساني ت٥٨٧هـ، ط١، المطبعة الجمالية، مصر، ١٣٢٧هـ.
١١. بداية المجتهد ونهاية المقتصد لأبي الوليد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد القرطبي الملقب بابن رشد (الحفيد) ت٥٩٥هـ، المكتبة التجارية، مصر.
١٢. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للإمام عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ت٧٤٣هـ، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١٣هـ.
١٣. تخريج أحاديث الأحياء: http:islamport.com
١٤. تسير التحرير على كتاب التحرير لمحمد امين المعروف بأمير بادشاه، دار الفكر، بيروت.
١٥. تفسير التحرير والتنوير محمد طاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
١٦. التقرير والتحبير للامام محمد بن عبد الواحد الكمال ابو الهمام ت٨٦١هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٤م.
١٧. تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
١٨. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ت٦٧١هـ، اعتنى به وصححه الشيخ هشام سمير البخاري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٩. حاشية السرجية، لابي عبد الله بن محمد بن الحسن السرجي الشافعي.

٢٠. الحاكم المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢١. الحق والذمة، للدكتور علي الخفيف.

٢٢. الدر المختار، لمحمد بن علي الملقب علاء الدين الحصكفي الدمشقي ت١٠٨٨هـ، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ، وهو شرح تنوير الابصار للتمرتاشي.

٢٣. رد المحتار لابن عابدين ت١٢٥٢هـ، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٦هـ.

٢٤. الروض المربع بشرح زاد مختصر المقنع منصور بن يونس بن ادريس البهوتي مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٣٩٠هـ.

٢٥. زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزية ت٧٥١هـ، الطبعة المصرية، القاهرة.

٢٦. السراجية، سراج الملة محمد بن عبد الرشيد السجاوندي الحنفي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٣هـ.

٢٧. السلسلة الصحيحة محمد ناصر الدين الالباني، ط٢، المكتبة الاسلامية، عمان، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٦هـ.

٢٨. سنن أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت٢٧٥هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر.

٢٩. سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، ت٢٧٩هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب الجمعة باب ما ذكر في فضل الصلاة رقم الحديث (٤٦١٤).

٣٠. سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن ابو محمد، تحقيق احمد زمرلي وخالد السبع ط١، دار الكتب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.

٣١. سنن النسائي الكبرى: أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي بن عبد الرحمن النسائي، ت٣٠٣هـ، ط١، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣٢. شرح الزرقاني على مؤطا مالك محمد بن عبد الباقي الزرقاني ت١١٢٢هـ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.
٣٣. الشرح الصغير للعلامة احمد بن محمد الرديرث ت ١٢٠١ هـ، تحقيق د. مصطفى وصفي، دار المعارف، القاهرة ١٣٩٢هـ.
٣٤. شرح العسقلاني لصحيح البخاري حققه محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٣٥. الشرح الكبير للعلامة احمد بن محمد الدردير، ت١٢٠١هـ، تحقيق د. مصطفى وصفي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٢هـ.
٣٦. شرح المنار عبد الرحمن بن ابي بكر العيني ت ٨٩٣هـ مخطوط رقم ٣٩٤٧ مكتبة الاوقاف العامة، بغداد.
٣٧. شرح مختصر خليل: لابي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطاب ت٩٥٤هـ، ط١، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.
٣٨. صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، ت ٢٥٦هـ، وضبطه ورقم أحاديثه محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، مؤسسة الهدى، دار التقوى للتراث، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٣٩. صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠. العدة شرح العمدة في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل للمقدسي، ت٦٢٤هـ، ط٢، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٨٢هـ.
٤١. العناية شرح الهداية للامام اكمل الدين محمد بن محمود البابرتي ت٧٨٦هـ مطبوع على هامش الهدية.
٤٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، ط٢، ١٣٨٩هـ.
٤٣. غريب الحديث لإبراهيم بن إسحق المربي، تحقيق سليمان إبراهيم محمد العايد، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.

٤٤. الفتاوى الخانية للإمام قاضي خان، ت٥٩٢هـ، وهي مطبوعة على هامش الفتاوى الهندية القوانين الفقهية لابن جزي الكلبي الغرناطي ت٧٤١هـ دار العلم للملايين
٤٥. الفتاوى الهندية، تاليف جماعة من علماء الهند في القرن الحادي عشر الهجري بتكليف من السلطان ابي المظفر محي الدين محمد على مذهب الحنفية، مصر ١٣١٠هـ.
٤٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني حققه محمد فؤاد عبد البالقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.
٤٧. فتح القدير: للامام كمال الدين ابن الهمام، ت٦٨١هـ، ط١، مركز أهل السنة، الهند، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤.
٤٨. الفقه الإسلامي وأدلته: للدكتور وهبة الزحيلي، ط٤، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م.
٤٩. فواتح الرحمن: محمد بن نظام الدين الانصاري، ط١، المطبعة الاميرية، بولاق، القارة ١٣٢٢هـ.
٥٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، ت١٠٣١هـ، ط١، تحقيق أبي الوفا الأفغاني، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
٥١. القواعد في الفقه الاسلامي لابن الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ت ٧٩٥هـ، ط١، مكتبة الطلبات الازهرية، ١٣٩١هـ.
٥٢. القوانين الفقهية لابن جزي أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ت ٦٩٣هـ.
٥٣. كشاف القناع عن متن الإقناع: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن أحمد بن علي بن إدريس البهوتي الحنبلي، ت١٠٥١هـ، تحقيق الشيخ هلال مصيلحي، مصطفى هلال، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٢هـ.
٥٤. كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام البزودي، لعلاء الدين البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٥. اللباب شرح الكتاب: عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي، حققه وضبطه وعلق عليه: محمود أمين النواوي.
٥٦. لسان العرب،لابي الفضل جمال الدن محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ت٧١١هـ، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

٥٧. المجموع للنووي محي الدين بن شرف، تحقيق محمود مطرحي، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٥٨. المحلى: لابن حزم الظاهري محمد بن علي بن أحمد سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي، ت ٤٥٦هـ، ط١، تحقيق أحمد محمد شاكر، إدارة المطبعة المنيرية، مصر، ١٣٤٩هـ.

٥٩. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، توفي بعد ٦٦٦هـ، ط١، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٦٠. مرآة الاصول في شرح مرقاة الوصول محمد بن فراموز بن علي المعروف بملا خسرو، ت٨٨٥هـ.

٦١. مراتب الاجماع: علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٢. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ط١، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٦٣. المعجم الوسيط، أخراج مجمع اللغة العربية، أشرف على طبعه عبد السلام هارون مصر.

٦٤. مغني المحتاج للشيخ محمد الشربيني الخطيب، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

٦٥. المغني لابن قدامه موفق الدين عبد الله بن احمد بن قدامه المقدسي، ت٦٢٠هـ، مطبعة المنار، مصر.

٦٦. مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس، ت ٣٩٥هـ، تحقيق أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٦٧. المهذب لأبي إسحق إبراهيم الشيرازي، ت ٤٧٦هـ، مطبعة العاصمة– القاهرة.

٦٨. نظرية الحق، نبيل إبراهيم سعد ومحمد حسن قاسم، منشورات الحلبي بيروت، ٢٠٠٧.

٦٩. نيل الأوطار في أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت١٢٥٥هـ، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت، ١٩٧٣م.

الفساد المالي والإداري
دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي

د. عدنان خزعل عباس الجبوري

كلية الآداب – قسم علوم القران

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين:

إن الفساد المالي والإداري يعد مشكلة العصر، وهو ظاهرة عالمية وإقليمية ومحلية ومجتمعية أساسها دوافع كثيرة وخصوصاً عندما تفسد عقيدة الأمة أو تشوه ملامحها أو تتداخل مع غيرها بشكل يفقدها هويتها(١).

وباتت هذه المشكلة هاجساً للمجتمع الدولي بأسره لأنه يعيق برامج التنمية ويؤثر في المصلحة العامة للشعوب(٢).

وقد كانت دعوة الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم من المصلحين على مر الزمان مشروعاً كبيراً في مواجهة الفساد وإصلاح المجتمعات والسعي لتنمية الحياة وإشاعة العدل والخير والأمن والاستقرار، وقد بين الإسلام إن منشأ الفساد هو الإنسان بما كسبت يداه فلا يتم الإصلاح إلا بإصلاحه(٣)، قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(٤).

وتسعى هذه الدراسة إلى بيان منهج الشريعة الإسلامية في حماية المجتمع من الفساد المالي والإداري وسبل الوقاية والعلاج من هذا الداء، وبيان مدى اهتمام الشريعة الإسلامية بهذا الجانب المهم وكيف تصدى الرعيل الأول لهذه الظاهرة وسِبْق الشريعة الإسلامية على غيرها من القوانين الوضعية التي لم تتمكن إلى يومنا هذا من الدفع نحو رؤية متكاملة تسمو بالمجتمع الإنساني نحو الفضيلة والخير.

المبحث الأول
ماهية الفساد المالي والإداري

المطلب الأول: دلالة الفساد في اللغة والاصطلاح.

الفرع الأول- لغة:

لقد تناولت المعاجم اللغوية الفساد ولم يكن لهذه الكلمة من معنى غير المتعارف عليه في اللغة، فقيل فيها انه من فسد- الفساد نقيض الصلاح، فسد يفسد ويفسد وفسد فساداً

وفسوداً فهو فاسد[٥]، قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾[٦].

و(الفساد) التلف والعطب والاضطراب والخلل وإلحاق الضرر في الغير[٧] أو هو اخذ المال ظلماً، والجدب[٨].

الفرع الثاني- اصطلاحاً:

الفساد في معناه الاصطلاحي تم اشتقاقه من التعريفات اللغوية، والفساد: خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عليه أو كثيراً، ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة[٩].

الفرع الثالث- الإفساد عند الفقهاء:

الإفساد: هو الحكم بكون العقد فاسداً، والفساد والبطلان عند الجمهور من المالكية، والشافعية، والحنابلة مترادفان بمعنى واحد[١٠].

أما الحنفية فالفساد عندهم: هو اختلال في العقد في صفة عارضة طارئة غير جوهرية فيه لذا كان مرتبة متوسطة بين البطلان والصحة.

والعقد الفاسد: هو ما كان مشروعاً بأصله، (ركنه ومحله وأهلية عاقدية) دون صفته أي كان صادراً ممن هو أهل له، والمحل قابل لحكم العقد شرعاً، والصيغة سليمة ولكن صاحب ذلك وصف منهي عنه شرعاً، وان الباطل ما كان غير مشروع لا بأصله ولا بوصفه[١١].

الفرع الرابع- تحديد مفهوم الفساد المالي والإداري وبيان مدى التداخل والتشابه بينهما:

إن الفساد المالي جريمة مخالفة للدين، والأخلاق، والقيم، والقانون، ويشمل الأعمال التي تؤدي إلى الكسب الحرام، كجرائم السرقة، والحرابة، والربا، وبيوع الذرائع الربوية وإنَّه العائق عن الكسب الحلال، كالغش، والتدليس، والاحتكار[١٢].

أما الفساد الإداري، فقد تناوله الكثير من الباحثين فمنهم من قال إنَّ الفساد الإداري يعني إلحاق الضرر بالأفراد، والمجتمعات، والدول، والفاسد ينتزع من نفسه قيم الإسلام وأخلاقه السامية ليهبط بها إلى معاني الرذيلة، والإساءة إلى الآخرين، فتختل الموازين وتستغل السلطات والمراكز الوظيفية، لكسب الأموال بالباطل[١٣].

وبالنظر لما تقدم نلاحظ أن هناك تداخلاً وتشابهاً بين الفساد المالي والإداري، والضرر المتحقق من هذا السلوك المنحرف واحد، فمن المعروف انه إذا فسدت الإدارة فسدت

الأموال.

ومن الملاحظ كذلك أن هناك علاقة بينهما حيث إن طبيعة العمل الرقابي الإداري، وكذلك العمل الرقابي المالي يظهر فيه التداخل والتشابك الذي لابد منه، ذلك أن الخلل الإداري ينتج عن خلل مالي، والخطأ المالي ينتج عن خطأ إداري وهكذا[١٤].

إلا أن الفساد الإداري لتعدد صوره يعد أكثر شمولاً من الفساد المالي، وكلاهما فساد، والفساد الإداري تجتمع فيه في كثير من الأحيان جريمتي الفساد المالي والإداري.

المطلب الثاني: الفساد في القانون

إن الفساد المالي والإداري قد تناوله العديد من الباحثين ومن زوايا مختلفة حيث يرى بعضهم: إن الفساد المالي هو القيام بعمل منافٍ للقوانين أو الأخلاق يتم بواسطة شخص عند تقاضيه، أو الحصول على وعد بتقاضيه أموال داخل أو خارج نطاق القنوات الشرعية بغرض الانتفاع الشخصي مقابل تقديم تسهيلات سرية ذات صلة بالموقع لهذا الشخص لعملاء خارجيين[١٥].

أما الفساد الإداري فمنهم من عرفه: بأنه استغلال الوظيفة العامة والمصادر العامة لتحقيق منافع شخصية، أو جماعية بشكل منافٍ للشرع والأنظمة الرسمية، سواء أكان هذا الاستغلال بدافع شخصي من الموظف ذاته، أو نتيجة للضغوط التي يمارسها عليه الأفراد من خارج الجهاز الحكومي، وسواء أكان هذا السلوك تم بشكل فردي، أم بشكل جماعي[١٦].

المبحث الثاني
أدلة تحريم الفساد المالي والإداري

المطلب الأول: في الشريعة الإسلامية.

الفرع الأول- القران الكريم:

لقد تناول القران الكريم جانب الفساد ومشتقاته خمسين مرة موزعة على ثلاث وعشرين سورة وهي البقرة، وآل عمران، والمائدة، والأعراف، والأنفال، ويونس، وهود، ويوسف، والرعد، والنمل، والإسراء، والكهف، والأنبياء، والمؤمنون، والشعراء، والنحل، والقصص، والعنكبوت، والروم، وص، وغافر، ومحمد، والفجر، والمتتبع للقران الكريم يجد تصوراً متكاملاً عن الفساد

وعن نتائجه حيثما توفرت أسبابه ودواعيه، ومن تلك الأسباب والدواعي:

١-البطر في المعيشة: يقول تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾؛ لان البطر يحجب الرؤية الصحيحة للقيم الخلقية السامية فلا تتمثل لدى الرائي سوى المادة واللذة التي تحجب عنه ما ينتج عنهما وما يتبع ذلك من الفساد والإفساد.

٢-الظلم والفسوق: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾[١٨].

٣-التمادي في الغي: يقول تعالى في عاد عندما كذبوا هود: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾[١٩].

٤-إتباع أهل الغواية والاستبداد: قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[٢٠]، ولأنَّ كل نوع من أنواع الاستبداد يُعَدُّ منشأ للفساد حيث يجتمع عند كثير منهم المتملقون فيكرمون، ويُنحى ويطرد المخلصون ويبعدون فيثقل بفسادهم كاهل الأمة وتستنزف طاقاتها.

ومما لا خلاف فيه أنَّهُ لا يمكن القضاء على الفساد أو الوقاية منه إلا بمعالجة أسبابه وفق ما يمليه التغيير الواقع، فعملية الإصلاح هي التي تدفع الفساد وتزيل أسبابه، ليتحاشى المجتمع مزالق الهلاك والدمار، ويمضي في طريق الصواب والنجاح[٢١].

الفرع الثاني- السنة النبوية الشريفة:

إن الحكمة من بعثة الأنبياء والمرسلين، هو نشر الخير، والفضيلة، والإصلاح، ومحاربة الفساد، والقضاء على أسبابه و حدوثه، ومن الأمور الأخرى التي اختص بها الأنبياء عليهم السلام هو إصلاح ما افسد الناس، والأخذ بأيديهم إلى طريق الخير والرشاد، لذلك نجد إن السنة النبوية المطهرة ركزت على النهي عن الفساد في كل جانب من جوانب الحياة الإنسانية وبالأخص الجانب الإداري والمالي، وفي كل جزئية من مقومات الفرد والمجتمع والدولة، وسواء كان في الجانب العقائدي، أو الأخلاقي، أو الاجتماعي، أو البناء الاقتصادي، أو الإداري، وحسبنا أن نذكر نماذج من أقوال نبينا محمد ﷺ.

١-في تحريم هدايا العمال، اذ لا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات قديمها وحديثها من

مظهر الفساد بنوعيه المالي والإداري[٢٢].

ومن ذلك ما ورد عن أبي حميد الساعدي، قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له: ابن الاتبية على صدقة، فلما قدم قال هذا لكم وهذا اهدي لي فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول هذا لك وهذا لي؟ فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا، والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر- ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه- ألا هل بلغت؟ ثلاثا**»[٢٣].

٢-تحذيره ﷺ من الغلو أي (الخيانة) وهدر المال العام من خلال تحقيق منافع شخصية مما يؤدي إلى حرمان الخزينة أو بيت المال من موارد مالية تنفق على التنمية.

فعن عبدي بن عميرة الكندي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول.. «**من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطاً فما فوقه، كان غلولاً يأتي به يوم القيامة**»[٢٤].

٣-تحذيره ﷺ من خطورة الرشوة التي تعني: حصول الشخص على منفعة تكون مالية في الغالب؛ لتمرير أو تنفيذ أعمال خلاف التشريع أو أصول المهنة، أو هي اتجار الموظف العام أو من هو في حكمه بأعمال الوظيفة والخدمة العامة الداخلة في اختصاصه، أو يزعم انها داخلة فيه[٢٥].

وهي تعد احد أوجه الفساد الإداري وأكثرها خطورة، فقد حرمها الإسلام بالقران والسنة والإجماع[٢٦]، عن عبد الله بن عمرو قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي»[٢٧].

وفي معنى الفساد الإداري أيضاً قوله ﷺ «**إن من اشراط الساعة الفحش والتفحش وسوء الجوار وقطع الأرحام وان يؤتمن الخائن ويخون الأمين**»[٢٨].

الفرع الثالث- أقوال الصحابة رضوان الله عليهم وعلماء الأمة:

إن القواعد التشريعية الإسلامية تقضي بان تكون السلطة الإدارية والموقع الإداري، سواء كانت سلطة سياسية، أو مالية، أو إدارية تنظيمية: هي عبارة عن وظيفة اجتماعية وليست امتيازا لشخص معين أو جماعة معينة وبالتالي فهي **(تكليف وتشريف)** لمن قام بحقها وتحمل مسؤوليتها وفق ما يحكمها من قيم، بما أحاطها الإسلام من ضوابط وأحكام في ظلال القواعد التشريعية العامة، وهي في الوقت نفسه عبارة عن عبء ثقيل يُورِثُ الندامة والخزي يوم القيامة لمن انحرف بها إلى غير مسارها الصحيح وخرق بها مجموعة القيم

الأخلاقية والضوابط الشرعية فهي خدمة عامة تجلب من المسؤولية أكثر مما تحمل من المغنم(٢٩).

ومن صور اجتثاث الفساد ما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ حينما جاء بنو عدي يريدون أن يتقدموا في ديوان العطاء عندما أمر أن يكتب الناس على منازلهم، قال لهم بخ بخ يا بني عدي أردتم الأكل عن ظهري، وان أهب حسناتي لكم لا والله حتى تأتيكم الدعوة، وان انطبق عليكم الدفتر– أي: ولو أن تكتبوا آخر الناس– والله لئن جاءت الأعاجم بعمل وجئنا بغير عمل لهم أولى برسول الله ﷺ منا يوم القيامة فان من قصر به عمل لم يسرع به نسبه(٣٠).

وكان سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ إذا استعمل رجلاً كتب له كتاباً واشهد عليه رِهطاً من المهاجرين والأنصار، بان لا يظلم أحداً في جسده، ولا في ماله، ولا يستغل منصبه لفائدة، أو مصلحة له أو لمن يلوذ به(٣١).

وكتب سيدنا علي ﷺ إلى الأشعث بن قيس عامله على أذربيجان فقال: «وان عملك ليس لك بطعمه ولكنه في عنقك أمانة وأنت مسترعي لمن فوقك ليس لك أن تقتات في رعية ولا تخاطر إلا بوثيقة وفي يديك مال من مال الله عز وجل وأنت من خزانة حتى تسلمه إليّ»(٣٢).

ومن الصور الأخرى كتب أبو جعفر المنصور إلى سوار بن عبد الله في شيء كان عنده خلاف الحق فلم ينفذ سوار كتابه وأمضى الحكم عليه فاغتاظ المنصور عليه وتوعده، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنما عدل سوار مضاف إليك وتزيين خلافتك فامسك(٣٣).

هذا قليل من كثير من سيرة الأولين السابقين رحمهم الله تعالى– ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر وذلك لبيان عملهم الإداري والمالي وكيف حاربوا الفساد بكل أنواعه، قبل أن يحارب من العالم في وقتنا هذا.

المطلب الثاني: في القانون.

إن الفساد آفة لا تقل خطورة عن أي آفة مهلكة، وأي آفة لا نتصدى لها ونجتث جذورها فإنَّها لا تبقي ولا تذر وتقتل كل الإمكانيات المتاحة للأمة، سواء المادية منها، أو القدرات البشرية، وكم من أمة من الأمم أفل نجمها بل وزالت من الوجود بسبب الترهل الذي سببه تراخيها عن مقارعة تلك الآفة(٣٤).

وهناك بعض القوانين التي تحقق الإصلاح للقطاعات من اجل القضاء على الفساد المالي والإداري.

فنجد من الضروري إلقاء الضوء على تلك القوانين التي أشارتْ إلى التشريعات النافذة إذ جاء في قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام العراقي رقم (١٤) لسنة ١٩٩١ وتعديلاته ما يلي:

المادة (٤) يلتزم الموظف بالواجبات الآتية:

أولاً: أداء أعمال وظيفته بنفسه بأمانة وشعور بالمسؤولية.

ثانياً: التقيد بمواعيد العمل وعدم التغيب عنه إلا بإذن، وتخصيص جميع وقت الدوام الرسمي للعمل.

ثالثاً: احترام رؤسائه، والتزام الأدب واللياقة في مخاطبتهم، وإطاعة أوامرهم المتعلقة بأداء واجباته في حدود ما تقتضي به القوانين والأنظمة والتعليمات، فإذا كان في هذه الأوامر مخالفة فعلى الموظف أن يبين لرئيسه كتابة وجه تلك المخالفة ولا يلتزم بتنفيذ تلك الأوامر إلا إذا أكدها رئيسه كتابة وعندئذ يكون الرئيس هو المسؤول عنها.

رابعاً: معاملة المرؤوسين بالحسنى وبما يحفظ كرامتهم.

خامساً: احترام المواطنين وتسهيل انجاز معاملاتهم.

سادساً: المحافظة على أموال الدولة التي في حوزته او تحت تصرفه واستخدامها بصورة رشيدة.

سابعاً: كتمان المعلومات والوثائق التي يطلع عليها بحكم وظيفته أو أثناءها إذا كانت سرية بطبيعتها، أو يخشى من إفشائها إلحاق الضرر بالدولة، أو الأشخاص، أو صدرت إليه أوامر من رؤسائه بكتمانها، ويبقى هذا الواجب قائماً حتى بعد انتهاء خدمته، ولا يجوز له أن يحتفظ بوثائق رسمية سرية بعد إحالته على التقاعد أو انتهاء خدمته بأي وجه كان.

ثامناً: المحافظة على كرامة الوظيفة العامة، والابتعاد عن كل ما من شانه المساس بالاحترام اللازم لها سواء أكان ذلك أثناء أدائه وظيفته أم خارج أوقات الدوام الرسمي.

تاسعاً: الامتناع عن استغلال الوظيفة لتحقيق منفعة أو ربح شخصي له أو لغيره.

عاشراً: إعادة ما يكون تحت تصرفه من أدوات أو آلات إلى المحل المخصص لها عند انتهاء العمل اليومي، إلا إذا اقتضت طبيعة العمل غير ذلك.

حادي عشر: مراعاة القوانين، والأنظمة، والتعليمات الخاصة بحماية الصحة العامة، والسلامة في العمل، والوقاية من الحريق.

ثاني عشر: القيام بواجبات الوظيفة حسبما تقرره القوانين، والأنظمة، والتعليمات.

المادة (٥) يحظر على الموظف ما يأتي:

أولاً: الجمع بين وظيفتين بصفة أهليه أو الجمع بين الوظيفة وبين أي عمل آخر إلا بموجب أحكام القانون.

ثانياً: مزاولة الأعمال التجارية، وتأسيس الشركات، والعضوية في مجالس إدارتها عدا:

أ- شراء أسهم الشركات المساهمة.

ب- الأعمال التي تخص أمواله التي آلت إليه إرثاً أو إدارة أموال زوجه، أو أقاربه حتى الدرجة الثالثة التي آلت إليهم أرثاً وعلى الموظف أن يخبر دائرته بذلك خلال ثلاثين يوماً، وعلى الوزير إذا رأى أن ذلك يؤثر على أداء واجبات الموظف أو يضر بالمصلحة العامة أن يخيره بين البقاء في الوظيفة وتصفية تلك الأموال، أو التخلي عن الإدارة خلال سنة من تاريخ تبليغه بذلك وبين طلب الاستقالة، أو الإحالة على التقاعد.

ثالثاً: الاشتراك في المناقصات.

رابعاً: الاشتراك في المزايدات التي تجريها دوائر الدولة والقطاع العام لبيع الأموال المنقولة وغير المنقولة إذا كان مخولاً قانوناً بالتصديق على البيع لاعتبار الإحالة قطيعة، أو كان عضواً في لجان التقدير، أو البيع، أو اتخذ قراراً ببيع أو إيجار تلك الأموال، أو كان موظفاً في المديرية العامة، أو ما يعادلها التي تعود إليها تلك الأموال.

خامساً: استعمال المواد، والآلات، ووسائل النقل، وغيرها العائدة إلى دوائر الدولة والقطاع العام لأغراض خاصة.

سادساً: استعمال أي ماكنة أو جهاز أو أي آلة من آلات الإنتاج لم يكلفه رئيسه المباشر باستعماله.

سابعاً: عدم الاستغلال الصحيح لساعات العمل ووسائل الإنتاج بغية انجاز الأعمال المناطة به أو الإهمال أو التهاون في العمل بما يؤدي إلى إلحاق ضرر بالإنتاج أو الخدمات أو الممتلكات.

ثامناً: العبث بالمشروع إتلاف آلاته، أو المواد الأولية، أو الأدوات، أو اللوازم.

تاسعاً: التعمد في إنقاص الإنتاج، أو الإضرار به.

عاشراً: التأخر في انجاز العمل الذي يتسبب عنه تعطيل عمل الآخرين.

حادي عشر: الاقتراض أو قبول مكافأة أو هدية أو منفعة من المراجعين أو المقاولين أو المتعهدين مع دائرته أو من كل ما كان لعمله علاقة بالموظف بسبب الوظيفة.

ثاني عشر: الحضور إلى مقر وظيفته بحالة سكر، أو الظهور بحالة سكر بيّن في محل عام.

ثالث عشر: الاحتفاظ لنفسه بأصل أية ورقة، أو وثيقة رسمية، أو نزع هذا الأصل من الملفات المخصصة لحفظه للتصرف به لغير الأغراض الرسمية.

رابع عشر: الإفضاء بأي تصريح أو بيان عن أعمال دائرته لوسائل الإعلام والنشر فيما له مساس مباشر بأعمال وظيفته، إلا إذا كان مصرحاً له بذلك من الرئيس المختص.

ومن صور الفساد المالي والإداري وتطور أشكاله تبعاً لطبيعة العصر والظروف المحيطة وسبب المكاسب المادية والمعنوية التي يجنيها المفسد نذكر هنا هذه الصور وكالتالي:

١- المحاباة: أي تفضيل جهة على أخرى بغير وجه حق كما في منح المقاولات، والعطاءات، أو عقود الاستئجار، والاستثمار(٣٥).

٢- المحسوبية: أي تفضيل وتقريب المعارف ولو كانوا ضعفاء، واستبعاد الأقوياء بغير وجه حق(٣٦).

٣- الواسطة: وهي طلب فرد من موظف عام انجاز عمل مشروع أو غير مشروع لصالحه أو لصالح فرد آخر، أو إحالة عقد أو إشغال منصب لصالح من لا يستحق(٣٧).

٤- الاختلاس: وهو عبث الموظف بما اؤتمن عليه من مال عام(٣٨)، وإساءة استعمال السلطة الوظيفية الممنوحة له(٣٩).

٥- التزييف في العمله.

٦- التزوير: هو تغيير الحقائق والتلاعب بها بإعطاء أمر لمن لا يستحقه مما يلحق ضرر للغير(٤٠).

٧- فساد يتقاطع مع الأنظمة والقوانين المتعلقة بنظام العدالة وحقوق الملكية والتسهيلات المصرفية والائتمانات وكذلك التمويل الخارجي(٤١).

المبحث الثالث
الضمانات الكفيلة للوقاية من الفساد المالي والإداري

المطلب الأول: في الشريعة الإسلامية (ضوابط التولية وأهليه الاختيار للوظيفة العامة)

قبل الخوض في ضوابط التولية وأهلية الاختيار للوظيفة العامة أجد من المستحسن توضيح مفهوم الوظيفة والموظف العام.

الفرع الأول- الوظيفة في اللغة:

وظف: وهي تدل على تقدير الشيء- يقال وظفت له، إذا قدرت له كل حينٍ شيئاً من رزق أو طعام(٤٢).

الفرع الثاني- اصطلاحا:

الوظيفة: هي المهمة التي يكلف بها الشخص أو الواجبات التي تناط به نحو ربه، ونفسه، ومجتمعه، وكل مهمة تتطلب أمانة في أدائها، وقد عرف الإسلام الوظيفة وعرف شاغلها من خلال المفهوم العام للولاية التي تشمل جميع أمور المسلمين في الدولة(٤٣).

الفرع الثالث- مفهوم الموظف العام في الدولة:

لقد عَرَفَ الإسلام الوظيفة العامة وشاغلها أي الموظف العام، وكان يقصد بهذا اللقب الخليفة، أو الإمام، أو الوالي، أو العامل، أو المحتسب... الخ، جميع تلك الألقاب التي تجمعها تسمية الموظفين العموميين في القوانين المعاصرة(٤٤).

غير أن مصطلح موظف لم يرد في كلام الفقهاء السابقين رحمهم الله تعالى للدلالة على من يعمل في الدولة كما هو الحاصل في المفهوم الحديث(٤٥).

إلا إن أحد الباحثين المعاصرين عبد الواحد بن المزروع ذكر تعريفاً له في الفقه الإسلامي: بأنه من يلقى إليه مهمة دون تمييز أو تفضيل، وهو ممثل عن الأمة، ووكيل عنها(٤٦).

ويستخلص من ذلك كله: إن الموظف العام هو كل من تولى أمراً من أمور المسلمين العامة أو وكل إليه به(٤٧).

الفرع الرابع: أسس الاختيار للوظيفة العامة.

إن الإدارة لا تخضع للقانون الإسلامي، إلا إذا تحقق في جهازها من يحب الحق، ويدعو

إليه، ويحذر من الخروج عليه، وهذا يقتضي انتقاء صنف من الناس للإدارة ويتصفون بالقوة والحق والأمانة ويسعون لتحقيقها في الواقع العملي، لان الولاية في الإسلام في أعلى مركز في الدولة إلى أدنى مركز فيها تقوم على أساس القوة والأمانة تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[٤٨]. ومرد القوة والكفاءة إلى القدرة على النهوض بما يتولاه على الوجه الأكمل[٤٩].

ولقد وضع القانون الإسلامي تشريعات ونظريات وقائية من خلال الاختيار للوظيفة من اجل منع الفساد، فالإسلام كان سبّاقاً لوضع هذه الضوابط؛ لان الموظف العام هو من أهم الأركان التي يركز عليها الإسلام لمنع الفساد، لان بخلاف ذلك قد يؤدي إلى تدمير المؤسسات وعدم قيام نظام إسلامي حقيقي.

ومن هذا المنطلق فقد كان خلفاء وحكام الدولة الإسلامية يركزون على اختيار الموظف الذي تتوفر فيه المواصفات المطلوبة لمنع الفساد والحد منه[٥٠].

وأساس التوظيف للوظيفة العامة في الإسلام هو صلاحية الفرد للوظيفة وان هذه الصلاحيات تتحدد بالتالي:

١- القدرة الفعلية على أداء العمل[٥١] والكفاءة بالمقارنة مع العمل المسند إليه.

لذلك كانت هذه المعايير هي نصب عين الخلفاء ﷺ في اختيار الأكفأ والأصلح، وهذا سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يختار الصحابي الجليل كعب بن سوار قاضياً على البصرة بعد أن رضي كفاءته حين جاءته امرأة تشكو زوجها فقال سيدنا عمر لسيدنا كعب رضي الله عنهما اقض بينهما فلما قضى وكان موفقاً في قضائه أعْجِبَ به سيدنا عمر ﷺ وسر بذلك فولاه القضاء على البصرة[٥٢].

٢- إن من الإصلاح والصلاح للمؤسسة الإدارية أن يتوفر في شاغل الوظيفة الالتزام التعبدي وان يتحلى بالأخلاق الكريمة وذلك؛ لان دولة الإسلام تقوم على أساس مراقبة الله وخشيته، والخضوع لشرعه وان خلاف ذلك هو خلاف أوامر الشريعة فان اشتط حرم الله عليه الجنة قال ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعيته يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[٥٣].

٣- الاختيار الصحيح واستعمال الأصلح: إن من إفرازات الفساد في القيادة أو الإدارة الجنوح في اختيار الموظف واستخدامه خارج الضوابط التي تؤهله لمسؤوليته وكفاءته بالمقارنة مع

العمل المسند إليه ودخول عنصر المداهنة والمحاباة من اجل قرابة أو مصلحة مشتركة ونحو ذلك من الأسباب الخفية[٥٤].

والمحاباة في ذلك خيانة لله ورسوله، قال ﷺ: «**من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم**»[٥٥].

وحين جاءه أبو ذر يطلب الإمارة لنفسه قال له رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر انك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها**»[٥٦]. فلأن أبا ذر كان ضعيفاً مع وجود من هو أفضل منه امتنع رسول الله ﷺ أن يوليه علماً بأنه كان ذا فضل وأمانة وخير، قال عنه رسول الله ﷺ: «**ما أظلت ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق منك يا أبا ذر**»[٥٧].

٤- اختيار الأصلح فالأصلح: يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى «فان عدل عن الأحق الأصلح إلى غيره لأجل قرابة بينهما.... الخ فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ودخل فيما نهي عنه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ ﴾»[٥٨].

وفي موضع آخر يقول: «إن معرفة الأصلح إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية ومعرفة طريق المقصود فإذا عُرِفَتْ المقاصد والوسائل تم الأمر»[٥٩].

وعلى ولي الأمر أن يعين لأعمال المسلمين أقدرهم وأصلحهم للعمل امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾[٦٠].

وإذ لم يجد ولي الأمر من يصلح لولاية من الولايات فان عليه أن يختار الأمثل فالأمثل في كل منصب، وإذا فعل ذلك بعد الاجتهاد، فقد أدى الأمانة، وقام بالواجب[٦١].

٥- القوة: والقوة في كل ولاية يختلف عن الأخرى، ومراد القوة هي القدرة على النهوض بالفعل على الوجه الأكمل، فان كانت المهمة قضاءاً فان القوة اللازمة لأداء القضاء كمعرفة القوانين والأحكام الشرعية، ومعرفته باجتهاد من قبله، وقدرته على استنباط الأحكام، أما إذا المهمة حرباً وضرباً فان القوي هو من اتصف بالشجاعة والقدرة على القتال[٦٢]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ ﴾[٦٣].

٦- الأمانة: ومراد الأمانة: وهي عدم التفريط في شؤون ما ولي عليه ومراقبة الله، وخشيته، والخضوع لشرعه المتمثل بالقانون الإسلامي العام[٦٤]، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ

﴿ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٦٥].

٧- الاختبار للوظيفة: والاختبار قبل الاختيار للوظيفة مبدأ أساسي في الإسلام[٦٦]، وقد اختار ﷺ سيدنا معاذ بن جبل قاضياً على اليمن بعد أن اختبره[٦٧] فقال له: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء** قال اقضي بكتاب الله، قال: **فان لم تجد**، قال: اقضي بسنة رسول الله، قال: **فان لم تجد**، قال: اجتهد رأيي ولا آلو فقال رسول الله ﷺ **الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله**»[٦٨].

وقد اختار رسول الله ﷺ أبا بكر للصلاة في مرضه مع وجود أقاربه، ولقد سبق الإسلام النظم الأخرى في الأخذ بمبدأ التخصص ووضع الرجل في مكانه المناسب، وهذا التخصص يمنع دخول غير المؤهلين من أداء الوظيفة. وفق هذه المعايير اختار الخلفاء القواد والولاة والأمراء والقضاة، وهكذا ففي كل عمل ينتخب الأكفأ والأصلح عن طريق الاجتهاد، أو المشورة لأهل الخبرة والرأي، ونصيحة الأمناء من الناس، إلا إن هناك من الوظائف في الإسلام ما فيها زيادة على هذه الشروط الآنفة الذكر وكل حسب نوع تلك الوظيفة مثل العلم بمصادر التشريع، والاجتهاد، والذكورة، والعدالة إلى غير ذلك من الشروط التي بدونها لا يصبح المتقدم لهذا العمل بالمؤهل لشغل المنصب.

المطلب الثاني: في القانون

يقصد بالوظيفة العامة تكليف مواطن بخدمة اجتماعية يستهدف القائم بها المصلحة العامة وخدمة المواطنين في ضوء القواعد القانونية النافذة[٦٩].

ولقد أشار قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠م المعدل في المادة السابعة منه أشار للشروط التي يتم بموجبها تعيين طالب الوظيفة في الوظائف الحكومية، ونذكر هنا الشروط:-

١- عراقياً أو متجنس مضى على تجنسه مدة لا تقل عن خمس سنوات.

٢- أكمل الثامنة عشرة من العمر والممرضة السادسة عشرة.

٣- ناجحاً في الفحص الطبي وسالماً من الأمراض المعدية ومن الأمراض والعاهات الجسدية والعقلية التي تمنعه من القيام بالوظيفة المعين لها بموجب قرار من السلطات الطبية

المختصة وفقاً لنظام خاص.

٤-حَسِنُ الأخلاق وغير محكوم بجناية غير سياسية أو بجنحة تمس الشرف كالسرقة والاختلاس والتزوير والاحتيال.

٥-حائز على شهادة دراسية معترف بها.

المبحث الرابع
الرقابة والتجريم للفساد المالي والإداري وأثر ذلك في حماية المجتمع

المطلب الأول: الرقابة في الشريعة الإسلامية

الفرع الأول: لغةً واصطلاحاً

أولاً- الرقابة لغة: هي المحافظة والانتظار، فالرقيب هو الحافظ والحارس والمنتظر[٧٠]، وورد في كتاب الله العزيز آيات بمعنى الرقيب منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾[٧١]، وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾[٧٢]، فالآيات مفسرة بمعنى الحفظ والانتظار[٧٣].

ثانياً- اصطلاحا: هي الإشراف، والفحص، والمراجعة من جانب سلطة أعلى لها هذا الحق، للوقوف على كيفية سير العمل، والتأكد من صلاحية استخدام الأموال العامة في الأغراض المخصصة لها وفقاً للتعليمات والقوانين التي شرعت لها وكذلك من اجل التأكد من سلامة النتائج من هذه الأعمال[٧٤].

الفرع الثاني: أشكال الرقابة وصورها

ومن أشكال الرقابة التي تميز الإدارة الحكومية في الإسلام ما يلي:

١-**الرقابة الذاتية:** وهي أعظم ما يميز الإدارة في الإسلام وتعني مراقبة ومتابعة الموظف نفسه وهذه الرقابة تنبع من داخل الإنسان من خلال تربيته وطبيعة حياته وسلوكه، فهي تنشط وتقوى من خلال الصلة بالله عز وجل، والخوف منه ومراقبته في السر والعلانية[٧٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾[٧٦].

وتتجلى أسمى معاني الرقابة الذاتية في حديث الرسول ﷺ عن الإحسان حيث يقول: «**أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك**»[٧٧].

٢-**رقابة الحكومة الداخلية:** وهي رقابة ولي الأمر أو من ينوب على العمال فقد تشدد الخلفاء المسلمين في محاسبة الولاة ومتابعتهم ليحاكوا الواقع بالأثر الفعلي في ساحة العمل لذلك اتخذوا كل الوسائل المتاحة في المراقبة الفعلية والوقوف على حقيقة الأداء والتنفيذ(٧٨). وقد جاء في وصية سيدنا عمر بن الخطاب للولاة وعمال الأمصار: «ألا واني لم أبعثكم أمراء ولا جبارين ولكن بعثتكم أئمة هدى يهتدى بكم فادوا على المسلمين حقوقهم ولا تضربوهم فتذلوهم ولا تخمدوهم فتفتنوهم ولا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم ولا تجهلوا عليهم وقاتلوا بهم الكفار طاقتهم فإذا رأيتم بهم كلالة فكفوا عن ذلك فذالك ابلغ في جهاد عدوكم»(٧٩).

٣-**رقابة حكومية خارجية:** وهي رقابة المؤسسات ومتابعتها من خلال أجهزة تشكلها الدولة تتابع نصوص العهود التي ألتزمتها الدولة مع بقية الدول الأخرى من خلال العلاقات التجارية، والسفراء، والمعاهدات، لضمان حقوق أفراد كل من الدولتين وإجراء العدل بينهم(٨٠) حتى لا يعم الفساد وتدب الفوضى.

المطلب الثاني: الرقابة في القانون

إن الرقابة هي احد مكونات العملية الإدارية والمالية وهي وظيفة من وظائف الإدارة ترتبط بأوجه النشاط الإداري المختلفة من تخطيط، وتنظيم، وقيادة، واتخاذ للقرارات، وتنفيذ لتلك القرارات. وهي عملية متابعة دائمة تهدف أساساً إلى التأكد من أنَّ الأعمال الإدارية والمالية تسير في اتجاه الأهداف المخططة بصورة مرضية، كما تهدف إلى الكشف عن الأخطاء والانحرافات ثم تصحيح تلك الأخطاء والانحرافات بعد تحديد المسؤول عنها ومحاسبته المحاسبة القانونية العادلة(٨١).

ويبقى الأهم في كل هذه العملية هو التطبيق للتشريعات الإدارية بشكل دقيق ومنظم، ولتعزيز كفاءة الأداء وللحد من تفشي ظاهرة الفساد وجدت هناك مؤسسات رقابية مستقلة أخذت على عاتقها التصدي لظاهرة الفساد وسنشير إلى بعض هذه المؤسسات كالآتي:

١- ديوان الرقابة المالية(٨٢):

لقد أشار الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥م في المادة ١٠٣ على إنشاء ديوان الرقابة المالية حيث ركز الدستور على إخراج هذه الهيئة من أي سيطرة أو خضوع لأي جهة، كي تمارس

هذه الهيئة عملها بموضوعية وحياد للحد من تفشي ظاهرة الفساد.

٢- هيئة النزاهة والمفتشون العموميون[٨٣]:

أما المادة ١٠٢ من الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥م قد أشار إلى تشكيل هيئة النزاهة والتي حدد الدستور موقفه من هذه الهيئة ورأى أن تبقى مستقلة عن السلطة التنفيذية، حتى تتمكن من العمل بكل حيادية ودون تدخل أو ضغوط إلا إن الدستور أخضعها لرقابة مجلس النواب لضمان الدقة والموضوعية في عملها. أما المفتشون العموميون فقد جاء الأمر المتعلق بهم رقم (٥٧) لسنة ٢٠٠٤م على إنشاء برنامجاً فعالاً يتم بموجبه إخضاع إدارات الوزارات لإجراءات المراجعة والتدقيق والتحقيق بغية رفع مستويات المسؤولية والنزاهة في إدارة الوزارات، ولمنع وقوع أعمال التبذير، والغش وبالتالي تم إنشاء مكتب للمفتش العام في كل وزارة من وزارات الدولة.

المطلب الثالث: العقوبة المترتبة على الفساد المالي والإداري في الشريعة الإسلامية والقانون

الفرع الأول- في الشريعة الإسلامية:

أولا- لغةً: العقاب والمعاقبة أن تجزي الرجل بما فعل سوءً، والاسم العقوبة وعاقبه بذنبه وعقاباً: أخذه به. وتعقبت الرجل إذا أخذته بذنب كان منه[٨٤].

ثانياً- العقوبة في الاصطلاح:

أ. عند الحنفية: العقوبة جزاء شرعي على فعل محرم أو ترك واجب أو سنة أو مكروه[٨٥].

ب. عند المالكية: العقوبة تكون على فعل محرم أو ترك واجب أو سنة أو فعل مكروه[٨٦].

ج. عند الشافعية: زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما أمر به[٨٧].

د. عند الحنابلة: العقوبة تكون على فعل محرم أو ترك واجب ومنها ما هو مقدر، ومنها ما هو غير مقدر[٨٨].

مناقشة التعاريف:

أن المتأمل للتعريفات المشهورة للمذاهب الأربعة في معنى العقوبة يجد أنها متقاربة ألا أن السادة الشافعية والسادة الحنابلة لم يذكروا المكروه والمسنون كما أشار إلى ذلك السادة الحنفية والسادة المالكية. والذي أراه أن التعريف الجامع لاوصاف العقوبة وسبب مشروعيتها

هو ما ذهب أليه السادة الحنفية والسادة المالكية والله اعلم.

الفرع الثاني- التطبيقات العقابية:

وسوف نذكر بعض النتائج التي ترتبت على التطبيقات الرقابية والعقابية سواء كانت إدارية أو مالية، وكما يلي:

١- العقوبات المترتبة على السرقة:

أ- **السرقة لغةً:** هي اخذ كل ما يتمول خفية ويقال سرق مالاً يسرقه، وسرق منه مالاً[٨٩].

ب- **شرعاً:** وهي اخذ مال الغير من مالكه أو نائبه على وجه الاختفاء[٩٠] والاستتار[٩١].

وقيل هي: اخذ البالغ العاقل نصاب القطع خفية مما لا يتسارع إليه الفساد من المال المنقول للغير من حرز بلا شبهة[٩٢].

وحكم السرقة: أنها محرمة وهي من كبائر الذنوب؛ لأنها أكل أموال الناس بالباطل والسارق عنصر فاسد في المجتمع إذا ترك سرى فساده في جسم الأمة وتحول إلى داء مستعصٍ فلابد من حسمه والقضاء عليه حتى يعم الأمن في نفوس الناس، ولقد جاءت العقوبة المناسبة لردعه فشرع القران الكريم قطع يد السارق، تلك اليد الظالمة التي امتدت إلى مالا يجوز لها الامتداد إليه قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٣٨ ﴾[٩٣] والشريعة الإسلامية بتقريرها عقوبة القطع دفعت العوامل النفسية التي تدعو لارتكاب الجريمة بعوامل نفسية مضادة تصرف عن جريمة السرقة[٩٤].

٢- العقوبات المترتبة على الحرابة:

المحاربة أو الحرابة في اللغة: مصدر حارب يحارب محاربة مأخوذة من الحرب [٩٥].

أما من ناحية الاصطلاح الشرعي:

المحاربة، أو الحرابة، أو ما يسمى بقطع الطريق على المسلمين، ومن هم في حكمهم من أهل الذمة في دار الإسلام من ملتزم للأحكام ذي قوة ومنعة بقصد سلب الأموال مجاهرة لا سرقة، خارج المصر أو داخله على الصحيح عند الجمهور وهولاء يسمون محاربين[٩٦]. إن هذه الجريمة الحرابة هي من اخطر الجرائم التي في واقعها تلحق ضرر بالنفس، والمال، وبالجماعة، فهي وباء فتاك أو نار تقتضي أن تخمد لذا كان العقاب عليها أمراً لازماً، لاستئصالها من جنبات المجتمع وصيانته من ألوان الفوضى والفساد والأصل في

عقوبة جريمة الحرابة قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾[٩٧].

قال ابن كثير في تفسير الآية: هي صادقة عن الكفر وعلى قطع الطريق وإخافة السبيل وكذا الإفساد في الأرض [٩٨].

ومن الأساليب العقابية الأخرى التي اتبعها الخلفاء، والمسلمون رحمهم الله في محاسبة الولاة ومتابعتهم ليحاكوا الواقع بالأثر الفعلي في ساحة العمل، لذلك اتخذوا كل الوسائل المتاحة في المراقبة الفعلية والوقوف على حقيقة الأداء والتنفيذ[٩٩].

٣- العقوبات المترتبة على الرشوة:

إن من أهم الأسباب في القضاء على الفساد الإداري والمالي هي محاربة الرشوة بكل أنواعها وفي التعريفات للجرجاني قال «والرشوة: هي ما يعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل والوصول إلى ظلم»[١٠٠].

وقيل: هي ما يؤخذ بغير عوض ويعاب آخذه، وقال ابن العربي: «الرشوة كل مال دفع ليبتاع به من ذي جاه عوناً على ما لا يحل»[١٠١]. والحكم الشرعي للرشوة قد ورد في القران الكريم وهو مطلق التحريم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨ ﴾[١٠٢].

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية الشريفة «قيل المعنى أي لا تصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم ليقضوا لكم على أكثر منها»[١٠٣].

وعلى ذلك فان الرشوة التي تفشت بالمجتمع الإسلامي وتعددت صورها كان اسلوب محاربتها متروك لولي الأمر باتخاذ الأساليب والوسائل الكفيلة بالقضاء والحد منها.

٤- اللوم:

ومن قبل ذلك ما ورد أن عمرو بن العاص ﷺ والي عمر بن الخطاب على مصر، أجرى ابنه محمد فرساً وأجرى أحد المصريين فرسه معه، فلما سبقت فرس المصري فرس ابن الوالي غضب وانهال على المصري بسوطه وهو يقول خذها وأنا ابن الأكرمين، ولما علم

عمرو بن العاص ما جرى لم ينصف المصري من ابنه فتظلم عند سيدنا عمر بن الخطاب فأمر عمر المصري أن يأخذ حقه من ابن عمرو بن العاص فضربه أمامه وعمر بن الخطاب يقول: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال له: اجعلها على صلعة عمرو بن العاص فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه، فقال المصري: يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربني، ثم التفت عمر إلى عمرو بن العاص وقال قولته المشهورة: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أماتهم أحراراً»(١٠٤).

٥- الفصل من الوظيفة:

إن من المعالجات الإدارية للفساد ما يوجب فصل الموظف عن وظيفته وإفراغ يده من عمله كالتي تحدث لأسباب قد تكون سياسية تتعلق بالإدارة العليا، أو عقائدية، فقد عزل سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ خالد بن الوليد عن ولاية إمارة الجيش معللاً ذلك بقوله ﷺ: «لم اعزل خالداً عن سخط ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فخشيت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا إن الله تعالى هو الصانع وان لا يكونوا بعرض فتنه»(١٠٥).

٦-عقوبة الفصل مع مصادرة الأموال:

إن الرسول ﷺ أول من طبق عقوبة مصادرة الأموال على الموظفين الذين استغلوا وظائفهم لجمع المال بدون وجه مشروع(١٠٦).

فعن أبي حميد الساعدي ﷺ قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا اهدي لي فقال رسول الله ﷺ: «**فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار، أو شاة ينعر ثم رفع بيده حتى رأينا عفره إبطيه اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت... ثلاثاً**»(١٠٧).

٧- مقاسمة و مصادرة الأموال:

لقد ابتكر سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ نظاماً للمحاسبة المالية وهو مبدأ مصادرة ومشاطرة العمال في أموالهم. فقد كان ﷺ وأرضاه يحسب أموال عامله من والي أو أمير عندما يوليه على أمر المسلمين ويدون ذلك عنده، ولا يسمح لأحد منهم في التجارة لئلا يكون في نزاهته شبهةً وذلك حرصاً منه ﷺ في حفظ هيبة الدولة وحفظ أموال و ممتلكات المسلمين. فإذا زادت أمواله وتجاوزت الحد الطبيعي ودخلتها الريبة أرسل إليه من يشاطره

ذلك المال[١٠٨].

ومن أمثلة ذلك مقاسمة أبو عبيدة ﷺ لخالد بن الوليد في ماله حتى اخذ نصفه، وشملت القسمة نعليه، فاخذ احدهما وترك الآخر له وخالد يقول سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب[١٠٩].

وقد صادر سيدنا عمر بن الخطاب أموال الحارث بن وهب فراجعه قائل «لقد تاجرت بمالي فنما»، فقال له: «ما بعثناك للتجارة وإنما بعثناك للأمارة»[١١٠].

وأخيراً فان هذه الأساليب العقابية في نظام الحكم، والإدارة الإسلامية، والتي تعطي لولي الأمر الحق في استخدام الطرق المناسبة للحفاظ على بناء الدولة ومؤسساتها من جهة، وعلى أحوال الرعية وأموالهم وممتلكاتهم من جهة أخرى، لضمان الحياة الهانئة، والكريمة، ومنع المفسدين، والعابثين من ذوي النفوس المريضة والضعيفة ببسط نفوذهم من خلال وظائفهم والتلاعب بمقدرات الناس وبهذا النحو يتم القضاء على الفساد المالي والإداري.

المطلب الرابع: العقوبات في القانون

الفرع الأول– تعريف العقاب:

العقاب القانوني أو العقاب الجزائي كما يدعوه البعض، فهو الذي توقعه الدولة كحق من حقوق سيادتها على الأفراد وذلك من خلال ما تشرعه من انظمه وقوانين ومراسيم لتنظيم نشاطات الأفراد وضبط سلوكهم[١١١].

تتعدد صور الفساد وتتطور أشكاله، خاصة في الجهاز الإداري؛ لان صوره تتخذ أشكالاً مختلفة تبعاً لطبيعة العصر والظروف المحيطة ومن تلك الصور.

الفرع الثاني– الاختلاس:

يقصد بالاختلاس هنا هو قيام الموظف العام باستغلال وظيفته فاستولى بغير حق على مال أو متاع ورقه مثبته لحق أو غير ذلك مملوك للدولة أو لإحدى المؤسسات أو الهيئات التي تسهم الدولة في مالها بنصيب ما او سهل ذلك لغيره[١١٢]. ولقد أشار قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ وتعديلاته في المادة ٣١٥ (يعاقب بالسجن كل موظف أو مكلف بخدمة عامة اختلس أو أخفى مالاً أو متاعاً أو ورقة مثبتة بحق أو غير

ذلك مما وجد في حيازته).

الفرع الثالث- التزييف في العملة:

هي من قلد أو زيف سواء بنفسه أو بواسطة غيره عملة ذهبية أو فضية متداولة قانوناً أو عرفاً في العراق أو في دولة أخرى أو اصدر العملة المقلدة أو المزيفة أو روجها أو ادخلها العراق أو دولة أخرى وهو في كل ذلك على بينه من أمرها (١١٣).

وجاء في قانون العقوبات العراقي أعلاه في المادة ١/٣٠٢ (يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن سبع سنوات كل من صنع أو حاز مسكه نقود أو مقراضاً أو آلات أو أدوات أو أشياء أخرى مما يستعمل في تقليد أو تزييف أو تزوير العملة أو أوراق النقد أو السندات المالية).

الفرع الرابع- التزوير:

هو تغيير الحقائق بقصد الغش في سند أو وثيقة او أي محرر آخر بإحدى الطرق المادية والمعنوية التي من شانها أحداث ضررٍ بالمصلحة العامة أو بشخص من الأشخاص(١١٤).

وهذا ما حذر منه قانون العقوبات العراقي، حيث اعتبره من الجرائم الخطيرة وبخاصة تزوير المحررات الرسمية ويوقع على مرتكبه اشد العقوبات كما افرد بعض العقوبات في حق الموظف المرتكب لهذه الجريمة واعتبر التزوير من الجرائم الخطيرة والمؤثرة في نزاهة الوظيفة العامة.

الفرع الخامس- الرشوة:

هي اتجار بأعمال الوظيفة أو الخدمة وهي اتفاق بين شخص وموظف أو من كان بحكمه على جعل فائدة مقابل أداء عمل أو الامتناع عن عمل يدخل في وظيفة المرتشي(١١٥).

وقد أشار قانون العقوبات العراقي بمادته ٣١٠ «يعاقب الراشي والوسيط بالعقوبة المقررة قانوناً للمرتشي».

وعقوبة المرتشي التي أشارة إليها المادة ١/٣٠٧ من القانون أعلاه تنص على: «... يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على عشر سنين أو بالحبس والغرامة على أن لا تقل عما طلب أو أعطي أو وعد به ولا تزيد بأي حال من الأحوال على خمسمائة دينار».

الفرع السادس- المحسوبية:

وتشمل في تقريب المعارف ولو كانوا ضعفاء واستبعاد غيرهم ولو كانوا أقوياء، وهذا المرض يمكن التغلب عليه بالإصلاح الوظيفي ووضع المعايير الدقيقة للوظائف بحيث لا تعطى إلا لمن تتوفر فيه الضوابط المطلوبة لهذه الوظيفة مع التأكيد على تطبيق هذه المعايير الوظيفية(١١٦).

والى ذلك أشارت مفوضية النزاهة العامة في قواعد السلوك الخاصة بموظفي الدولة، والقطاع العام، ومنتسبي القطاع المختلط لسنة ٢٠٠٦م في الفقرة الثالثة منه ما يلي:-

على الموظف أداء الواجب الوظيفي بكل حيادية ودون تمييز على أساس الجنس أو القومية أو الدين أو اللون أو المعتقد.

النتائج والتوصيات

إن الشريعة الإسلامية أساسها كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وقد كان لأحكام الشريعة الإسلامية السيادة والتطبيق قروناً عديدة فما وجد الناس في هذه القرون حاجة إلى تشريع آخر ولا ضيقاً في تطبيقها بل كان في ذلك التطبيق تحقيق العدل بين الناس ورعاية مصالحهم المشروعة.

ثم أصاب تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية انكماش شيئاً فشيئاً وهجرها المسلمون هجراً غير جميل واخذوا يستعيضون عنها بالتشريعات الوضعية الغربية، يقول الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾(١١٧) وفاتهم أنهم يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ولكن مع هذا كله فنحن لا نيأس ولا نقنط من رجعة المسلمين الكرام إلى أحكام شريعتهم النقية ونبذ ما خالفها.

النتائج

وفيما يلي إيجاز بأهم ما توصل إليه الباحث بفضل الله تعالى:

١-إن الفساد المالي والإداري موجود منذ القدم وليس في هذا الزمان فقط ولا يكاد يخلو مجتمع من المجتمعات قديمها وحديثها منه.

٢-وما توصلنا إليه إن الشريعة الإسلامية سبقت غيرها من القوانين الوضعية في مجال

محاربة الفساد المالي والإداري.

٣-إن الشريعة الإسلامية حرّمت هدية الموظفين والعاملين في الدولة لان مثل هذا العمل خيانة للأمة.

٤-بدأت الرقابة في عهد الرسول ﷺ وهو عليه أفضل الصلاة والسلام أول من طبقها.

٥-تشترط الشريعة الإسلامية فيمن يتولى الوظيفة العامة أن يكون صالحاً لها كما إن الوظيفة تعتبر تكليفاً وليست تشريفاً.

٦-للرقابة الإدارية والمالية على الموظفين دور كبير في الحد من انتشار الفساد المالي والإداري.

٧-إن هناك علاقة قوية بين الفساد المالي والإداري في الجهاز الحكومي إلا إن الفساد الإداري يعد أكثر انتشاراً وشمولاً.

الهوامش

(١) ينظر، د. سالم محمد عبود- ظاهرة الفساد الإداري والمالي دراسة في إشكالية الإصلاح الإداري والتنمية، دار الدكتور للعلوم، سنة الطبع ٢٠٠٨م، ص٥.

(٢) ينظر، حمدان علي خميس: خفايا الفساد- مركز عيادي للدراسات والنشر- اليمن، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٣٠.

(٣) ينظر، د. سيف راشد وآخرون، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، ص٩- ١٠، دائرة الأوقاف، دبي ٢٠٠٥م.

(٤) سورة الروم الآية: ٤١.

(٥) لسان العرب: ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، باب السين- دار الفكر، بدون سنة طبع- (٣ /٣٣٥) (باب السين).

(٦) سورة المائدة الآية: ٣٣.

(٧) المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر وآخرون، ص٦٨٨، باب الفاء، دار الأمواج، بيروت، ط٢، ١٩٩٠.

(٨) القاموس المحيط، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت سنة ٨١٧هـ، ص٣٩١ باب فسر مؤسسة الرسالة- ١٩٨٧م: ص٣٩١ (باب فسر).

(٩) الأصفهاني، الحسين بن محمد أبو القاسم الراغب: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان: ص٣٧٩.

(١٠) المقدمات الممهدات، أبي الوليد محمد بن احمد بن رشد المالكي، مطبعة السعادة بمصر، سنة ١٣٢٥هـ: (٢/٢١٣). الأشباه والنظائر في الفروع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي، مطبعة مصطفى محمد، مصر ١٣٥٩هـ: ص ١٢. كشاف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور بن إدريس الحنبلي وما بعدها، المطبعة الشرقية بمصر، ط١، ١٣١٩هـ، (٢/٥).

(١١) الكاساني الحنفي، الإمام علاء الدين بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع وما بعدها، المطبعة الجمالية بمصر، ط١، سنة ١٣٢٧هـ، (٥/٢٩٩).

(١٢) حمد بن عبد العزيز الخضيري- دور أجهزة القضاء والتنفيذ في مكافحة الفساد، مركز الدراسات والبحوث- الرياض، د.ط، ٢٠٠٣م، (٢/ ٧٩٤).

[13] د. سيف راشد الجابري وآخرون، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، قسم البحوث – دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دبي، ٢٠٠٥م، ص١١.

[14] عبد الرحمن الضحيان، الرقابة الإدارية المنظور الإسلامي والمعاصر والتجربة، السعودية– دار العلم، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١– ١٩٩٤م، ص٢٤٢.

[15] عبد الله الحسن بو نعامة: الفساد وأثره في القطاع الخاص، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد مركز الدراسات والبحوث في أكاديمية نايف، تأليف الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط، ٢٠٠٣م، (٥٨٧/٢).

[16] عبد الرحمن احمد هيجان، استراتيجيات ومهارات مكافحة الفساد الإداري، المجلة العربية للدراسات الأمنية، أكاديمية نايف– الرياض، السعودية، ١٩٩٧م، (العدد ٢٣/ ص٢٢٩).

[17] الأنعام آية: ٤٧.

[18] الإسراء آية: ١٦.

[19] الشعراء آية: ١٣٩.

[20] النمل آية: ٣٤.

[21] كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، د. سيف راشد الجابري وآخرون، ص٤٢ وما بعدها.

[22] احمد إبراهيم أبو سن، استخدام أساليب الترغيب والترهيب لمكافحة الفساد الإداري، المجلة العربية للدراسات الأمنية– المملكة العربية السعودية، الرياض، العدد ٢١، المجلد ١١، ١٩٩٦، ص٩١.

[23] أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت كتاب الأحكام، باب هدايا العمال، رقم الحديث (٧١٧٤).

[24] أبي الحسين الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الكتاب الإمارة، نشر وتوزيع رئاسة إدارة البحوث العلمية، السعودية، باب تحريم هدايا العمال، رقم الحديث (٤٧٤٣).

[25] محمد محي الدين عوض: الرشوة شرعاً ونظاماً وشكلاً، مطابع الولاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ص٥٠.

[26] عبد الرحمن احمد هيجان، استراتيجيات ومهارات مكافحة الفساد الإداري، العدد ٢٣، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض، ١٩٩٧م، ص٢٢٩.

[٢٧] أبو داود الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الازدي (سنن أبي داود)، كتاب القضاء، بيروت، دار الفكر، ذكره أبو عيسى وقال: حديث حسن صحيح باب كراهة الرشوة، رقم الحديث (٣٥٨٠).

[٢٨] صحيح البخاري، رقم الحديث (٥٢٣٢).

[٢٩] د. سيف راشد الجابري وآخرون، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، ص١٣٠ وما بعدها.

[٣٠] الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المطبعة المحمودية التجارية، مصر: ص٣٠٨.

[٣١] للإمام أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٥٢هـ، ص١١٦.

[٣٢] نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، بيروت، طبعة إسلامية (٦/٣).

[٣٣] أخبار القضاة، وكيع محمد بن خلف بن حيان، عالم الكتب، بيروت، د ط، د.ت (٦٠/٢).

[٣٤] السيف، خليفة عبد الله: متى نرى آلية صحيحة لمحاربة الفساد- مقالة منشورة على منظومة الانترنت www.alwatan.com.sa/dailyresdrs.htm١٩-١٠-٢٠٠٢

[٣٥] الفساد الإداري وعلاجه من منظور إسلامي، هناء يماني، بحث في مجلة التدريب والتقنية، ص٤، اليمن، ٢٠٠٢م.

[٣٦] عبد الرحمن الضحيان، الإصلاح الإداري، المنظور الإسلامي المعاصر والتجربة، السعودية، دار العلم للنشر والتوزيع، جده، المملكة العربية السعودية، ط٢- ١٤١٤هـ: ص٥٣.

[٣٧] عبد القادر الشيخلي: الواسطة في الإدارة "الوقاية والمكافحة" المجلة العربية للدراسات الأمنية، المملكة العربية السعودية، العدد ٣٨، ١٤٢٥هـ، المجلد ١٩: ص٢٤٨.

[٣٨] السيد سابق فقه السنة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (٤٣٨/٢).

[٣٩] سليمان بن محمد الجريش، الفساد الإداري وجرائم إساءة استعمال السلطة الوظيفية، الرياض، ١٤٢٤هـ: ص١٥٩.

[٤٠] الضحيان الإصلاح الإداري، مصدر سابق: ص٥١.

[٤١] مقالة سعد العنزي، وجهة نظر تحليلية في الفساد، مجلة المعهد العالي للدراسات المالية

والمحاسبية، العدد السادس/ السنة الثانية- آب- ٢٠٠٢م: العدد السادس.

(٤٢) أبو الحسين احمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة- دار الكتاب، مصر، ٢٠٠٠م (١٢٢/٦).

(٤٣) الجريش سليمان بن محمد، الفساد الإداري وجرائم إساءة استعمال السلطة الوظيفية، مصدر سابق، ص٢٤- ٢٥.

(٤٤) محمد انس جعفر، المبادئ الأساسية للوظيفة العامة في الإسلام ومدى تطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، مصدر سابق، ص١.

(٤٥) سليمان بن محمد الجريش، الفساد الإداري وجرائم إساءة استعمال السلطة الوظيفية، ص٢٨.

(٤٦) عبد الواحد بن المزروع، استغلال الموظف العام لسلطته ونفوذه في الفقه الإسلامي والنظام، رسالة ماجستير، المعهد العالي للقضاء، الرياض- ١٤١٢: ص٧.

(٤٧) المرجع نفسه، ص٨.

(٤٨) سورة القصص آية: ٢٦.

(٤٩) د. سيف راشد الجابري، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري: ص٩٦.

(٥٠) معاوية احمد، سياسة الإسلام في الوقاية والمنع من الفساد، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط- ٢٠٠٣م، (٢٢٦/١- ٢٢٧).

(٥١) احمد إبراهيم أبو سن، الإدارة في الإسلام، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٧، ٢٠٠٦م: ص٥٧.

(٥٢) الطبري أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، المطبعة الحسينية بالقاهرة، ط١، د.ت، (٢٤١/٤).

(٥٣) صحيح البخاري، رقم الحديث (٦٧٣١)، صحيح مسلم (١٤٢).

(٥٤) د. سيف راشد الجابري، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري: ص١١٠.

(٥٥) أبو عبد الله محمد الحاكم النيسابوري، المستدرك، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، الهند: (١٠٤/٤)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥٦) صحيح الإمام مسلم، رقم الحديث (١٨٢٥).

(٥٧) مسند الإمام احمد، المطبعة الميمنية بمصر، سنة ١٣١٣هـ: (٢/ ١٧٥).

(٥٨) سورة الأنفال آية: ٢٧، فتاوى ابن تيمية الكبرى، مطبعة الحكومة السعدية، ط١، ١٩٨٦م،

(٢٨/ ٢٤٨).

[٥٩] ابن تيميه، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، مطابع دار الكشاف العربي، مصر، ط٢، ١٩٥١م: ص٢٢.

[٦٠] سورة النساء آية: ٥٨.

[٦١] علي محمد حسنين، الرقابة الإدارية في الإسلام "دراسة مقارنة" دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٥م: ص٧٣.

[٦٢] مفيدة محمد إبراهيم، القيادة التربوية في الإسلام، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م، ص١٧٦.

[٦٣] سورة القصص أية: ٢٦.

[٦٤] د. سيف راشد الجابري، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، مصدر سابق: ص٩٦.

[٦٥] سورة الأنفال آية: ٢٧.

[٦٦] احمد إبراهيم أبو سن، الإدارة في الإسلام، مصدر سابق: ص٩٠.

[٦٧] المصدر نفسه، ص١١٣.

[٦٨] أبو داود، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت، رقم الحديث (٣٥٩٢).

[٦٩] ينظر قانون انضباط موظفي الدولة والقطاع العام رقم ١٤ لسنة ١٩٩١م.

(٢) ينظر قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤ لسنة ١٩٦٠.

[٧٠] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: (١٠٨/٢٦).

[٧١] سورة النساء آية: ١.

[٧٢] سورة القصص آية: ٢١.

[٧٣] القرطبي، أبي عبد الله الأنصاري، الجامع لأحكام القران، دار الفكر، ط٢، ١٩٥٢م: (٧/٥)و (٧٩/٨).

[٧٤] الدكتور عوف محمود الكفراوي، الرقابة المالية في الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة في الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص٧.

[٧٥] د.سيف راشد الجابري، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، مصدر سابق: ص١٥٢.

[٧٦] سورة النساء آية: ١.

[٧٧] صحيح البخاري، مصدر سابق: ص٥٠.

[٧٨] د. سيف راشد الجابري، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، المصدر نفسه: ص١٥٨.

[٧٩] أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخراج، ت سنة ١٨٣هـ، دار المعارف، بيروت، ١٩٧٩م: ص١١٥.

[٨٠] عبد الوهاب خلاف، السياسة الشرعية، دار الأنصار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة– ١٩٧٧م: ص١٠٠.

[٨١] احمد إبراهيم أبو سن، الإدارة في الإسلام: ص١٣٩.

[٨٢] ينظر: الدستور العراقي لسنة ٢٠٠٥م في المادة (١٠٣).

[٨٣] ينظر: المصدر نفسه المادة (١٠٣).

[٨٤] لسان العرب باب العين، عقب، ج١، ص٦١٩.

[٨٥] الطرابلسي، علاء الدين خليل، معين الحكام طبعة عام ١٣٩٣هـ: ص١٩٤.

[٨٦] ابن فرحون، الإمام برهان الدين بو الوفاء الماكي، في تبصرة أصول الاقضية ومناهج الحكام: ص ٢٠.

[٨٧] الماوردي، الأحكام السلطانية: ص ٢٧٥.

[٨٨] ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياس الشرعية، تحقيق عصام الحرستاني بيروت، ط١٤١٨هـ: ص٣٣٥.

[٨٩] الجوهري، المصباح مادة (سرق): (١٤٩٦/٤).

[٩٠] السرخسي، المبسوط، مطبعة السعادة بمصر، سنة ٢٣٢٤هـ، (٩/ ٣٦).

[٩١] ابن قدامه أبي محمد بن احمد، المغني، ط٣، دار المنار، سنة الطبع ١٣٦٧هـ: (٣٦/٩).

[٩٢] السرخسي، المبسوط، المصدر نفسه، (٣٦/٩).

[٩٣] سورة المائدة آية: ٣٨.

[٩٤] عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوعي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط.: ص٦٥٢.

[٩٥] ابن منظور– لسان العرب، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر: ص ٣٠٤.

[٩٦] الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ط٢، مطبعة الجلبي: (٢١١/٦)

(٩٧) سورة المائدة الآيتان: ٣٣-٣٤.

(٩٨) المباركفوري، صفي الرحمن، المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٧٣.

(٩٩) د. سيف راشد الجابري، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، ص١٥٨.

(١٠٠) الجرجاني أبي الحسن علي بن محمد، التعريفات، بغداد (١٤٨/١).

(١٠١) العسقلاني احمد بن علي بن حجر، فتح الباري: المطبعة السلفية ومكتبتها الروضة القاهرة، (٢٢١/٥).

(١٠٢) سورة البقرة آية: ١٨٨.

(١٠٣) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القران، (٣٤٠/٢).

(١٠٤) الجوزي لأبي فرج عبد الرحمن بن علي، مناقب عمر بن الخطاب ﵁، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، بيروت: ص٩٩.

(١٠٥) الطبري أبي جعفر، تاريخ الرسل والملوك: دار المعارف ١٩٦١م، طبعة مصر: (٤٩٢/٢).

(١٠٦) د. سيف راشد، كيف واجه الإسلام الفساد الإداري: ص١٧٧.

(١٠٧) البخاري: (٢٥٩٧)، مسلم: (١٨٣٢).

(١٠٨) كيف واجه الإسلام الفساد الإداري المصدر نفسه: ص١٧٩.

(١٠٩) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية: دار الكتب العلمية، ط١، سنة ١٩٨٥م بيروت: (١٩/٧).

(١١٠) الطبري،أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك: (٢٢٢/٤).

(١١١) الدكتور عدنان الدوري، علم العقاب ومعاملة المذنبين، ط١، ١٩٨٩م، طبعة الكويت: ص١٦.

(١١٢) المادة ٣١٦ قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩م وتعديلاته.

(١١٣) المادة٢٨٠ قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩م وتعديلاته.

(١١٤) المادة٢٨٦ قانون العقوبات العراقي رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩م وتعديلاته.

(١١٥) محمد مصطفى المسؤولية الجنائية، القاهرة, ط جامعة فؤاد الأول ١٩٤٨م: ص١١٤.

(١١٦) عبد الرحمن الضحيان، الإصلاح الإداري، مصدر سابق: ص٥٣.

(١١٧) سورة الكهف آية: ١٠٤.

المصادر

القرآن الكريم

١. الاحتساب على مرتكبي جريمة الرشوة وقاية وعلاج، احمد الطويل، مطبعة النهضة- الرياض، ط١، ١٩٨٥م.
٢. أخلاقيات الوظيفة العامة، سلسلة الإصدارات الإعلامية لوزارة الخدمة المدينة الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ.
٣. الإدارة في الإسلام، احمد إبراهيم أبو سن، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٧، ٢٠٠٦م.
٤. استراتيجيات ومهارات مكافحة الفساد الإداري، عبد الرحمن احمد هيجان، المجلة العربية للدراسات الأمنية، أكاديمية نايف- الرياض، السعودية، العدد ١٩٩٧/٢٣م.
٥. استخدام أساليب الترغيب والترهيب لمكافحة الفساد الإداري، احمد إبراهيم أبو سن، المجلة العربية للدراسات الأمنية- المملكة العربية السعودية، الرياض، العدد ٢١، المجلد ١١- ١٩٩٦م.
٦. استغلال الموظف العام لسلطته ونفوذه في الفقه الإسلامي والنظام، رسالة ماجستير، عبد الواحد بن المزروع ,المعهد العالي للقضاء، الرياض، ١٤١٢هـ.
٧. الإصلاح الإداري، المنظور الإسلامي المعاصر والتجربة، عبد الرحمن الضحيان، السعودية، دار العلم للنشر والتوزيع، جده، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٤١هـ.
٨. الإصلاح الإداري، عبد الرحمن الضحيان، دار العلم للنشر والتوزيع، جدة، ١٤١٤هـ.
٩. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي برنامج إدارة الحكم في الدول العربية.
١٠. التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

١١. التزوير والتزييف مدنياً وجنائياً في ضوء الفقه والقضاء، عبد الحميد الشواربي، منشاة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت.
١٢. الحسبة والسياسة الجنائية في المملكة العربية السعودية، سعد بن عبد الله العريفي، مكتبة الرشد- الرياض، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٣. حاشية الطحاوي على الدر المختار للإمام الطحاوي طبعة مصر، ١٢٨٢.
١٤. خفايا الفساد، حمدان علي خميس- مركز عيادي للدراسات والنشر- اليمن ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٥. دور أجهزة القضاء والتنفيذ في مكافحة الفساد، حمد بن عبد العزيز الخضيري، مركز الدراسات والبحوث، الرياض، د.ط، ٢٠٠٣م.
١٦. الرشوة شرعاً ونظاماً وشكلاً، محمد محي الدين عوض،مطابع الولاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.
١٧. الرقابة الإدارية المنظور الإسلامي والمعاصر والتجربة السعودية، عبد الرحمن الضحيان، دار العلم، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٩٤م.
١٨. الرقابة الإدارية في الإسلام- دراسة مقارنة، علي محمد حسنين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٥م.
١٩. الرقابة المالية في الإسلام الدكتور عوف محمود الكفراوي، مؤسسة شباب الجامعة في الإسكندرية، ١٩٨٣م.
٢٠. سياسة الإسلام في الوقاية والمنع من الفساد، معاوية احمد، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، ٢٠٠٣م، ج١.
٢١. الشفافية في النشاط الاقتصادي العراقي، م.د.محمد المعموري، من الندوات العلمية التي أقامها مكتب الاستشارات في كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ٢٠٠٥م.
٢٢. ظاهرة الفساد الإداري والمالي دراسته في إشكالية الإصلاح الإداري والتنمية- د. سالم محمد عبود، دار الدكتور للعلوم، سنة الطبع ٢٠٠٨م.

٢٣. الفساد وأثره في القطاع الخاص، عبد الله الحسن بو نعامة، أبحاث المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد مركز الدراسات والبحوث في أكاديمية، تأليف الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط، ٢٠٠٣م.

٢٤. الفساد الإداري وعلاجه من منظور إسلامي، هناء يماني، بحث في مجلة التدريب والتقنية، اليمن، ٢٠٠٢م.

٢٥. الفساد الإداري وجرائم إساءة استعمال السلطة الوظيفية، سليمان بن محمد الجريش، الرياض ١٤٢٤هـ.

٢٦. القيادة التربوية في الإسلام، مفيدة محمد إبراهيم، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م.

٢٧. كيف واجه الإسلام الفساد الإداري، د. سيف راشد وآخرون،، دائرة الأوقاف، دبي ٢٠٠٥م.

٢٨. مبادئ الخدمة المدينة وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، عبد الله بن راشد السنيدي، مطابع المدينة، الرياض ط٣، ١٩٨٧م.

٢٩. المبادئ الأساسية للوظيفة العامة في الإسلام ومدى تطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، محمد أنيس جعفر، جامعة الملك سعود، د.ط،١٤١٣هـ.

٣٠. متى نرى آلية صحيحة لمحاربة الفساد، السيف، خليفة عبد الله،مقالة منشورة على منظومة الانترنت: www.alwatan.com.sa/daily

٣١. الواسطة في الإدارة "الوقاية والمكافحة" عبد القادر الشيخلي،المجلة العربية للدراسات الأمنية، المملكة العربية السعودية، العدد ٣٨، ١٤٢٥هـ.

٣٢. وجهة نظر تحليلية في الفساد، مقالة سعد العنزي، مجلة المعهد العالي للدراسات المالية والمحاسبية، العدد السادس/ السنة الثانية- آب- ٢٠٠٢م.

٣٣. الدكتور عدنان الدوري، علم العقاب ومعاملة المذنبين، ط ١، ١٩٨٩ م، طبعة الكويت.

العام وتخصيصه في سورة المائدة من خلال تفسير الرازي

د. خليل إبراهيم طه

كلية أصول الدين/ قسم العقيدة

المقدمة

الحمد لله الذي أعمنا بفضله من شرعه، واخصنا بنبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المقتدين بأثره، وبعد.....

فمما اتسمت به شريعتنا الغراء المباركة والمتمثلة بالقرآن العظيم دستور هذا الدين انها من عند الله تبارك وتعالى فهي ربانية، وهو الذي ارتضاها لعباده دين المعاش والمعاد قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ الزمر: ٢ ، وإنها لا يأتيها الباطل ولا الخلل ولا النقص ولا الجهل ولا الهوى ولا الظلم، ولسبب بيّن وواضح وهو ان صفات الصانع تظهر فيما يصنعه ولما إن لله الكمال المطلق في ذاته العلية وصفاته الجليلة وأفعاله الحكيمة استحال النقص وما شابه أن يطرأ بصنعه، ولما لها من شمولية جميع العباد ولجميع شؤونهم عامة لهم من أفعال الإنسان وتصرفاته وعلاقاته مع ربه تعالى ومع غيره من بني البشر ومن جميع الأوجه، اذ لم تترك صغيرا ولا كبيرا مما يخصنا الا ونظمه، وهي أيضا عامة كما قلنا لكل الخلق، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبأ: ٢٨ .

وعموم الشريعة الإسلامية وسموها وربانيتها كل ذلك استلزم خلوها وعدم قابليتها للتبديل أو التغيير أو النقص أو الزيادة والعياذ بالله.

ومما اشتملت عليه الشريعة من العلوم هو علم التفسير ومباحث علوم القرآن، وعلم العقائد والفقه وأصوله.

ولما كان علم التفسير يبحث في ألفاظ الكتاب ومراميها ودالتها صار الركيزة التي يعتمد عليها في استنباط الأحكام من بين ثنايا كتاب الله العزيز، فهو بمثابة مفتاح لدخول والكشف عن حقائق التنزيل ومراده.

ولما لعلم أصول الفقه من القواعد الكليّة وأصول الاستنباط صارت الحاجة إلى التفسير أكثر مما احتاج التفسير له وهذا ما اقره علمائنا في وضع الشروط لمن طرق باب التفسير، ولما كان علم أصول الفقه على مباحث عدة تعددت أيضا الأبواب التي يطرقها ذلك العلم.

ومما اشتمل عليه علم أصول الفقه من المباحث هو مبحث العام وتخصيصه، فلهذا المبحث الأهمية البالغة إذ ان الباحث فيه لا يستطيع الوصول إلى مواطن الحكم إلا بعد معرفة موضوعاته وألفاظه والإحاطة بمداخلاته مع باقي المباحث كمبحث المشترك ، والمطلق وغيره، فكان لازماً على الباحث الاستفاضة فيه بالدراسة والبحث المستمرين، ولما كان صفة العام هي شموله لما يندرج تحته من الإفراد مستغرقاً لها، صار من الضروري دخول صور جديدة من الأحكام، بأن تقصر ذلك العموم بتحديد شموله لإفراد بما يناسب وضع بعض المكلفين، بالدقة في قطعية ذلك الحكم الذي ورد فيه النص الخاص، وكما هو معلوم فالتخصيص هو مرجح للحكم في حالة تعارض الأدلة فهو مقدم عليه بالأخذ والاستدلال به، كما اقر ذلك جمهور العلماء من الأصوليين في ذلك كلام صار كقاعدة أو دالة في هذا المبحث إذ قالوا: «ما من عام إلا وقد خصص».

وقد شرعت وبحمد الله بالبحث في موضوع العام وتخصيصه من خلال تفسير العلم الجليل، والمفسر الفقيه الأصولي الإمام الرازي رحمه الله تعالى، فكان عنوان بحثي هو: «العام وتخصيصه في سورة المائدة من خلال تفسير الفخر الرازي».

ولما تقدم من ذكر أهمية العام وتخصيصه كان سبباً كافياً لأطرق باب البحث في هذا العلم، اسأل الله ان يكون خالصاً لوجهه نعم المولى ونعم النصير.

أما عن منهجي في البحث فقد قمت بتعريف العام لغة واصطلاحاً بعرض بعض تعريفات الأصوليين له ناقشت هذه التعريفات، ومن ثم اخترت تعريفاً مناسباً للعام مع بيان سبب الاختيار.

ومن ثم استنتجت للعام تعريفاً من خلال جمع بعض كلام الإمام الرازي في مواطن العموم بسورة المائدة، وكان عملي في مبحث العام مختصراً على عرض بعض المسائل التي تطرق إليها الإمام الرازي في السورة دون التطرق إلى صيغ وأنواع وأقسام العموم خشية الإطالة، ثم قمت بتعريف التخصيص لغة واصطلاحاً بالرجوع إلى مصادر العلمين من اللغة وأصول الفقه، مع مناقشة التعريفات واختيار الأرجح منها مع ذكر سبب الترجيح، مع استنتاج تعريف للتخصيص من جملة كلام الإمام الرازي في مواطن التخصيص بالسورة، ثم ذكرت موقف الإمام الرازي من أنواع التخصيص من خلال استعراض أنواعه مع بيان وجه الدلالة فيها.

ومن اجل بيان صوره أكثر وضوحاً للبحث فقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، جاء في التمهيد حياة الإمام الرازي وبشيء من الاختصار، وأما المبحث الأول فقد كان بعنوان العام واشتمل على مطلبين المطلب الأول تعريف العام وموقف الإمام الرازي منه، والمطلب الثاني مسائل مختارة من مبحث العام تناولت فيها رأي الإمام الرازي من كل مسألة وجاء المبحث الثاني بعنوان التخصيص، وموقف الإمام الرازي منه، وقد اشتمل على ثلاثة مطالب تناول المطلب الأول تعريف التخصيص وموقف الرازي منه، تناول المطلب الثاني الدليل المخصص المتصل، ثم تناول المطلب الثالث الدليل المخصص المنفصل مع بيان موقف الإمام الرازي منهما، أما عن المبحث الثالث فقد جاء بعنوان تطبيقات فقهية تناولت فيه بعض المسائل الفقهية التي أشار إليها الإمام من خلال تفسير لسورة المائدة، ثم جاءت في نهاية هذا البحث خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

تمهيد في حياة الإمام الرازي[١]

الفخر الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي البكري التيمي الطبرستاني الرازي أبو عبد الله فخر الدين، إمام وقته في العلوم العقلية، وأحد الأئمة في علوم الشريعة وأحد علماء المذهب، الشافعي، أتقن علوم كثيرة وبرز فيها وتقدم وساد قصده الطلبة من سائر البلاد وصنف في فنون كثيرة وكان له مجلس كبير للوعظ يحضره الخاص والعام، بلغت مصنفاته أكثر من مائتي مصنف، وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم وبنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتى وقيل انه اجتمعت له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره وهي: سعة العبارة في القدرة على الكلام وصحة الذهن والاطلاع الذي ما عليه مزيد والحافظة المستوعبة والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقدير البراهين وكان فيه قوة جدلية ونظرة وشعر بالفارسية أجاد فيه. وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز[٢].

وقال رحمه الله: «لقد اخترت اصح الطرق طريقة القرآن»[٣]، ثم كان يقول: «أقول من صميم القلب ومن داخل الروح إني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه»[٤].

مولده: «ولد في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وقيل ثلاث وأربعين وخمس مئة[٥]، بمدينة الري»[٦][٧].

شيوخه: تتلمذ رحمه الله على يد العديد من شيوخ عصره، أهمهم: والده ضياء الدين عمر بن الحسين بن الحسن والحسن بن مسعود الفراء البغوي[٨].

تلاميذه: ومن أهم تلاميذه رحمه الله: زين الدين الكشي، والقطب المصري، وشهاب الدين النيسابوري[٩].

مؤلفات الرازي ومصنفاته :

للرازي مصنفات كثيرة إذ ألّف قرابة السبعة وستين كتاب: وأهم تلك المصنفات ما يأتي:

شرح سورة الفاتحة، المطالب العلية في العقيدة، نهاية العقول في علم أصول الفقه، تأسيس التدريس، شرح أسماء الله الحسنى، إرشاد النظار إلى ألطاف الأسرار، شرح سقط الزند، الأربعين، تحصيل الحق، فضلاً على المصنف الكبير الذي نحن بصدد دراسته[١٠] في التفسير.

الرازي وتفسير مفاتيح الغيب:

قال ابن قاضي شهبة: ومن تصانيفه- يعني الرازي رحمه الله- تفسير كبير لم يتمه في اثنتي عشرة مجلدة كبار أسماه مفاتيح الغيب[١١].

وهذا يدل على أن الرازي لم يتم تفسيره وعند قراءتي لبعض تفسيره وجدت عبارات تدل على ذلك، سأنقل بعض هذه العبارات للمزيد من المعلومات عن هذا التفسير العظيم.

قال في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[١٢].

قال: «قال مصنف الكتاب فخر الدين الرازي (رحمه الله) والذي جربته من أول عمري إلى آخره إن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سبب

إلى البلاء والمحنة والشدة والرزية وإذا عول على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق ذلك المطلوب على أحسن الوجوه»[١٣].

وفاته: «توفي رحمه الله يوم الاثنين الأول من شوال سنة (٦٠٦هـ) الموافق لسنة ١٢٠٩، بمدينة هَراة»[١٤][١٥].

المبحث الأول
العام

المطلب الأول: تعريف العام وموقف الإمام الرازي منه:

لغة: الشامل يقال: عم الشيء يعمُ عموماً أي شمل الجماعة، يقال عمهم بالعطية أي شملهم بها[١٦].

اصطلاحاً: عُرِّف العام في اصطلاح الأصوليين بتعريفات عدة وإن كانت مختلفة الألفاظ في ظاهرها مختلفة إلا أنها متحدة في المعنى منها ان العام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد[١٧].

يلاحظ مما تقدم في التعريف أنهم قد أخرجوا اللفظ الخاص بقولهم (مستغرق) لأن الخاص وإن دل على معنى واحد بالوضع إلا انه ليس فيه شمول للأفراد وإنما يدل على واحد منها فقط، وقولهم (بحسب وضع واحد)، هو احتراز عن اللفظ المشترك والذي له حقيقة ومجاز فإن عمومه لا يقتضي أن يتناول مفهوميه معاً[١٨].

وهذا ما أكده الأستاذ الدكتور مصطفى الزلمي إذ قال فيه: إنه عرف بتعريفات مختلفة في التعابير ولكنها متفقة على مضمون واحد وهو أن **العام**: «لفظ موضوع لمعنى واحد، بحيث يشتمل جميع ما من شأنه أن يندرج تحته من الأفراد دفعة واحدة ما لم يقم دليل على خلاف ذلك»[١٩].

العام عند الإمام الرازي:

لم يذكر الإمام الرازي رحمه الله حداً معيناً للعام من خلال تفسيره لسورة المائدة لكني استطعت ان اجمع شيئاً يسيراً ورسم معنى مقارب لمعنى العام من خلال كلامه في مواطن العموم في سورة المائدة، بيان ذلك فيما يأتي.

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾[٢٠].

قال رحمه الله : يعنى ايها الذين التزمتم بإيمانكم أنواع العقود في اضهار طاعة الله أوفوا بتلك العقود[٢١].

ثم قال: اعلم انه تعالى لما قررة الآية على جميع المكلفين انه يلزمهم الانقياد لجميع تكاليف الله تعالى، وذلك كالاصل الكلي والقاعدة الجملية[٢٢].

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾[٢٣].

قال: ان البهيمة اسم الجنس والأنعام اسم النوع فقوله (بهيمة الأنعام) يجري مجرى قول القائل: حيوان الإنسان وهو مستدرك[٢٤].

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾[٢٥].

قال: يعنى انه اذا اتى بالسرقة فأقطعوا يديه فنقول اذا احتجت في آخر الأمر الى ان تقول: السارق والسارقة تقديره: من سرق، فأذكر هذا اولاً حتى لا تحتاج الى الإضمار[٢٦].

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[٢٧].

قال: وكلمة (من) في معرض الشرط للعموم، فهي تدل على ان كل من صار مرتد عن دين الإسلام فأن الله يأتي بقوم يقهرهم ويردهم ويبطل شوكتهم[٢٨].

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾[٢٩].

قال: انه تعالى قال: ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ ولم يقل من فيهن فغلب غير العقلاء على العقلاء، والسبب فيه التنبيه على ان كل المخلوقات مسخرون في قبضة قهره وقدرته وقضائه وقدره[٣٠].

وجه الدلالة: من خلال تفسيره للآيات المتقدمة تبين ان الإمام الرازي يرى بأن العام يستغرق لجميع ما يصلح له بدليل انه ذكر ألفاظا تدل على العموم وهي ما يعرف عند الأصوليين

بصيغ العموم اذ ذكر منها المفرد المعرف بـ(ال) أو من (من) اسم الشرط، (وما) لغير العقلاء واسم الجنس، والنوع، وذلك ليس حصراً لألفاظ العام إنما هو ما جاء ذكره عند الرازي رحمه الله من خلال تفسيره لهذه السورة المباركة.

المطلب الثاني: مسائل من العام عند الأمام الرازي في تفسير سورة المائدة:

وفيه خمسة مسائل:

المسألة الأولى: حجية العام بعد التخصيص:

يرى الإمام الرازي رحمه الله تعالى ان العام بعد التخصيص حجة، لا فرق بين ما خصص بدليل متصل أو دليل منفصل، واختار صحة الاحتجاج به فيما وراء صور التخصص بيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ** ﴾[٣١].

قال: قال الشافعي[٣٢] رحمه الله: إذا نذر صوم يوم العيد أو نذر ذبح الولد لغا[٣٣]، وقال أبو حنيفة[٣٤] رحمه الله: بل صحيح، حجة أبو حنيفة انه نذر الصوم والذبح فليلزمه الصوم والذبح[٣٥]. بيان الأول انه نذر صوم يوم العيد، ونذر ذبح الولد، وصوم يوم العيد ماهية مركبة من الصوم ومن وقوعه في يوم العيد، وكذلك ذبح الولد ماهية مركبة من الذبح ومن وقوعه للولد، والآتي بالمركب يكون آتياً بكل واحد من مفرديه، فملتزم صوم يوم العيد وذبح الولد يكون لا محال ملتزم للصوم والذبح[٣٦].

قال رحمه الله: إذا ثبت هذا فنقول: وجب ان يجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى: ﴿ **أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ** ﴾، ولقوله تعالى: ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ** ﴾[٣٧]، ولقوله: ﴿ **يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ** ﴾[٣٨]،

ولقوله ﷺ «**أوف بنذرك**»[٣٩]، أقصى ما في الباب أنه ألغا هذا النذر في خصوص كون الصوم واقعا في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح واقعاً في الولد، إلا ان العام بعد التخصص حجة[٤٠].

وجه الدلالة: في قوله: «إلا إن العام بعد التخصص حجة» ولم يفرق في حجية العام بعد التخصيص في كون المخصص متصل أم منفصل، والمسألة فيها خلاف بين العلماء لا داعي لذكره لأن مذهب الأمام الرازي واضح من خلال كلامه السابق.

المسألة الثانية: اللفظ العام الوارد على سبب خاص، هل العبرة فيه بعموم لفضه أم بخصوص سببه؟

يرى الإمام الرازي انَّ العام الوارد على سبب خاص العبرة فيه بعموم اللفظ وان ذلك العموم شامل لكل إفراده ممن يندرجون تحته، بيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾[٤١].

قال رحمه الله: إن قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا ﴾ يتناول كل من كان موصوفاً بهذه الصفة، سواء كان كافراً أو مسلماً، أقصى ما في الباب ان يقال الآية نزلت في الكفار لكنك تعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٤٢].

وجه الدلالة: قوله رحمه الله «يتناول كل من كان موصوفا بهذه الصفة»، أي انه مسلماً كان ام كافراً وبذلك فان الحكم يتعدى السبب الوارد عليه اللفظ من غير حصوله، وذلك هو عمل اللفظ العام، ثم اكد رحمه الله بقوله: «ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

تطبيقات فقهية في مسألة العام الوارد على سبب خاص:

الترتيب شرط لصحة الوضوء

استدل بان الترتيب شرط لصحة الوضوء وبيان ذلك فيما ياتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾[٤٣].

قال رحمه الله: نقول: وقعت البداءة في الذكر بالوجه، فوجب ان تقع البداءة به في العمل لقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾[٤٤]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**ابدؤوا بما بدأ الله به**»[٤٥]، وهذا الخبر وان ورد في قصة الصفا والمروة إلا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أقصى ما في الباب انه منصوص في بعض الصور لكن العام حجه في غير محل التخصيص[٤٦].

وجه الدلالة: استدل رحمه الله على وجوب الترتيب في الوضوء فأوجب البدء بالوجه قبل باقي الأعضاء لقوله تعالى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ وبقوله عليه الصلاة والسلام: «**ابدؤوا بما بدأ الله به**» ولم يمنع عند الاستدلال بالحديث لكونه ورد على سبب خاص وهي قصة بما يبدء بالسعي بين الصفا والمروة فكان عنده البدء بما بداء الله به في كل من العبادات السعي أو بغيره، بدليل قوله رحمه الله: «الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

المسألة الثالثة: اللفظ الخاص الذي أريد به العموم، هل يحمل على خصوصه أم انه عام يشمل كل ما يندرج تحته من إفراد؟

يرى ان الخاص الذي أريد به العموم يحمل على العموم ويكون شامل لكل أجزاء العموم، بيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾[٤٧].

قال: واعلم ان دخول الهاء[٤٨]، في هذه الكلمات الأربع اعني: المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، إنما كان لأنها صفات لموصوف مؤنث وهي الشاة، كأنه قيل حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة، وخصت الشاة لأنها اعم ما يأكله الناس، والكلام يخرج على الأعم الأغلب ويكون المراد هو الكل[٤٩].

وجه الدلالة: في قوله «وخصت الشاة لأنها اعم ما يأكله الناس، والكلام يخرج على الأعم الأغلب ويكون المراد هو الكل» ويشمل جميع ما حرم سواء أكان ذكراً أم أُنثى من الغنم أم من غيرها من باقي النعم التي أحلها الله وإنما خصت الشاة بالتحريم دون غيرها لأنها اعم ما يأكله الناس فعلى هذا فالمحرم في المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع سواء كان شاة أو غيرها، وقوله رحمه الله «الكلام يخرج على الأعم الأغلب ويكون المراد هو الكل» ذلك من باب إطلاق البعض وإرادة الكل وهذا المصطلح معلوم لدى علماء أصول الفقه[٥٠].

المسألة الرابعة: تعارض النص العام مع الخاص:

إذا عارض لفظ خاص لفظاً عاماً، بان دل على خلاف ما دل عليه العام، فانا نقدم الخاص على العام، فنأخذ به، ونخصص به العام، سواء تأخر أو جهل حاله فلم يعلم أمتقدم هو أم متأخر، لان إعمال الدليلين أولى من إهمالهما، أو إهمال احديهما.

يرى الإمام الرازي تقديم الخاص على العام لا سيما إذا كان الخاص متأخرا في الورود عن العام بيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ ﴾(٥١).

قال رحمه الله: إلا إن قوله: ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾(٥٢) عام، وقوله في هذه الآية: ﴿ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾(٥٣) خاص فانه اوجب شهادة العدل الذي يكون منا في الحضر، واكتفى بشهادة من لا يكون منا في السفر، فهذه الآية خاصة، والآية التي ذكرتموها عامة، والخاص مقدم على العام، لاسيما إذا كان الخاص مقدم على العام، لاسيما إذا كان الخاص متأخراً في النزول(٥٤).

وجه الدلالة: صرح رحمه الله بتقديم الخاص على العام بالاستدلال وذلك واضح من خلال كلامه الأخير ثم أضاف إلى ذلك قوله لاسيما إذا كان الخاص متأخرا في النزول إذ اعتبر ذلك اقرب إلى ما ذهب إليه.

المسألة الخامسة: العام في غير محل التخصيص.

يرى ان العام في غير محل التخصيص حجه، بيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾.

قال رحمه الله: قال مالك(٥٥): الماء إذا وقعت فيه نجاسة ولم يتغير الماء بتلك النجاسة بقى طاهراً طهوراً سواء كان قليلاً أو كثيراً، وهو قول أكثر الصحابة والتابعين(٥٦)، وقال الشافعي رحمه الله: ان كان اقل من قلتين ينجسه(٥٧)، وقال أبو حنيفة ان كان اقل من عشرة في عشرة ينجس(٥٨)، حجة مالك ان الله جعل في هذه الآية عدم الماء شرطا لجواز

التيمم. ثم قال الرازي رحمه الله أقصى ما في الباب ان يقال: هذا المعنى موجود عند صيرورة الماء القليل متغيراً، إلا إنّا نقول: العام حجة في غير محل التخصيص(٥٩).

وجه الدلالة: استدل على ما ذهب اليه بأخذ العام على عمومه عند انعدام دليل التخصص مع حجة العام في ذلك الحكم.

المبحث الثاني
التخصيص وموقف الإمام الرازي منه

المطلب الأول: تعريف التخصيص وموقف الإمام الرازي منه.

التخصيص:

لغة: ضد التعميم وهو التفرد بالشيء، يقال اختص فلان بأمر وتخصص له إذا انفرد، ومنه أيضا خصه خصوصاً وخصوصية، واختصه بكذا أي خصه به[٦٠]، افرده به دون غيره.

اصطلاحاً: عرف التخصيص بتعريفات عدة:

✍ عرفه ابن الحاجب[٦١] بأنه: قصر العام على بعض مسمياته[٦٢].

✍ عرفه أبو الحسين البصري[٦٣]: إخراج بعض ما تناوله الخطاب فعلا كان المخرج أو فاعلاً أو زماناً[٦٤].

✍ عرفه ابن حزم[٦٥]: هو حمل اللفظ على بعض ما يقتضيه في اللغة دون بعض، فإن كان نقله قد صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق، وان كان نقله بخلاف ذلك اطرح ولم يلتفت إليه وحكم ذلك النقل بأنه باطل[٦٦].

مناقشة التعريفات:

يؤخذ على التعريفات السابقة أمور عدة وهي على حسب تسلسل تعريفاتها:

✍ التعريف الأول: ان لفظ العام له مسمى واحد لا مسميات إذ لا مسميات للفظ الواحد وأفراد العام مسميات في المواقع لأساميها لا للفظ العام[٦٧].

✍ أما التعريف الثاني: فيرد عليه أنه لم يشمل جميع أنواع التخصيص، فالمخصص قد يأتي متصل بالنص العام مثل الاستثناء والصفة والغاية وقد يأتي منفصل نحو تخصص عام الكتاب بخاص منه أو من السنة.

✍ وأما التعريف الثالث: فانه خص تعريف التخصيص من ناحية اللغة فقط، ثم انه عَدَّ التخصيص ما كان ببرهان قد اخرج منها التخصيص بالقياس والحس والإجماع.

التعريف المختار:

التخصيص: هو قصر العام على بعض أفراده بإخراج بعض ما يتناوله بدليل متصل بالنص مستقل عنه(٦٨).

التخصيص عند الإمام الرازي:

لم يذكر الإمام الرازي حداً مستقلاً للخاص من خلال تفسيره لسورة المائدة، وقد استطعت ان اجمع شيئاً مقارباً لما يحمل معنى التخصيص وبيان ذلك فيما يأتي: **في** معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ** ﴾(٦٩).

قال: اعلم انه تعالى قال في أول السورة ﴿ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ** ﴾ ثم ذكر فيه استثناء أشياء تتلى عليكم، فههنا ذكر الله تعالى تلك الصور المستثناة من ذلك العموم، وهي احد عشر نوعاً(٧٠).

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ** ﴾(٧١).

قال: دلت الآية على ان الاصطياد بالجوارح إنما يحل إذا كانت الجوارح معلمة، لأنه تعالى قال: ﴿ **وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ** ﴾ وقال ﷺ لعدي بن حاتم اذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل(٧٢).

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾(٧٣).

قال: وقوله في هذه الآية: ﴿ **اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ خاص فانه اوجب شهادة العدل الذي يكون منا في الحفر، واكتفى بشهادة من لا

يكون منا في السفر فهذه الآية خاصة، والآية التي ذكرتموها عامة يعني قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[٧٤]. والخاص مقدم على العام[٧٥].

وجه الدلالة: يستنتج مما تقدم في قوله (رحمه الله) ان اللفظ العام يقصر على بعض أفراده إما بصيغة متصلة تخصص أفراده فتخرجهم من حكم العموم إلى حكم جديد خاص بهم بالاستثناء أو الصفة أو الغاية، أو المخصص المنفصل بإحدى صوره وذلك هو اغلب أقسام التخصيص.

أنواع التخصص:

المراد بأنواع أو أقسام المخصص هو ما يدل على التخصيص ويفيدهُ، سواء أكان لفظا أم غير لفظ من حس وعقل، وغير ذلك. وهو نوعان: متصل ومنفصل[٧٦].

المطلب الثاني: المخصص المتصل:

أولا– المخصص المتصل: هو ما لا يستقل بنفسه بل تعلق معناه باللفظ الذي قبله[٧٧]، وكان جزءً من عبارة النص التي اشتملت على اللفظ العام[٧٨] فهو اذً كلام غير تام بنفسه، وينقسم على أنواع هي[٧٩]:

١– الاستثناء:

لغة: استفعال من الثني وهو العطف نقول: أثنيت الحبل تثنيةً إذا عطفت بعضه على بعض وقيل: من تثنيت الشيء إذا صرفته عنه[٨٠].

اصطلاحاً: إخراج بعض الجملة من الجملة بلفظ (إلا) أو ما أقيم مقامه[٨١]، من اخواتها نحو: ليس، غير، وعدا، وماعدا، وماخلا.

شروط الاستثناء:

للعلماء شروط في تخصيص العام بالاستثناء هي:

١. أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه كقولك: رأيت الناس الا زيداً، ولا تقول رأيت الناس إلا حماراً.
٢. أن يكون المستثنى متصلاً بالمستثنى منه عادة ولا يوجد الفصل الزمني.
٣. أن يكون كل من المستثنى والمستثنى منه صادراً من جهة واحدة.
٤. أن لا يكون الاستثناء مستغرقاً للمستثنى منه كأن يقول: لفلان على عشرة إلا عشرة[٨٢].

موقف الإمام الرازي من التخصيص المتصل:

أ- استثناء بلفظة (إلا):

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[٨٣].

قال رحمه الله: واعلم انه تعالى لما ذكر قوله: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ الحق به نوعين من الاستثناء:

الأول: قوله ﴿ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ واعلم ان ظاهر هذا الاستثناء مجمل[٨٤]، واستثناء الكلام المجمل من الكلام المفصل يجعل ما بقي من الاستثناء مجملاً أيضا، إلا ان المفسرين اجمعوا على ان المراد من هذا الاستثناء هو المذكور بعد هذه الآية وهو قوله: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾[٨٥]، ووجه هذا ان قوله: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ يقتضي إحلالها لهم على جميع الوجوه فبين الله تعالى أنها ان كانت ميتة، أو موقوذة أو مترديه أو نطيحة أو افترسها السبع أو ذبحت على غير اسم الله تعالى فهي محرمة[٨٦].

وجه الدلالة: في قوله (رحمه الله): ووجه هذا ان قوله أي الله سبحانه وتعالى: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ يقتضي احلالها لهم على جميع الوجوه فبين الله تعالى «أنها ان كانت ميته أو موقوذة أو متردية أو نطيحة أو افترسها السبع أو ذبحت على غير اسم الله تعالى فهي محرمة».

وهذا نص منه تعالى على ان الأنعام جميعها حلال ولكن استثنى الباري عز وجل بقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ وما يتلى علينا هو قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ ﴾فهو تخصيص بالإستثناء بـ(الا) بالإخراج من بعض ذلك العموم وهو قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾.

ب- استثناء بلفظة (ليس):

في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٨٧].

قال رحمه الله: «روى انه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت الصحابة: ان إخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم احد ثم قتلوا فكيف حالهم»، فنزلت هذه الآية، والمعنى: لا إثم عليهم في ذلك لأنهم شربوها حال ما كانت محللة، وهذه الآية مشابهه لقوله تعالى: في نسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ ﴾(٨٨)، أي إنكم حين استقبلتم بيت المقدس فقد استقبلتموه بأمري فلا أضيع ذلك(٨٩)، كما قال: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾(٩٠).

وجه الدلالة: قوله «والمعنى لا إثم عليهم في ذلك لأنهم شربوها حال ما كانت محلله» فاستثناء عن الحرمة بـ(ليس) ثم قاس عليها قصة تحويل القبلة من المقدس إلى الكعبة يستثني صحة العمل والعبادة إليها قبل التحويل إلى الكعبة، ثم ذكر مثال آخر وهي الآية الأخيرة.

ج- استثناء بلفظة (غير):

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾(٩١).

قال رحمه الله: النوع الثاني من الاستثناء قوله تعالى: ﴿ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ ﴾ قال الفراء(٩٢): هو مثل قولك: احل لك الشيء لا مفرطاً فيه ولا متعدياً، والمعنى أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ان تحلوا الصيد في حال الإحرام فإنه لا يحل لكم ذلك اذا كنتم محرمين(٩٣).

وجه الدلالة: أحلّ الله لنا بهيمة الأنعام ولكنه استثنى هذا العموم بلفظة (غير) قال تعالى: ﴿ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ ﴾دل على ذلك قول الإمام الرازي: «والمعنى أُحلَت لكم بهيمة الأنعام إلا ان تحلوا الصيد في حال الإحرام فانه لا يحل لكم ذلك إذا كنتم محرمين»، وقوله: «النوع الثاني من الاستثناء قوله تعالى: ﴿ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ ﴾».

٢- الصفة:

وهي النوع الثاني من المخصص المتصل.

لغة: من الفعل وصف إذ يقال وصف الشيء من باب وعد وصفاً وصفة: كالحلاة والحلة والعلم والسواد، وهي عند النحويين النعت وهو اسم الفاعل نحو: ضارب، والمفعول نحو مضروب أو ما يرجع إليهما من طريق علم النحو(٩٤).

اصطلاحاً: قال الإمام الشوكاني(٩٥) رحمه الله الصفة المعنوية لا مجرد النعت(٩٦).

والصفة المعنوية: «هي ما اشعر بمعنى يتصف به افراد العام سواء أكان الوصف نعتاً أم عطفاً أم بياناً أم حالاً أم غير ذلك من القيود الأخرى المشمرة بالوصف»(٩٧).

موقف الإمام الرازي من التخصيص بالصفة:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾(٩٨).

قال رحمه الله: قوله (وكلوا) صفة أمر، وظاهرها للوجوب لا ان المراد ههنا الإباحة والتحليل، واحتج أصحاب الشافعي به في ان التطوع لا يلزم بالشروع أو قالوا: ظاهر هذه الآية يقتضي إباحة الأكل على الإطلاق فيتناول ما بعد الشرع بالصوم، غايته انه خص في بعض الصور إلا ان العام حجه في غير محل التخصيص(٩٩).

وأما على التقدير الثاني فأنه حجة لأصحابنا على ان الرزق قد لا يكون حلالاً. وإلا لم يكن لهذا التخصص والتقييد فائدة(١٠٠).

وجه الدلالة: أمر الله تعالى بالأكل من رزقه سبحانه ودل على ذلك قول الإمام الرازي رحمه الله: فيما نقله عن أصحاب الشافعي: قالوا: ظاهر هذه الآية يقتضي اباحة الأكل على الإطلاق، ولكن الباري عز وجل خصص هذا العموم بالصفة وهي قوله: ﴿ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ وعلى هذا فلا يجوز أكل الرزق الا اذا كان متصفاً بالحلال الطيب وهذا ما ذكره الإمام رحمه الله بقوله: «على ان الرزق قد لا يكون حلالاً، وإلا لم يكن لهذا التخصيص والتقييد فائدة».

٣- الغاية:

لغة: هي مدى الشيء وأقصاه(١٠١).

اصطلاحاً: وهي نهاية الشيء المقتضية لثبوت الحكم لما قبلها، وانتفائه لما بعدها(١٠٢).

صيغ الغاية: هي الى، وحتى ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ومنها ايضا قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾.

موقف الإمام الرازي من التخصيص بالغاية:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾(١٠٣).

قال رحمه الله: قال الجمهور: غسل اليدين إلى المرافق واجب معهما، وقال مالك وزفر(١٠٤) رحمهما الله: لا يجب غسل المرفقين، وهذا الخلاف(١٠٥) حاصل أيضا في قوله ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ حجة زفر ان كلمة (إلى) لانتهاء الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجاً عنه كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾(١٠٦) فوجب انه لا يجب غسل المرفقين.

قال رحمه الله والجواب من وجهين: الأول: ان حد الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود بمقطع محسوس، وهنا يكون الحد خارجاً عن المحدود وهو كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ فان النهار منفصل عن الليل انفصالاً محسوساً لأن انفصال النور عن الظلمة محسوس، وقد لا يكون كذلك كقولك: بعتك هذا الثوب من هذا الطرف إلى ذلك الطرف، فان طرف الثوب غير منفصل عن الثوب بمقطع محسوس(١٠٧).

ثم قال رحمه الله: إذا عرفت هذا فنقول: لا شك ان امتياز المرفق عن الساعد ليس له مفصل معين، وإذا كان كذلك فليس إيجاب الغسل إلى جزء أولى من إيجابه إلى جزء آخر، فوجب القول بإيجاب غسل كل المرفق(١٠٨).

وجه الدلالة: امر الله سبحانه وتعالى بغسل اليدين في الوضوء وقد خصص الغسل الواجب بان يكون الى المرفقين و(الى) هنا لانتهاء الغاية المقتضية لثبوت الغسل لما قبلها وهي (المرفقين) وانتقائه لما بعدها ودخول المرفقين في الغسل واجب لأن الفاصل بين الحد والمحدود غير محسوس أي ان المرفقين هو حد فاصل لما قبلها وما بعد من اليد وهو غير محسوس وهذا ما دل عليه كلام الإمام الرازي رحمه الله اذ قال: والجواب من وجهين: الأول: ان حد الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود بمقطع محسوس، وهنا يكون الحد خارجاً عن المحدود وهو كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾فان النهار منفصل عن الليل

انفصالاً محسوساً لأن انفصال النور عن الظلمة محسوس، وقد لا يكون كذلك كقولك: بعتك هذا الثوب من هذا الطرف إلى ذلك الطرف، فان طرف الثوب غير منفصل عن الثوب بمقطع محسوس(١٠٩).

المطلب الثالث: المخصص المنفصل

هو ما يستقل بنفسه في إفادة المراد، ولا يحتاج إلى ذكر العام الذي سيخصصه، كما هو الحال في الاستثناء وغيره، من المخصصات المتصلة(١١٠).

وينقسم المخصص المنفصل على ثلاثة أقسام وهو أما ان يكون بالعقل أو بالحس أو بالسمع(١١١).

التخصص بالحس وموقف الإمام الرازي منه:

يرى تخصيص العام بالحس وبيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾(١١٢).

قال رحمه الله، قال مالك وزفر رحمهما الله: لا يجب غسل المرفقين، وهذا الخلاف حاصل أيضا في قوله تعالى: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾، حجه زفر ان كلمة (الى) لانتهاء الغاية، وما يجعل غاية للحكم يكون خارجاً عنه كما في قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾(١١٣) فوجب ان لا يجب غسل المرفقين(١١٤).

والجواب من وجهين.....

✎ الأول: ان حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود بمقطع محسوس، وههنا يكون الحد خارجاً عن المحدود، وهو كقوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ فان النهار منفصل عن الليل انفصالاً محسوساً لأن انفصال النور عن الظلمة محسوس، وقد لا يكون كذلك كقولك: بعتك هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف، فان طرف الثوب غير منفصل عن الثوب بمقطع محسوس(١١٥).

وجه الدلالة: ان اللفظ العام جاء حامل للحكم في غسل اليدين الى المرافق في اية الغسل، وانتهاء غاية الأمر فيها جاء باللفظ (الى) وهي لانتهاء ذلك الحكم ثم ان ما قبل

الغاية وما بعدها في هذا الحكم لم يفصل بعامل يدل على عدم دخول المرفقين فلذلك وافق الرازي الجمهور في دخول المرافق في الغسل من اليد.

✍ اما الحكم الثاني في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ فان الداخل ما قبل الغاية مفصول بمحسوس عن ما بعدها فصار وجوب عدم استمرار الصيام الى الليل لما فيه من اختلاف وفواصل محسوسة يدل عليه قوله رحمه الله: «ان حد الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود بمقطع محسوس، وههنا يكون الحد خارجاً عن المحدود» وذلك هو التخصيص بالحس.

ا- التخصص بالدليل السمعي:

والدليل السمعي هو ما كان متوقفاً على السمع، من الكتاب والسنة وغيرها، فتخصص عموم الكتاب أو السنة وهو على قسمين: تخصيص الكتاب وتخصيص السنة.

أولا- تخصيص الكتاب:

يخصص الكتاب بأربعة أدلة رئيسة هي بالكتاب نفسه، أو السنة على اختلاف بين العلماء، وبالإجماع، والقياس.

موقف الإمام الرازي من تخصص الكتاب بالكتاب:

يرى ان النص الخاص يقصر العام على بعض إفراده الذي يشتمل عليها لاسيما إذا كان النص الخاص متأخر في الورود عن العام من النصوص[١١٦]، وبيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾[١١٧].

قال رحمه الله: إن العبرة في الاستلذاذ والاستطابة بأهل المروءة والأخلاق الجميلة، فان أهل البادية يستطيبون أكل جميع الحيوانات، ويتأكد دلالة الآيات بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[١١٨] فهذا يقتضي التمكن من الانتفاع بكل ما في الأرض، إلا انه ادخل التخصص في ذلك العموم فقال: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[١١٩]، ونص في هذه الآيات الكثيرة على إباحة المستلذات والطيبات فصار هذا أصلا كبيراً[١٢٠].

وجه الدلالة: أباح الله سبحانه وتعالى الانتفاع بكل ما في الأرض قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ الا ان هذا العموم قد دخله التخصيص قال تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ

﴿عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ وهذا تخصيص الكتاب بالكتاب دل على هذا قول الإمام الرازي «الا ان هذا العموم قد دخله التخصيص».

ثانياً– تخصيص عام الكتاب بالسنة:

ومن حيث المخصص فهو قسمان: تخصيص عام الكتاب بالسنة المتواترة، وتخصيص عام الكتاب بخبر الآحاد.

ا– تخصيص عام الكتاب بالسنة المتواترة: وموقف الأمام الرازي منها، لا خلاف بين العلماء في تخصيص السنة المتواترة لعام الكتاب، الا ما يحكى عن الإمام داود الظاهري في احدى الروايتين عنه(١٢١).

ووافق الإمام الإمام الرازي الجمهور فيما ذهبو اليه وبيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾(١٢٢).

قال رحمه الله: اليد اسم لهذا العضو إلى المنكب ولهذا السبب قال تعالى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾(١٢٣)، فلولا دخول العضدين في هذا الاسم وإلا لماذا احتيج إلى التقييد بقول ﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ فظاهر الآية يوجب قطع اليدين من المنكبين(١٢٤) كما هو قول الخوارج(١٢٥)، إلا إنّا تركنا ذلك لدليل منفصل(١٢٦).

وجه الدلالة: ان لفظ اليد في آية السرقة عامة غير مخصصة وهي مثل اليد في آية الغسل التي وردت مخصصة بالمرافق، فصار لابد لإصدار الحكم للبحث عن مخصص منفصل وقد ثبت ان السنة النبوية قد خصصت القطع من الرسغ وهذا هو المخصص المنفصل، دل على هذا قول الإمام الرازي: «فظاهر الآية يوجب قطع اليدين من المنكبين كما هو قول الخوارج إلا انا تركنا ذلك لدليل منفصل» وهو حديث النبي ﷺ فعلى هذا فان السنة قد خصصت عام القرآن.

ب– تخصيص عام الكتاب بخبر الواحد: وموقف الإمام الرازي منه، تخصيص عام الكتاب بخبر الواحد هو محل خلاف بين العلماء انقسموا في ذلك على مذاهب متعددة بين مجوز ومانع(١٢٧).

موقف الإمام الرازي من تخصيص عام الكتاب بخبر الآحاد: من خلال تفسيره لسورة المائدة وجدت انه وضع شروطاً لتخصيص عام الكتاب بخبر الآحاد وهي كما تأتي:

للأخذ بخبر الآحاد كمخصص يجب انعدام المخصص من نصوص الكتاب أو السنة المتواترة أو اللغة.

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾(١٢٨).

قال رحمه الله: قال جمهور الفقهاء(١٢٩): القطع لا يجب إلا عند شرطين: قدر النصاب، وان تكون السرقة من الحرز. وقال ابن عباس(١٣٠) وابن الزبير(١٣١) والحسن البصري: القدر غير معتبر، والقطع واجب في سرقة القليل والكثير، والحرز أيضاً غير معتبر، وهو قول داود الأصفهاني(١٣٢)، وقول الخوارج،وتمسكوا في المسألة بعموم الآية كما قررناه، فان قوله: «السارق والسارقة» يتناول السرقة سواء كانت قليلة أو كثيرة وسواء سرقت من الحرز أو من غير الحرز.

قال: إذا ثبت هذا فنقول: لو ذهبنا إلى التخصيص لكان ذلك أما بخبر الواحد، أو بالقياس وتخصيص عموم القران بخبر الواحد وبالقياس غير جائز.

وحجة جمهور الفقهاء انه لا حاجة بنا إلى القول بالتخصيص، بل نقول: ان لفظ السرقة لفظة عربية، ونحن بالضرورة نعلم ان أهل اللغة لا يقولون لمن أخذ حبة من حنطة الغير، أو تبنه واحدة، أو كسرة صغيرة من الخبز انه سرق ماله، فعلمنا ان أخذ مال الغير كيفما كان لا يسمى سرقة، وأيضا السرقة مشتقة من مسارقة عين المالك...، ولهذا الطريق اعتبرنا في وجوب القطع اخذ المال من حرز المثل(١٣٣).

١- أن لا يكون خبر الواحد الذي يراد به تخصيص عام الكتاب مجمل أو مجهول المعنى.

قال رحمه الله تعالى: وأما الذي تمسك به أبو حنيفة(١٣٤) رحمه الله من قوله ﷺ: «**لا قطع إلا في ثمن المجن**»(١٣٥)، فهو ضعيف لوجهين: الأول: إن ثمن المجن(١٣٦) مجهول، فتخصيص عموم القرآن بخبر واحد مجمل مجهول المعنى لا يجوز(١٣٧).

وجه الدلالة: رد رحمه الله تعالى على الدليل الذي تمسك به أبو حنيفة وهو خبر الواحد ليس لكونه خبر واحد بل لأنه مجهول المعنى في أجماله من حيث سعر المجن إذ انه لا يعرف لغير أهل عصر أو بلدة معينين أما بالنسبة للباقين فهو مجهول من ناحيتي الثمن وحال

المجنة وماهيتها، وهذا وقد اكتفيت بنقل قوله في الوجه الأول دون الثاني لأنه الذي يهمنا في المسألة.

من صور تخصيص النص العام بخبر الآحاد عند الإمام الرازي.

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾.

قال رحمه الله: قال ابو حنيفة رحمه الله: خيار المجلس غير ثابت[١٣٨]، وقال الشافعي رحمه الله: ثابت[١٣٩]، حجة ابي حنيفة انه لما انعقد البيع والشراء وجب ان يحرد الفسخ، لقوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾، وحجة الشافعي تخصيص هذا العموم بالخبر، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**المتبايعان بالخيار كل واحد منها ما لم يتفرقا**».

أولا– تخصيص عام الكتاب بالإجماع.

يرى الإمام الرازي جواز تخصيص عام الكتاب بإجماع بيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾[١٤٠].

قال: رحمه الله وأما قوله تعالى (الأيدي) عامة فنقول: مقتضاه قطع الأيدي لكنه لمّا انعقد الإجماع[١٤١] على انه لا يجب قطعهما معاً، ولا الابتداء باليد اليسرى أخرجناه عن العموم[١٤٢].

وجه الدلالة: في قوله رحمه الله «الايدي عامة فنقول مقتضاه قطع الأيدي لكنه لما انعقد الإجماع على انه لا يجب قطعهما معاً...».

ومن خلال كلامه صار المخصص لعدم قطع اليدين معاً وعدم الابتداء باليسرى هو الإجماع بإخراج ذلك الحكم عن العموم هو التخصيص بالإجماع.

ثانياً– تخصيص عام الكتاب بالقياس:

يرى الإمام الرازي انه يصح كون القياس مخصص لعام الكتاب، بيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[١٤٣].

قال رحمه الله: قال أبو حنيفة رحمه الله: الجمع بين الطلقات حرام[١٤٤]، وقال الشافعي رحمه الله: ليس بحرام[١٤٥]، حجة أبي حنيفة ان النكاح عقد من العقود لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾[١٤٦]، فوجب ان يحرم رفعه بقوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾

ترك العمل به في الطلقة الواحدة بالإجماع فيبقى فيما عداها على الأصل، والشافعي رحمه الله خصص هذا العموم بالقياس، وهو انه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم[١٤٧].

وجه الدلالة: قوله رحمه الله: «انه لو حرم الجمع– أي بين الطلقات– لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم»، فقد صرح بان هذا التخصيص قد جاء بالقياس، من خلال نفاذ الطلاق وبالتالي عدم الحرمة عنده في الجمع بين الطلقات، وان كان التخصيص بالقياس ورد عن الإمام الشافعي رحمه الله الا ان الرازي ذكر كدليل للتخصيص بالقياس.

ثالثاً– تخصيص عام الكتاب بقول الصحابي:

يرى الإمام الرازي ان قول الصحابي يخصص عام الكتاب، بيان ذلك فيما يأتي:

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾[١٤٨].

قال رحمه الله: وفي المراد بالطعام ههنا وجوه ثلاثة: الأول انه الذبائح، يعني انه يحل لنا أكل ذبائح أهل الكتاب، وأما المجوس فقد سن فيهم سنة أهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم، وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب، وقال: ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر، وبه قال[١٤٩] الشافعي رحمه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس به، وبه اخذ[١٥٠] أبو حنيفة رحمه الله[١٥١].

وجه الدلالة: أحل الله سبحانه وتعالى لنا اكل ذبائح أهل الكتاب وهذا الحكم قد ثبت بعموم قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ ولكن الإمام علي رضي الله عنه استثنى نصارى بني تغلب، وهذا تخصيص عموم القرآن بقول الصحابي كذلك قول ابن عباس رضي الله عنه دل على ذلك قول الإمام الرازي رحمه الله، وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب، وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها إلا شرب الخمر.

المبحث الثالث

تطبيقات فقهيه في موقف الإمام الرازي من التخصص في سورة المائدة من خلال تفسيره

أولاً– يرى تحريم نكاح الأَمَة مع وجود الحرة، ويعتبر ان نكاح الأمة تخصيص من عموم نكاح الحرائر ولا يحل ذلك إلا بشروط وضعها هو لجواز نكاح الأمَة، تخصيصا لعموم من

النص القرآني بنص قرآني آخر: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾[١٥٢].

قال رحمه الله: قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وفي المحصنات قولان: **أحدهما**: إنها الحرائر، **والثاني**: إنها العفائف، وعلى التقدير الثاني يدخل فيه نكاح الأمَة، والقول الأول أولى لوجوه:

احدها: انه تعالى قال بعد هذه الآية: ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ ، ومهر الأمَة لا يدفع إليها بل إلى سيدها، **وثانيها**: إنّا بيّنا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[١٥٣]، إن نكاح الأمة إنما يحل بشرطين: عدم طول الحرة، وحصول الخوف من العنت، **وثالثهما**: إن تخصيص العفائف بالحل يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية، وقد ثبت انه غير محرم.

إما لو حملنا المحصنات على الحرائر يلزم تحريم نكاح الأمة ونحن نقول به على بعض التقديرات، **ورابعا**: إنا بيّنا ان اشتقاق الإحصان من التحصن، ووصف التحصين في حق الحرة أكثر ثبوتاً منه في حق الأمة لما بينا ان الأمة وان كانت عفيفة إلا أنها لا تخلوا من الخروج والبروز والمخالطة مع الناس بخلاف الحرة، فثبت ان تفسير المحصنات بالحرائر أولى من تفسيرها بغيرها[١٥٤].

ثانياً- يرى عدم جواز التيمم إلا بالتراب الخالص تخصيصاً من عموم التراب، موافقاً لمذهب الإمام[١٥٥] الشافعي رحمه الله، وخلاف للأمام[١٥٦] أبي حنيفة رحمه الله واستدل على ذلك بالسنة، وقول الصحابي، والمعقول.

قال رحمه الله: قال الشافعي رحمه الله لا يجوز: التيمم إلا بالتراب الخالص[١٥٧]وهو قول أبي يوسف رحمه الله وقال أبو حنيفة رحمه الله: يجوز بالتراب والرمل وبالخزف المدقوق والجص والنورة والزرنيخ[١٥٨] واستدل على ما قاله الأمام الشافعي ومن وافقه بالسنة النبوية وقول الصحابي[١٥٩].

قال رحمه الله: لنا ما روى إن ابن عباس قال: الصعيد هو التراب[١٦٠]، وأما الدليل العقلي قال رحمه الله: وأيضاً التيمم طهارة غير معقولة المعنى، فوجب الاختصار فيه على مورد النص، والنص المفصل انما ورد في التراب[١٦١].

وأما السنة قال رحمه الله: قال عليه الصلاة والسلام: «**التراب طهور المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج**»[١٦٢]، وقال ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجداً وتراباً طهوراً**»[١٦٣]، والله اعلم[١٦٤].

ثالثاً- يرى إن الوصية واجبة في حق كل مسلم قبل موته حاضرا كان ذلك المسلم أم مسافر.

في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ** ﴾[١٦٥].

قال رحمه الله: وقوله: ﴿**شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ**﴾ يعني شهادة ما بينكم وما بينكم كفاية عن التنازع والتشاجر، وإنما أضاف الشهادة إلى التنازع لأن الشهود إنما يحتاج إليهم عند وقوع التنازع وحذف ما من قوله: ﴿**شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ**﴾ جائز لظهوره، ونظيره وقولة: ﴿**هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَ**﴾[١٦٦]، أي ما بيني وبينك، وقوله: ﴿**لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ**﴾[١٦٧] في قراءة من نصب وقوله: ﴿**إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ**﴾ يعني الشهادة المحتاج إليها عند حضور الموت، وحين فرق ذلك الزمان بهذين الأمرين الواقعين فيه، كما يقال، ائتني إذا زالت الشمس حين صلاة الظهر، والمراد بحضور الموت مشارفته وظهور إمارات وقوعه، كقوله: ﴿ **كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ** ﴾[١٦٨]، قالوا وقوله: ﴿**إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ**﴾ دليل على وجوب الوصية، لأنه تعالى جعل زمان حضور الموت غير زمان الوصية، وهذا إنما يكون إذا كانا متلازمين، وإنما تحصل هذه الملازمة عند وجوب الوصية[١٦٩].

رابعاً- يرى إن جواز شهادة الكافرين لا تصح إلا عند الضرورات، واستدل على ذلك من نص الآية، في معرض تفسيره قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾(١٧٠).

قال رحمه الله: إنا إنما نجيز إشهاد الكافرين إذا لم نجد أحدا من المسلمين، «والضرورات قد تبيح المحظورات»(١٧١)، ألا ترى انّه تعالى أجاز التيمم والقصر في الصلاة، والإفطار في رمضان، وأكل الميتة في حال الضرورة، والضرورة حاصلة في هذه المسألة، لأنّ المسلم إذا قرب اجله في الغربة ولم يجد مسلماً يشهده على نفسه، ولم تكن شهادة الكفار مقبولة فأنه يضيع أكثر مهماته، فأنه ربما وجبت عليه زكوات وكفارات وما أداها. وربما كان عنده ودائع أو ديون كانت في ذمته، وكما تجوز شهادة النساء فيما يتعلق بأحوال النساء كالحيض والحمل والولادة واستهلال لأجل انه لا يمكن وقوف الرجال على هذه الأحوال فاكتفينا فيها بشهادة النساء لأجل الضرورة، فكذا ههنا(١٧٢).

الخاتمة

وبعد انتهاء هذا العمل المبارك وبحمد الله توصلت في البحث إلى نتائج عدة أهمها ما يأتي:

١. استنتجت للإمام الرازي تعريف للعام من خلال كلامه في بعض مواطن العموم في سورة المائدة.
٢. ذكر عدد من المسائل المتعلقة ببحث العام مع بيان موقف الإمام الرازي في تلك المسائل من أهمية إذ انه لم يتطرق إلى بعض منها في مواطن أخرى حتى في كتابه المحصول الخاص بعلم أصول الفقه.
٣. يرى جواز التخصيص بالأدلة المتصلة جاء ذكر بعض منها في تفسيره لسورة المائدة قمت بعرضها وترتيبها.
٤. يرى جواز التخصيص بالأدلة المنفصلة، عرضتها بحسب ما جاء ذكرها في كتب أصول الفقه.
٥. وجدته من خلال تفسيره قد وضع لتخصص عام القرآن بخبر الآحاد شرطين ذكرتهما مع استخراج وجه الدلالة من كلامه فيهما.

٦. يرى تحريم نكاح الأمة مع وجود الحرة.
٧. يرى عدم جواز التيمم إلا بالتراب.
٨. يرى وجوب الوصية في حق كل مسلم قبل موته.
٩. يرى ان جواز شهادة الكفار لا تصح إلا عند الضرورة وهي استثناء من أصل الشهادة من الإسلام والعدالة.

هوامش البحث

[١] طبقات الشافعية، أبو بكر بن احمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبه، ت: ٥٨٥١، عالم الكتب، بيروت، ط١: ١٤٠٧: ٦٥/٢، البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض، ط١: ١٩٦٦م: ٥٥/١٣، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن احمد العكبري الدمشقي، ت: ١٠٨٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢١/٥.

[٢] لسان الميزان، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت: ٢٨٨/٢.

[٣] تفسير الفخر الرازي، المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ٥٤٤-٥٦٠٤، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م: ١٥٢/١٧.

[٤] تفسير الفخر الرازي: ١٤٣/١.

[٥] وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان: ٢٥٢/٤، البداية والنهاية في تاريخ: ٥٦/١٣.

[٦] الري: مدينة كبيرة مشهورة من إعلام المدن، ببلاد ما وراء النهر، تشتهر بكثرة الفواكه والخيرات وهي أيضا محطة الحجيج عن طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، تقع على بعد سبع وعشرون فرسخا عن قزوين وهي اليوم العاصمة الإيرانية طهران: ينظر معجم البلدان، لشهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، الرومي البغدادي، ت: ٦٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ٤٥٧/٤٧.

[٧] وفيات الأعيان وأبناء الزمان، أبي شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت:٦٨١هـ، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨: ٢٥٢/٤، البداية والنهاية: ٥٦/١٣.

(٨) شذرات الذهب: ٢١/٥، وفيات الأعيان وأبناء الزمان: ٢٥٠/٤.

(٩) شذرات الذهب: ٣٥٣.

(١٠) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان: ٢٤٩/٤، شذرات الذهب: ٢١/٥.

(١١) ينظر: طبقات الشافعية: ٦٦/٢، شذرات الذهب: ٢١/٥.

(١٢) سورة يوسف: جزء من الآية (٤٢).

(١٣) تفسير الفخر الرازي: ١١٦/١٨.

(١٤) هَراة بفتح أولـهِ مدينـة عظيمـة مشـهورة، أمهـات مـن خراسـان، فيهـا بسـاتين كثيـرة ومياه غزيـرة، ممتلئـة بأهل الفضـل والثراء، خرّبها التتـار سنة، ٦١٨هـ، ينظـر معجم البلـدان: ٤٧١/٨.

(١٥) وفيات الأعيان وأبناء الزمان: ٢٥٢/٤، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت:٨٧٤هـ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر: ١٩٧/٦.

(١٦) القـاموس المحـيط: لمجـد الديـن بـن يعقـوب الفيـروزآبادي، ت: ٨١٧هـ، دار الفـكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م: ١٥٤/٤-١٥٥، مختار الصحاح لأبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت: ٦٦٦هـ، دار الرسالة، الكويت، ص٤٥٦.

(١٧) المحصـول فـي علم اصول الفقه، للإمام الإصولي النظار فخر الدين محمد بن عمر الـرازي، دار الكتب العلميـة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م : ٢٥٣/١، الإبهـاج فـي شرح المنهاج على منهج الوصول الى علم الأصول للقاضي البيضاوي، للإمام الشيخ علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، دراسة وتحقيق: د. احمـد جمـال الازمزمـي، ود. نـور الـدين عبـد الجبـار، دار البحـوث والدراسـات الإسلامية واحياء التراث، الإمارات العربية، دبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م: ١١٩٣/٤، إرشاد الفحـول، زاد فيـه قيـد (دفعـة)، ٥١١/١، ارشـاد الفحـول الـى تحقيـق الحـق مـن علـم الأصـول: محمد بـن علـي الشوكاني، ت:١٢٥٠هـ، تحقيق: سامي بـن العربـي الأثري، مؤسسـة الريـان للطباعـة والنشـر والتوزيـع، ط١: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ومـن التعريفـات المقاربة لـه تعريف الغزالي، ينظر: المستصفى من علوم الأصول، لحجة الإسلام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي، ت:٥٠٥هـ، تحقيق ابراهيم محمد رمضان، دار الأرقم،

بيروت٢/٣٢، والشاشي، في أصوله، ص١٧، وابن قدامه المقدسي في كتابه روضة الناظر في أصول الفقه على مذهب الأمام احمد بن حنبل رحمه الله: لموفق الدين بن قدامه المقدسي، ت:٦٢٠هـ، دار الكتاب العربي، ص١٩٤، وأبو الحسن البصري، ينظر: المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسن البصري المعتزلي، تحقيق خليل الميسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣ : ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م: ١/ ١٨٩.

(١٨) ارشد الفحول: ١/٥٠٧، وينظر المحصول: ١/٢٥٣.

(١٩) أصول الفقه في نسيجه الجديد، الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي، مطبعة الخنساء، بغداد، ط٩: ص٣٣٠.

(٢٠) سورة المائدة: جزء من الآية (١).

(٢١) تفسير الفخر الرازي: ١١/١٢٥.

(٢٢) المصدر السابق نفسه: ١١/١٢٧.

(٢٣) سورة المائدة: جزء من الآية (١).

(٢٤) تفسير الفخر الرازي: ١١/١٢٧.

(٢٥) سورة المائدة: جزء من الآية (٣٨).

(٢٦) تفسير الفخر الرازي: ١١/١٣١.

(٢٧) سورة المائدة: جزء من الآية (٥٤).

(٢٨) تفسير الفخر الرازي: ١٢/٢٢.

(٢٩) سورة المائدة: جزء من الآية (١٢٠).

(٣٠) تفسير الفخر الرازي: ١٢/١٤٧.

(٣١) سورة المائدة: جزء من الآية (١).

(٣٢) الشافعي: هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، ولد بغزة من ارض فلسطين، سنة ١٥٠هـ ، صاحب المذهب المعروف، واليه ينتسب الشافعية، توفي سنة ٢٠٤هـ ، ينظر: البداية والنهاية: ١٠/٢٥١.

(٣٣) المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، ت:٦٧٦هـ، المطبعة المنيرية: ٦/٤٨٣.

[٣٤] أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت زواص التيمي الكوفي مولى بني تيم بن ثعلبة، صاحب المذهب المعروف، ينسب إليه الحنفية من مناقبه انه أدرك أربعة من صحابة رسول الله ﷺهم: انس بن مالك، وعبد الله بن ابي اوفى، وسهل بن سعد، وأبي الطفيل، توفي سنة ١٥٠هـ في زمن خلافة ابو جعفر المنصور، ينظر: البداية والنهاية: ١٠/١٠٧، تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن ابو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ط١: تحقيق د. بشار عواد معروف: ٢٩/٤٤٤.

[٣٥] فتح القدير، الكمال بن الهمام، دار الفكر، بيروت: ٥/٩١.

[٣٦] تفسير الفخر الرازي: ١١/١٢٦.

[٣٧] سورة الصف: جزء من الآية (٢).

[٣٨] سورة الإنسان: الآية (٧).

[٣٩] صحيح البخاري، للعلامة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، ت: ٢٥٦هـ، دار طوق النجاة، تحقيق، محمد زهير ناصر: ٣/٤٨، برقم: ٢٠٣٢.

[٤٠] تفسير الفخر الرازي: ١١/١٢٦.

[٤١] سورة المائدة: جزء من الآية (٣٣).

[٤٢] تفسير الفخر الرازي: ١١/٢٢٠-٢٢١.

[٤٣] سورة المائدة: جزء من الآية (٦).

[٤٤] سورة هود: جزء من الآية (١١٢).

[٤٥] صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢: ١٣٩٢هـ: ٢/٨٨٦، برقم: ٢٠٣٢.

[٤٦] تفسير الفخر الرازي: ١١/١٥٦-١٥٧.

[٤٧] سورة المائدة: جزء من الآية (٣).

[٤٨] كان الأولى ان يقول التاء المربوطة وليس الهاء.

[٤٩] تفسير الفخر الرازي: ١١/١٢٦.

[٥٠] جمع الجوامع، تأليف الإمام تاج الدين السبكي، مطبوع مع حاشية البناني على شرح المحلي، ط٣، مطبعة البابي الحلبي، مصر: الوجيز في أصول الفقه، الدكتور محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م: ٢/١٣، الأحكام في

أصول الاحكام، أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٥١) سورة المائدة: جزء من الآية (١٠٦).

(٥٢) سورة الطلاق: جزء من الآية (٢).

(٥٣) سورة المائدة: جزء من الآية (١٠٦).

(٥٤) تفسير الفخر الرازي: ١٢٣/١٢.

(٥٥) مالك بن انس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث بن غيمان ينتهي نسبه إلى حمير الأصبحي المدني، ولد سنة ٩٣هـ ، صاحب المذهب المعروف، إمام أهل المدينة، توفى سنة ١٧٩هـ، ودفن بالبقيع، ينظر: تاريخ الإسلام: ٣٢٦/١، البداية والنهاية: ١٧٤/١٠.

(٥٦) الشرح الكبير، أبو البركات محمد الدردير، تحقيق محمد عليش، دار الفكر، بيروت: ٣٥/١.

(٥٧) الأم ، للإمام الشافعي: ٤/١، المجموع شرح المهذب: ١٦٤/١.

(٥٨) وهذا القول نقل عن بعض أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله، والمنقول عنه في كتب الحنفية هو اعتبار التحريك، فالماء الذي لا يتحرك احد طرفيه بتحريك الطرف الآخر فانه لا يتنجس بوقوع النجاسة به إذ لم يتغير احد أوصافه بالنجاسة، ينظر: الهداية شرح بداية المبتدي، الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، المكتبة الإسلامية، بيروت: ١٨/١-١٩.

(٥٩) تفسير الفخر الرازي: ١٧٤/١١.

(٦٠) ينظر القاموس المحيط، باب الصاد، فصل الخاء: ص٥٦٩، مختار الصحاح، باب الخاء: ص١٧٦.

(٦١) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمرو بن ابي بكر بن يونس الملقب بجمال الدين، مالكي المذهب، نحوي، اصولي، ولد بمصر سنة ٥٧٠هـ، توفى سنة ٦٤٦هـ، ينظر: النجوم الزاهرة: ٣٦٠/٦.

(٦٢) شرح العضد، لعبد الرحمن بن احمد الأيجي، ت٧٥٦، على مفترص المنتوصي الأصولى لأبن الحاجب المالكي، ت: ٦٤٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م: ص٢٠٨.

(٦٣) أبو الحسين البصري: هو محمد بن علي الطيب البصري، احد ائمة المعتزلة في علمي الكلام والأصول وله كتاب المعتمد في الأصول، ينظر: طبقات المعتزلة: ص١١١.

(٦٤) المعتمد: ٢٣٤/١.

(٦٥) ابن حزم: هو ابو محمد بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، إمام الظاهرية، وصف بالاجتهاد المطلق والزهد، ولد ٣٨٤هـ، توفى ٤٥٦هـ، ينظر: الفتح المبين: ٢٤٣/١.

(٦٦) الأحكام ابن حزم: ٣٦/١.

(٦٧) مباحث التخصيص عند الأصوليين، ص٣٥، الدكتور عمر بن عبد العزيز الشيلخاني، دار اسامة- عمان، ط: ٢٠٠٠م.

(٦٨) أصول الفقه في نسيجه الجديد: ص٣٥٠.

(٦٩) سورة المائدة: جزء من الآية (٣).

(٧٠) تفسير الفخر الرازي: ١٣٦/١١.

(٧١) سورة المائدة: جزء من الآية (٤).

(٧٢) تفسير الفخر الرازي: ١٤٦/١١.

(٧٣) سورة المائدة: جزء من الآية (١٠٦).

(٧٤) سورة الطلاق: جزء من الآية (٢).

(٧٥) تفسير الفخر الرازي: ١٢٣/١٢.

(٧٦) تشنيف المسامع لجمع الجوامع، للزركشي، تحقيق: أبي عمرو الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ٢٠٠٠م، ٣٦٤/١ وما بعدها.

(٧٧) الإبهاج: ١٣٨٣/٤.

(٧٨) الوجيز في أصول الفقه، تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان، نشر إحسان، طهران، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ط٥: ص٣١٤.

(٧٩) البحر المحيط، للزركشي: ٢٧٣/٣، إرشاد الفحول ص١٢٩-١٣٥، نشر البنود الشنقيطي: ٤٢١/١ وما بعدها.

(٨٠) ينظر لسان العرب: ١٣٥/٢، مختار الصحاح: ص٨٧-٨٨.

(٨١) روضة الناظر وجنة المناظر، ص٢٢٣.

(٨٢) المستصفى، للغزالي: ١٩٧/٢-٢٠٤.

(٨٣) سورة المائدة: جزء من الآية (١).

(٨٤) المجمل: هو اللفظ الذي خفيت دلالته على معناه لذاته، ولا سبيل إلى إزالة خفائه إلا ببيان ممن صدر منه، ينظر: أصول الفقه الإسلامي، تأليف الدكتور عبد المجيد محمود مطلوب، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١: ١٤٢٦هـ، ص٢٧٣.

(٨٥) سورة المائدة: جزء من الآية (٣).

(٨٦) تفسير الرازي: ١٢٨/١١- ١٢٩.

(٨٧) سورة المائدة: الآية (٩٣).

(٨٨) سورة البقرة: جزء من الآية (١٤٣).

(٨٩) تفسير الفخر الرازي: ٨٨/١٢.

(٩٠) سورة آل عمران جزء من الآية (١٩٥).

(٩١) سورة المائدة: جزء من الآية (١).

(٩٢) الفراء: هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي، إمام العربية، أبو زكريا، المعروف بالفراء، كان اعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، أقام ببغداد، ومن مصنفاته (معاني القرآن)، توفي وهو بطريق مكة سنة ٢٠٩هـ، عن عمر ٦٧سنة، ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة العصرية، لبنان، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم: ٣٣٣/٢.

(٩٣) تفسير الفخر الرازي: ١٢٩/١١.

(٩٤) معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين احمد بن فارس القزويني، ت ٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة ألبابي، مصر، ط٢: ١١٥/٦.

(٩٥) الشوكاني: محمد بن علي بن حمد بن عبد الله الشوكاني، ولد سنة ١١٧٢هـ، عالم مشهور من علماء الحديث وأصول الفقه له كتاب (إرشاد الفحول، وكتاب نيل الأوطار)، توفي سنة ١٢٥٠هـ، ينظر: أعلام السنن، المظفر احمد ألتهاوني العثماني،

(ت:١٣٩٤هـ) تحقيق محمد تقي عثماني، المنشورات إدارة القران والعلوم الإسلامية، باكستان: ١٩٠/٧.

(٩٦) إرشاد الفحول ص١٢٩.

(٩٧) شرح الكوكب المنير، لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي، المعروف بإبن النجار، ت٩٧٢هـ، تحقيق د.محمد الزحيلي، ود. تربة حمادة المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمي والتراث الاسلامي، ١٤٠٨هـ: ٣٤٧/٣.

(٩٨) سورة المائدة، جزء من الآية (٨٨).

(٩٩) حاشية العطار على شرح المحلي، حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية، بيروت: ٢٩/٢.

(١٠٠) تفسير الفخر الرازي: ٧٧/١٢.

(١٠١) لسان العرب: ١٤٣/١٥، مادة غيا.

(١٠٢) ارشاد الفحول: ص٥١١.

(١٠٣) سورة المائدة: جزء من الآية (٦).

(١٠٤) زفر: هو ابو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس العنبري من تيم، صاحب الإمام ابي حنيفة، وهو اقيس اصحابه، جمع بين العلم والعبادة، اقام بالبصرة وتولى قضاءها، توفي فيها سنة١٥٨هـ، ينظر: وفيات الأعيان: ٧١/٢.

(١٠٥) اختلف العلماء في دخول المرفق في الغسل الواجب على مذهبين: المذهب الأول الجمهور قالوا إن غسل المرافق في الوضوء فرض، وعليه فلا يصح عندهم وضوء من لم يغسل المرفقين. المذهب الثاني: ذهبوا إلى ان غسل المرفقين ليس بواجب، وهو مذهب ابن حزم الأندلسي رحمه الله، واليه ذهب الامام زفر بن الهذيل من الحنفية، وهي رواية عن الإمام مالك وبعض أصحابه. ينظر مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ(الخطاب)، ت: ٩٥٤هـ دار الفكر، بيروت، ١٩١/١، المحلى، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد ابن حزم، ت: ٦٠٦هـ، دار الفكر، بيروت: ٢٩٧/١، البحر الزخار، أبو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ت: ٢٩٢هـ، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، تحقيق: محفوظ عبد الرحمن

زيـن الله: ٦١/٢، المجمـوع: ٤٢٨/١ المبسـوط، محمـد بـن احمـد بـن أبـي سـهيل السرخسي، دار المعرفة، بيروت: ٦/1.

(١٠٦) سورة البقرة: جزء من الآية (١٨٧).

(١٠٧) تفسير الفخر الرازي: ١٦٢/١١.

(١٠٨) تفسير الفخر الرازي: ١٦٢/١١.

(١٠٩) تفسير الفخر الرازي: ١٦٢/١١.

(١١٠) ينظر: جمع الجوامع: ٢٤/٢، أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، للدكتور حمد عبيد الكبيسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م: ص٣١٠.

(١١١) ينظر: الابهاج: ١٤٥٠/٤، شرح الورقات من أصول الفقه، عبد الله بن صالح الفوزان، ص٣١٧ وما بعدها، الوجيز محمد حسن هيتو، ص٢٠٠ وما بعدها.

(١١٢) سورة المائدة: جزء من الآية (٦).

(١١٣) سورة البقرة: جزء من الآية (١٨٧).

(١١٤) تفسير الفخر الرازي: ١٦٢/١١.

(١١٥) تفسير الفخر الرازي: ١٦٢/١١.

(١١٦) تفسير الفخر الرازي: ١٢٣/١٢.

(١١٧) سورة المائدة: جزء من الآية (٤).

(١١٨) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٩).

(١١٩) سورة الأعراف: جزء من الآية (١٥٧).

(١٢٠) تفسير الفخر الرازي: ١٤٥/١١.

(١٢١) البحر المحيط: لابي حيان محمد بن يوسف الزركشي، ت: ٧٤٥هـ، تحقيق الشيخ الدكتور عبد القادر عبد الله العاني، راجعه الدكتور عمر سليمان الشقر، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ٣٦٢/٣، قال الأمدي «اما اذا كانت السنة المتواترة، فلم اعرف فيه خلافاً» وكلامه هذا في مسألة جواز تخصيص عموم القرآن بالسنة، ينظر: الأحكام للامدي: ٣٤٧/٢.

(١٢٢) سورة المائدة: جزء من الآية (٣٨).

(١٢٣) سورة المائدة: جزء من الآية (٦).

(١٢٤) المبسوط: ١٣٣/٩.

(١٢٥) الخوارج: جمع خارج وهو كل من خرج عن الإمام الحق، وأطلق هذا الاسم على من خرج على سيدنا علي ﷺ ، ينظر: الملل والنحل: ١٥٥/١.

(١٢٦) تفسير الفخر الرازي: ٢٣١/١١.

(١٢٧) ينظر: البحر المحيط: ٣٥٥/٣-٣٦٤، شرح تنقيح الفصول، احمد بن إدريس القرافي، ت: ٦٨٤هـ، المطبعة الخيرية، مصر، ١٤٠٦هـ: ص٩٣، كشف الأسرار مع أصول فخر الإسلام البزدوي، لجلال الدين عبد العزيز البخاري، ت١٠٣٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٤٧م، ٢٩٤/١.

(١٢٨) سورة المائدة: جزء من الآية (٣٨).

(١٢٩) المغني في فقه الإمام احمد بن حنبل، أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي، ت:٦٢٠هـ، دار الفكر، بيروت: ٢٤٢/١٠، الهداية: ٢٢٠/٤، المحلى: ٣٥٠/١١ وما بعدها.

(١٣٠) ابن عباس: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القريشي الهاشمي، ولد في السنة الثالثة قبل الهجرة، توفى بالطائف ٦٨هـ.

(١٣١) ابن الزبير: عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي بن خويلد الاسدي، شهد فتح افريقيا في زمن عثمان ﷺ، ولد بالمدينة بعد الهجرة، توفى سنة ٧٣هـ، ينظر: الاستيعاب: ٩٠٥/٣.

(١٣٢) داود الأصفهاني: داود بن علي بن خلف الأصفهاني أبو سليمان، الملقب بالظاهري، احد الأئمة المجتهدين، ولد في الكوفة، وسكن بغداد، وصف بان له عقل راجح، توفى ببغداد سنة ١٧٠هـ، ينظر: الإعلام: ٨/٣.

(١٣٣) تفسير الفخر الرازي: ٢٣١/١١.

(١٣٤) المبسوط: ١٣٧/٩.

(١٣٥) سنن أبي داود، أبو داود سلمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ت:٢٧٥هـ، دار الفكر ، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: ٤١/٢، برقم: ٤٣٨٧.

[١٣٦] المجن: بكسر الميم وفتح الجيم مفعل من الإجتنان وهو الاستتار مما يحاذره المستتر ينظر فتح الباري: ١٠٦/١٢، سبل السلام: ١٩/٤.

[١٣٧] تفسير الفخر الرازي: ٢٣٣/١١.

[١٣٨] المبسوط: ١٥٧/١٣.

[١٣٩] الأم: ٢٦١/٥.

[١٤٠] سورة المائدة: جزء من الآية (٣٨).

[١٤١] مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت: ص١٣٦.

[١٤٢] تفسير الفخر الرازي: ٢٣٠/١١.

[١٤٣] سورة المائدة: جزء من الآية (١).

[١٤٤] الهادية: ٢٥١/١.

[١٤٥] الأم: ١٨٤/٤.

[١٤٦] سورة البقرة: جزء من الآية (٢٣٥).

[١٤٧] تفسير الفخر الرازي: ١٢٦/١١.

[١٤٨] سورة المائدة: جزء من الآية (٥).

[١٤٩] الأم: ٢٣٢/٢.

[١٥٠] بدائع الصنائع: ٤٥/٥.

[١٥١] تفسير الفخر الرازي: ١٤٩/١١.

[١٥٢] سورة المائدة: جزء من الآية (٥).

[١٥٣] سورة النساء: جزء من الآية (٢٥).

[١٥٤] تفسير الفخر الرازي: ١٤٩/١١-١٥٠.

[١٥٥] الأم: ٥٠/١.

[١٥٦] بدائع الصنائع: ٥٣/١.

[١٥٧] تفسير الفخر الرازي: ١٧٦/١١.

[١٥٨] شرح السنة، حسين بن مسعود البغوي، دار النشر المكتب الإسلامي، دمشق، تحقيق: شعيب الارنؤوط، محمد زهير الشاويش: ١١٣/٢.

(١٥٩) تفسير الفخر الرازي: ١٧٦/١١.

(١٦٠) تفسير الفخر الرازي: ١٧٦/١١.

(١٦١) تفسير الفخر الرازي: ١٧٦/١١.

(١٦٢) سنن الترمذي: ٢١١/١١، برقم ١٢٤.

(١٦٣) صحيح ابن حبان: ٥٩٥/٤.

(١٦٤) تفسير الفخر الرازي: ١٧٦/١١.

(١٦٥) سورة المائدة: جزء من الآية (١٠٦).

(١٦٦) سورة الكهف: جزء من الآية (٧٨).

(١٦٧) سورة الأنعام: جزء من الآية (٩٤).

(١٦٨) سورة البقرة: جزء من الآية (١٨٠).

(١٦٩) تفسير الفخر الرازي: ١٢١/١٢.

(١٧٠) سورة المائدة: جزء من الآية (١٠٦).

(١٧١) قواعد الفقه، محمد عميم الاحسان المجددي البركتي، دار الصدف ببلشرز، كراجي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٨٩.

(١٧٢) تفسير الفخر الرازي: ١٢٣/١٢.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

١. الإبهاج في شرح المنهاج على منهج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي، للإمام الشيخ علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، دراسة وتحقيق: د. احمد جمال الازمزمي، ود.نور الدين عبد الجبار، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية، دبي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

٢. الأحكام في أصول الأحكام، أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣. الأحكام في أصول الأحكام، تأليف الأمام علي بن محمد الأمدي، تحقيق د.سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤. إرشاد الفحول الى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني ت:١٢٥٠هـ، تحقيق: سامي بن العربي الأثري، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ط١: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥. أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي، للدكتور حمد عبيد الكبيسي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٦. أصول الفقه الإسلامي، تأليف الدكتور عبد المجيد محمود مطلوب، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١: ١٤٢٦هـ.

٧. أصول الفقه في نسيجه الجديد، الدكتور مصطفى إبراهيم الزلمي، مطبعة الخنساء، بغداد، ط٩.

٨. أعلام السنن، المظفر احمد ألتهاوني العثماني، ت:١٣٩٤هـ، تحقيق محمد تقي عثماني، المنشورات إدارة القران والعلوم الإسلامية، باكستان: ١٩٠/٧.

٩. الاعلام: ٨/٣.

١٠. البحر الزخار، أبو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ت: ٢٩٢هـ، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، تحقيق: محفوظ عبد الرحمن زين الله.

١١. البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف الزركشي، ت: ٧٤٥هـ، تحقيق الشيخ الدكتور عبد القادر عبد الله العاني، راجعه الدكتور عمر سليمان الشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

١٢. البداية والنهاية، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض، ط١: ١٩٦٦م.

١٣. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة العصرية، لبنان، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٤. تشنيف المسامع لجمع الجوامع، للزركشي، تحقيق: أبي عمرو الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ٢٠٠٠م.

١٥. تفسير الفخر الرازي، المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام محمد الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، ٥٤٤-٦٠٤هـ، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٦. جمع الجوامع، تأليف الإمام تاج الدين السبكي، مطبوع مع حاشية البناني على شرح المحلي، ط٣ مطبعة البابي الحلبي، مصر.

١٧. حاشية العطار على شرح المحلي، حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الأمام احمد بن حنبل رحمه الله، لموفق الدين بن قدامه المقدسي، ت: ٦٢٠هـ، دار الكتاب العربي.

١٩. سنن أبي داود، أبو داود سلمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ت:٢٧٥هـ، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

٢٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن احمد العكبري الدمشقي، ت:١٠٨٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١. شرح السنة، المؤلف حسين بن مسعود البغوي، دار النشر المكتب الإسلامي، دمشق، تحقيق: شعيب الارنوط، ومحمد زهير الشاويش.

٢٢. شرح العضد، لعبد الرحمن بن احمد الأيجي، ت:٧٥٦هـ، على مختصر المنتهى لأبن الحاجب المالكي، ت: ٦٤٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٣. الشرح الكبير، أبو البركات محمد الدردير، تحقيق محمد عليش، دار الفكر، بيروت.

٢٤. شرح الكوكب المنير، لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي، المعروف بإبن النجار، ت:٩٧٢هـ، تحقيق د.محمد الزحيلي، ود. تربة حمادة المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمي والتراث الإسلامي، ١٤٠٨هـ.

٢٥. شرح الورقات من أصول الفقه، عبد الله بن صالح الفوزان.

٢٦. شرح تنقيح الفصول، احمد بن إدريس القرافي، ت:٦٨٤هـ، المطبعة الخيرية، مصر، ١٤٠٦هـ.

٢٧.صحيح البخاري، للعلامة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، ت:٢٥٦هـ، دار طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير ناصر.
٢٨.صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢: ١٣٩٢هـ.
٢٩.طبقات الشافعية، أبو بكر بن احمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبه، ت:٨٥١هـ، علم الكتب، بيروت، ط١: ١٤٠٧هـ.
٣٠.فتح القدير، الكمال بن الهمام، دار الفكر، بيروت.
٣١.القاموس المحيط: لمجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: ٨١٧هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٣٢.كشف الأسرار مع أصول فخر الإسلام البزدوي، لجلال الدين عبد العزيز البخاري، ت١٠٣٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٤٧م.
٣٣.لسان الميزان، للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت.
٣٤.مباحث التخصيص عند الأصوليين، ص٣٥، الدكتور عمر بن عبد العزيز الشيلخاني، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٠م.
٣٥.المبسوط، محمد بن احمد بن أبي سهيل السرخسي، دار المعرفة- بيروت.
٣٦.المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محسن الدين بن شرف النووي، ت:٦٧٦هـ، المطبعة المنيرية.
٣٧.المحصول في علم أصول الفقه، للإمام الأصولي النظار فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣٨.المحلى، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد ابن حزم، ت: ٦٠٦هـ، دار الفكر، بيروت.
٣٩.مختار الصحاح بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت: ٦٦٦هـ، دار الرسالة، الكويت.
٤٠.المستصفى من علوم الأصول، لحجة الإسلام ابي حامد محمد بن محمد الغزالي، ت:٥٠٥هـ، تحقيق إبراهيم محمد رمضان، دار الأرقم، بيروت.

٤١. المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسن البصري المعتزلي، تحقيق خليل الميسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤٢. معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين احمد بن فارس القزويني، ت ٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة ألبابي، مصر، ط٢.

٤٣. المغني في فقه الإمام احمد بن حنبل، أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي، ت:٦٢٠هـ، دار الفكر، بيروت.

٤٤. مواهب الجليل شرح مختصر خليل، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بـ(الخطاب)، ت:٩٥٤هـ، دار الفكر، بيروت.

٤٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت:٨٧٤هـ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٤٦. الهداية شرح بداية المبتدي، الحسن علي بن ابي بكر بن عبد الجليل الرشداني المرغيناني، المكتبة الإسلامية، بيروت.

٤٧. الوجيز في اصول الفقه، الدكتور محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤٨. الوجيز في أصول الفقه، تأليف الدكتور عبد الكريم زيدان، نشر إحسان، طهران، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ط٥.

٤٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت:٦٨١هـ، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

القصة في شعر جميل صدقي الزهاوي

(دراسة فنية موضوعية)

م. م. خالدة عثمان فتاح

كلية التربية ابن الهيثم/ جامعة بغداد

المقدمة

مثل الشعر القصصي أحد الألوان الشعرية التي عبر بها الشعراء ولاسيما في العصر الحديث عن واقعهم السياسي والاجتماعي المتردي، وقد لجأ الشعراء إلى هذا النوع من التعبير الشعري لتحريض الجماهير ضد السلطة القائمة آنذاك والتمرد عليها.

وكان الزهاوي احد الشعراء الذين طرقوا باب الشعر القصصي، فجاء موضوع بحثي هذا تحت عنوان (القصة في شعر جميل صدقي الزهاوي دراسة فنية موضوعية) وقد تناولت فيه مهادا موجزا عن حياة الشاعر ثم درست في الفصل الاول القصة في شعر الزهاوي دراسة موضوعية للقصائد القصصية التي كانت انعكاساً لأهم القضايا السائدة آنذاك كالشعر القصصي الاجتماعي والسياسي فضلا عن بعض الشعر القصصي العاطفي. وقد اختص الفصل الثاني بالدراسة الفنية للقصائد القصصية من حيث البناء الفني والبناء القصصي وأهم العناصر التي تشكلت منها كالشخصية، والحدث، والعقدة، والبيئة. أما فيما يتعلق بالبناء الفني فقد درست اللغة والاسلوب والصور التي تشكلت منها القصائد القصصية والوزن والقافية.

التمهيد
حياة الشاعر

ولادته ونشأته :

ينتمي الشاعر جميل صدقي الزهاوي إلى عائلة كردية «يمتد نسبها فيرتبط بحكام السليمانية، وأمرائها (آل بابان)، الذين لهم صفحات عديدة في تاريخ كردستان»[١]. وقد لقب بالزهاوي نسبة إلى (زهاو)، المنطقة التي هاجر إليها جده وسكنها بسنين عديدة، وتزوج هناك بسيدة زهاوية، ورزق منها بابنه (محمد فيضي) والد الشاعر جميل صدقي الزهاوي. فلحق هذا اللقب بابنه واحفاده بعد ان عاد إلى مسقط رأسه (السليمانية).

ولد جميل صدقي الزهاوي في بغداد في اليوم الثامن عشر من شهر حزيران سنة ١٨٦٣. وكان والده (محمد فيضي) عالما كبيرا متضلعا في مختلف علوم الدين والعربية، فضلا عن كونه شاعرا، أديبا، يجيد عدة لغات منها (العربية، والكردية، والفارسية، والتركية).

وقد شغل في حياته عدة وظائف، فقد عين مدرساً في جامع مسلم في كركوك. ثم أسند إليه منصب (مفتي بغداد) الذي ظل يشغله حتى وفاته سنة ١٨٩٠[٢].

وقد خص الوالد فيه جميل صدقي الزهاوي بعد أن انتزعه من والدته– التي كانت منفصلة عنه– قدراً كبيراً من الاهتمام والرعاية، وأخذ يربيه تربية خاصة فأرسله إلى الكتاب، وهو في الرابعة من عمره فأتم حفظ القرآن الكريم، ثم «أسلمه لبعض طلابه لتدريسه بعض العلوم والمعارف إلا أنه سرعان ما فضل العودة إلى أبيه وراح يدرس عليه تفسير البيضاوي وشرح المواقف وديوان المتنبي»[٣].

وفي هذه المرحلة بدأ على الصبي ميله إلى الأدب والشعر، فأخذ والده ينمي هذه الموهبة فيه ويشجعه عليه، فكان يكافأه على نظمه ولو شطرا من الشعر الموزون، وإن كان غير ذي معنى[٤]. يقول الزهاوي في رسائله للأستاذ أحمد عيش: «وكان يحملني على حفظ أحسن الشعر قائلا إذا أكثرت من استظهار الشعر الجيد فان شعرك سوف يكون من الجودة بمنزلة ما استظهرته»[٥]. ويقول أيضاً: «ومن نصائحه لي عندما شببت فاستطعت نظم القصائد قوله إنك إذا فرغت من نظم القصيدة فاصقلها ثم أنقدها كأنها لغيرك مجردا نفسك من العاطفة فإذا لم يرقك من أبياتها شيء فاحذفه والا أفسد عليك الباقي الجيد»[٦].

ومن هنا فقد أخذ الشاعر يعمل بنصيحة والده حتى بلغ الإجادة في نظم الشعر، وقد ظن الكثيرون ان هذا الشعر لوالده وليس له، يقول «وبلغني وأنا مراهق أن الكثيرين يعتقدون إن هذا الشعر الذي أنسبه إلى نفسي هو لوالدي ينحلني إياه»[٧].

ثقافته :

وعلى الرغم من ولع الزهاوي بالأدب والشعر وحبه له، فانه حاول الولوج في علوم أخرى والاستفادة منها فانه كان «بطبعه ميالا لدراسة قضايا الكون والطبيعة شغوفا بالمسائل الفلسفية»[٨]. لهذا كان كثيرا ما يطالع ما يصدر في المجلات ويقرأ الكتب العلمية والفلسفية المترجمة إلى العربية يقول الزهاوي «وأول مجلة لذتني مطالعتها هي الأجزاء الأولى من المقتطف، وأول الكتب في العلوم العصرية هي مؤلفات فانديك في الفلك وغيره وكتابان ضخمان في الفيسيولوجيا والتشريح مصوران للدكتور ورتبات وكتب أخرى تركية كلها في العلوم العصرية»[٩]. وكلامه هذا دليل على ان اتجاهه كان علميا، وانه أحذ نفسه بمطالعة

هذه الكتب التي لا يقبل عليها إلا أهل التخصص، ويقبلون عليها مسيرين لا عن رغبة وهوى ولذة تحدوهم إليها[١٠] كما انه عني بقراءة كتب اللغة المطولة والروايات المترجمة الى العربية والتركية، فهو يقول: «أما الكتب التي لا يمكنني اليوم ان استغني عنها فهي كتب اللغة المطولة ولا يلذني شيء كقراءة الروايات المترجمة الى العربية او التركية»[١١]. فالشاعر متعدد المواهب فهو شاعر وأديب وفي الوقت نفسه يقبل على دراسة الكتب العلمية والفلسفية المترجمة الى العربية، ومن هنا فان الشاعر لم يكن ضليعا باللغات الأجنبية فهو الى جانب اللغة العربية فقد كان يجيد اللغة التركية. يقول: «انا لا اعرف لغة غربية لأعرف أي الشعراء او الكتاب في الغرب هو الأكبر غير اني قرات بالتركية ترجمة البؤساء لفكتور هيكو في مجلدين ضخمين فاعجبتني وابكتني، وقد قرأت مئات من الروايات المترجمة الى العربية والتركية وكان بعضها بمنتهى الجودة»[١٢].

وظائفه:

شغل الزهاوي في حياته وظائف عدة فقد عين في عام ١٨٨٥ مدرسا في مدرسة (السليمانية)، ثم عين في عام ١٨٨٧ عضوا في مجلس معارف مدينة بغداد، وفي عام ١٨٩٠ عين مديرا بمطبعة بغداد ورئيسا لتحرير القسم العربي في جريدة الزوراء الرسمية ثم ما لبث حتى عين عضوا في محكمة استئناف بغداد[١٣]. وقد تهيأ للشاعر عام ١٨٩٦ الرحيل الى الاستانة (اسطنبول) عاصمة الخلافة العثمانية للبحث عن عمل يليق بكفاءته ومكانته العلمية كما كان يتصور، وقبل المغادرة إلى الاستانة كان عليه ان يعرج إلى مصر أولا، وكانت إقامته في مصر قصيرة ولكنه سعى ليلتقي في تلك المدة القصيرة بنخبة من أدبائها ومفكريها.. التقى هناك بأصحاب المقتطف والهلال، والتقى بمترجم (داروين) والتقى باللغوي الكبير إبراهيم اليازجي وبغيرهم من أعلام العصر في مصر»[١٤].

وفيما كان الشاعر منشغلا في البحث عن عمل في اسطنبول حتى اندلعت الحرب بين الجيشين العثماني واليوناني، وكان النصر للجيش العثماني ولأجل هذا فقد نظم الزهاوي قصيدة بعنوان (الفتح الحميدي)، مدح فيها السلطان (عبد الحميد) حيث قال:

لسلطاننا عبد الحميد سياسةٌ طريقتها في المعضلات هي المثلى

سَللت لنصر الدين سيفَ عزيمةٍ فللتَ بهِ ما لم يكنْ فلهُ سهلا

فجهزت جيشاً للجهادِ عرمرماً قهرتَ به ذاك العدو الذي ولى[١٥]

ونالت هذه القصيدة استحسان الخليفة فأمر بتعيينه واعظا عاما في اليمن وكان ذلك في نهاية عام ١٨٩٧. وبعد ذلك أعيد الى اسطنبول ثانية وفي قلبه الحزن والأسى لما لمسه من ظلم وجور يرتكب بحق أبناء الشعب في اليمن من قبل جلاوزة السلطان، فأخذ ينتقد سياسة السلطان بقصائد كان ينشرها على صفحات جرائد مصر لكن بتواقيع مستعارة وعلى اثر هذا فقد أُوقف الزهاوي ونفي إلى بغداد ووضع تحت الإقامة الجبرية عام ١٩٠٠.

وبعد الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ الذي أيده الزهاوي، عين استاذا للفلسفة الإسلامية في المكتب الملكي وأستاذا للأدب في دار الفنون، حيث أظهر خلال وجوده في اسطنبول نشاطا ملحوظا في قضايا العلم والفلسفة على الرغم من اعتلال صحته بسبب مرضه الذي أصابه في شبابه. ونتيجة تدهور صحته عاد إلى بغداد عام ١٩٠٩ وعين أستاذاً (لمجلة الأحكام العدلية) في مدرسة الحقوق، غير انه عزل من وظيفته هذه على اثر مقالة أصدرها في الدفاع عن المرأة في جريدة (المؤيد الاسبوعي) القاهرية، في عهد الوالي (حسين ناظم باشا) عام ١٩١٠. ثم أعيد إلى وظيفته بعد عزل الوالي (حسين ناظم باشا) وتعيين (جمال بك).

وقد شغل الزهاوي بعد الاحتلال الانكليزي للعراق عام ١٩١٨، عدة وظائف في الوقت نفسه، فقد أختير عضوا في مجلس المعارف الذي تم تشكيله بعد احتلال العراق، وفي عام ١٩٢٠ عين معلما لتدريس اللغة العربية في مدرسة الحقوق، ثم رئيسا للجنة تعريب القوانين التركية، غير أنه ما لبث حتى ألغيت جميع وظائفه عام ١٩٢١[١٦].

وبعد تتويج الأمير فيصل بن الحسين ملكا على العراق ١٩٢١ نظم الزهاوي عدة قصائد حيا فيها الملك لعله يحقق أمنيته في تسنم أحد المناصب الوزارية ولاسيما منصب (وزير المعارف). منها قصيدته التي مطلعها:

انا محيوك فاسلم أيها الملك ومصطفوك لعرش شاءه الفلك[١٧]

غير ان هذا الأمل لم يتحقق له فعزم على مغادرة العراق إلى مصر. وفي مصر نظم قصيدة بعنوان: (الدمع ينطق)، «أثار بعض أبياتها ثائرة علماء الأزهر إذ اعتبروه كافرا ملحدا لأنه أنكر البعث والمعاد»[١٨] يقول:

وسائلة هل بعد أن يعبث البلى بأجسادنا نحيا ونرنو وننطق

فقلت مجيبا إنني لست واثقا بغير الذي حسي له يتحقق

وهيهات لا ترجى الحياة لميت إليه البلى في قبره يتطرق

تقولين يفنى الجسم والروح خالد فهل بخلود الروح عندك موثق

ولهذا فقد عاد إلى بغداد، وفي بغداد حظي الزهاوي بحفل تكريم من قبل أدبائها وكان من بين المحتفلين الشاعر الرصافي، ففرح بهذا التكريم فأنشد قصيدته التي يقول فيها:

وطني الذي فيه ولد ت هو الذي فيه أبيد

عنه على شغفي به أنأى فترجعني العهود

إن لم أذد عن حقوق للعراق فمن يذود

وقد أصدرت الإدارة الملكية عام ١٩٢٥أمراً، بتعيينه عضوا في مجلس الأعيان؛ الأمر الذي كان مبعث سروره وقد مكث في هذا المنصب أربع سنين.

مواقفه السياسية:

للشاعر الزهاوي مواقف سياسية تجاه سياسة الأتراك في البلاد العربية عامة والعراق خاصة، فعندما نشبت الحرب العالمية الأولى كان الزهاوي عضوا في مجلس المبعوثان والذي تشكل عام ١٩١٢ في عهد الوالي (جمال بك) الذي أصبح الزهاوي لصلته المتينة بـ(جمال بك) نائبا عن لواء المنتفك فلما عقد بعض رجال السياسة اجتماعا لمناقشة الوضع العام في البلاد العربية وموقف تركيا من الحرب، حضر هذا الاجتماع أعضاء مجلس المبعوثان الذي كان من بينهم الشاعر الزهاوي، وكان الحاضرون تدفعهم العاطفة الدينية الى مساندة تركيا غير ان الزهاوي كان يرى في انتصار الحلفاء خلاصا من الحكم العثماني بسبب الوعود التي قطعها الانكليز للعرب في نيل الحرية والاستقلال من الدولة العثمانية[١٩].

لهذا مدح الزهاوي الانكليز في بعض قصائده وكان موقفه هذا كما يقول د.ماهر حسن فهمي: «موقف المعبر عن الروح العربية في هذه الأثناء»[٢٠] غير ان الانكليز لم يفوا

بوعودهم في تأسيس حكومة وطنية، كما كان يتطلع العراقيون وبدلا من ذلك فقد تقرر وضع العراق رسميا تحت الانتداب البريطاني. لذا فقد تغير موقف الزهاوي تجاه الانكليز وبدأ يفقد الأمل فيهم. حتى وقعت مذبحة (الرميثة) التي قتل فيها كثيرٌ من الرجال والنساء والأطفال، فانفعل الشاعر لهذه الحادثة فنظم قصيدته (بضاحية الرميثة) يرثي فيها الشهداء ويسجل تضحياتهم من اجل الوطن يقول:

ماذا بضاحية الرميثة من غطارفة جحاجح

ولمن أقيمت في البيوت على كرامتها المنادح

ولأية ندبت من الليل الحمامات الصوادح

قوم الى دار البوار مشوا فمن غاد ورائح

طلبوا مساواة الحقوق فطوحت لهم الطوائح

فزكت دماء قد أريقت فوق هاتيك الأباطح[٢١]

وبعد مجيء السير برسي كوكس الى العراق من اجل التفاوض مع زعماء ثورة العشرين المطالبين باستقلال العراق، ألقى الزهاوي قصيدته التي أثارت ضجة كبيرة إذ قال:

عد للعراق وأصلح منه ما فسدا　　　واثبت به العدل وامنح أهله الرغدا

حبل السياسة قد أمست به عقد　　　فحل انت بايدي رأيك العقدا[٢٢]

وبعد انتهاء الثورة وتشكيل وزارة عبد الرحمن النقيب سارع الزهاوي للانضمام إليه طمعا بان يحظى بمنصب من مناصب الوزارة. غير أن أمله قد تبدد بعد حين.

ويروى أن الملك فيصل بعد تتويجه ملكا على العراق عام ١٩٢١. شاء أن يكون الزهاوي شاعرا له ومؤرخا للعراق معا بعد فصله من وظائفه التي ذكرناها آنفاً غير أنه أبى أن يكون شاعره أما المؤرخية فقبلها. فهو يقول «وبعد أشهر من إلغاء وظائفي وصلني مغلف من البلاط الملكي يبلغني في داخله رئيس الأمناء قد صدرت إدارة جلالة الملك بتعييني شاعرا له براتب شهري قدره ستمائة روبية أعطاها من صندوق البلاط الخاص. فكتبت إليه أني أرفض هذه الوظيفة فلا أريد أن أكون مداحا تلقاء أجرة أعطاها. وإني إذا شاهدت أن جلالته يخدم بلادي أمدحه على خدماته بدون أجرة، وحينئذ يكون لكلماتي تأثير اكبر مما إذا مدحته وأنا أجير»[٢٣].

معاركه الأدبية:

دخل الزهاوي في العديد من المعارك الأدبية مع بعض الشعراء والأدباء نُشِرت على صفحات الجرائد والمجلات التي كانت تصدر آنذاك ولعل أبرز معاركه كانت مع الشاعر الرصافي التي استغلها بعض الأدباء في إثارة احدهما ضد الآخر كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا. ولم تنته جذوة نارها الا بعد صلح قام بينهما بتدخل بعض الأصدقاء.

وفاته:

في ٢٣ شباط عام ١٩٣٦[٢٤] توفي الزهاوي، بعد أن أحس بآلام بصدره، فشارك في تشييعه الوزراء وبعض رجالات الدولة كما شارك الشعراء والأدباء وطلبة المدارس، ثم دفن في مدخل مقبرة الإمام الأعظم في الأعظمية، ورثاه العديد من الشعراء وكان من بينهم الشاعر الرصافي الذي وقف على قبره يبكيه ويرثيه بقوله:

أيها الفيلسوف قد عشت مضنىً ... مثل ميت وصرت بالموت حيا

انت فرد في الفضل حيا وميتا ... حزت في الحالتين ذكرا عليا

سوف ابكي عليك شجوا واني ... بك كنت قد في الحياة شجيا[٢٥]

الفصل الأول
القصة في شعر الزهاوي

قبل الحديث عن القصة في شعر الزهاوي لابد من القاء الضوء على المفهوم العام للقصة لنصل إلى تحديد معنى القصة الشعرية،فالقصة بمفهومها العام هي: «حدث أو مجموعة أحداث متعاقبة يحيطها ويوجهها ظرف زماني ومكاني خاص كما يصنع لها شخوصها ضمن تلك الظروف بحيث تنسجم معها ويغش أحداثها منذ بدايتها إلى أن تدخل مرحلة العقدة والصراع ثم النهاية التي تحسم ذلك الصراع الذي يعيش فيه أبطال القصة خاضعين في تصرفاتهم العقلية الكاتب وتصوره الخاص لمنطق الأحداث»[٢٦].

أما القصة الشعرية «فتحكي حدثا أو مجموعة أحداث تمس حياة الشاعر أو مجتمعه أو الطبيعة المحيطة به بما فيها من أحياء أو جماد قد تجتمع وتتتابع في غرضٍ واحدٍ أو قد تتوزع بين أغراض مختلفة في أهدافها ومعانيها»[٢٧].

والقصة الشعرية تختلف عن القصة بأنها تعتمد الوزن والقافية في عرض الأحداث وسردها، فضلا عما تحمله من دقة وجمال الأسلوب وصدق الأحاسيس بحيث تشد القارئ أو السامع لمتابعة الأحداث، والاختصار والبعد عن التفصيل والتحليل الذي تميزت به القصة النثرية[٢٨].

ولقد كان لهذا النوع من الشعر جذور وأصول بدءاً من العصر الجاهلي[٢٩] فالإسلامي[٣٠] والأموي[٣١] والعباسي[٣٢] حتى العصر الحديث الذي يعد «امتدادا قصصياً واضحا من حيث الأداء والتناسق والأفكار، وقد ظلت أشكال هذه القصص ترتسم في أغراضه وتتضح في معالجته وتتمدد من خلال معانيه. وظل الشعراء ينهجون هذا النهج ويسلكون هذا المسلك التقليدي في الصياغة والمتابعة من أجل الحفاظ على البناء القصصي المرتبط بحياتهم والمستمد من واقعهم الاجتماعي والفكري والحياتي»[٣٣].

وقد عُد الزهاوي أحد الشعراء المعاصرين الذين نظموا في الشعر القصصي فكان نتيجة الأوضاع المضطربة التي انتابت العراق طيلة مدة حكم العثمانيين وما صاحبها من تردٍ في الجوانب الثقافية والاجتماعية دافعاً للفئة الواعية من أبناء الشعب للنهوض في مقدمتهم الشعراء الذين طبعت نفوسهم بالألم والحيرة نتيجة هذه الظروف فخرجت القصائد القصصية «نفثات تعبر عما يكبتون في صدورهم وما يضطرم في ثنايا نفوسهم ووجدانهم وانعكست في تصويرهم لمشاكل المجتمع ومآسيه وآلامه وفي تعبيرهم عن طوايا النفس الإنسانية وقضايا الانسان والعالم ومن ثم في معالجتهم لقضايا السياسة والأحداث العامة»[٣٤].

فضلاً عن هذا فقد اطلع الزهاوي على كثير من الروايات العالمية المترجمة إلى العربية والتركية التي كان يجيدها والتي سنحت له معرفته بهذه اللغة الاطلاع على أدبها الذي «سبق الأدب العراقي في ظهور القصص الشعري»[٣٥].

كما وتأثر الزهاوي في شعره القصصي بشعراء الحقبة الرومانتيكية التي ظهرت في فرنسا في القرن التاسع عشر ما بين عام ١٨٢٠-١٨٣٠م، التي هي «مذهب عاطفي يتغنى بآلام الإنسان وأحياناً بمسراته وهو أدب شخصي يهتم بمشاعر الإنسان الخاصة ويترنم بها وهو مذهب قليل الاحتفال بمجاراة العقل والخضوع لأحكامه ولهذا يكثر فيه التغني بجمال الطبيعة التي يتعزى بجمالها الناس عن آلام الحياة»[٣٦].

وقد اتسمت الرومانتيكية في مرحلتها الأولى بالذاتية الطاغية وفي مرحلتها الثانية بالانغماس في السياسة والاهتمام بصلة الأدب بالأحداث وهي في الحالتين عاطفية موغلة في العاطفية والأحلام(٣٧).

إذن كانت لهذه الأسباب مجتمعة الأثر في ظهور القصة الشعرية عند الزهاوي الذي عد رائداً في هذا المجال.

يقول الأستاذ هلال ناجي في مقدمة الديوان: «الزهاوي أول الشعراء العرب المعاصرين ممارسة للشعر القصصي وقد حذا فيه حذو الروائيين المتأخرين في رواياتهم المفجعة واستوحى ما استوحوه من المآسي البشرية واختار ابطاله فيه، من بين اليتامى والأيامى والثاكلات»(٣٨).

ويقول الزهاوي نفسه: «وقد طرقت باب الشعر القصصي قبل كل أحد في العراق ولي فيه عدد من القصائد ليست دون العشر»(٣٩).

ومن هنا نستطيع أن نقسم شعر الزهاوي القصصي إلى

أ- الشعر القصصي الاجتماعي.

ب- الشعر القصصي السياسي.

ج- الشعر القصصي العاطفي.

أ- **الشعر القصصي الاجتماعي:** وفيه يهاجم الزهاوي تقاليد المجتمع البالية وينتقده بشده منها سوء معاملة المرأة. ولعل قصيدة (أسماء) خير ما يمثل هذا الاتجاه، وذلك من خلال إجبارها على الزواج بمن لا تحب وبمن يكبرها سناً. وتعد هذه القصيدة من أطول النماذج القصصية بأنواعها، فوضعها الزهاوي في اول مجموعته القصصية والقصيدة تتحدث عن فتاة شابة اسمها (أسماء) يجبرها أهلها على الزواج بشيخ كبير السن لا يوافقها سناً ولا عاطفة، وهي في الوقت نفسه مشغوفة بفتى في مثل سنها، اسمه (نعيم). وتبدأ القصيدة بسماع نشيج في آخر الليل:

لمن أنا في تاليك يا ليل أسمع ... نشيجاً له صوت يهب ويهجعُ

وقد يتمادى ساعة ثم ينتهي ... كأن الذي يرخيه قلب مفجعُ

يصعده من داخل كله اسى ... فيبسطه في الليل والليل يجمعُ

ويعلو إلى أن يحسب المرء أنه ... مناج لأبواب السموات يقرعُ

إذا أنـــت لـــم تأخـــذ بضـــبعيه موصـــلا　　إلـــى المـــلأ الأعلـــى فمـــا أنـــت تنفـــعُ(٤٠)

ثم يسأل الشاعر عن سر ذلك النشيج والبكاء فيقول:

ســـألتك مـــن هـــذا الـــذي انـــا ســـامع　　لـــــه فيـــــك إرنانـــــا أتـــــي يتقطـــــعُ

فيـــا ليـــل أنبئنـــي أتلـــك حمامـــة　　تنـــوح علـــى إلـــف نـــأى لـــيس يرجـــعُ(٤١)

فأجابه الليل بأن فتاة الحي (أسماء) قد زوجت مجبرة بشيخ كبير، وهي تهوى فتى من سنها:

فجـــاويني أن الـــذي قـــد ســـمعته　　لـــذو نبـــأ شـــاج لـــه القلـــب يهلـــعُ

وربـــك لـــم تســـجع حمامـــة أيكـــة　　ولكـــن فتـــاة الحـــي (أســـماء) تســـجعُ

لقـــد روعوهـــا ثـــم نامـــت عيـــونهم　　ولـــــيس ســـــواء نـــــائم ومـــــروعُ

وقـــد زوجوهـــا وهـــي غيـــر مريـــدة　　بشـــيخ كبيـــر جـــاء بالمـــال يطمـــعُ

أللشـــيخ تهـــدى وهـــي ترغـــب فـــي فتـــى　　يســـمى (نعيمـــاً) نـــور خديـــه يســـطع(٤٢)

ويرسم الشاعر صورة مأساوية عن ليلة الزفاف من بداية زفافها حتى شربها للسم:

فزفـــت إلـــى الشـــيخ الـــذي لشـــقائها　　أتـــى طالبـــا كيمـــا بهـــا يتمتـــعُ

فقالـــت لـــه لا تـــدن يـــا شـــيخ راغبـــاً　　فأنـــت أبـــي بـــل أنـــت بالســـن أرفـــعُ

فلمـــا رأت أن لا منـــاص يصـــونها　　مـــن الشـــيخ لمـــا أوشـــك الشـــيخ يصـــرعُ

أحالـــت علـــى كـــأس هنـــاك معـــدة　　مـــن الســـم واهتشـــت لهـــا تتجـــرعُ(٤٣)

وقبل أن تموت (أسماء) بعد شربها للسم، تقول مخاطبة نفسها ولومها لخيال (نعيم):

الان اســـترحنا واســـتراحت مـــن الســـرى　　ركـــاب لنـــا تحـــت الحمولـــة تظلـــعُ

الان انتهينـــا مـــن مســـافرة لنـــا　　ببيـــداء قفـــر للـــذي جـــاب تفـــزعُ

الان فرغنـــا مـــن نـــزاع دوامـــة　　يضـــر بحاجـــات الضـــعيف ويوقـــعُ

وألفـــت (نعيمـــاً) والخيـــال مصـــور　　لهـــا واقفـــا مـــن حيـــث لا تتوقـــعُ

فمـــدت يـــدا منهـــا اليـــه مشـــيرة　　وقالـــت بصـــوت راجـــف يتقطـــعُ

أتـــى وحيـــاض المـــوت بينـــي وبينـــه　　وجـــاد بوصـــل منـــه إذ لـــيس ينفـــعُ

نعـــيم إلـــى أســـماء ســـارع وضـــمها　　فـــإن الـــردى يـــدعو وأســـماء تزمـــعُ

لقـــد جئـــت فـــي وقـــت بـــه المـــوت جـــاءني　　وقـــد كنـــت أرجـــو فيـــه أنـــك أســـرعُ

وددت لـــو أن المـــوت يبطـــئ ســـاعة　　لعلـــي مـــن مـــرأى محيـــاك أشـــبعُ

أمـــا قلـــت خـــذني حيـــث شـــئت فـــإنني　　إليـــك وربـــي مـــن بنانـــك أطـــوعُ

حثثتــك مــرات علــى أن تفــر بــي ولكـن لسـوء الحـظ مـا كنـت تسـمعُ[٤٤]

ثم تندب (أسماء) نفسها وتتذكر الطبيعة وتودعها:

غــدا يقــف الأهلــون حــول جنــازتي فتصـــعد أنفـــاس وتنـــزل أدمـــعُ

غـداة غـد يـا لهـف نفسـي علـى غـد يقــام علــى الأكتــاف نعشــي ويرفــعُ

يســار بــه كيمــا يعيــث بــه البلــى إلــى حفــرة كانــت أعــدت ويوضــعُ

غـداً أنـا تحـت الأرض أبلـى وفوقهـا تـرى النـاس وجـه النـاس مـنهم وتسـمعُ

سـلام علـى الـدنيا سـلام علـى المنـى سـلام علـى العـيش الـذي كـان يخـدعُ

سـلام علـى الشـمس التـي هـي فـي غـد علــى فتيــات الحــي دونــي تطلــعُ

ســلام علــى زهــر الربيــع وحســنه ســلام علــى روح بــه يتضــوعُ[٤٥]

وبعد أن يعلم أهل (أسماء) بموت ابنتهم، تبكيها والدتها حرَّ البكاء وتبدأ بلوم نفسها وكذلك والدها لما جنياه على ابنتهم من سوء المصير:

فلمــا بــدا صــبح وشــاعت فجيعــة وصــاح بهــا النــاعون والنــاس اســرعوا

اتـت أمهـا تجثـو علـى جنـب رأسـها وتلطــم حــر الوجــه والوجــه أســفعُ

تقــول لهــا والعــين تهمــي وقلبهــا يكــاد باظفــار الأســى يتقطــعُ

أريحـــانتي إنـــا قتلنـــاك ليتنـــي هلكــت ومــا أبصــرت غصــنك يهــزعُ

وعــض أبوهــا للندامــة كفــه ومــا آن لــه هــذي الندامــة تنفــعُ

بــه غلــة يبكــي لهــا ملــئ جفنــه لعــل البكــا منــه لمــا فيــه ينقــعُ[٤٦]

ويختم الشاعر القصيدة بتصور أثر هذه الفجيعة في نفس حبيبها (نعيم) وهو يسير خلف نعش حبيبته، وكيف اصابه السقم والنحول ومن ثم وفاته ودفنه إلى جوارها:

يقــول نعــيم وهــو إذ ذاك قــابض مــؤخر ســامي الــنعش والــنفس مســرعُ

لقــد ظعــن اليــوم الرفــاق واننــا لنمشــي علــى الآثــار مــنهم نشــيعُ

نشــيع ناســا راحلــين هــم المنــى إلــى بلــد فيــه البلــى ونــودعُ

أكــب نعــيم باكيــا فــوق قبرهــا وقــال فــأبكى كــل مــن كــان يســمعُ

وعــادوا بــه ذا رجفــة يســندونه بهــم لــيس فيــه للســلامة موضــعُ

فعــاد ســقيم الجســم خمســة أشــهر ومــات، كــذاك الحــب بالنــاس يصــنعُ

فــواروه فــي قبــر يجــاور قبرهــا علــى ربــوة، إنــا إلــى الله نرجــعُ[٤٧]

وبهذا اختتم الشاعر القصيدة مصورا فيها مأساة فتاة قتلت أنموذجا لسوء معاملة المرأة في ذلك الوقت.

ومن قصصه الاجتماعية أيضاً قصيدة (سليمى ودجلة) التي تحكي قصة البؤس الذي كان يلاقيه الضعفاء من العاملين في قصور الطبقة الحاكمة والموسرين، وقد صورها في شخصية فتاة صغيرة بريئة ألجأتها الحياة إلى الخدمة في بيوت أحد الضباط كجارية لابنته، وتقع الابنة في مرض يودي بحياتها فتندلع آنذاك نيران الحقد والغضب لتنزل على تلك الصبية لا لذنب سوى ان يد الموت أخطأتها واختارت سيدتها.. فتذوق إذ ذاك مرارة التعذيب والاهانة والاضطهاد من قبل والدة الفتاة الأمر الذي ألجأها إلى أن تلوذ بحياتها إلى أحضان النهر لتضع حداً لمأساتها.

فالشاعر يقدم الشخصيات بأسمائها في الأبيات الخمسة الأولى من القصيدة:

لقد كان في بغداد للشؤم يأمر ... على فرقة من فيلق الترك جعفر
وكان له زوج وكان ركونه ... إليها كثيراً فهي تنهي وتأمر
تسمى زليخاً وهي شمطاء فظة ... من الناس طراً بالقساوة تذكر
وكان له منها فتاة جميلة ... قد اشتهرت واسم الجميلة دلبر
وجارية في بيته شركسية ... تسمى سليمى وهي عذراء معصر[٤٨]

فالشاعر خلال الأبيات المذكورة آنفاً ومن خلال تعريفنا بالشخصيات قدم صورتين متناقضتين عن بطلتي القصة صورة الخير المتمثل بـ(سليمى) الفتاة الشركسية وصورة الشر المتمثل بـ(زليخا) زوجة (جعفر) ووالدة (دلبر) فالشاعر يقدم لنا من خلال هاتين الصورتين فكرة مسبقة عن سلوك شخصياته الذي تفرضه أخلاقهم عليه.

وتموت ابنة (زليخا) ومن هنا يبدأ الصراع بينها وبين (سليمى) فتحزن عليها أمها أشد الحزن كما تبكيها (سليمى):

بكتها سليمى بالدموع غزيرة ... وبات عليها قلبها يتفطر[٤٩]

فمصيبة الأم تشعل نار الغيرة والكراهية من (سليمى) لا لشيء إلا أنها بقيت حية وماتت ابنتها.

ثم يصور الشاعر أوهام الأم وما تحدث بها نفسها من أن (سليمى) خدعت الموت الذي كان يقصدها هي ودلتها على (دلبر):

وظنـــي إن المـــوت كـــان قاصـــداً سـليمى فقالـت إننـي أنـا دلبـر (٥٠)

وتتبع (زليخا) التي أصبحت شبه مجنونة أوهامها فتحاول تشويه جمال (سليمى) فتقول:

ســأجزيك شــراً بالــذي قــد عملتــه مــن الشــر إنــي يــا سـليمى لأقــدر

أشــــوه وجهــــا طالمــــا بجمالــــه فتنــت عيونــاً نحــو وجهــك تنظــر (٥١)

ثم تقوم (زليخا) بقص حواجب (سليمى) وأهدابها وعقائصها فتشعر الفتاة باليأس والحزن فتقرر الخلاص من هذا العذاب والحزن الذي سببته لها (زليخا) بالانتحار في نهر دجلة بعد أن رأت أن كل شيء في الطبيعة جميلا سواها:

رأت كــل شــيء فــي الطبيعــة غيرهــا جمــيلاً بــه تجلــى العيــون وتبهــر ٥٢

ثم أخذت سليمى تفكر في مصيرها من خلال حديثها مع البدر:

ألا أيهــــا البــــدر المنــــور إننــــي ســأبلى وبعــدي هكــذا أنــت تســفر

لأنــت سـعيد أيهـا البـدر فـالتمع كمـا شـئت لا زالـت بـك الأرض تزهـر

وداعــاً فــإني أيهــا البــدر لأتــرع إلـى المـوت مـن هـذا المكـان سـأطفر

رمـت نفسـها فـي دجلـة فاختفـت بهـا كـأن لـم تكـن شيئاً علـى الأرض يـذكر (٥٣)

وينهي الشاعرالقصة بتأملات في تصاريف الحياة وتحولها من لحظات حياة زاخرة بالعاطفة والأمل إلى حياة مسلوبة من كل شيء وثم إلى جسد فارقته الحياة:

تفكــرت فــي أمــر الحيــاة فمــا الــذي تعلمــــت منــــه أيهــــا المتفكــــر

تــرى زهــرة قــد أعجــب العــين لونهــا وفــاح لهــا فــي الــروض عــرف معطــر

تهــب عليهــا الــريح مــن بعــد ســاعة فتســـقط مـــن أوراقهـــا وتبعثـــر (٥٤)

ب- الشعر القصصي السياسي: وفيه صور الشاعر معاناة أبناء الشعب وصراعه مع السلطة الحاكمة في سبيل استرداد حريته وكرامته.

وكان للشعر السياسي أثر في توعية الجماهير وتوجيه انظارهم نحو تسلط العثمانيين وسوء ادارتهم ومن ثم التمرد عليهم.

وقد نظم الزهاوي في الشعر القصصي السياسي قصائد منها (طاغية بغداد) و(أرملة الجندي)، و(مقتل ليلى والربيع) و(سعاد بعد زوجها)، و(إلى فزان).

وقد جسدت هذه القصائد روح الثورة والتحريض والتمرد ضد السلطة القائمة آنذاك بتنوع قصصها واختلاف أبطالها.

وقصيدة (أرملة الجندي) كأنموذج للشعر السياسي عند الزهاوي. ويحاول الشاعر فيها أن ينقل صورة واقعية لمأساة أسرة تتعرض لنائبة مأساوية نتيجة للأوضاع السياسية وسوء الإدارة.

ألا إنما هذا الذي لك أنقلُ   له مثلما أرويه أصل مؤصلُ(٥٥)

والقصيدة تحكي قصة أسرة تفقد معيلها وهو الزوج الذي يعمل ضابطاً في الجيش التركي، فيقضي نحبه ويترك زوجة وولداً. ثم تصاب الزوجة بعد ذلك بمرض السل:

قضى أحد الضباط في الحرب نحبه   وكان إذا دارت رحى الحرب يسبل

وخلف زوجا قلبها رهن حبه   وكان له قلب بها متشغل

من اللاء لم يأتين فاحشة ولا   رمين بما منه العقائل تخجل

نوار كشخص للعفاف مجسم   فان ذكر الناس العفاف تمثل

ترقرق ماء الحسن في وجهها الذي   حكى الزهر في البستان أو هو أجمل

فجّل لفقدان الوليّ مصابها   وباتت تناجي الهم والعين تهمل

ولازم حمى السل ناعم جسمها   فأمست على رغم الشبيبة تنحل(٥٦)

وقد اضطرت نتيجة مداهمتها العوز والحاجة إلى أن تبيع أثاث بيتها:

وفاجأها فقرا فباعت لدفعه   أثاثاً به قد كانت الدار تجمل

إلى أن تخلى البيت من كل ما به   ولم يبق فيه ما يباع وينقل

تجنبها الأدنى وكل لداتها   وأعرض عنها جارها المتمول

هنالك أبدى الجوع ناجذه لها   وزاد بها الداء الذي هو معضل

فسارت على ريث توءم محلة   ترجي بها خيرا لها وتؤمل

تزجي لها طفلا جميلا أمامها   كما تستحث الخشف أدماء مغزل(٥٧)

ثم تقصد الأم دار الحكومة للمطالبة بالرواتب المتأخرة لتقاعد الزوج فيشتمها ويقسو عليها الموظف القائم على الرواتب لا لشيء سوى انها طالبت بحقها، ولم تعد إلا بالنزر القليل وقد زادها ذلك سقما على سقمها:

تروح إلى دار الحكومة تبتغي   لها راتبا مستأخرا ليس يحصل

ريـــالان بعـــد الـــزوج قـــد رتبـــا لهـــا وذلـــك نـــزر لـــيس بـــالعيش يكفـــل
تقــول لــذي أمــر علــى المــال ســيدي إليـــك بجـــاه المصـــطفى أتوســـل
أنلنـــي بفضـــل منـــك حقـــي فإننـــا جيـــاع إذا لـــم يعـــط مـــن أيـــن نأكـــل
فأوســـــعها شــــــتماً ورد ســــــؤالها وقـــال لهـــا مـــوتي طـــوى لســـت أبـــذل
فعـــادت علـــى يـــأس لهـــا ملـــئ قلبهـــا وقـــــد خنقتهـــــا عبـــــرة تتغلغـــــل
أمالـــك أمـــر المـــال إنـــك زدتهـــا ســـقاما علـــى ســـقم أقلـــك جنـــدل(٥٨)

وفي ظلمة الليل لم تجد ما تأكله مع ابنها أحمد ولم تجد زيتا للمصباح فباتت في ظلمة الليل وتمنت الموت وعدته خلاصا مريحا وانه سيهيئ لها لقاء زوجها (صادق) وبدأت تتخيل صادقا أمامها وتخاطبه وتكتشف بعد ذلك أنه شبح وليس حقيقة:

وآبـت إلـى المـأوى وباتـت علـى طـوى تكابـــد طـــول الليـــل والليـــل أليـــل
واعوزهـــا زيـــت تنيـــر مكانهـــا بـــه والـــدجى سجف علـى الأرض مسبل
علـــى فمهـــا بـــان ابتســـام كأنهـــا تشـــاهد شـــخص الـــزوج فيمـــا تخيـــل
تـــراه قريـــب الأرض فـــي الجـــو واقفـــا فـــلا هـــو يســـتعلي ولا هـــو ينـــزل
فمـــدت يـــدا نحـــو الخيـــال مشـــيرة إليـــه وقالـــت وهـــي فـــي الوقـــت تســـعل
بربـــك أنبئنـــي إنـــك (صـــادقي) قـــد ازدرت أم أنـــت الخيـــال الممثـــل
وغـــاب فقالـــت آه بـــل أنـــت ميـــت ولكنمـــا روحـــي عليـــك ســـتقبل(٥٩)

وفتك الجوع بابنها (أحمد) حتى أُغمي عليه، فبدأت أمه تعول وتستغيث ثم أنجدتها جارتها بما تيسر ما كان موجودا في بيتها لسد رمقه فتغذى ونام، حتى لجأت الأم في الصباح إلى طلب العون وهي مترددة:

وأغمـــي مـــن جـــوع علـــى الطفـــل أحمـــد فصـــاحت أغـــث ربـــي عليـــك المعـــول
أطلـــت عليهـــا عنـــد ذلـــك جـــارة لـــتعلم مـــن فـــي ظلمـــة الليـــل يعـــول
فجـــاءت إليهـــا بالســـراج ونبهـــت قـــوى الطفـــل حتـــى عـــاد يرنـــو ويعقـــل
غذتـــه بمـــا جـــاءت بـــه مـــن مقرهـــا فنـــام وباتـــت أمـــه تتملـــل
إلـــى الصـــبح حتـــى بـــان فانطلقـــت إلـــى محـــل بـــه أهـــل المبـــرة تنـــزل
تمـــد يمينـــا للســـؤال ضـــعيفة وتخجـــل مـــنهم حينمـــا هـــي تســـأل
أأرملـــة الجنـــدي لا تخجلـــي فمـــن حقـــوق العلـــي ان الحكومـــة تخجـــل(٦٠)

وبهذا يختم الشاعر القصيدة بمهاجمة الحكومة ويحملها مسؤولية عذاب هذه المرأة التي جنت السلطة عليها وعلى ابنها آنذاك.

وقد انتقد الشاعر في قصيدته (طاغية بغداد)، الوالي (ناظم باشا) إذ بدأ قصيدته (قصته) بتقديم عدة صفات متناقضة للشخصية:

جاء عجزاً يزري وجاء اقتدارا   وتردى شناعة وفخارا

عامل الناس بالعدالة والظلم   فكانوا   يلقون نوراً ونارا

جر عزاً إلى العراق وذلاً   وحياة لأهله وبوارا

غرب الأبرياء وبث الجواسيس   على الناس   أسعف الفجارا(٦١)

ثم يقدم الشاعر صورة سلبية لأخلاقيات هذا الوالي الذي لا يراعي الذمم فيحاول الاعتداء على فتاة نصرانية:

رام هتكاً لما تصون فتاة   كسبت في أمر العفاف اشتهارا

اسمها سارة وتلك فتاة   رزقت صيتاً طبق الأقطارا(٦٢)

ويحاول الوصول إلى الفتاة عن طريق تزويجها بخادمه ليحقق مآربه الخبيثة:

شاء تزويجها بخادمه   فانتهرته   فلازم الإصرارا

كان من قصده التمتع سراً   واقتراح التزويج كان جهارا(٦٣)

فتقرر الفتاة الانتحار للخلاص من ضغط الوالي، غير أن بعضهم يشير عليها بالهرب إلى (بوشير):

فأشارت إلى السماء وقالت   لا تشأ لي يا رب هذا الشنارا

ربي إني ضعيفة فأجرني   من قوي يسوم عرضي احتقارا

ما لقلبي كأنه بركان   هاج بعد الخمود منه وثارا

أحضروا لي يا أهل بغداد قبراً   ان جسمي خير له أن يوارى

وأرادت لما ألح عليها   ذلك الوالي المستبد انتحارا

غير أن الأهلين قد حسنوا أن   تبرح الأهل خفية والديارا

فهجرت للنجاة موطنها المحبوب   والمال كله والعقارا

رافقتها اثنتان من راهبات   الدير حفظاً لشخصها أن يضارا(٦٤)

وفي نهاية القصة يسخر الشاعر من الوالي، وينصحه أن يذهب إلى (سلانيك) إذ يجد ما يريده من تحلل وتفسخ ورقص وخمر:

أيهـا المصلح الكبير أهذا ... ما يسميه بعضهم إعمارا

خاب فال الدستور إن كان أهلوه ضعافاً لا يحفظون الذمارا

سر جليلاً إلى سلانيك عنا ... ان فيها كواعباً أبكارا

إن فيها لهواً وكأساً دهاقاً ... وبناناً تحرك الأوتارا(٦٥)

غير أن الشعوب لن ترضى بالذل والهوان والاستعباد:

غير أن الأهلين فيها أباة ... لا يطيقون ذلة وصغارا٦٦

ويحذر الشاعر من غضب الشعب الذي أشار إليه في بداية القصة:

أيها المستبد في الأمر أيها ... لا تحارب بظلمك الأحرارا

إنهم قد أبوا ومن ضيم يأبى ... حكم عبد الحميد إذ هو جارا

كيف يرضون أن يعيشوا مع الدستور فيهم كما تشاء أسارى(٦٧)

أما قصيدة (إلى فزان) فهي تحكي قصة رجل يدعى (نديم)، يرسل إلى المنفى يترك خلفه زوجة وولداً، فتحزن الزوجة أشد الحزن، حتى يصيبها الجنون، ثم تموت.

في ليلة من ليالي الشتاء الباردة حيث الريح والمطر، تسمع سعدى طرقاً على الباب:

شتاء وريح في دجى الليل زعزع ... يكاد بها سقف المنازل يقلع

ورعد يصم الأذن وصوت دويه ... وبرق سحاب بالتتابع يلمع

لقد سمعت في ليلة مثل هذه ... إلى الباب سعدى أنه كان يقرع(٦٨)

فتوقظ زوجها (نديم) فيسأل عن الطارق:

وسائل من هذا الذي جاء طارقا ... بحالك ليل كل ما فيه مفزع

أجيب أن افتح يا نديم فإننا ... بأمر من الوالي أتيناك نسرع

وسر معنا واحضر إليه معجلا ... خطاك فما في القوت فضل يضيع(٦٩)

ثم يترجاهم (نديم) إلى أن يمهلوه حتى الصباح، فيرفض طلبه:

فقالوا له لا ريث في الأمر والذي ... تعذرت يا هذا به ليس ينفع(٧٠)

ثم يطمئن (نديم) زوجته (سعدى) ويخبرها بأنه سوف يعود إليها في الصباح الباكر:

فقال لسعدى إنني بعد ساعة إليك فلا تخشي عليّ سأرجع[٧١]

ويتساءل (نديم) طول الطريق عن سبب استدعائه:

وفكر طول الدرب في السبب الذي دعاه إلى الوالي ولا شيء ينفع

ترى هل شكاني من شرير أو افترى عدو بضربي فادح ممتع

ثم يفاجأ (نديم) بأنه سينفى إلى فزان:

فباغته ذاك الرئيس بقوله لأنت إلى فزان تنفى وتدفع[٧٢]

ثم يحاول (نديم) الدفاع عن نفسه بلا جدوى:

وربك ما هذا صحيحاً وإنه لما افتراه المرجفون وابدعوا

ترفق فإني ذو عيال إذا خلا مكان ماتوا في المجاعة اجمع

فقال له لا تكترث فإنما إرادة مولانا بنفيك تقطع[٧٣]

فيساق (نديم) إلى منفاه، ويطول انتظار زوجه (سعدى) فيزداد قلقها عليه، فتبث شكواها إلى أمها:

فأركب بعد السجن في الصبح بغلة تساق حثيثاً وهو يبكي ويجزع

مضت ساعة من بعد أخرى مخوفة ولكن نديم ليس للدار يرجع

فزاد الذي في قلب سعدى من الأسى عليه وأمسى فكرها يتوزع

تقول باشفاق وفي كل ساعة إلى الباب من شباكها تتطلع

تأخر يا أماه بعد ذهابه نديم وإن الصبح قد كاد يطلع

وما طلب الوالي نديماً وما له لعمرك في شأن الحكومة اصبع[٧٤]

وفي الصباح عندما أخبر صديق من الجيران (سعدى) بنفي زوجها:

فصاحت لنفسي الويل مما أصابني لقد كان واحراه ما كنت أفزع[٧٥]

فألمت بها حمى جنت على إثرها ردحاً من الزمن، حتى ماتت:

وبعد قليل مر من نفي زوجها ألمت بها حمى تهد وتصرع

فجنت بها واختل فيها شعورها زماناً إلى أن جاءها الموت يسرع[٧٦]

ويبين الشاعر على لسان الزوجة الغرض من القصة وهو استخفاف الحكومة بحياة الناس والتلاعب بمصيرهم لمجرد الشبهة:

قـد استسـهلوا نفـي امـرئ وليسـألوا فـؤادي عـن الهـم أتجـرع(٧٧)

ويشير الشاعر في قصيدته (مقتل ليلى والربيع) إلى الاعتداء على الناس في حريتهم الشخصية وحرمانهم من سعادتهم البسيطة، فهو يبدأ القصيدة بوصف الربيع والطبيعة:

إن الربيـع لسـيد الأزمـان فيـه تـتم لـذاذة الإنسـان(٧٨)

وفي هذا الجو الربيعي تخرج ثلاث فتيات للتمتع بجمال الطبيعة، ويصنعن من الزهور القلائد والتيجان:

فـي مثـل ذلـك مـن زمـان مـبهج تمشـي ثـلاث كواعـب أخـدان

ليلـى وترباهـا سـعاد وزينـب يمـرحن فـوق مناكـب الكثبـان

مثـل الـدمى بـل فائقـات للـدمى فـي منطـق عـذب وحسـن بيـان

متلاعبـات فـوق أذيـال الربـى وشـعابها كتلاعـب الغـزلان

يـنظمن فـي سـمط الحريـر أزهـارا فينطنهـا بـالرأس كالتيجـان

ويضـعن فيهـا فـي الرقـاب قلائـداً تـزري بعقـد الـدر والمرجـان(٧٩)

وعندما تمشي الفتيات مبتعدات عن خيامهن، يفاجأن بثلاثة فرسان مدججين يحاولون الاعتداء عليهن، فيدب الخوف قلب الفتيات، ثم تتذكر (ليلى) خطيبها (سعد) العشيرة نجل رئيس بني حردان، وفجأة يظهر (سعد) فتستغيث به (ليلى)، وتقول:

قالـت أغـث يـا سـعد إنـا نحتمـي بـل مـن أولاء الطغمـة الخـوان(٨٠)

فحل عليهم (سعد) بالرمح والسيف وقابلوه بالرصاص، حتى أصابت إحدى الرصاصات (ليلى):

فخـلا لهـا ولكـن أصـابت رميـة ليلـى قضـت منهـا لبضـع ثـوان

صـرخت لمصـرعها سـعاد وزينـب جزعـاً يـذيب القلـب بـالأحزان(٨١)

ثم يثور عليهم (سعد) العشيرة، ويقتل الفرسان الثلاثة:

فهنـاك شـد عليهمـا بعزيمـة سـعد كليـث خـادر غضـبان(٨٢)

وتندب الأم والنسوة (ليلى) بعد أن حُمِل جثمانها إلى مضارب العشيرة:

والأم بـــــين نـــــوائح ونــــوادب   شـمطاء تزفـر مــن أحـر جنــان[٨٣]

وينهي الشاعر القصة بالتعرف على أحد الرجال الثلاثة بأنه موظف حكومي من الذين يتجولون في المدن والقرى والأحياء لغرض فرض الضرائب على البيوت والمساكن وما دام قد عينه الوالي الذي ينوب عن السلطان فعلى السلطان أن يتحمل تبعة ذلك:

وتبينـــوا احـــد الـــرؤوس فـــأيقنوا   إن ذاك رأس معـــــدد الـــــديران

قـــد جـــاء متخـــذا وظيفتـــه   من   الـــوالي وكيـــل جلالـــة الســـلطان

مـــا زال مـــذ ورد القضـــاء معـــدداً   مـــع حارســـين مـــلازم الـــدوران

فجـزى القضــاء بــأن يمـوت بخبثـه   موتـــاً يخازيـــه مـــدى الأزمـــان[٨٤]

أما قصيدة (سعاد بعد زوجها) فهي تحكي قصة رجل مسافر تمرض زوجته بغيابه فتبعث برسالة تخبره مرضها، فلم يأتِ منه جواب، فيبدأ قلق الزوجة فتبث شكواها لأمها:

كـــل الـــذين عـــن المـــواطن غـــابوا   يــــا أم إلا أحمــــداً قــــد آبــــوا

يــا أم قــد جــاء البريــد ولــم يجِــئ   مـــن أحمـــد يـــا أم بعـــد كتـــاب

أخبرتـــه يـــا أم فـــي كتبـــي لـــه   إنـــي مرضـــت فلـــم يـــواف جـــواب

مـــا كـــان ظنـــي أن أحمـــد مزمـــع   عنـــي رحـــيلاً لـــيس منـــه مـــآب

يـــا أم أنـــي اليـــوم صـــرت بأحمـــد   بعـــد الوثـــوق بعـــده ارتيـــاب[٨٥]

ثم تبدأ أمها (خولة) بطمأنتها:

قالـــت لهـــا الأم الشـــفيقة خولـــة   مـــا كـــل ظـــن يـــا ســـعاد صـــواب[٨٦]

وفي المساء تزور (سعاد) صديقتها (رباب) لتخبرها بالأمر اليقين:

قالـــت عـــزاءك يـــا ســـعاد تجلـــدي   فلقـــد تقـــوض للرجـــاء قبـــاب

إن اللصـــوص أتـــوا بليـــل أحمـــداً   واغتالـــه طمـــع لهـــم غـــلاب

قـــد جـــاء فـــي هـــذا لزوجـــي قاســـم   مـــن صـــاحب هـــذا الصـــباح كتـــاب[٨٧]

ثم يصور الشاعر (سعاد) وما حل بها بعد سماعها للنبأ:

أخـــذت ســـعاداً رجفـــة عصـــبية   مـــن هـــول مـــا ســـمعت وضـــاع صـــواب

فكانمـــا نبـــأ الفجيعـــة جـــذوة   وكأنمـــا إخبارهـــا إلهـــاب

من بعد ما احترقت بها انقضت كما ... ينقض من كبد السماء شهاب
وتقلبت فوق التراب كأنها ... حمل تعجل ذبحه القصاب[٨٨]

ويرى الشاعر أن من واجب الحكومة حماية الناس ودرأ الأذى عنهم، فيقول ساخراً على لسان الزوجة:

يا أحمد أثبت في مكانك باسلا ... لا يوهننك منهم الإرهاب
كن حيث أنت ولا تخف ستجيء من ... قبل الحكومة ذادة أنجاب
تأتي لخفرك بعد عشر دقائق ... منهم كهول لا تني وشباب
وسيقبضون على اللصوص وتنتحي ... بهم السجون وإن ذاك عقاب[٨٩]

ويصرخ الشاعر على لسان الزوجة بوجه الحكومة ورجالها الذين ناموا فيقول:

أين الحكومة أين أين رجالها ... ناموا ونوم أولي الحراسة عاب[٩٠]

وفي نهاية القصة تحاول صديقتها (خولة) أن تسليها بلا جدوى، فيقضي عليها الحزن:

حتى قضت حزنا وذلك بعدما ... عبثت بناعم جسمها الأوصاب
فتبوأت جدثا به نامت سقى ... جدثا به نامت سعاد سحاب
كانت كعابا في غصون شبابها ... لو أخر الموت الزؤام شباب[٩١]

لقد عكست قصص الزهاوي السياسي الحس الرومانتيكي الذي يصف معاناة الإنسان ويدعو إلى الثورة.

ج- الشعر القصصي العاطفي:

وهذا النوع من القصص الشعري يجسد فيها المشاعر الانسانية وهو نوعا ما يفتقد الى الصراع ويغلب عليه وصف مشاعر وأحاسيس أشخاص في مواقف متباينة. وقد تجسد هذا النوع في قصيدة الزهاوي (على قبر ابنتها)، وفيها يشير إلى القدر الذي يمثل العامل الرئيس المؤثر في مأساة الأم التي تموت ابنتها ساعة الوضع.والقصيدة تبدأ بوصف الأم لابنتها وهي مازالت طفلة:

نبتت مثل زهرة الاقحوان ... في ربيع الهوى بروض الأماني
نبتت فيه وهي ذات ابتسام ... فسقيت ابتسامها بحناني

كلمـــا طـــال خوطهـــا بشـــرت قلبي بقـــرب اتســـاقة العينـــان[٩٢]

وفي المقطع الثاني يذكر الشاعر كيف تترعرع هذه الفتاة الصغيرة أمام عيني أمها كل ذلك يأتي على لسان الأم وتكبر الفتاة وتصبح ناضجة، وهذا ما نلاحظه في المقطع الثالث:

ابنتـــي قـــد شـــبت مـــع الأيـــام فهـــي اليـــوم مثـــل بـــدر التمـــام

انجـــزت مـــن دروســـها مابـــه امتـــا زت علـــى الغيـــر مـــن بنـــات الكـــرام

وفشـــا صـــيت حســـنها يتمشـــى مـــع ذكـــر العفـــاف بـــين الأنـــام[٩٣]

وفي المقطع نفسه يزف نبأ زواجها وحملها:

ثـــم زفـــت إلـــى كـــريم عروســـا مـــا بهـــا مـــن غميـــزة أو ذم

وبـــدا حملهـــا فقلنـــا جميعـــا أثمـــر الغصـــن فهـــو ذو أكمـــام

وحمـــدنا علـــى المســـرات دهـــرا هـــو فـــاعلم لنـــا ألـــد الخصـــام

وفرحنـــا ثـــم انتظرنـــا فجـــاءت بعـــد تعـــداد أشـــهر بغـــلام[٩٤]

وبعد هذه البداية السعيدة، سعادة الأم بابنتها وهي تنمو وتكبر وتتزوج وتحمل، تأتي النهاية المأساوية للأم وذلك بموت ابنتها ساعة الوضع،وهو ما لم يهيىء الشاعر أذهاننا لتلقي مثل هذا الحدث المفاجىء غير المتوقع:

وضـــعته وبعـــد أن وضـــعته أغمضـــت عينيهـــا كمـــا فـــي المنـــام

رقـــدة قـــد طالـــت وطـــال انتظـــاري لانتهـــاء يـــأتي لهـــا وختـــام[٩٥]

ويصور الشاعر مدى اضطراب الام بعد وفاة ابنتها وهي تكرر مناداتها من النوم الذي هو في الواقع النوم الأبدي:

يـــا ابنتـــي الشـــمس آذنـــت بالشـــروق فـــايقظي مـــن هـــذا الرقـــاد العميـــق

يـــا ابنتـــي يـــا ابنتـــي صـــديقتك الشمس اســـتفاقت مـــن نومهـــا فاســـتفيقي

والعصـــافير يـــا ابنتـــي تتغنـــى للضحى فوق كل غصن رشيق[٩٦]

ثم تصحو الأم من غيبوبتها واضطرابها لتدرك أن القبر قد ضم ابنتها:

يـــا ابنـــة القبـــر امـــك القبـــر تـــأتي مـــا ينـــافي مـــودة الامهـــات

أمـــك القبـــر لا تصـــون كمـــا أر جـــو ملاحـــات تلكـــم الوجنـــات

يـــا ابنـــة القبـــر أنـــت مـــن بعـــد حـــين يـــا ابنـــة القبـــر فيـــه بعـــض الرفـــات[٩٧]

وتنتهي القصيدة بمخاطبة الأم للقبر:

أيهـــا القبـــر هـــل علمـــت بـــأني	**قبـــل مـــوتي دفنـــت فيـــك حيـــاتي**
عبراتـــــي عليـــــك تهمـــــي ولكـــــن	**أنـــت لا تســـتفيد مـــن عبراتـــي**[98]

الفصل الثاني
الدراسة الفنية

أ- البناء القصصي

١- الشخصية

تعد الشخصية أهم عنصر من عناصر الفن القصصي، بل هي العنصر الأول فيه(٩٩)، فهي تثير اهتمام القارئ وتستحوذ على مشاعره وتستقطب انتباهه. ولاسيما إذا ما أحسن المبدع خلق شخصياته ورسم الأدوار لها.

وتكون علاقة الشخصية مع باقي العناصر الأخرى كالسرد والحوار والوصف وما يتكون منها نسيج القصة من أهم العلائق التي تهدف إلى إقامة البناء القصصي وتحدد وجهته واتمام الفعل فيه.

وقد يلجأ الكاتب في تقديم شخصياته إلى وسائل مباشرة (الطريقة التحليلية)، وأخرى غير مباشرة (الطريقة التمثيلية). ففي الحالة الأولى يرسم شخصياته من الخارج، ويشرح عواطفها ونوازعها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقب على بعض تصرفاتها، ويفسر البعض الآخر، وكثيراً ما يعطينا رأيه فيها، صريحاً دون ما التواء. أما الحالة الثانية، فإنه ينحي نفسه جانباً، ليتيح لشخصيته أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها، بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة. وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها، عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها، وتعليقها على اعمالها(١٠٠).

كما ان القصة نوعان من الشخصيات هي الشخصيات المسطحة، والشخصيات النامية، ففي النوع الأول، تبنى فيه الشخصية عادة حول فكرة واحدة أو صفة لا تتغير طوال القصة، فلا تؤثر فيها الحوادث، ولا تأخذ منها شيئاً.

أما الشخصيات النامية فهي التي تكشف لنا تدريجياً خلال القصة، وتتطور بتطور حوادثها ويكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث. وقد يكون هذا التفاعل ظاهراً أو خفياً وقد ينتهي بالغلبة أو الاخفاق(١٠١).

أما شخصيات الزهاوي فهي في الأغلب شخصيات خيالية رسمها الشاعر للتعبير عن واقع سياسي أو اجتماعي أو رومانسي.

ويعمد الشاعر في أغلب قصائده القصصية إلى الكشف عن الشخصية وتقديمها إلينا عن طريق الوصف. ففي قصيدته (أسماء)، يصف لنا الجو النفسي للشخصية قبل أن يعرفنا بها عندما يقول:

لمن أنا في تاليك يا ليل أسمع	**نشيجاً له صوت يهب ويهجعُ**
وقد يتمادى ساعة ثم ينتهي	**كأن الذي يرخيه قلب مفجعُ**
يصعده من داخل كله اسى	**فيبسطه في الليل والليل يجمعُ**
ويعلو إلى أن يحسب المرء أنه	**مناج لأبواب السموات يقرعُ**

ثم يعرفنا الشاعر بالشخصية ويفصح عن اسمها بعد أن يسأل الليل عنها وعن سبب بكائها:

سألتك من هذا الذي أنا سامع	**له فيك إرناناً أتى يتقطع**
فجاوبني أن الذي قد سمعته	**لذو نبأ شاج له القلب يهلع**
وربك لم تسجع حمامة أيكة	**ولكن فتاة الحي أسماء تسجع**

وبعد تعريفنا بـ(أسماء) وسبب بكائها، تبرز لنا الشخصية الثانية في القصة وهي شخصية (الشيخ):

وقد زوجوها وهي غير مريدة	**بشيخ كبير جاء بالمال يطمعُ**
وفي الدار أزواج له غير هذه	**ثلاث فود الشيخ لو هن أربع**
ومن بعد أيام تزف لبيته	**فتعنوا لحكم الشيخ فيه وتخضع**

ثم يأتي دور (نعيم) الفتى الذي تهواه (أسماء) وترغب بالزواج منه، فيقدم لنا هذه الشخصية عن طريق وصف المظهر الخارجي له، وبيان حالته النفسية بعد سماعه خبر زواج حبيبته (أسماء):

أللشيخ تهدى وهي ترغب في فتى	**يسمى (نعيماً) نور خديه يسطع**

فتى هو يهواها وينزع نحوها   كما هي تهواه كما هي تنزع

وقد أخبروه الأمر فهو من الأسى   سقيم وما فيه المداواة تنجع

له صرخة في الليل إن نام أهله   تكاد لها صم الجبال تصدع

فجاء التسلسل في تقديم الشخصيات الثلاث في القصة على نحو يتسق مع سياق النص.

وقد لجأ الشاعر إلى أسلوب الحوار بين الشخصيات للكشف عن سلوكها وتصرفها وطريقة تفكيرها كالحوار الذي حصل بين (أسماء) و(الشيخ):

فزفت إلى الشيخ الذي لشقائها   أتى طالبا كيما بها يتمتعُ

فقالت له لا تدن يا شيخ راغباً   فأنت أبي بل أنت بالسن أرفعُ

فإن كان منك الشيب ليس برادع   لجهلك يا هذا فإني أردع

ولكن ما بالشيخ من شهوة غلت   أبى ان يعاف الشيخ ما هو مزمع

فقطب منع الوجه ينفخ غاضباً   ومد يديه جاذباً وهي تدفع

يقول لها أسماء انت حليلتي   ولابد من أن الحليلة تخضع

أحلك لي رب السموات إنه   حكيم وإن الحق ما هو يشرع

وتتطور الشخصيات وتنمو بتطور الأحداث، فبعد شرب (أسماء) للسم وموتها، تندب أم أسماء وتبكي ابنتها بعد ان ارغموها على الزواج بالشيخ.

فلما بدا صبح وشاعت فجيعة   وصاح بها الناعون والناس أسرعوا

أتت أمها تحبو إلى جنب رأسها   وتلطم حر الوجه والوجه اسفع

تقول لها والعين تهمي وقلبها   يكاد باخطار الأسى يتقطع

أريحانتي انا قتلناك ليتني   هلكت وما أبصرت غصنك يهزع

وكذلك أبوها:

وعض أبوها للندامة كفه   وما أن له هذي الندامة تنفع

به غلبة يبكي لها ملئ جفنه   لعل البكا منه لما فيه ينقع

وينهي الشاعر قصيدته بمرض (نعيم) ثم موته بعد أن يكشف عن حالته النفسية لمخاطبته نفسه وهو يحمل النعش:

يقول نعيم وهو إذ ذاك قابض   مؤخر سامي النعش والنعش مسرع

لقد ضعن اليوم الرفاق وإننا لنمشي على الآثار منهم نشيع

حبيبة قلبي كيف أدفنت في الثرى شبابك هذا وهو غيدان أفرع

حبيبة قلبي إن قلبي يخاف أن يعيث الثرى يوماً بمن منه يودع

فيفسد ماء في محياك جائلاً ويطفئ نوراً في جبينك يلمع

حبيبة قلبي قد رحلت لغير ما لقاء وإني عن قريب سأتبع

أكب نعيم باكياً فوق قبرها وقال فأبكى كل من كان يسمع

فعاش سقيم الجسم خمسة أشهر ومات، كذاك الحب بالناس يصنع

فواراه في قبره جاور قبرها على ربوة، إنا إلى الله نرجع[١٠٢]

وفي قصيدة (أرملة الجندي) تتظافر الشخصيات أيضاً لتصوير الحدث القصصي الذي أراد الشاعر ان يحمله معنى سياسياً ينتقد من خلاله الحكومة التي لا تراعي ذوي الجنود الذين يقضى نحبهم في الحرب، ويحاول الشاعر أن يشعرنا بأن قصته هذه واقعية، وإن مثل هذا نماذجه كثيرة في الحياة، وهذا ما أكده في مطلع قصيدته:

ألا إنما هذا الذي لك أنقل له مثلما أرويه أصل مؤصل

كشف الشاعر في بداية القصيدة عن مشاعر الزوجة تجاه زوجها الذي قضى نحبه في الحرب ليبين هول الفجيعة التي أصابتها والتي ادت إلى مرضها بالسل:

نوار كشخص للعفاف مجسم فإن ذكر الناس العفاف تمثل

ترقرق ماء الحسن في وجهها الذي حكى الزهر في البستان أو هو أجمل

وتتطور الأحداث وتنمو الشخصية فيحل الفقر الذي اضطرها إلى بيع أثاث بيتها وتخلى عنها جميع الناس:

وفاجأها فقر فباعت لدفعه أثاثاً به قد كانت الدار تجمل

تجنبها الأدنى وكل لداتها وأعرض عنها جارها المتمول

ثم يبدأ صراعها مع الجوع، الذي زادها سقماً على سقم، ولاسيما أن لديها أبناً يجب أن ترعاه وتطعمه:

هنالك أبدى الجوع ناجذه لها وزاد بها الداء الذي هو معضل

وتزجى لها طفلاً جميلاً أمامها كما تستحث الخشف أدماء مغزل

تحاول أم الطفل منع دموعه ولكنها رغما عن الأم تهطل

خبير بقصد الأم يشكو لها الونى بعينيه ألا أنه ليس يسأل

فتقصد دار الحكومة لاستحصال راتب زوجها فتشتم ويرد سؤالها، فتعود واليأس ملئ قلبها:

أمالك أمر المال إنك زدتها سقاماً على سقم أقلبك جندل

وكذلك يسعى الشاعر إلى تصوير الصراع الداخلي للشخصية من خلال اسلوب الحوار الداخلي مستعيناً بتوظيف الحالة النفسية لشخصياته ففي الليل الموحش الذي طوته وهي جائعة لم تأكل ولم تستطع أن تضيء مصباحاً لأنها لا تملك الزيت في ذلك الجو الموحش الكئيب، تنطلق الشخصية لتكشف عن همومها ومعاناتها:

فيا ليل ما أدري وقد طلت داجياً أعتبي على الأيام أم أنت اطول

ألا ليت أمي لم تلدني وإنني أتتني المنايا قبل إني أعقل

حياة أمرتها الرزايا كأنما يمازجها منهن صاب وحنظل

وفي نهاية القصة يدخل الشاعر شخصية ثالثة عدا شخصية الأم والابن، وهي شخصية الجارة التي تستفهم عما يحصل عند جارتها فتستغيث بها الأم بعد أن أغمي على ابنها (أحمد) من الجوع، وهنا تكشف الزوجة عن اسمها الذي غاب عنا طوال القصة، من خلال حوارها مع جارتها (جعادة):

أطلت عليها عند ذلك جارة لتعلم من في ظلمة الليل يعول

ونادت من الباكي الذي يزعج الكرى وذيل الدجى الضافي على الأرض مسدل

أجابت بصوت راجف متقطع وقالت انا يا هذه أنا (سنبل)

جعادة إن ابني تغيب نفسه من الجوع إن الجوع ويلي يقتل(١٠٣)

وفي قصيدته (سلمى ودجلة) يبدأ قصيدته بتعريفنا بشخصيات قصته من خلال وصفها والكشف عن اسمائها، مركزاً على البعد الجسمي والبعد النفسي للشخصيات:

لقد كان في بغداد للشؤم يأمر على فرقة من فيلق الترك جعفر

وكان له زوج وكان ركونه إليها كثيراً فهي تنهي وتأمر

تسمى زليخا وهي شمطاء فظة من الناس طراً بالقساوة تذكر

وكان له منها فتاة جميلة قد اشتهرت واسم الجميلة دلبر

وجارية في بيته شركسية تسمى سلمى وهي عذراء معصر

مهفهفـــــة رود كـــــأن قوامهـــــا قضـــيب مـــن الليمـــون غـــض منـــور

ثم يصور الصراع الذي يقوم بين (زليخا) زوجة (جعفر)، وبين الجارية الشركسية (سليمى). بعد وفاة ابنة (زليخا) (دلبر) بمرض الجدري، وهي شخصية غير فاعلة ينتهي دورها بموتها:

وقـــد جـــاء أن البنـــت دلبـــر نابهـــا عيـــاء مـــن الجـــدري بـــالموت ينـــذر

فماتـــت بـــه فـــي ميعـــة مـــن شـــبابها وســـيقت إلـــى حيـــث الأكـــابر تقبـــر

وبسبب موت البنت (دلبر) يبدأ الصراع بين (زليخا) والدة (دلبر) وبين الفتاة (الشركسية) (سليمى)، حيث كانت (زليخا) تعتقد بأن (سليمى) خدعت الموت ودلتها على (دلبر):

وظـــن أن المـــوت قـــد كـــان قاصـــداً ســـليمى فقالـــت إننـــي أنـــا دلبـــر

وتلـــك ســـليمى وهـــي تـــومي لـــدلبر فخـــذها ورح يـــا مـــوت إنـــك تقهـــر

ســـليمى خـــدعت المـــوت حتـــى دللتـــه علـــى دلبـــر إن الـــذي جئـــت منكـــر

ســـأجزيك شـــراً بالـــذي قـــد عملتـــه مـــن الشـــر إنـــي يـــا ســـليمى لأقـــدر

ومن اجل الخلاص من (زليخا) وعذابها، تلقى (سليمى) بنفسها في النهر بعد ان تعيش قلقاً وحيرة نفسية من خلال تصوير ما يدور في نفسها من خواطر في هذا الموقف حيث تقف وقد ضاقت بالحياة حائرة تواجه نفسها:

أأهـــرب مـــن وجـــه الرزايـــا إلـــى الفـــلا إلـــى الغـــاب إن الغـــاب لا شـــك أســـتر

ولكننـــــي لا أهتـــــدي لســـــبيله فهـــل مـــن دليـــل لـــي لـــدى الله يـــؤجر

وهـــب أن لـــي ذاك الـــدليل وإننـــي هربـــت فهـــل يـــألو عـــن البحـــث جعفـــر

إذا ظفـــرت بـــي عنـــده يـــد ســـيدي فـــإن زليخـــا مـــن عـــذابي تكثـــر

وأحســـن منـــه اللـــوذ بـــالموت إنـــه علـــى غيـــره عنـــد الضـــرورة يـــؤثر

فـــإن المنايـــا لا يرجعننـــي إلـــى زليخـــا وإن كانـــت بـــذلك تـــأمر[١٠٤]

وهناك شخصيات واقعية في الحياة يصورها الشاعر في قصصه منها قصيدة (طاغية بغداد). صور فيها حكم المستبد (ناظم باشا) وقد أسهب في وصف استبداده وجوره من خلال قصته مع الفتاة (سارة):

رام هتكـــاً لمـــا تصـــون فتـــاة كســـبت فـــي أمـــر العفـــاف اشـــتهارا

بنت قوم لم يدنس العرض منهم بقبيح هم من سراة النصارى

اسمها سارة وتلك فتاة رزقت صيتاً طبق الأقطارا

وشاء الوالي تزويجها بخادمه لكي تتسنى له وينال من شرفها:

شاء تزويجها بخادمه فانتهرته فلازم الإصرارا

كان من قصده التمتع سراً واقتراح التزويج كان جهارا

فقررت (سارة) الانتحار غير انها عدلت عن قرارها بعد ما أشير عليها بالفرار:

وأرادت لما الح عليها ذلك الوالي المستبد انتحارا

غير أن الأهلين قد حسنوا أن تبرح الأهل خفية والديارا[١٠٥]

إذن فالزهاوي كثيراً ما يكشف عن شخصياته ويقدمها لنا بالوصف. وكذلك يلجأ إلى الحوار بين الشخصيات أو الشخصية مع نفسها لتكشف بعض أبعاد الشخصية النفسية والاجتماعية والأخلاقية.

كما اختار الزهاوي أبطال قصصه من الشخصيات التي تنتمي إلى الطبقات الفقيرة المعدومة التي يقع عليها ظلم المجتمع وظلم السلطة. وقد جسدت قصصه صور الصراع بين الخير والشر والتي غالباً ما انتهت بنهايات مأساوية كالموت أو الانتحار أو المرض أو الجنون.

٢- الحدث:

يمثل الحدث وتطوره في القصة القوة والحركة والنشاط. وهو العصا السحرية التي تحرك الشخصيات على صفحات القصة، وتسوق الحوادث الواحدة تلو الأخرى، حتى تؤدي إلى تلك النتيجة، المريحة المقنعة، التي تطمئن إليها نفس القارئ بعد طول التجوال، والتي تقف مع منطق الكاتب، ونظرته إلى الحياة.

والتطوير هو الدافع الملح الذي يحمل القارئ على تقليب صفحات (القصة)، بلذة ونهم، ولكي يكتشف النهاية التي تبلغها الحوادث في سيرها الحثيث ويتعرف إلى المستقر الذي تؤول إليه الشخصيات في تفاعلها المستمر مع الحوادث[١٠٦].

إذن من أجل الحديث عن تطور الأحداث لا بد أن يتوافر في القصة بداية ووسط ونهاية.

وقد أطلق بعض النقاد على البداية أو المرحلة الأولى (بالموقف) وتلي ذلك المرحلة الثانية التي تسمى بـ(الوسط) وهي تنمو بالضرورة من (الموقف) أو (البداية) وتتطور إلى سلسلة من النقاط تمثل تعقيداً أو تشابكاً متزايداً بين العوامل او القوى التي يحتويها الموقف(١٠٧).

أما المرحلة الثالثة أو النهاية فتتجمع فيها كل القوى التي احتواها الموقف أو البداية في نقطة واحدة يتحقق فيها الاكتمال للحدث(١٠٨).

ويسمى تسلسل الأحداث وتطورها إلى أن تصل إلى ذروتها بـ(الحبكة) أو (العقدة)، وتحل الحبكة في نهاية القصة بما يسمى بلحظة (التنوير) أي الكشف عن العقدة أو الحبكة وتقديم الحل للأزمة(١٠٩).

وبهذا يكون للنهاية أهمية خاصة «إذ هي النقطة التي تتجمع فيها وتنتهي إليها خيوط الحدث إليها، فيكتسب الحدث معناه المحدد الذي يريد الكاتب الإبانة عنه، ولذلك فنحن نسمي هذه النقطة، (لحظة التنوير)»(١١٠).

ويستخدم اسلوب الوصف في نقل الحدث وإبراز أثره في القارئ فلا يكون دوره– أي الوصف– تزيينا، وإنما يؤدي غرضاً معيناً لاستكمال الحدث بكونه جزءاً حيوياً منه(١١١). ذلك أن الكاتب لا يشترك في الحدث بل يصوره فقط ولذلك يجب أن يصاغ الوصف بلغة أقرب ما يمكن إلى لغة الشخصية التي ترى الشيء الموصوف وتتأثر به لا بلغة الكاتب نفسه(١١٢).

اما في قصص الزهاوي فنجد ان الأحداث تتابع حتى تتأزم فتحل الحبكة (العقدة) ثم تصل وتنتهي إلى لحظة التنوير.

ففي قصيدة (أسماء) تبدأ القصة بوصف الجو النفسي المشحون للبطلة من خلال بكائها ونشيجها، ثم يذكر اسم البطلة ويشرح المشكلة التي تثيرها القصة وتدور حولها؛ فيقول:

وريك لم تسجع حمامة أيكة ... ولكن فتاة الحي أسماء تسجع

لقد روعها ثم نامت عيونهم ... وليس سواء نائم ومروع

ثم يشرح وضع الزوج، فهو شيخ كبير له زوجات أُخر:

وقد زوجوها وهي غير مريدة ... بشيخ كبير جاء بالمال يطمع

وفـي الـدار أزواج لـه غيـر هـذه ثـلاث فـود الشـيخ لـو هـن أربـع

ثم يشرح ما تتوقع (أسماء) من الشيخ بعد الزواج من بؤس وشقاء وتهوى فتى اسمه (نعيم)، كما هو يهواها:

ومـن بعـد ايـام تـزف لبيتـه فتعنـو لحكـم الشـيخ فيـه وتخضـع

تضـاجعه فـي الليـل وهـو كأنـه أبوهـا فقـل فـي أمرهـا كيـف تصـنع

هنـاك ستشـقى أو تمـوت كئيبـة علـى أن مـوت المـرء فـي الهـم أنفـع

ويتحدث عن حزن (نعيم) بعد سماعه خبر زواج حبيبته (أسماء):

وقـد أخبـروه الأمـر فهـو مـن الأسـى سـقيم ومـا فيـه المـداواة تنجـع

ثم يخبرنا الشاعر في وسط القصة بزفاف (أسماء) بعد سبعة أيام من خطبتها، وذلك بأسلوب سرد الأحداث بطريقة الرواية:

جلوهـا عروسـاً بعـد سـبع فزفـوا وفـي مـرح الأفـراح خبـوا وأوضـعوا

ومن هنا يبدأ الصراع ويتأزم الوضع وتصل العقدة ذروتها، واصلاً بين الأحداث بوحدة عضوية وموضوعية:

فقـال لـه لا تـدن يـا شـيخ راغبـاً فأنـت أبـي بـل أنـت فـي السـن أرفـع

فـإن كـان منـك الشـيب لـيس بـرادع لجهلـك يـا هـذا فـإني أردع

وتتأزم المشكلة أكثر ويتنامى الحدث، فالشيخ لم يمتنع ولم يتوقف ويريد منها الخضوع:

فقطـب منـه الوجـه يـنفخ غاضـباً ومـد يديـه جاذبـاً وهـي تـدفع

يقـول لهـا أسـماء أنـت حليلتـي ولابـد مـن أن الحليلـة تخضـع

ومن هنا نبدأ بالترقب ونتساءل عما يحدث في نهاية الحدث، فيدخل صوت الشاعر ليخبرنا:

فلمـا رأت أن لا منـاص يصـونها مـن الشـيخ مـا أوشـك الشـيخ يصـرع

أحالـت علـى كـأس هنـاك معـدة مـن السـم واهتشـت لهـا تتجـرع

إذن فالموت كان نهاية القصة وخاتمتها، ولكن قبل أن يختم الشاعر القصة، فقد أسرد احداثاً أخرى كانت مؤجلة إلى نهاية القصة ومن حقها أن تسبق مشهد الموت منها أنها حثت (نعيم) على أن يهربا معاً ليجدا ملاذا ويعيشا سوياً:

أما قلت خذني حيث شئت فإنني   إليك وربي من بنانك أطوع

ومنها أيضاً شعورها بجمال الحياة وأسفها على فرصتها:

سلام على الدنيا سلام على المنى   سلام على العيش الذي كان يخدع

سلام على زهر الربيع وحسنه   سلام على روح به يتضرع[١١٣]

غير أن هناك نهايات أخرى تمخضت عن نهاية الحدث الرئيسة وهي أسف أم أسماء ووالدها على كرهها على الزواج بالشيخ الكبير ومن ثم وصف مشهد الموت ومرض (نعيم) الذي انتهى بالموت كل هذا ليؤثر في القارئ وينفر المجتمع من ظلم المرأة من خلال إكراهها على الزواج من شخص لا يناسبها.

وقصيدة (أرملة الجندي) مجموعة من الأزمات التي تمر بها زوجة ضابط يقتل في الحرب، فهي تصاب بمرض السل بعد فقدان زوجها الذي انحل جسمها بعد ما ترقرق ماء الحسن في وجهها:

قضى أحد الضباط في الحرب نحبه   وكان إذا دارت رحى الحرب يبسل

وخلف زوجاً قلبها رهن حبه   وكان له قلب بها متشغل

ترقرق ماء الحسن في وجهها الذي   حكى الزهر في البستان وهو أجمل

ولازم حمى السل ناعم جسمها   فأمست على رغم الشبيبة تنحل

ثم تتطور الأحداث، فيفاجئها الفقر الذي هو نتيجة طبيعية، بعد فقدان معيلها وهو الزوج، فاضطرت إلى بيع أثاث بيتها الذي فرغ من كل شيء:

وفاجئها فقر فباعت لدفعه   أثاثاً به قد كانت الدار تجمل

ثم يتخلى عنها القاصي والداني من الناس ويتجنبونها:

تجنبها الأدنى وكل لداتها   وأعرض عنها جارها المتمول

ويوصل الشاعر بين أحداث القصة والفكرة السياسية التي يريد الوصول إليها وهي انتقاد الوضع السياسي:

أنلني بفضل منك حقي فإننا   جياع إذا لم نعط من أين نأكل

فأوســـعها شـــتماً ورد ســـؤالها   وقــال لهــا مــوتي طــوى لســت أبــذل

وقبل أن يقدم لنا الشاعر حلاً للأزمات التي تمر بها أرملة الجندي، فهو يقدم لنا أزمة جديدة هي امتداد للأحداث والأزمات في حياة البطلة الناتجة عن فقدانها لزوجها فينتاب ابنها احمد الجوع الذي من أجله تستفهم الجارة عن سبب العويل:

وأغمــي مــن جــوع علــى الطفــل أحمــد   فصــاحت أغــث ربــي عليــك المعــول

وأخيراً يأتي الحل، فتنتظر الصباح كي تخرج مع ابنها للاستجداء:

وتــذرف عيناهــا الــدموع وقلبهــا   تظــل بــه الأحــزان تعلــو تســفل

إلــى الصــبح حتــى بــان فانطلقــت إلــى   محــل بــه أهــل المبــرة تنــزل

تمــد يمنــاً للســؤال ضــعيفة   وتخجــل مــنهم حينمــا هــي تســأل[١١٤]

أما قصيدة (مقتل ليلى والربيع)، فبعد أن يصف الشاعر الطبيعة والربيع، يتحدث عن ثلاثة فتيات كن يلهون في هذه الطبيعة الخلابة:

إن الربيـــع لســـيد الأزمـــان   فيـــه تـــتم لـــذاذة الإنســـان

الــروض يزهــو نــوره فــي فصــله   ببـــدائع الأشـــكال والألـــوان

فــي مثــل ذلــك مــن زمــان مــبهج   تمشـــي ثـــلاث كواكـــب أخـــدان

ليلـــى وترباهـــا ســـعاد وزينـــب   يمـــرحن فـــوق مناكـــب الكثبـــان

وفي هذه الأجواء المفعمة بالسعادة، تصبح الفتيات بعيدات عن خيامهن فيظهر ثلاث فرسان مدججين يحاولون الاعتداء على الفتيات وفجأة يظهر (سعد العشيرة) خطيب (ليلى) ونجل رئيسها فتستغيث به (ليلى) وتتابع الأحداث بالتسلسل فيتصدى (سعد) للفرسان الثلاثة فيطلقون عليه الرصاص، فتصيب رصاصة (ليلى) فتموت على إثرها، فينتقم (سعد) لها بقتل الفرسان:

غــادرن فــي المشــي الخيــام بعيــدة   مـــا إن تـــرى اشـــباحها العينـــان

حتـــى التقـــين علـــى الأبـــاطح بغتـــة   بمـــدججين ثلاثـــة فرســـان

ورأوا هنالـــك فارســـاً فـــإذا بـــه   فـــرد أتـــى يعـــدو وبـــلا أعـــوان

وعلمـــن حـــين نظـــرن لـــون جـــواده   إن ذاك ســـعد فـــارس الـــدهمان

قالـــت أغـــث يـــا ســـعد إنـــا نحتمـــي   بـــك مـــن أولاء الطغمـــة الخـــوان

ورمـــاه مـــنهم فـــارس برصاصـــة   أشـــوت فكـــر يجـــول فـــي الميـــدان

وهـــوى إليـــه طاعنـــاً فـــي ظهـــره بســـــنان رمـــــح لان كالثعبـــــان

وارتـــد يفتقـــد النســـاء فاطلقـــا نـــاراً عليـــه ولـــيس كـــالنيران

فخـــلا لهـــا لكـــن أصـــابت رميـــة ليلـــى قضـــت منهـــا لبضـــع ثـــوان

فـــدنا ففـــرا فاســـتحث جـــواده وهـــوى هـــوي جـــوارح العقبـــان

وســـطا وجـــدّل واحـــداً بقناتـــه وأطـــار بالصمصـــام رأس الثـــاني

فالأحداث توالت بسرعة حتى وصل التأزم ذروته، بمقتل ليلى وجاء الانتقام بقتل الفرسان حلاً طبيعياً، عادلاً للأزمة. ثم ينهي القصة بوصف حزن العشيرة وأهلها على ليلى:

دفنـــوا العـــروس بحفـــرة وتقهقـــروا متأســـــفين مقرحـــــي الأجفـــــان

وفي نهاية القصة يجعل الشاعر السلطة مسؤولة عن مقتل (ليلى) وإفساد سعادة الناس من خلال تعريفنا بأن أحد الفرسان الثلاثة هو مندوب السلطة الحاكمة باسم جلالة السلطان:

وتبينـوا أحـد الـرؤوس فـأيقنوا إن ذاك رأس معـــــدد الـــــديران

وقـــد جـــاء متخـــذاً وظيفتـــه من الوالي وكيـــــل جلالـــــة الســـــلطان[١١٥].

أما قصيدة (على قبر ابنتها)، فهو يحكي قصة فتاة ولدت وترعرعت في أحضان امها المحبة حتى كبرت وشبت بعين أمها وتحت رعايتها، فيقول على لسان الأم:

نبتـــت مثـــل زهـــرة الأقحـــوان فـــي ربيـــع الهـــوى بـــروض الأمـــاني

نبتـــت فيـــه وهـــي ذات ابتســـام فســـــقيت ابتســـــامها بحنـــــاني

وهـــي مثـــل الغـــزال تشـــدو ورائـــي ببغـــــام لـــــه فـــــؤادي يطـــــرب

ثم تكبر الفتاة وتصبح فتاة ناضجة كالبدر التمام وتنهي دراستها بتفوق ويشتد حسنها وحسن سلوكها بين الناس:

ابنتـــي قـــد شـــبت مـــع الأيـــام فهـــي اليـــوم مثـــل بـــدر التمـــام

أنجـــزت دروســـها مـــا بـــه امتـــا زت علـــى الغيـــر مـــن بنـــات الكـــرام

وفشـــا صـــيت حســـنها يتمشـــي مـــع ذكـــر العفـــاف بـــين الأنـــام

ثم تتزوج الفتاة وتحمل بغلام:

ثـــم زفـــت إلـــى كـــريم عروســـاً مـــا بهـــا مـــن غميـــزة أو ذام

وبـــدا حملهـــا فقلنـــا جميعـــاً أثمـــر الغصـــن فهـــو ذو أكمـــام

وفجأة بعد ان تضع الغلام تموت الفتاة بدون سابق إنذار:

وضـــــعته وبعـــــد أن وضـــــعته أغمضـــت عينهـــا كمـــا فـــي المنـــام

رقـــدة قـــد طالـــت وطـــال انتظـــاري لانتهـــــاء يـــــأتي لهـــــا وختـــــام

إذن الشاعر لم يهيأ أذهاننا لتلقي الحدث (حدث موت الفتاة) فأحداث القصة تسير على وتيرة واحدة دون وجود تطور للإحداث فالفتاة تولد وتنشأ وتتزوج في ظل رعاية أمها المحبة، ثم فجأة يتغير الحدث بموت الفتاة دون وجود مقدمة أو تطور للإحداث تشير إلى مثل هذه النهاية المؤلمة، فالتأزم نشأ دون تطور مسبق للأحداث مما يؤدي إليه.

ثم ينهي الشاعر قصته برثاء الأم لابنتها، وبكائها عليها. الذي لم يضف إلى الحدث شيئاً ولا يفسر السبب الذي لأجله تنتهي الأم الشابة هذه النهاية أي بعبارة أخرى فهو لم يعطنا حلا للأزمة التي قامت فجأة وهو موت الفتاة، بعد إنجابها:

ايهـــا القبـــر هـــل علمـــت بـــأني قبـــل مـــوتي دفنـــت فيـــك حيـــاتي

عبراتـــــي عليـــك تهمـــي ولكـــن أنـــت لا تســـتفيد مـــن عبراتـــي(١١٦)

وفي قصيدة (سليمى ودجلة)(١١٧)، فبعد أن يقدم الشاعر شخصيات القصة فإنه يقوم بعرض بسيط للحدث، وذلك بموت أبنة الضابط (جعفر) وزليخا، ثم يدخل بتفصيلاته، وما كانت تلاقيه سليمى من سخط سيدتها (زليخا) وتعذيبها وما كانت تلاقيه من أساليب التعذيب بحقها.

ثم ينمو الحدث ويتطور حتى يصل إلى ذروته فيأتي الحل بالانتحار للخلاص من عذاب سيدتها.

وكذلك قصيدة (إلى فزان) حيث يقوم بعرض الحدث وهو إلقاء القبض على (نديم) بأمر من الوالي:

وسـائل مـن هـذا الـذي جـاء طارقـاً بحالـــك ليـــل كـــل مـــا فيـــه مفـــزع

اجيـــب أن أفـــتح يـــا نـــديم فإننـــا بـــأمر مـــن الـــوالي أتينـــاك نســـرع

ثم يدخل في تفاصيل الحدث، إلى أن ينمو ويتطور ويتأزم بسماع زوجة (نديم) خبر نفيه إلى (فزان):

مضت سـاعة مـن بعـد أخـرى مخوفـة ولكـــن نـــديم لـــيس للـــدار يرجـــع

فـزاد الـذي فـي قلـب سـعدى مـن الأسـى عليـــــه وأمـــــس فكرهـــــا يتـــــوزع

فلمـــا أضـــاء الصـــبح جـــاء مخبـــرا صـــديق مـــن الجيـــران والعـــين تـــدمع
فـأخبر سـعدى أن قـد اسـتيق زوجهـا لفـــزان منفيـــاً فمـــا فيـــه مطمـــع

ويأتي الحل للأزمة فالزوجة بعد أن تذوب أسى على زوجها يصيبها الجنون ثم تموت:

ويعـــد قليـــل مـــرض نفـــي زوجهـــا ألمـــت بهـــا حمـــى تهـــد وتصـــرع
فجنـــت بهـــا واختـــل منهـــا شـــعورها زمانـــاً إلـــى أن جاءهـــا المـــوت يســـرع(١١٨)

٣- البيئة:

بيئة القصة هي حقيقتها الزمانية والمكانية، أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي، وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم واساليبهم في الحياة، وهكذا تعني البيئة القصصية الجو، إذ تحدثنا بلغة الفن والمحيط، إذا استعرنا مصطلحات العلوم(١١٩).

والكاتب يستعين في رسم بيئة قصته بالملاحظة والمشاهدة، أو من قراءاته الخاصة، أو ينسجها بخياله نسجاً، مسلطاً عليها قوة الاختراع والإبداع معتمداً على ما يلتقطه أثناء تجاربه في الحياة(١٢٠).

وقد يجعل الكاتب من وصف الطبيعة، ارهاصاً بالحوادث التي ستقع فيما بعد سارة كانت أم محزنة، وهذه الطريقة واسعة الانتشار بين الكتاب وباستطاعة الكاتب أن يجعل لها قيمة فنية عظيمة في قصته(١٢١).

ومن خلال الملاحظة العامة لقصائد الزهاوي القصصية نجد انه لا يعنى برسم البيئة فهي بيئة تتسم في الاغلب بالعمومية والشمول دون تحديد زماني أو مكاني معينين.

ففي قصيدة (أسماء) نجد أن الجو العام الذي يخيم على أحداث القصة، في بدايتها حتى نهايتها، هو جو الحزن العام فهو يطلعنا في مقدمة القصيدة أو القصة بعدة أبيات يوحي بهذا الجو:

لمـــن أنـــا فـــي تاليـــك يـــا ليـــل أســـمع نشـــيجاً لـــه صـــوت يهـــب ويهجـــعُ
وقـــد يتمـــادى ســـاعة ثـــم ينتهـــي كـــأن الـــذي يرخيـــه قلـــب مفجـــعُ
يصـــعده مـــن داخـــل كلـــه اســـى فيبســـطه فـــي الليـــل والليـــل يجمـــعُ(١٢٢)

فهو يصور بهذه الأبيات الجو النفسي للبطلة من خلال وصف بكائها في آخر الليل، وربما اختار الشاعر وقت الليل في تصوير حزن البطلة ذلك أن تصوير الحزن والبكاء في الليل يكون أكثر تأثيراً مما في النهار، وربما وفق الشاعر في تصوير الجو النفسي للبطلة في وقت الليل من خلال هذه الأبيات.

أما في قصيدة (إلى فزان) عندما يصور الشاعر نفي أحد المواطنين إلى (فزان) وحزن زوجته عليه، يطلعنا بعدة أبيات في مقدمة القصيدة يصف فيها الطبيعة يوحي من خلالها جو الخوف والرعب والترقب الذي امتازت به أحداث القصة.

شتاء وريح في دجى الليل زعزع   يكاد بها سقف المنازل يقلع

ورعد يصم الأذن وصوت دويه   وبرق سحاب بالتتابع يلمع

لقد حاربت بعض الطبيعة بعضها   فذال بها الأدنى وصال المرفع

سماء بداجي الليل قد ثار غيضها   وأرض بما فيها تئن وتجزع[١٢٣]

فالشاعر عندما يبدأ قصته بهذا الوصف للطبيعة يحاول خلق عوامل الإثارة والتشويق في القصة لكي يتابعها القارئ بشغف وحماسة.

كذلك يأتي وصف الطبيعة في قصيدة (سليمى ودجلة) للكشف عما يدور في نفس البطلة من حزن وذلك لأنها ترى كل شيء في الطبيعة جميلاً سواها:

سليمى ارتقت في سطحها بعد هجعة   من الناس في الأطراف والليل مقمر

تفكر في الليل الذي ازدان جوه   بما فيه من نجم يغيب ويظهر

وأشراق وجه الماء بالبدر لامعاً   عليه من الأنوار ثوب محبر

كأن الصبا ما أولع النفس بالصبا   جميلاً به تجلى العيون وتبهر

رأت كل شيء في الطبيعة غيرها   على الماء آلافاً من الماس تنثر

ولكنها دون الخليقة كلها   من الوجه يمحى حسنها ويغير[(١٢٤)]

ومثلما عبر وصف الطبيعة عن حالات الحزن والخوف والرعب، فقد جاءت الطبيعة للتعبير عن حالات الفرح والسعادة واللهو. ففي قصيدة (مقتل ليلى والربيع) فإن الشاعر يقرن بين جمال الطبيعة والربيع وبين سعادة الفتيات في أحضان تلك الطبيعة الخلابة.

إن الربيع لسيد الأزمان   فيه تتم لذاذة الإنسان

كـم فيـه مـن زهـر يروقـك لونـه	كـم فيـه مـن روح ومـن ريحـان
الـروض يزهـو نـوره فـي فصـله	ببـدائع الأشـكال والألـوان
زهـر بـه ثغـر الروابـي باسـم	والجـو منـه معطـر الأردان
فـي مثـل ذلـك مـن زمـان مـبهج	تمشـي ثـلاث كواعـب أخـدان
ليلـى وترياهـا سـعاد وزينـب	يمـرحن فـوق مناكـب الكثبـان[١٢٥]

ثم يروي أحداث قصته التي تنتهي نهاية محزنة بالقتل والانتقام وحرمان الإنسان من سعادته التي تحولت إلى مأساة.

إن أغلب قصص الزهاوي يسودها أجواء مأساوية حزينة تنتهي بالموت أو الانتحار أو الجنون.

٤- الهدف:

إن إ يصال الهدف أو المعنى الى المتلقي هو غاية كل عمل قصصي. وإن العمل القصصي بدون معنى لا يكون كاملاً وإن كان محتوماً على الأجزاء الأخرى[١٢٦]. كرسم الشخصيات والأحداث نظراً لما للمعنى من أهمية في انجاز القصة.

فقد يرسم الكاتب شخصيات قصته رسماً رائعاً دقيقاً، كما قد يبدع في تصوير ما تقوم به من أفعال ومع ذلك تظل قصته ناقصة لأن الحدث لم يكتمل.

ومثل هذه القصص الخالية من المعنى هي في الحقيقة أقرب إلى التاريخ منها إلى الأدب ولذلك فنحن نسميها قصصاً تسجيلية لأنها تكتفي بتسجيل الحوادث تماماً كما تفعل كتب التاريخ ومهما كان ذلك التسجيل أميناً أو متقناً فإنه لا يكفي وحده لأن يجعل منها قصصاً بالمعنى الصحيح[١٢٧].

فالهدف أو المعنى بالنسبة لكاتب القصة ركن من أركان الحدث وجزء لا ينفصل عنه لذلك فإن الحوادث والشخصيات يجب أن تقوم على خدمة الهدف من بداية القصة حتى آخرها، فإن لم تفعل ذلك، كان الهدف أو المعنى دخيلاً على الحدث وكانت القصة بالتالي مختلفة البناء[١٢٨].

وقد كان الزهاوي يهدف من خلال قصصه إلى الاحتجاج السياسي والاجتماعي، يصرح به أحياناً وأحياناً أخرى يخفي الغرض وراء القصة ففي قصيدة (أسماء) يهدف الشاعر

إلى غرض اجتماعي وهو إدانة الزواج غير المتوافق بين الرجل والمرأة، وبالتالي فهو سلب لحقوق المرأة وإرادتها وقد وضع الزهاوي خلاصة رأيه الإصلاحي في بيتين من الشعر داخل القصة وعلى لسان الأم:

أريحـــانتي إنـــا قتلنـــاك ليتنـــي هلكــت ومــا أبصــرت غصــنك يهــزع

وعـــض أبوهـــا للندامـــة كفـــه ومــا أن لــه هــذي الندامــة تنفــع(١٢٩)

أما في قصيدة (أرملة الجندي) فهو ينتقد السلطة بعدم انصافها ورعايتها لذوي الجنود الذين يقضون في الحروب، وما يجره عليهم من ويلات الفقر والمرض والجوع، فهو يختم قصته ببيت واحد بعد أن يصف أرملة الجندي وذهابها للتسول:

أأرملـــة الجنـــدي لا تخجلـــي فمـــن حقـوق العلـى أن الحكومـة تخجـل(١٣٠)

ومن خلال قصة (طاغية بغداد) يندد الشاعر بطغيان السلطة الحاكمة واستبدادها وجورها. وقد أشار إلى هذا المعنى في مطلع القصيدة عندما وصف السلطان (ناظم باشا):

جـــاء عجـــزاً يـــزري وجـــاء اقتـــدارا وتـــــردى شـــــــناعة وفخـــــــارا

عامـــل النـــاس بالعدالـــة والظلـــم فكـــانوا يلقـــون نـــورا ونـــارا

وأصـــار النهـــار لـــيلا بهيمـــا وأصـــار الليـــل البهـــيم نهـــارا(١٣١)

وقد حمل الشاعر في قصة (مقتل ليلى والربيع) السلطة مسؤولية إفساد سعادة الناس من خلال فقدان الأمن، وذلك عندما تبين أن أحد القتلة هو نائب السلطان:

وتبينـــوا احـــد الـــرؤوس فـــأيقنوا إن ذاك رأس معـــــــدد الـــــــديران

قـــد جـــاء متخـــذا وظيفتـــه من الـــوالي وكيـــل جلالـــة الســـلطان

مـــا زال مـــذ ورد القضـــاء معـــدداً مـــع حارســـين مـــلازم الـــدوران

فجـزى القضـاء بـأن يمـوت بخبثـه موتـــاً يخازيـــه مـــدى الأزمـــان

وفي قصيدة (إلى فزان) يشير الشاعر من خلال سياق القصة إلى محاولة السلطة بث الرعب من خلال نفيهم إلى أصقاع بعيدة من الأرض، وهو يدل على سلوك السلطة الشاذ بحق المواطنين الذي لا يهمه في ذلك ما يجره عليهم من ويلات وأحزان.

وقد عملت أحداث القصة وشخصياتها على توصيل الفكرة التي كان يرمي إليها الشاعر بطريقة غير مباشرة، يستطيع القارئ أن يستنتجها من خلال سير الأحداث وأفعال الشخصيات.

وأدخل في دار بها شرط لها ... رئيس على كرسيه مترجع

فباغته ذاك الرئيس بقوله ... لأنت إلى فزان تنفى وتدفع

جزاء كلام في الحكومة طاعن ... تفوه به بين الأنام فيسمع

فجاوبه والقلب للخوف واجف ... وقال بصوت راجف يتقطع

وربك ما هذا صحيحاً وإنه ... لما افتراه المرجفون وابدعوا

ترفق فإني ذو عيال إذا خلا ... مكاني ماتوا في المجاعة أجمع[١٣٢]

وقصيدة (سليمى ودجلة) يجسد صورة الظلم الذي يمارسه القوي ضد الضعيف وقدرته عليه:

فإن زليخا كلما بصرت بها ... أحست بنار في الجوانح تسعر

فتسخط إذ لا شيء يوجب سخطها ... وتشقها في وجهها وتحقر

لقد أشفق الخدام في القصر كلهم ... عليها ولكن من على المنع يجسر[١٣٣]

وأما في قصيدة (على قبر ابنتها)[١٣٤] فإن أحداث القصة تشير إلى معنى معين يهدف إليه الشاعر فربما أراد فيه أن يجسد صور ة حنان الأم تجاه ابنائها وبالتالي هو تصوير للمشاعر الإنسانية وعواطفها أو ربما أراد الشاعر أن يبين دور القدر في حياتنا فهو الذي يجعلنا سعداء أو تعساء من خلال تصوير سعادة الأم بابنتها ثم حزنها عليها بعد وفاتها.

إذن نستطيع أن نقول أن أغلب قصص الزهاوي انصبت على مواضيع سياسية واجتماعية، أراد من خلالها انتقاد الوضع السياسي والاجتماعي آنذاك.

ب- البناء الفني:

١- اللغة:

وأيضا من أجل دراسة قصائد الزهاوي القصصية فنياً علينا دراسة لغة الشاعر وأسلوبه فضلاً عن موسيقاه الذي سنأتي على ذكره في موضع آخر من هذا البحث.

وبما أن الشاعر يلجأ إلى الوصف والحوار ورسم البيئة في القصائد القصصية فيجب أن لا تبتعد لغته عن روح العصر الذي يحيا فيه، أي مثلاً أن لا يعمد إلى الإسراف في استخدام اللغة المعجمية (لغة التراث) التي تكون بعيدة عن فهم الناس وإدراكهم لها وبالتالي عدم تحقيق الغاية المنشودة أو الهدف من القصة.

وقد وردت في قصائد الزهاوي القصصية مثل هذه الألفاظ أو المفردات المعجمية ولكن بنسب قليلة. ففي قصيدته (أسماء) التي صدرت في أول مجموعته القصصية في الديوان نجد الشاعر يستخدم لفظة (بضبعيه) والتي تعني في القاموس (عضديه) وقد وردت هذه اللفظة عندما أراد الشاعر أن يرسم الحزن العام للقصيدة أو أن يصف حزن الفتاة البائسة:

إذا أنت لم تأخذ بضبعيه موصلا إلى الملأ الأعلى فما أنت تنفعُ(١٣٥)

فالشاعر قد لجأ إلى استعمال هذه الكلمة لأنها شكلت مع الفعل الذي قبلها هو (تأخذ) معنى جديداً، فأصبح بمعنى يسانده أو يساعده وهو ما احتاج إليه الشاعر في حواره مع الليل ومن الألفاظ المعجمية الأخرى التي وردت في هذه القصيدة كلمة (إرناناً) التي وظفها الشاعر في وصف الحزن أيضاً والتي تعني العويل والصياح:

سألتك من هذا الذي أنا سامع له فيك إرنانا أتى يتقطع(١٣٦)

ومن الألفاظ المعجمية الأخرى التي وردت في قصائده القصصية كلمة (جندل) التي وردت في قصيدة (أرملة الجندي) والتي تعني (الصخر) وهو ما شبه به قلب القائم على حال الحكومة:

أمالك أمر المال إنك زدتها سقاماً على سقم أقلبك جندل(١٣٧)

وكذلك كلمة (سجف) الواردة في قوله:

وأعوزها زيت تنير مكانها به والدجى سجف على الارض مسبل(١٣٨)

وأيضاً كلمة (حنظل) في ذات القصيدة:

حياة امرتها الرزايا كأنها يمازجها منهن صاب وحنظل(١٣٩)

ويقع في مثل هذا الاستعمال في قصيدته (طاغية بغداد):

أتراه قد اخطأ الظن فيهم إذا رآهم جحاجحاً أخيارا(١٤٠)

فكلمة (جحاجح) كلمة معجمية تعني (السادة والرؤساء).

أما في قصيدته (على قبر ابنتها) فقد وردت بعض هذه الألفاظ مثل (البغام) كما في قوله:

وهــي مثــل الغــزال تشــدو ورائـــي ببغـــام لـــه فـــؤادي يطـــرب[١٤١]

وأيضاً (تلع) في القصيدة ذاتها:

تلـــع الجيـــد فـــوق قـــد رشـــيق زانـــه الشـــعر مرســـلاً يتذبـــذب[١٤٢]

ولعل من التزامه بالقديم واستعارته للغة القديمة ما نجده من تأثره ببعض الشعراء القدامى كأبي العلاء المعري يقول الزهاوي في قصيدة (أرملة الجندي):

فيـــا مـــوت زر إن الحيـــاة تعاســـة ويـا نفـس جـودي إن دهـرك يبخـل[١٤٣]

ويقول أبو العلاء المعري:

فيـــا مـــوت زر إن الحيـــاة ذميمـــة ويـــا نفـــس جـــدي إن دهـــرك هـــازل

وكذلك تأثره بآي القرآن الكريم فنحن حين نقرأ قوله في قصيدة (طاغية بغداد):

تحســـب المبصـــرين أعينهـــا النجـــل ســـكارى ومـــا هـــم بســـكارى[١٤٤]

فهو يقع تحت تأثير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[١٤٥]، أما قوله:

أوجســـت خيفـــة تغيـــر منهـــا وجههـا فاكتسـى البيـاض اصـفرارا[١٤٦]

ويقول تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾[١٤٧].

وفضلا عن استعمال الشاعر للغة التراث أو اللغة المعجمية. فهو يعمد إلى استخدام اللغة العامية عن طريق تضمين قصائده بعض مفرداتها وعبارتها من ذلك استخدامه كلمة (يتلعلع) في قوله:

كـــأن حيـــاتي حـــين أبصـــر لونهـــا ســـراب ببيـــداء بـــدا يتلعلـــع[١٤٨]

هي لفظة عامية تستخدم لارتفاع الأصوات المتقطعة كضرب رصاص البنادق. غير أنها جاءت في البيت بمعنى الكلمة الفصيحة (تتلعلع) التي تعني يظهر ويختفي.

وقد استخدم كلمة (سأطفر) وهي العامية جدا في قصيدة (سليمى ودجلة):

وداعـــاً فـــإني أيهـــا البـــدر لأتـــرع إلى الموت من هذا المكان سأطفر[١٤٩]

ومن الصيغ والعبارات العامية التي ضمنها قصائده، قوله في (أرملة الجندي)

تـــروح إلـــى دار الحكومـــة تبتغـــي   لهـا راتبـاً متسـأخراً لـيس يحصـل(١٥٠)

وأيضاً قوله في القصيدة ذاتها:

تقـول لـذي أمـر علـى المـال سـيدي   إليـــك بجـــاه المصـــطفى أتوســـل

أنلنـــي بفضـــل منـــك حقـــي فإننـــا   جيـــاع إذا لـــم يعـــط مـــن أيـــن نأكـــل

فعـادت علـى يـأس لهـا ملـئ قلبهـا   وقـــد خنقتهـــا عبـــرة تتغلغـــل(١٥١)

فالعبارات (إليك بجاه المصطفى) و(جياع من أين نأكل) (خنقتها عبرة) كلها عبارات واساليب عامية وظفها الشاعر في قصيدته ومن ألفاظه العامية لفظة (يخازيه) في قوله:

فجـزى القضـاء بـأن يمـوت بخبثـه   موتـــا يخازيـــه مـــدى الأزمـــان(١٥٢)

٢- **التكرار:**

وهي ظاهرة بارزة في قصص الزهاوي من خلال تكرار الكلمة أو العبارة أو الحرف وقد ساهمت هذه الظاهرة أحياناً في خلق صور موحية ومؤثرة وتسهم في الوقت نفسه في إبراز وبلورة فكرة القصة الرئيسة، ومن هذه التكرارات قوله في قصيدته (أرملة الجندي):

جعـــادة أن ابنـــي تغيـــب نفســـه   مـــن الجـــوع إن الجـــوع ويلـــي يقتـــل

جعـادة إن ابنـي الوحيـد هـو الـذي   بـــه فـــي ليـــالي وحـــدتي أتعلـــل

جعـــادة أن الأمـــر جـــد فـــأدركي   وللجـار حـق واجـب لـيس يغفـل(١٥٣)

وأيضاً في قصيدة (سعاد بعد زوجها):

قتلـــوا حليلـــي فمســـكوهم انهـــم   فـــروا إلـــى تلـــك الشـــعاب وغـــابوا

قتلـــوه ويلـــي ثـــم ويلـــي غيلـــة   والقـــاتلون أســـافل أذنـــاب(١٥٤)

وهو عندما يصف الحالة النفسية لبطلة قصته (أسماء) بعد تجرعها للسم وإشرافِها على الموت يكرر كلمة (الآن):

الآن اســـترحنا واســـتراحت مـــن لـــدى   ركـــاب لنـــا تحـــت الحمولـــة تظلـــع

الآن انتهينـــا مـــن مســـافرة لنـــا   بيـــداء قفـــر للـــذي حـــاب تفـــزع(١٥٥)

وعندما تموت (أسماء) فهي تودع الدنيا والطبيعة من خلال تكرار كلمة (سلام) وهذا يدال على حب (أسماء) وتعلقها بالحياة غير أن الأقدار اختارت لها ما تشاء:

سلام على الدنيا سلام على المنى   سلام على العيش الذي كان يخدع

سلام على الشمس التي هي في غد   على فتيات الحي دوني تطلع

سلام على زهر الربيع وحسنه   سلام على روح به يتضوع(156)

وعندما يكشف الشاعر عن فكرة القصة، من خلال ندم (أم أسماء) على إرغام ابنتها بالزواج من شيخ كبير فهو يكرر كلمة (أريحانتي):

أريحانتي قد طال رقدك فايقظي   أريحانتي من اكثر النوم يصدع

أريحانتي ما بال خدك ذابلاً   وعهدي به بالأمس ريان ينصع

أريحانتي إنا قتلناك ليتني   هلكت وما أبصرت غصنك يهزع(157)

٣- الصورة:

تعتمد الصورة الشعرية بالدرجة الأساس على خيال الشاعر الذي يستطيع به أن يخلق صوراً شعرية معبرة عن حالة معينة مستعيناً بالمجاز الذي يعمل على التقارب بين المتباعدات والتوحيد بينها.

ومثل هذا الخيال قلما نجده في قصائد الزهاوي القصصية وربما يعود السبب في ذلك إلى طبيعة القصة التي تعتمد على السرد المباشر لأحداث تقوم بها شخصيات داخل جو أو بيئة معينة لتحقيق غرض أو هدف ما يرمي إليه الكاتب أو الشاعر.

غير ان هناك بعض الصور التشبيهية والتجسيدية التي نلمحها هنا وهناك في قصائده منها (طاغية بغداد):

فنجت بالفرار من مخلب الصقر   كعصفور بعد أن ريع طارا(158)

فالتشبيه بالصقر والعصفور هما تشبيهان بسيطان لا يثيران خيال القارئ كثيراً حيث شبه (ناظم باشا) بالصقر الذي يحاول الانقضاض على فريسته واصطيادها وهي (سارة) التي شبهها بالعصفور.

ويعتمد الشاعر في تصوير شخصياته على التشبيه كما في قوله:

ابنتي قد ترعرعت فهي تلعب   كطلى في جنبي وتأتي وتذهب

تتنـــــازى مـــــن النشـــــاط أمـــــامي فهـــي تحكـــي حمامـــة تتقلـــب

وهـــي مثـــل الغـــزال تشـــدو ورائـــي ببغـــام لـــــه فـــؤادي يطـــرب

خفـــة تطـــرب النفـــوس وصـــوت يســـتبي حســـنه العقـــول وينهـــب[(١٥٩)]

وكذلك في قصيدته (أرملة الجندي) حيث اعتمد عنصر التشبيه ضمن ما اورده في تصوير أرملة الجندي:

نـــوار كشـــخص للعفـــاف مجســـم فـــإن ذكـــر النـــاس العفـــاف تمثـــل

ترقـرق مـاء الحسـن فـي وجههـا الـذي حكـى الزهـر فـي البسـتان أو هـو أجمـل

وقـد كـان منهـا الخـد كـالورد زاهيـا فأصـبح ذاك الـورد بـالهم يـذبل[(١٦٠)]

ومثل هذا أيضا قوله في قصيدة (سليمى ودجلة):

مهفهفـــــة رود كـــــأن قوامهـــــا قضـــيب مـــن الليمـــون غـــض منـــور

لهـــا نظـــر كالســـيف مـــاض غـــراره ووجـــه كمثـــل الزهـــر أو هـــو أزهـــر

تفـــوق علـــى بنـــت الأميـــر بحســـنها وأخلاقهـــا فمـــا يقـــال ويخبـــر[(١٦١)]

ومثلما لجأ الشاعر إلى التشبيه في تشكيل صوره فقد لجأ في بعض الأحيان إلى التشخيص والتجسيد، من ذلك قوله في قصيدة (أرملة الجندي):

وأنشـــب فـــي أحشـــائها الـــداء ظفـــره فظلـــــت بـــــه أحشـــاؤها تتبـــــذل

هنالـــك أبـــدى الجـــوع ناجـــذه لهـــا وزاد بهـــا الـــداء الـــذي هـــو معضـــل

كـــذلك جســـم المـــرء يأكلـــه الطـــوى إذا كـــان لا يلقـــى الـــذي هـــو يأكـــل[(١٦٢)]

فـ(أنشب في أحشائها الداء ظفره)، (وابدى الجوع ناجذه، ويأكله الطوى) كلها صور تشخيصية وتجسيدية لجأ الشاعر إليها في تشكيل صوره.

وأيضاً في (أرملة الجندي):

نعـــيش كمـــا كنـــا نعـــيش بغبطـــة ونمـــرح فـــي ثـــوب الســـلام ونرفـــل[(١٦٣)]

فقد جسد معنى السلام في صورة الثوب الذي أكسبه إياه.

ومثل هذه الصور ما نجده في قصيدة (سليمى ودجلة):

لأنـــت ســـعيد أيهـــا البـــدر فـــالتمع كمـا شـئت لا زالـت بـل الأرض تزهـر[(١٦٤)]

فالصورة التشخيصية (البدر السعيد) أوردها الشاعر ضمن مخاطبة الشخصية (سليمى) للبدر، وهو اسلوب الشاعر في جعل شخصيات قصته تخاطب الطبيعة أثناء لحظة اليأس والاقدام على الموت.

وكذلك قوله في قصيدة (الغريب المحتضر):

نجـاة بـه مـن أزمـة السـقم والخبـل   إلــى أن أتاهــا المــوت يحبــو فصــادفت[١٦٥]

٤- الموسيقى:

لم تختص الأوزان الشعرية بأغراض معينة، والشعر العربي القديم خير دليل على ذلك، فقد نظم الشعراء القدامى موضوعاتهم بمختلف البحور الشعرية. يقول الدكتور ابراهيم أنيس في كتابه موسيقى الشعر: إن المعلقات وإن تشابهت إلى حد ما في طبيعة موضوعاتها إلا أنها منظومة في بحور مختلفة فهو يستنتج من ذلك أن القدماء لم يكونوا يتخيرون أوزاناً خاصة لمواضيع خاصة ومن ذلك فهو يرى أن الحالة النفسية للشاعر في لحظة شروعه في نظم قصيدته قد يكون لها الأثر في اختيار أحد الأوزان دون غيره[١٦٦].

ومن هنا فإن الشعراء كانوا يختارون لقصائدهم ذات المنحى القصصي بحورا رصينة هادئة مثل البحر الطويل وذلك لكثرة تفعيلاته وقوة ايقاعه التي تستطيع أن تستوعب موضوعاتهم القصصية لما يدور فيها من أحداث ووجود حبكة وشخصيات.

وفيما يخص اوزان الزهاوي الشعرية فقد غلب البحر الطويل على مجموعته القصصية حيث استعمله (٦) مرات اما الكامل والخفيف فقد أستعملهما مرتين، واستعمل مخلع البسيط مرة واحدة.

ونأخذ قصيدة (أسماء) مثالاً على استعماله للبحر الطويل:

إذا أنــت لــم تأخــذ بضــبعيه موصــلا   إلــى المــلأ الأعلــى فمــا أنــت تنفــع

فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعلن   فعـــولُ مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعِلن

إذا الـنجم هـذا لـيس يسـمع مـن بكـى   فقـل لـي مـاذا فيـك يـا ليـل يطلـع[١٦٧]

فعـــولن مفـــاعيلن فعـــول مفـــاعلن   فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعِلن

وأيضاً قصيدة (أرملة الجندي):

ترقـرق مـاء الحسـن فـي وجههـا الـذي   حكـى الزهـر فـي البسـتان أو هـو أجمـل

فعـــول مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعِلن **فعـــولن مفـــاعيلن فعـــول مفـــاعِلن**

تـــروح إلـــى دار الحكومـــة تبتغـــي **لهـــا راتبـــاً مســـتأخرا لـــيس يحصـــل**

فعـــول مفـــاعيلن فعـــول مفـــاعلن **فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعلن**

فعـادت علـى يـأس لهـا ملـئ قلبهـا **وقـــد خنقتهـــا عبـــرة تتغلغـــل**(١٦٨)

فعـــولن مفـــاعيلن فعـــول مفـــاعلن **فعـــول مفـــاعيلن فعـــول مفـــاعلن**

ومن مثال الخفيف قصيدته (طاغية بغداد):

جـــاء عجـــزاً يـــزري وجـــاء اقتـــدارا **وتـــــــردة شـــــــناعة وفخـــــــارا**

فـــــاعلاتن مســـــتفعلن فـــــاعلاتن **فعلاتـــــــن مـــــــتفعلن فعلاتـــــــن**

عامـــل النـــاس بالعدالـــة والظلـــم **فكـــانوا يلقـــون نـــوراً ونـــارا**(١٦٩)

فـــــاعلاتن مـــــتفعلن فعلاتـــــن **فعلاتـــــن مســـــتفعلن فـــــاعلاتن**

والكامل في قصيدته (مقتل ليلى والربيع):

إن الربيـــــع لســـــيد الأزمـــــان **فيـــــه تـــــتم لـــــذاذة الإنســـــان**

متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفاعـــــل **متفـــــاعلن متفـــــاعلن متفاعـــــل**

ومثال مخلع البسيط:

لمـــا هـــوى فـــي الهـــوى وطاحـــا **وقـــص منـــه النـــوى جناحـــاً**(١٧٠)

مســـــتفعلن فـــــاعلن فعـــــولن **مـــــتفعلن فـــــاعلن فعـــــولن**

وبهذا فإن الشاعر لم يخرج عن الأوزان التقليدية المعروفة كما هو واضح من قصائده، فقد التزم بوحدة الوزن كما التزم بوحدة القافية عدا قصة (على قبر ابنتها) التي تنوعت فيها القافية.

وقد استعمل الشاعر قافية العين، والراء، واللام، والنون، بنسب متقاربة، حيث استعمل قافية العين ثلاث مرات، أما قافية الراء واللام، والنون، فقد استعملها مرتين لكل قافية.

كما استعمل قافية الباء والحاء والميم والقاف والتاء مرة واحدة لكل قافية.

الخاتمة

نظم الزهاوي مجموعة من القصائد القصصية جسد فيها ما كان يجري من أحداث سياسية واجتماعية وموقفه منها.

وقد كان نتيجة للأوضاع المضطربة التي عانى منها العراق في مختلف الجوانب الحياتية أثرها في بروز هذه الظاهرة في شعره. وأيضاً اطلاعه على الآداب الغربية التي كانت تصل مترجمة إلى اللغة العربية والتركية التي كان يجيدها. فضلاً عن اطلاعه على الأدب التركي الذي كان ثرياً بالفنون القصصية والمسرحية.

وقد طبعت قصائده القصصية بطابع رومانتيكي إذ غلب عليها جو قاتم وحزين فاحتلت فيها المصائب حيزاً كبيرا فكانت تنتهي بالموت والفواجع. لكن النقد السياسي والاجتماعي الذي تضمنته قد شكل فيها معلما واقعيا، فهو يرجع أسباب الويلات والشرور إلى الأنظمة السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في البلاد آنذاك.

وقد توافرت في قصصه الشعرية كل مقومات القصة المعروفة كالحدث والشخصيات والفكرة، وكانت شخصياته في الغالب شخصيات خيالية رسمها الشاعر في التعبير عن واقع سياسي واجتماعي.

وقد عمد الشاعر في قصائده هذه إلى استخدام لغة التراث من خلال استخدام بعض الألفاظ المعجمية والتأثر بأسلوب القرآن الكريم وبعض الشعراء القدامى. كما لجأ إلى استخدام بعض الألفاظ العامية التي وردت في قصائده كما اعتمد اسلوب التكرار في خلق صور موحية ومؤثرة أحياناً.

وقد افتقرت قصائده القصصية إلى الصور والأخيلة وذلك لاعتماد هذه القصائد على طريقة السرد للأحداث مع وجود بعض الصور التشبيهية والتجسيدية ولا سيما عندما عمد الشاعر إلى الوصف وفيما يخص الأوزان فكان البحر الطويل على رأس استخدامات الشاعر للأوزان الشعرية إلى جانب استخدامه لبعض الأوزان الأخرى كالكامل ومخلع البسيط والخفيف.

هوامش البحث

(١) مقدمة ديوان جميل صدقي الزهاوي، مج١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر: مقدمة الديوان.

(٥) الزهاوي (دراسات ونصوص)، جمع واعداد، عبد الحميد الرشودي، قدم له د.يوسف عز الدين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦، ص٣٠.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٧) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٨) مقدمة الديوان.

(٩) الزهاوي، (دراسات ونصوص)، ص٣٠.

(١٠) الزهاوي وثورته في الجحيم، محاضرات ألقاها، د.جميل سعيد، عميد كلية الآداب جامعة بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، د.ت، ص١٨.

(١١) الزهاوي دراسات ونصوص، ص٣١.

(١٢) المصدر السابق، ص٣١.

(١٣) ينظر مقدمة الديوان.

(١٤) الزهاوي، د.ماهر حسن فهمي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص٨٥.

(١٥) ينظر: مقدمة الديوان.

(١٦) ينظر: مقدمة الديوان.

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) الزهاوي ص١٣٦.

(٢٠) المصدر السابق ص١٣٦.

(٢١) الديوان ص١٨٦.

(٢٢) المصدر السابق ص٣٢٠، ١٤٥.

(٢٣) ينظر مقدمة الرباعيات، نقلا عن كتاب الزهاوي ص١٤٥.

(٢٤) ينظر مقدمة الديوان.

(٢٥) ينظر المصدر السابق.

(٢٦) القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، د.بشرى الخطيب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٠، ص٤٧.

(٢٧) المصدر السابق ص٥٤.

(٢٨) ينظر المصدر السابق ص٥٥.

(٢٩) ينظر: ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩، ص٨. وينظر: ديوان النابغة الذبياني صنعة ابن السكيت، تحقيق د.شكري فيصل، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص ٢٠٧، وينظر: ديوان حاتم الطائي، دار صادر بيروت، ١٩٦٣، ص٧٥.

(٣٠) ينظر: ديوان كعب بن مالك، دراسة وتحقيق سامي مكي العاني، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٦، ص٢٠٠، وينظر: ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت، ص٧٠.

(٣١) ينظر: ديوان مجنون ليلى، تحقيق أحمد عبد الستار الفراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، د. ت، ص٢١٧. وينظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٣٨.

(٣٢) ينظر: ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة ١٩٥٠، ٣١/١.

(٣٣) لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي، نوري حمودي القيسي، سلسلة الموسوعة الصغيرة- ٧١- منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص٩.

(٣٤) حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث: د.عربية توفيق لازم، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧١، ص١٥٩.

(٣٥) من آفاق الأدب المقارن، د. داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص ٣٤١.

(٣٦) في الأدب والنقد، محمد مندور، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦، ص ١٢٧.

(٣٧) ينظر: الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، د.علي جواد الطاهر، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٣٥.

(٣٨) مقدمة الديوان.

(٣٩) الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية، عبد الرزاق الهلالي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢، ص٣١.

(٤٠) الديوان: ص٧٨.

(٤١) الديوان ص ٧٨.

(٤٢) المصدر السابق ص ٧٨-٧٩.

(٤٣) المصدر السابق ص ٧٩.

(٤٤) الديوان ص٨٠.

(٤٥) المصدر السابق ص٨١.

(٤٦) الديوان ص٨٢.

(٤٧) المصدر السابق ص٨٢.

(٤٨) الديوان ص٩٧.

(٤٩) المصدر السابق، ص٩٧.

(٥٠) الديوان، ص٩٨.

(٥١) المصدر السابق، ص٩٨.

(٥٢) المصدر السابق، ص٩٩.

(٥٣) المصدر السابق، ص٩٩.

(٥٤) الديوان، ص٩٩.

(٥٥) المصدر السابق، ص٩٢.

(٥٦) الديوان ص ٩٢.

(٥٧) المصدر السابق، ص٩٣.

(٥٨) الديوان، ص٩٣.

(٥٩) المصدر السابق، ص٩٤-٩٥.

(٦٠) الديوان، ص٩٨.

(٦١) المصدر السابق، ص٨٣.

(٦٢) المصدر السابق، ص٨٤.

(٦٣) الديوان، ص٨٤.

(٦٤) المصدر السابق، ص٨٤، ٨٥.

(٦٥) المصدر السابق، ص٨٥، ٨٦.

(٦٦) الديوان، ص٨٦.

[٦٧] المصدر السابق، ص٨٣.

[٦٨] المصدر السابق، ص١٠٠.

[٦٩] المصدر السابق، ص١٠٠.

[٧٠] الديوان، ص١٠٠.

[٧١] المصدر السابق، ص١٠٠.

[٧٢] المصدر السابق، ص١٠١.

[٧٣] المصدر السابق، ص١٠١.

[٧٤] الديوان، ص١٠١.

[٧٥] المصدر السابق، ص١٠٢.

[٧٦] المصدر السابق، ص١٠٣.

[٧٧] المصدر السابق، ص١٠٢.

[٧٨] الديوان، ص١٠٣.

[٧٩] المصدر السابق، ص١٠٤.

[٨٠] المصدر السابق، ص١٠٥.

[٨١] المصدر السابق، ص١٠٥.

[٨٢] الديوان، ص١٠٥.

[٨٣] المصدر السابق، ص١٠٦.

[٨٤] المصدر السابق، ص١٠٧.

[٨٥] الديوان، ص١٠٩.

[٨٦] المصدر السابق، ص١١٠.

[٨٧] المصدر السابق، ص١١٠.

[٨٨] المصدر السابق، ص١١٠.

[٨٩] الديوان، ص١١١.

[٩٠] المصدر السابق، ص١١٢.

[٩١] المصدر السابق، ص١١٢.

[٩٢] الديوان، ص٨٧.

[٩٣] المصدر السابق، ص٨٨.

(٩٤) المصدر السابق، ص٨٨.

(٩٥) المصدر السابق، ص٨٨.

(٩٦) الديوان، ص٨٨.

(٩٧) المصدر السابق، ص٨٩.

(٩٨) المصدر السابق، ص٨٩.

(٩٩) ينظر: النقد التطبيقي والتحليلي، د.عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ص٦٧.

(١٠٠) ينظر: فن القصة، د. محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص٥، ١٩٦٦، ص ٩٨.

(١٠١) ينظر: فن القصة، ص ١٠٣-١٠٤

(١٠٢) الديوان: ص ٧٨-٨٣.

(١٠٣) الديوان، ص ٩٢-٩٦

(١٠٤) الديوان: ص ٩٧-١٠٠.

(١٠٥) الديوان ص ١٠٠

(١٠٦) ينظر: فن القصة، ص ١٦.

(١٠٧) ينظر: فن القصة القصيرة، د.رشاد رشدي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٠، ص٩١.

(١٠٨) ينظر: المصدر السابق، ص ١٧.

(١٠٩) المصدر السابق، ص ٩٤.

(١١٠) فن القصة القصيرة، ص ٩٥-٩٦.

(١١١) المصدر السابق، ص١١٦.

(١١٢) المصدر السابق، ص١١٨-١١٩.

(١١٣) الديوان، ص٧٨-٨٣.

(١١٤) الديوان، ص٩٢-٩٩.

(١١٥) الديوان، ص١٠٣-١١٢.

(١١٦) الديوان، ص٨٧-٨٩.

(١١٧) المصدر السابق، ص٩٧-١٠٠.

(١١٨) الديوان، ص١٠٠١-١٠٠٣.
(١١٩) ينظر فن القصة، ص١٠٨.
(١٢٠) ينظر المصدر السابق، ص١٠٨.
(١٢١) ينظر المصدر السابق، ص١١٣.
(١٢٢) الديوان، ص٧٨.
(١٢٣) المصدر السابق، ص١٠٠.
(١٢٤) الديوان، ص٩٨-٩٩.
(١٢٥) المصدر السابق، ص١٠٣.
(١٢٦) ينظر فن القصة القصيرة، ص٥٤.
(١٢٧) ينظر المصدر السابق، ص٥٦.
(١٢٨) ينظر المصدر السابق، ص٥٦-٥٧.
(١٢٩) الديوان، ص٨٢.
(١٣٠) المصدر السابق، ص٩٦.
(١٣١) الديوان، ص٨٣.
(١٣٢) الديوان، ص١٠١.
(١٣٣) ؟؟؟؟
(١٣٤) المصدر السابق، ص٩٧.
(١٣٥) الديوان، ص٧٨.
(١٣٦) الديوان، ص٧٨.
(١٣٧) المصدر السابق، ص٩٣.
(١٣٨) المصدر السابق، ص٩٣.
(١٣٩) المصدر السابق، ص٩٣.
(١٤٠) المصدر السابق، ص٨٥.
(١٤١) المصدر السابق، ص٨٧.
(١٤٢) الديوان، ص٨٧.
(١٤٣) المصدر السابق، ص٩٤.
(١٤٤) المصدر السابق، ص٨٤.

(١٤٥) سورة الحج من الآية ٢.

(١٤٦) الديوان، ص٨٥.

(١٤٧) سورة طه الآية ٦٧.

(١٤٨) الديوان، ص٨٠.

(١٤٩) المصدر السابق، ص٨٠.

(١٥٠) المصدر السابق، ص٩٣.

(١٥١) المصدر السابق، ص٩٣.

(١٥٢) الديوان، ص١٠٧.

(١٥٣) المصدر السابق، ص٩٦.

(١٥٤) المصدر السابق، ص١١٢.

(١٥٥) المصدر السابق، ص٨١.

(١٥٦) الديوان، ص٨١.

(١٥٧) المصدر السابق، ص٨١-٨٢.

(١٥٨) الديوان، ص٨٥.

(١٥٩) المصدر السابق، ص٨٧.

(١٦٠) المصدر السابق، ص٩٢.

(١٦١) الديوان، ص٩٧.

(١٦٢) المصدر السابق، ص٩٢.

(١٦٣) المصدر السابق، ص٩٥.

(١٦٤) المصدر السابق، ص٩٩.

(١٦٥) الديوان، ص١١٥.

(١٦٦) موسيقى الشعر، ابراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط٤، ١٩٧٢، ص١٧٧.

(١٦٧) الديوان، ص٧٨.

(١٦٨) المصدر السابق، ص٩٢-٩٣.

(١٦٩) المصدر السابق، ص٨٣.

(١٧٠) الديوان، ص١٠٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث، د.عربية توفيق لازم، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧١.

٢. الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، د.علي جواد الطاهر، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٤

٣. ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

٤. ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٠.

٥. ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٣.

٦. ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت.

٧. ديوان الزهاوي، مج ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢.

٨. ديوان عمرو بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٥.

٩. ديوان كعب بن مالك، تحقيق، سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦.

١٠. ديوان مجنون ليلى، تحقيق أحمد عبد الستار الفراج، دار مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.

١١. ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق د.شكر فيصل، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٢. الزهاوي، د. ماهر حسن فهمي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

١٣.الزهاوي دراسات ونصوص، جمع واعداد، عبد الحميد الرشودي، قدم له د.يوسف عز الدين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦.
١٤.الزهاوي في معاركه الأدبية والفكرية عبد الرزاق الهلالي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢.
١٥.الزهاوي وثورته في الجحيم، محاضرات ألقاها، د.جميل سعيد، عميد كلية الآداب جامعة بغداد، معهد البحوث والدراسات العربية، د.ت.
١٦.فن القصة، د.محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٦٦.
١٧.فن القصة القصيرة، د.رشاد رشدي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٠.
١٨.في الأدب والنقد، محمد مندور، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٥٦.
١٩.القصة والحكاية في الشعر العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، د.بشرى الخطيب، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٩٠.
٢٠.لمحات من الشعر القصصي في الأدب العربي، نوري حمودي القيسي، سلسلة الموسوعة الصغيرة- ٧١- منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد.
٢١.من آفاق الأدب المقارن، د.داود سلوم، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٢٢.موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط٤، ١٩٧٢.
٢٣.النقد التطبيقي والتحليلي، د.عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ١٩٨٠.

نصوص في التربية الاجتماعية والأخلاقية من التوراة
(دراسة وتقويم)

د. علي أغنيان محمد الكبيسي

كلية العلوم الإسلامية/ الفلوجة

جامعة الأنبار

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ورضي الله تعالى عن أصحابه حملة لواء التوحد بين الأمم وقادة الخلق إلى الحق، أما بعد.

فان موضوع هذا البحث هو (نصوص في التربية الاجتماعية والأخلاقية من التوراة– دراسة وتقويم).

بداية نقول: لاشك أن للجانب التربوي في كل فكر أودين أثراً كبيراً في صياغة وإعداد سلوك من ينتمون إليه، وهذه محاولة مني لبيان بعض من المسائل التربوية التي أسهمت في إنشاء وتكوين سلوك اليهود؛ في الجانب الاجتماعي والأخلاقي. من خلال كتابهم المقدس (التوراة).

وبعد اطلاعي على ما تحويه التوراة من نصوص تربوية، عمدت إلى اختيار بعض من جوانب التربية؛ ففي مجال التربية الاجتماعية قصرت البحث على النصوص الخاصة بموقف التوراة من المرأة...

وفي مجال التربية الأخلاقية وقع اختياري على مجموعة من النصوص؛ منها ما يدعو إلى الخلق الفاضل، ومنها ما يأمر بالخلق الرذيل. وبعد عرض كل مجموعة من هذه النصوص ألحقت بها دراسة لتقويم اعوجاجها معتمداً على نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ومن الأسباب التي دفعتني للبحث في هذا الموضوع الحرص على فضيحة النصوص التوراتية الخاصة ببعض الجوانب التربوية للإنسان اليهودي، وبيان هيمنة القرآن الحكيم على التوراة من خلال المقارنات بين نصوصها، وبين نصوص القرآن الحكيم، وبيان هزال التربية التوراتية، من خلال المقارنات بين نصوصها المتناقضة والخاطئة، وتحليلها منطقياً وتربوياً.

وحاجة القراء لاسيما المثقفين منهم إلى فهم التوراة وتوضيح موقف الإسلام من هذه التوراة المحرفة.

وقد اتخذت المنهج الوصفي لدراسة التربية في التوراة، وذلك من خلال عرض نصوصها وتحليلها، ولغرض إقامة الحجة على أهل التوراة، من كتابهم المحرّف، اعتمدت

نسخة الكتاب المقدس الطبعة البروتستانتية المعتمدة لدى اليهود والنصارى والمترجمة عن اليونانية- دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

كما حرصت على توضيح بعض نصوص التوراة بالتوراة بنفس الطبعة البروتستانتية المعتمدة لديهم اليوم، بما فيها من نصوص مقاربة المعنى لنصوص المتن، أو متناقضة معه، أو مزيدة عليه. كما شرحت بعض نصوص التوراة، بشروح بعض علمائها ومؤرخيها من يهود ونصارى.

واستفدت من كتابات علماء الدين اليهود والنصارى، الذين نقدوا التوراة، وأبانوا تحريفها.

واعتمدت على كبار مفسري القرآن الكريم، والمؤرخين المسلمين، القدامى والمحدثين، في نقد بعض معاني النصوص التوراتية.

وقمت بنقد بعض النصوص التوراتية، من خلال المنطق والعقل.

وجعلت تقويم نصوص التوراة الواردة في صلب البحث، بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، وهذا دون شك هو المقياس الأدق والأعظم.

واقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن يقسم بعد هذه المقدمة إلى ثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: (موقف الإسلام من التوراة) وهو فصل تمهيدي، تضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: التوراة تعريفها وقدسيتها عند اليهود.

المطلب الأول: تعريف التوراة.

المطلب الثاني: قدسيتها عند اليهود.

المبحث الثاني: موقف الإسلام منها. بينت فيه موقف القرآن الصريح من التوراة المنزلة (الأصلية)، والتوراة المحرفة الحالية.

أما الفصل الثاني فكان: (التربية الاجتماعية)

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم التربية في التوراة.

المبحث الثاني: (التربية الاجتماعية) عرض وتقويم.

وخصصت **الفصل الثالث للتربية الأخلاقية**، وتضمن مبحثين:

المبحث الأول: الإرشاد إلى الخلق الفاضل (عرض وتقويم).

المبحث الثاني: الأمر بالخلق الرذيل (عرض وتقويم).

وفي الخاتمة ذكرت نتائج البحث بصورة موجزة.

الفصل الأول
موقف الإسلام من التوراة

المبحث الأول: التوراة تعريفها وقدسيتها عند اليهود

المطلب الأول- التعريف بالتوراة:

لغة: اختلف في أصل لفظة التوراة، فمنهم من ردها إلى أصل عربي، ومنهم من ردها إلى أصل عبري[١].

أما الذين ردوها إلى الأصل العربي فيرون أن التوراة تعني الضياء والنور، وهي مشتقة من (وري) بفتح الراء وكسرها الزند، إذا قدح، فظهرت وخرجت منه النار، وسميت التوراة كذلك لأنها ضياء ونور، كما وصفها القرآن الكريم، فهي تجلو ظلمة الظلام، ويظهر بها الحق[٢].

أما الذين يرجحون ردّها إلى الأصل العبري، فهي عندهم بمعان عدة، أهمها: «الوصايا أو التعليم، والشريعة، والناموس، والقانون»[٣]، ثم استعملت للتعبير عن شريعة موسى عليه السلام في كل ما أوحاه الله إليه ليبلغه إلى قومه.

أما معناها بالعبرية فهو: الهداية والإرشاد[٤].

اصطلاحاً: أختلف في معناها الاصطلاحي كثيراً فمنهم من اعتبرها (الوصايا العشر) وحدها، وهي أصح ما في التوراة بإجماع علمائها تقريباً [٥]، ومنهم من اعتبرها (سفر التثنية) والذي يسمى في العهد القديم (سفر التوراة أو سفر الشريعة)[٦]، وان الكثير من علماء النصارى يعتقدون بالتوراة بهذا المعنى ومنهم من عرفها بإسفار موسى الخمسة وهي (التكوين، والخروج واللاويين والعدد والتثنية). ومنهم من اعتبر اسفارها ٣٩ سفراً وهي النسخة البروتستانتية*، ومنهم من اعتبر اسفارها ٤٦ سفراً وهي النسخة الكاثوليكية.

المطلب الثاني– قدسيتها عند اليهود:

رغم التحريف الذي اعترى التوراة المعاصرة إلا إن أكثر اليهود يعتقدون بقديستها ودوام أحكامها، ومن النصوص التي يعتمدونها في ذلك نصوص منسوبة إلى بعض أنبيائهم، ومنها النص المنسوب إلى يعقوب عليه السلام: «أما أنا فهذا عهدي معهم، قال الرب: روحي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك ولا من نسلك، ولا من نسل نسلك، قال الرب من الآن وإلى الأبد»[٧]، والنص الآخر في نفس السفر:«يبس الزرع، وسقط الزهر، وكلام ربنا يدوم إلا الأبد»[٨].

ويعتقد أهل التوراة أنها نظام حياة وحكم وسلوك؛ لوجوب اتباعها: «... لكي توصوا بها أولادكم، ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة؛ لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم، بل هيّ حياتكم»[٩]، ويدّعون أن الله عز وجل قد خصهم بالأرض المقدسة (فلسطين) من دون العالمين: «فالآن يا إسرائيل أسمع الفرائض والأحكام التي أنا أعلمكم لتعلموها، لكي تحيوا وتتملكوا الأرض التي الرب أباكم يُعطيكم، لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيكم به، ولا تنقصوا منه، لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها»[١٠].

ومن صور تقديسهم للتوراة، ما ذكر عن هرتزل أبي الصهيونية، أنه أعلن في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م إن دولة إسرائيل ستقوم على حرفية التوراة، وأوصى أن تُدفن توراته الخاصة إليه من قبل قس نصراني صهيوني، وقد رُسِمَ عليها حدود إسرائيل معه في قبره، وقد دفنت معه عام ١٩٠٤م[١١].

هذا ما يعتقده كثيرٌ من اليهود والنصارى في التوراة الحالية المحرّفة، إما عقيدة دينية، وإما عقيدة سياسية، وإما تعصباً أعمى وإصرار على تحقيق مصالحهم!

المبحث الثاني: موقف الإسلام من التوراة

للإسلام رأيه الصريح في التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام والتي ضاعت وحرّفت.

ان القرآن الكريم يعترف برسالات الأنبياء أجمعين من غير تفريق بينهم، كما يعترف بقدسية ما أنزل على رُسله، والإيمان بهذا الاعتقاد جزء من عقيدة المسلم، قال تعالى:

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ ﴾[12].

وقد وصف القرآن الكريم توراة موسى عليه السلام بالصفات الآتية:

١- هيّ هدى ونور: يهتدي بها الساري في ظلمات الحياة ومسالكها: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾[13]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ ﴾[14].

٢- هيّ رحمة: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤ ﴾[15].

٣- هيّ ضياء وفرقان وإيمان بالآخرة: يفرّق الله بها بين الحق والباطل، فيتذكر بها الأتقياء الورعون الخائفون من الساعة: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ٤٩ ﴾[16]، وأهلها اليوم، ومنذ أمروا بها لا خشية ولا تقوى عندهم، باعتراف كتابهم، ولا مكان للساعة والآخرة في توراتهم.

٤- هيّ دستور، حَكَمَ بها الأنبياء والأحبار: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾[17].

هذا الوصف العظيم كله للتوراة الحقيقة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وهيّ قطعاً فقدت منذ زمن بعيد.

أما التوراة الحالية، فهي محرّفة، وباعتراف أصحابها[18]، وهيّ من كتابه بعض الأحبار، والقرآن الكريم هو المهيمن، وهو القول الفصل في كل ما ورد في التوراة الحالية المحرفة: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[19].

وإن من حكم تنزيل القرآن الحكيم كشف الأخطاء والاختلافات التي غرق فيها كتابهم: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾[20].

وإن القرآن الحكيم ليوضح للدنيا كلها شكوك اليهود أنفسهم في توراتهم، كما يوضع الاختلاف الذي هم يعترفون به: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾[٢١].

وتؤكد تعاليم الإسلام إن التوراة الحالية المتداولة بين اليهود والنصارى، ليست تلك التي أنزلت على موسى عليه السلام ويعترف اليهود أنفسهم أن التوراة الحالية قد كتبها عزراً[٢٢]. وهي تقرّ بذلك، وتصفه أنه هو كاتبها: «كاتب شريعة اله السماء»[٢٣].

وقد أكدّ القرآن الكريم على التحريف الذي وقع في كتبهم، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[٢٤].

وثبت عن نبينا ﷺ أنه قال: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم- يعني أهل الكتاب- عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**» [٢٥]، فالنبي ﷺ يوجه المسلمين بضرورة عدم اتخاذ اليهود مصدراً علمياً، بسبب صلتهم بالتوراة، كما ثبت عنه ﷺ قوله: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله، وما أنزل إلينا، وما أُنزل إليكم**»[٢٦]، فالقرآن العظيم هو وحي الله الصادق، وهو المهيمن على ما سبق من الكتب وقد جعله الله تعالى تبياناً لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[٢٧].

الفصل الثاني
التربية الاجتماعية في التوراة

نظراً لتعدد الجوانب التي تشملها التربية الاجتماعية فإن الحديث هنا يقتصر على جانب مهم وحيوي من جوانب التربية وهو موقف التوراة من المرأة، لذا فقد قسمت هذا الفصل إلى:

المبحث الأول: مفهوم التربية في التوراة.

للتربية معانٍ شتى وتعريفات متنوعة، ومن ذلك التربية هيّ العملية التي تهدف إلى مساعدة الفرد ليصبح مواطناً صالحاً في مجتمعه[٢٨].

ومفهوم آخر يقول: التربية هيّ العملية المسؤولة عن مساعدة الفرد على تنمية شخصيته [٢٩].

ومفهوم آخر يذكر أن التربية هيَ العملية التي تهدف إلى مساعدة الفرد على التكيف مع الحياة [٣٠].

من المفاهيم المذكورة أعلاه، نخلص إلى ان التربية جهد يُبذل لإصلاح الفرد، بحيث يكون نافعاً لنفسه ومجتمعه، ويمكن لهذا الجهد أن يكون متنوعاً بحيث يقدم بأساليب مختلفة، بهدف إرشاد الفرد إلى السلوك الأقوم والأمثل في الحياة، وعليه فكان يفترض حسب هذه النظرية أن تُعنى التربية في التوراة بتلك النصوص الإيجابية التي تأمر اليهود بالارتقاء بأنفسهم في مختلف جوانب الحياة، غير إننا وبعد البحث في التوراة، وجدنا نصوصاً متضاربة في كثير من المجالات، فهناك نصوص تأمر بالفضيلة، وأخرى تدعو إلى الرذيلة ووجدنا حكماً وأمثالاً وقصصاً تشجّع على فعل الخير وأخرى تناقضها وتأمر بالسوء...كما سيأتي بيانها لاحقاً.

المبحث الثاني: التربية الاجتماعية (عرض وتقديم)

سنقتصر في دراستنا هنا على موقف التوراة من المرأة ذلك ان التوراة قد رسمت للمرأة صورة سيئة جداً، أثّرت تأثيراً كبيراً في تحديد الملامح العامة للتربية الاجتماعية في التوراة.

فيناقش هذا المبحث نظرة التوراة بإجمال إلى المرأة، من حيث نجاستها وشرها، ودورها في الخروج من الجنة، وحرمانها من بعض حقوقها الإنسانية.

ويتناول كذلك أهدار كرامة المرأة، وابتذالها، كما يشير إلى خطر أثرها وسط المجتمع اليهودي وغيره، إضافة إلى تقويم هذا الموقف بالمنظور الإسلامي.

وسنتناول هذا الموقف في المسائل الآتية:

المسالة الأولى: (نجاستها)

تذكر التوراة أن المرأة تكون نجسة نجاسة حسية لعدة ايام، خلال فترة حيضها. وفي هذه المدة تنتقل نجاستها إلى كل من يمسها أو تلمسه هي، أو ما تجلس عليه. جاء في سفر اللاويين: «وإذا كانت المرأة لها سيل، وكان سيلها من دمٍ في لحمها، فسبعة أيام تكون في طمثها، وكل من مسها يكون نجسا إلى المساء وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجسا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسا، من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكون نجسا إلى المساء، وان كان على الفراش او المتاع الذي هي جالسة عليه، عندما يمسه يكون نجسا إلى المساء»[٣١].

وتبقى هذه النجاسة للمرأة، ليس فقط في فترة الحيض، بل حتى في حالة خروج الدم من غير حيض (الاستحاضة) وتكون المرأة نجسة كذلك، وبالتالي تؤثر نجاستها في كل ما تتصل به سواء كان إنسانا أم متاعا أو غير ذلك[٣٢].

المسألة الثانية: (شرها)

تنظر التوراة إلى المرأة كأنها شرٌّ محض، ولهذا تصفها بالخطر الداهم المتربص بالناس، جاء في سفر الجامعة حكاية عن سليمان عليه السلام:

«درت انا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً، فوجدت أمرَّ من الموت (المرأة)، التي هي شباك، وقلبها إشراك، ويداها قيود، الصالح قُدّام الله ينجو منها، أما الخاطئ فيؤخذ بها...، رجلا واحداً بين ألف وجدت، أما المرأة فبين كل أولئك لم أجد...»[٣٣]، وهذا يعني ان الشر كامن في فطرة المرأة ابتداءً!!

المسألة الثالثة: (دورها في الخروج من الجنة)

تنحي التوراة اللآئمة على المرأة، بادعائها أنها سبب الخروج من الجنة، وذلك باكلها من الشجرة المحرّمة، وباعطاء ثمرها لرجلها، لياكل منها.

جاء في سفر التكوين: «فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضا معها، فأكل، فانتفخت عينهما وعلما أنهما عريانين، فخاطا أوراق التين وصنعا لأنفسهما مآزراً»(٣٤).

ونص اخر «فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت»(٣٥).

ولهذا تزعم التوراة إن الرب عاقب المرأة بإتعاب الحمل، وباشتياقها للرجل وسيادته عليها.

جاء في سفر التكوين: «وقال للمرأة تكثير أكثر أتعاب حبلك، وبالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك»(٣٦).

المسألة الرابعة: (فرصتها في اختيار الزوج)

يظهر في بعض النصوص إن للمرأة الحق الكامل في اختيار الزوج، دون إكراه أو مذلّة. والنص الآتي يمكن إيراده في هذا الصدد، عن بنات صلفحاد اليهودي: «هذا ما امر به الرب عن بنات صلفحاد قائلا: من حسن في عينهن يكن له نساء ولكن من سبط آبائهن»(٣٧).

فهذا النص في الجزء الأول منه يعطي الحق للمرأة في اختيار الزوج، غير إن الجزء الآخر من ذات النص، يفقد هذا الاختيار، بان أولئك البنات، عليهن أن يتزوجن فقط من سبط آبائهن، ولا ينبغي أن تترك الحرية لهن، ليتزوجن بمن يرضين من غير تلك العشيرة.

فهذا النص الذي أعطى المرأة الحرية في اختيار الزوج، إذ به يفقدها تلك الحرية، ويقصرها على أن تتعلق بأزواج من قرابة محدودة...

بل نجد في نصوص أخرى أن هذه الحرية المقيدة لا تمتلكها، وتضطر أحيانا لتقبل بمن يفرض عليها زوجا او تذل نفسها، لتظفر بمن تريد من الأزواج، فالنص الاتي نموذج، لفرصة المراة في اختيار بعلها:

«إذا اسكن اخوة معا ومات واحد منهم، وليس لها ابن فلا تصير امرأة الميت الى خارج، لرجل اجنبي اخو زوجها يدخل عليها، ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب اخي الزوج»(٣٨)، فالمرأة مجبرة في هذا النص على قبول احد اخوان زوجها الميت، كزوج لها

ولاحق لها في الرفض او الاعتذار وليس لها الحق في الرفض، وهي وهو مكرهان على الزواج.

وأسوأ من ذلك أن المرأة إذا لم تكن يهودية، ورغبت في الزواج من احد اليهود فعليها إذلال نفسها، واطراحها مضطجعة عند رجليه حتى الصباح(٣٩).

المسألة الخامسة: (ابتذال المرأة وإباحتها في التوراة)

على الرغم من مشروعية الزواج في التوراة، والحض على العفة الجنسية، ورغم تبيانها لأحكام الحل والحرمة في العلاقات الزوجية(٤٠)، الا أنه مع ذلك، فان الناظر في التوراة يجد ما يناقض ذلك، فهناك نصوص كثيرة تدعو إلى الإباحة الجنسية مع المرأة، وإهدار كرامتها وإنسانيتها.

١. تفتري التوراة النص الأتي: «وشاخ الملك داود. تقدّم في الايام، وكانوا يدثرونه بالثياب، فلم يدفأ فقال له عبيده: ليفتشوا لسيدنا الملك عن فتاة عذراء، فلتقف إمام الملك، ولتكن له حاضنة، ولتضطجع في حضنك، فيدفا سيدنا الملك، ففتشوا عن فتاة جميلة في تخوم اسرائيل، فجاءوا بها إلى الملك، وكانت الفتاة جميلة جداً...» (٤١).

٢. النص الاتي يبيح خطف النساء، فقد جاء في سفر الأمثال ما يلي: «قال شيوخ الجماعة... واوصوا بني بنيامين(٤٢)، قائلين: امضوا واكمنوا في الكروم، وانظروا فاذا رأيتم بنات شيلوة(٤٣) يدرن في الرقص اخرجوا انتم من الكروم، واخطفوا لأنفسكم كل واحد امرأة من بنات شيلوة، واذهبوا إلى ارض بنيامين»(٤٤).

٣. تبيح التوراة: كذبا على داود عليه السلام اغتصاب الزوجات، فتدّعى ان وسيط داود انتزع زوجة من رجلها الذي كان يسعى وراءها ويبكي، ويطرد طرد الكلاب لتكون زوجة لداود الذي خطبها لنفسه وهي متزوجة(٤٥).

٤. تفتري التوراة على الرب أنه اباح انتهاك عرض نساء داود عليه السلام لأنه– كما تكذب التوراة– اخذ امرأة اوريا الحثى، احد جنود داود عليه السلام.

يقول النص: «هكذا قال الرب ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك، وأعطيهن لقريبك، فيضطجع مع نساءك في عين هذه الشمس، لأنك أنت فعلت بالسر، وانأ افعل هذا الأمر قُدّام جميع إسرائيل، وقدّام الشمس»(٤٦).

المسألة السادسة: خطر اثر المرأة في المجتمع اليهودي وغيره.

كثير من نصوص التوراة المتعلقة بالمرأة تشهد بخطورتها ومكرها، في المجتمع اليهودي وغيره، ذلك انها تسبب في انحراف الناس عن الصراط المستقيم وهي- كما تدعى التوراة- كذلك اداة مؤثرة في إهلاك خصوم اليهود عن طريق الدهاء والمكر، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

المثال الأول:

تزعم التوراة إن نساء سليمان عليه السلام استطعن ان يصرفنه عن طريق الرب: «وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء إلهة اخرى، فذهب سليمان وراء عشتورات الهة الصيدونيين(٤٧)، وملكوم اله العمونيين(٤٨). وعمل سليمان الشر في عين الرب تماما كداود ابيه...، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن»(٤٩).

المثال الثاني:

يتحدث سفر استير(٥٠)، في التوراة المحرّفة عن مقدرة هذه المرأة اليهودية التي تسيطر على الملك احشويروش، بسبب جمالها بعد أن تزوجها، وعلى الرغم من ان قوم الملك كانوا أعداء لليهود وقتلوا منهم مقتلة كبيرة، الا ان استير وعمها مردخاي استطاعا عبر الدهاء والمكر استغلال الملك واستخدامه لضرب قومه الفرس فعن طريق أعجاب الملك وشغفه بجمالها احتالت استير على زوجها الملك، وسخرته في تنفيذ رغباتها ورغبات عمها مردخاي في القضاء على أعوانه، فأمر بقتل هامان وبنيه العشرة، وخمسة وسبعين ألفاً من أعدائهم الفرس(٥١).

المثال الثالث:

وهو يتعلق بياعيل امرأة جابر القيني اليهودي، حينما خدعت سيسرا رئيس جيش يابين عندما هزم جيشه امام الجيش اليهودي، واوهمته انها ستخفي أمره، ولكنها غدرت به، على الرغم من الصلح الذي كان بينهما.

يقول النص: «واما سيسرا، فهرب على رجليه الى خيمة ياعيل امراة جابر القيني لانه كان صلح بين يابين ملك حاصور(٥٢)، وبين جابر القيني، فخرجت ياعيل لاستقبال سيسرا، وقالت له مل يا سيدي الي لا تخف، فمال اليها الى خيمتها، وغطته باللحاف فقال

لها اسقيني قليل ماء لاني قد عطشت ففتحت وطب اللبن وسقته ثم غطته. فقال لها قفي بباب الخيمة، ويكون إذا جاء احد وسألك: اهنأ رجل؟ انك تقولين لا، فأخذت ياعيل أمرأة جابر وتد الخيمة وضربت الوتد في صدغه، فنفد إلى الأرض وهو مثقل في النوم ومتعب، فمات»(٥٣).

التقويم:

تتضمن النصوص السابقة عدداً من القضايا المتعلقة بالمرأة. ونحاول هنا التعليق عليها... فنقول: فيما يتعلق بما جاء في التوراة عن نجاسة المرأة الذاتية حال مدة حيضها، يتنجس كل من يلامسها، فإن هذا ربما كان بسبب تشدد اليهود مع المرأة، فقد كانوا إذا حاضت المرأة، يتركون الأكل والشرب معها، وكانوا لا يجتمعون بها في البيت إثناء حيضها. فلما سأل الصحابة النبي ﷺ عن ذلك قال: «**جامعوهن. واصنعوا كل شيء إلا النكاح**»(٥٤).

وبهذا نفى هذا الحديث النجاسة الذاتية عن المرأة، وأباح التعامل معها فترة الحيض تماماً، كما يكون ذلك قبل حيضها، ومنع الاتصال الجنسي معها (الجماع)، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾(٥٥).

وحرّم الإسلام على المرأة، في فترة الحيض، أداء العبادات، مثل الصلاة والصيام، كما حرّم على الرجل أداء الصلاة، وهو على جنابة، فالأمر إذاً عبارة عن نجاسة عارضة، تزول بالطهارة، وهي تمنع المرأة فقط من مباشرة الشعائر التعبدية البحتة، ولكنها لا تمنعها من مباشرتها لسائر أوجه التعامل الأخرى، خلافاً لليهود الذين كانوا يرون في ذلك نجاسة ذاتية للمرأة، تؤثر سلباً في كل ما تلامسه، أو تتصل به.

وأما النجاسة الذاتية فيوصف بها المشركون الذين لم يعتنقوا الإسلام. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾(٥٦).

فقد دلت الآية على نجاسة المشرك، دون المؤمن(٥٧)، وثبت عنه ﷺ قوله: «**المؤمن لا ينجس**»(٥٨).

أما وصف المرأة بالشر الكامن في فطرتها، كما تزعم التوراة، فالحق أن فطرة المرأة مثل فطرة الرجل تماماً، قابلة للخير والشر في ذات الوقت، وقد خُلِقا من نفس واحدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾[٥٩].

فلا توجد فطرة شريرة تتميز بها المرأة عن الرجل، غير أن المرأة يمكن اتصافها بالكيد العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾[٦٠].

وهذا يتعلق بالمرأة الفاجرة التي تستعمل المكر والحيلة، وتستخدم جمالها وإغراءها، لتحقيق ما تريد[٦١].

وعلى الجملة، فالمرأة تستجيب لداعي الإيمان، مثل الرجل، بل ربما كانت بعض النساء أسرع استجابة لأمر الله تعالى من كثير من الرجال في القديم والحديث. والأمثلة أكثر من أن تحصى، ومن ذلك امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٦٢].

وما ذكر في التوراة من أن حواء كانت هي السبب في الخروج من الجنة، دون آدم عليه السلام فان القرآن الحكيم لم يذكر أن ما حصل كان بسبب حواء وحدها، بل أكد مسؤوليتهما سوية، في الخروج من الجنة، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾[٦٣].

فوسوسة الشيطان حصلت للاثنين معاً: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴾[٦٤].

وآية أخرى توضح كذلك أن الاستجابة لوسوسة الشيطان كانت من الاثنين معاً، وإن الأكل من الشجرة حصل لهما سوياً كذلك.

قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[٦٥].

فكلاهما اشترك في سبب الخروج، بل ربما كانت مسؤولية آدم عليه السلام أكبر، ونستأنس لهذا الرأي بان حصول الذنب والتوبة منه نسباً إلى آدم عليه السلام دون حواء، ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴾[٦٦]، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٦٧].

وفيما يتصل بفرصة المرأة في اختيار زوجها، فإنها لا تمتلك ذلك كاملاً، فإذا وجدت نصوص في التوراة تعطيها هذا الحق، فان التقييد يلاحقه، كما اتضح ذلك من خلال الأمثلة التي سقناها آنفاً، وهذا يدل على تشدد التوراة الحالية مع المرأة، وحرمانها لبعض حقوقها الطبيعية.

والإسلام، دين الحق، قد أعطى المرأة من الحقوق ما كفل لها حريتها وكرامتها، ومن ذلك الحق اختيار الزوج. وتأكيداً لهذا الحق، نهى الإسلام عن زواج الشغار، وهو أن يزوج الرجل ابنته لآخر، على أن يزوجه الآخر ابنته كذلك، وليس بينهما صداق لأن الزواج في هذه الحالة يجعل المرأة كأنها مجرد سلعة، وأمر باستئذان المرأة في الزواج ثيباً كانت أم بكراً.

روى مسلم عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تنكح الأيم، وهي الثيب، حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن**، قالوا: يا رسول الله وكيف إذنها؟ **قال: أن تسكت**»(٦٨).

ولما أراد أحد الصحابة، رضوان الله عليهم، أن يزوج بنته بمن لم تكن راغبة فيه، ذهبت إلى رسول الله ﷺ وقالت: «إن أبي يريد أن يزوجني من ابن أخيه، ليرفع خسيسته»، وأخبرته بكرهها لذلك الزواج، فأعلمها النبي ﷺ أن لها حق الاختيار، فان لم توافق لا ينعقد الزواج.

ونص الحديث كالآتي:

عن عائشة رضي الله عنها: «أن فتاة دخلت عليها، فقالت: أن أبي زوجني أبن أخيه ليرفع بي خسيسته، وأنا كارهة. قالت: أجلسي حتى يأتي النبي ﷺ فجاء الرسول ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها، فدعاه وجعل الأمر إليها. فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء من الأمر شيئاً»(٦٩).

بل أن المرأة، حتى بعد الزواج، برضاها، إذا رغبت عن الزواج لها الحق في ذلك، على أن ترد للزوج صداقه، أخرج الإمام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة ثابت بن قيس، وهي (حبيبة بنت سهل) أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ثابت ابن قيس، أما إني ما أعيب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، قال رسول الله ﷺ : «**أتردين عليه حديقته**، قالت: نعم. فقال رسول ﷺ: **أقبل الحديقة وطلقها تطليقة**»(٧٠).

وأما تلك النصوص المذكورة في التوراة آنفاً والتي تبيح العلاقات الجنسية الآثمة مع المرأة، وتبتذل شرفها وكرامتها. فهذا دون أدنى شك مما أدخله كاتبو التوراة فيها، وحرفوه، خلافاً لتلك النصوص التي تؤكد على عفة المرأة، وتدعو إلى الزواج الكريم الذي يحفظ للمرأة عفافها واستقامتها.

وما ورد من نصوص تشير إلى خطر المرأة اليهودية وتأثيرها الكبير في الحياة، فهو يرجع إلى تلك المرأة التي أثرت السير في طريق الشر والإجرام، مستغلة ما معها من جمال وإغراء ومكر وخديعة. غير أن هذا الدور الذي تقوم به المرأة، إن نجحت فيه مع الأعداء، ومع ضعاف النفوس، فإنها يستحيل أن تنجح فيه مع أصفياء الله تعالى من المرسلين والنبيين والمؤمنين الصادقين.

ولهذا فما نسبته التوراة زوراً إلى سليمان ﷺ من أن نساءه الغربيات جعلنه ينحرف من التوحيد إلى الشرك، لا يعدو أن يكون محض افتراء واختلاق وتحريف.

ونختم تعليقنا على هذا المبحث، بذكر بعض ما ترتب على تربية المرأة في التوراة في العصر الراهن، فقد أفرزت هذه التربية المعوجة للمرأة سلبيات كثيرة، منها ما يأتي:

١- المرأة في الغرب (اليهودي والنصراني) مهدرة الكرامة، ومهضومة الحقوق وهي لا تتساوى حتى الآن مع الرجل في الأجر المادي، على الرغم من قيامها بنفس ساعات العمل. بل إن زوجات بعض كبار المسؤلين في أوربا وأميركا، يشكين مُر الشكوى من سوء معاملة أزواجهن لهن التي تصل في كثير من الأحيان إلى الضرب الشديد والركل العنيف.

٢- المرأة في الغرب- أوربا وأمريكا (وهذا الواقع ينطبق كذلك على روسيا وغيرها من بلاد الكفر) سلعة تافهة، تستخدم أنوثتها وإغراءها، لترويج السلع والبضائع، عبر المحطات الفضائية والسينما والمجلات، وغيرها من وسائل الأعلام الأخرى.

٣- لا كرامة للمرأة ولا إنسانية لها في ظل الحضارة الغربية الراهنة، التي أهدرت كرامتها، وسلبتها حريتها وعفافها. فقد قَنَّنَ اليهود والنصارى إباحية المرأة، من خلال القوانين التي تعترف بالعلاقات الجنسية الآثمة تحت مسمى: (الصداقة بين الرجال والنساء)، دون الارتباط بعقد، مما هدد المجتمعات الغربية باستشراء التحلل الجنسي، وانذر

بتفشي الأمراض الجنسية الفتاكة، مثل الايدز والأمراض الزهرية...، بالإضافة إلى التفكك الأسري الذي أصبح سمة بارزة في مجتمعات تلك البلاد.

٤- انتشار ثقافة الجنس المكشوف في بلاد الغرب، عبر المجلات الخليعة، وفي أشرطة الفيديو، والفضائيات الإباحية، بل في التدريس في المدارس الابتدائية، فضلاً عن مرحلة الثانوية العامة والتجمعات، مما زاد من حدة الأزمة التي تجتاح الغرب، وتهدده بالتدمير الشامل للقيم الأخلاقية.

٥- وتستغل المرأة في الغرب في أنشطة التجسس، بين الدول، وتستخدم كذلك في ابتزاز الخصوم والمعارضين، عن طريق إغرائها وجسدها ومكرها.

كل ما ذكرناه أيضاً، من هذه النتائج المترتبة على ما يوجد في التوراة من تربية تسيء إلى المرأة. وأكثر من ذلك يعرفه الإنسان المطلع على الغرب وحضارته، ويدركه المسلم الذي يعيش بعضاً من الوقت في ديار الغرب، بل أن كثيراً من هذه الممارسات الخاطئة بحق المرأة، بدأ يفدُ، وتنتشر في جملة من أقطار المسلمين عن طريق عقول ماكرة، متربصة بالأمة الإسلامية، من داخلها ومن خارجها. والله المستعان.

الفصل الثالث
التربية الخلقية

المبحث الأول: الإرشاد إلى الخلق الفاضل (عرض وتقويم)

القيم الخلقية متناثرة في التوراة، والفاضلة منها قليلة، إلا أنها مزدحمة في سفر الأمثال خاصة، وان هذا المبحث يُعْنى بالأخلاق التوراتية الفاضلة، من خلال أوامر إلههم فيها، ووصايا أنبيائهم في مجالات متنوعة من الأخلاق.

المطلب الأول- الوصايا العشر:

جاء في سفر الخروج، منسوبا إلى الرب جل وعلا ما يلي: «لا يكن لك آلهة أخرى. لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن، ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك آلة غيور، افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي. واصنع إحسانا إلى ألوف محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لأن الرب لا

يبرئ من نطق باسمه باطلاً. أذكر يوم السبت لتقدسه... لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع... أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك»[٧١].

هذا النص يشتمل على جملة من الوصايا في العقيدة والأخلاق. ولما كان هذا الفصل خاصاً بالجانب الأخلاقي، فسنعرض هنا الوصايا التي ترشد إلى الخلق الفاضل. فنقول لاشك أن هذا النص قد تضمن بالتزام عدد من الأخلاق الإنسانية الأساسية، وهي كالأتي: بر الوالدين، عدم القتل، المحافظة على العفاف، عدم السرقة، والتنزه عن شهادة الزور، وعدم الطمع فيما يملكه الأقرباء من بيت أو امرأة أو غير ذلك. وقد أكد الإسلام على كل هذه القيم الأخلاقية في الوصايا العشر، غير أن منها ثلاث وصايا، لا تليق نسبتها إلى الرب، نوردها هنا، ونرجى التعليق عليها في التقويم. والوصايا الثلاثة هي: «في استراحة الرب بعد خلق الكون، كما تنسبها كذباً على الله، وفي أن الأولاد مسؤولون عن ذنوب الآباء، والنهي عن شهادة الزور وعن اشتهاء مقتنيات الآخرين قُيِّدَ بالا يكون ذلك مع القريب، ومعنى ذلك، أن بإمكان اليهودي أن يعامل غير اليهودي من دون إنصاف، ولا ضمير».

ومن وصايا الأخلاق التي أكدت على بعض الجوانب الخلقية السابقة، وأضافت إليها غيرها، النص الذي ورد في سفر التثنية: «ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالاً، ملعون من يستخف بأبيه وأمه، ملعون من يضل الأعمى عن الطريق، ملعون كل من يجور على الغريب واليتيم والأرملة، ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه، لأنه يكشف ذيل أبيه، ملعون من يضطجع مع بهيمة ما، ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه، أو حماته، ملعون من يقتل قريبه في الخفاء، ملعون من يأخذ رشوة لكي يقتل نفس دم برئ، ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها»[٧٢]. قد اشتمل النص على التوجيه بإحسان المعاملة مع الوالدين والضعفاء والمعوقين. ونبه أيضاً على خطورة قتل النفس، وضرورة مراعاة العفة الجنسية، ثم انفرد النص بالتأكيد على نبذ الرشوة، وختم ببيان أهميه الالتزام بأوامر الخالق جل وعلا، ذلك أن اللعنة تحيق بمن لا ينفذ وصايا الرب.

المطلب الثاني– التقوى والاستقامة والتواضع:

أما عن التقوى فقد جاء في سفر الجامعة ما يأتي: «فلنستمع ختام الأمر، اتق الله، وأحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله»[٧٣]. فقد وردت في هذا النص الإشارة إلى لزوم الاستقامة، بالتأكيد على حفظ وصايا الرب. وهناك نصوص أخرى تؤكد بوضوح على لزوم الاستقامة: «الفقير السالك باستقامة خير من معوج الطريق، وهو غني»[٧٤]، «استقامة المستقيمين تهديدهم، واعوجاج الغادرين، يخزيهم»[٧٥]. وقد جاء التأكيد كذلك على خلق التواضع «تواضع الروح مع الودعاء خير من قسمه الغنيمة مع المتكبرين»[٧٦]، ونص آخر يؤكد على التواضع المقرون بالعزة والكرامة، وليس الذلة: «مخافة الرب أدب وحكمة، وقبل الحظوة بالكرامة يكون التواضع»[٧٧].

المطلب الثالث– حُسن التعامل بين اليهود:

إذا كانت التقوى والاستقامة والتواضع صفات أساسية تعين الفرد على الارتقاء بنفسه، فان في التوراة كذلك بعض الأخلاق التي تدعو إلى إحسان الصلة بالآخرين. ومن ذلك لزوم الرحمة والحق: «لا تدع الرحمة والحق ينزعانك. تقلدها على عنقك، أكتبها على لوح قلبك، فتجد نعمة وفطنة صالحة في أعين الله والناس»[٧٨]. ذلك أن من يتصف قلبه بالرحمة والحرص على معرفة الحق، وتصدر منه الرحمة للآخرين، يهنأ في علاقاته بالناس وتطيب نفسه وتطمئن، ومن هذه الأخلاق لين القول: «الجواب اللين يصرف الغضب، والكلام الموجع يهيج السخط»[٧٩]. والرفق في القول يبعد الخصام والشحناء والشقاء بين الناس كما ويدخل في حسن معاملة الآخرين كتمان أسرارهم: «ولا تبح سر غيرك»[٨٠]. وفي ذلك تربية للفرد أن يكتم أخباره الخاصة وأسرار الناس عن الآخرين.

ولتشييد علاقة طيبة بين شعب التوراة، جاء النهي عن التكبّر والكذب وسفك الدماء وخبث الطوّية، والمسارعة إلى الأذى وشهادة الزور وزرع الخصومة بين الأخوة، كل تلك الصفات الذميمة تضمنها النص الآتي: «... وسبعة هي مكروهه عند الرب: عينان متعجرفتان، ولسان كاذب، وقلب ينشئ أفكاراً رديئة، ويدان تسفكان دماً بريئاً زارع خصومة بين إخوة، وأرجل سريعة الجريان إلى السوء، وشاهد زور يفوه بالأكاذيب»[٨١].

وورد النهي عن النفاق: «من يقول للشرير: أنت صادق، تَسُبّه العامة، وتلعنه الشعوب»[٨٢].

كذلك جاء النهي عن سلب الفقير وسحق المسكين وحسد الآخرين: «لا تسلب الفقير، لكونه فقيراً، ولا تسحق المسكين في الباب»[٨٣]، «ولا يحسدن قلبك الخاطئين»[٨٤].

ونختم هذا المطلب بالإشارة إلى مكانة الخيّرين ذوي الأخلاق الحسنة، والتحذير الوارد بشأن ذوي الأخلاق السيئة:

النص الأول يقول: «الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق ينهج بالحكمة، ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهية في قلبه»[٨٥].

والنص الخاص بالأشرار يقول: «أما نسل الأشرار فينقطع... أما الأشرار فيبادون جميعاً، عقب الأشرار ينقطع»[٨٦].

التقويم

بالرجوع إلى أبرز ما جاء في هذا المبحث كان فيه الإرشاد إلى الخلق الفاضل.

جاء في المطلب الاول: ذكر الوصايا العشر وقد تخللتها أخطاء ومحاسن.

أما الخطأ الاول: ففي مجال العقيدة بأن الله جل وعلا تعب من خلق السماوات والأرض واستراح يوم السبت، لذا قدّسه الله والتزم بقدسيته اليهود، فهم في راحة ملزمة من غير عمل في ذلك اليوم. وكيف يتعب الخالق؟!! تعالى عن قولهم علواً كبيراً.

والقران الكريم ينفي هذه التهمة المسيئة إلى الرب بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[٨٧]، أي: من تعب.

وأما الخطأ الثاني في الوصايا العشر، أن الأبناء مسؤولون عن ذنوب أبائهم إلى الجيل الثالث والرابع[٨٨]، غير أن التوراة تناقض نفسها في هذه الوصية، فقد جاء في التوراة: «النفس التي تخطئ فهي تموت، والابن لا يحمل إثم الأب، الأب لا يحمل إثم الابن»[٨٩]، وهذا النص هو الذي يتجاوب مع العقل السليم، كما يتجاوب مع حكم القرآن الكريم في رفضه للنص السابق من الوصايا، وينسب هذا الرفض إلى ما نزل في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ﴾[٩٠].

أما المحاسن ففيها من القيم العقدية والأخلاقية ما عجز اليهود عبر تاريخهم عن الوفاء بها ومن ذلك الدعوة إلى تنزيه الله تعالى وتوحيده، والنهي عن اتخاذ التماثيل والسجود لها وهذا لا شك يتفق مع ما جاء به الإسلام من التوحيد الخالص، بل إن القرآن الكريم لينص على أن جميع الرسل من ولد آدم عليه السلام قد جاؤوا بذلك قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[٩١]. إذن العقيدة والأخلاق واحدة في كل الأديان والرسالات والشرائع السماوية.

ووجدنا أن يوم السبت كان يوماً مقدساً عند اليهود[٩٢]. ليس بسبب أنه يوم راحة الرب من عناء الخلق، كما في عقيدة اليهود، ولكنه يوم امتحان لمدى طاعاتهم لربهم في الامتناع عن العمل فيه، ولكنهم قليلاً ما راعوا حرمة ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[٩٣].

وأما الكذب على الله فهو من الذنوب العظيمة دون شك قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[٩٤].

ومن القيم الأخلاقية الحسنة في الوصايا العشر، التأكيد على بر الوالدين وعدم القتل وعدم السرقة، والبعد عن شهادة الزور وحسد الآخرين، أو الطمع فيما عندهم. وهذه المحاسن الأخلاقية أكد عليها الإسلام من خلال القران الكريم والسنة المطهرة. ونورد هنا بعض آيات القران الكريم التي تؤكد على الأخلاق المذكورة أنفا: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[٩٥].

وفي السرقة، ورد قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[٩٦]، وأما شهادة الزور فهي أثم كبير، ومدح الله تعالى المنتهين عنها: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[٩٧]، وحّرم الله الطمع فيما عند الآخرين، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ

وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾[٩٨]، ونظرا لخطورة الحسد نهى الله عنه، بل أمر المسلمين أن يستعيذوا به جل وعلا من الحاسد ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[٩٩].

اما المطلب الثاني : فقد أكد على بعض الأخلاق المذكورة آنفا.. وأضاف أمورا أخرى، فقد نهى عن إلحاق الضرر بالناس، خاصة الضعفاء وذوي الأعذار وقد عدها الله تعالى من الذنوب الكبيرة في الكثير من الآيات منها قولة: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[١٠٠].

وأما اخذ الرشوة فهو محرم، ولقد لعن الرسول ﷺ آكل الرشوة، فقال: «**لعن الله الراشي والمرتشي**»[١٠١].

أما تقوى الله فيؤكد القرآن الكريم عليها غاية التأكيد، ويربطها بالعقل الحصيف: ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[١٠٢]، والتقوى هي أن يبقى الإنسان بسلوكه الحسن، من غير أن يغضب الله ﷻ بذنب، لذلك فان المتقي يخشى الله: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾[١٠٣].

ولقد مدح الله تعالى المتقين في كثير من الآيات: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[١٠٤].

وأيضاً قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[١٠٥].

ولقد أكد الإسلام على التواضع وأمر به قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد**»[١٠٦].

والتواضع الذي أكدت عليه التوراة مع اقترانه بالعزة والكرامة، يؤكد المصطفى ﷺ أن يكون خالياً من الذلة وانتقاص القدر: «طوبى لمن تواضع من غير منقصة»[١٠٧].

ونهى القرآن الكريم عن التكبر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾[١٠٨].

أما المطلب الثالث: فقد ذكر جملة من الأخلاق الفاضلة، كلها أمر بها الإسلام وأكدها، وعممها في تعامل المسلمين مع الجنس الإنساني.

فقد أمر المصطفى ﷺ بالرحمة: «**من لا يَرْحَمْ لا يُرحَم، ومن لا يغفر لا يغفر له**»(١٠٩).

أما النجدة والإغاثة فقد بلغ الإسلام بها القمة حين رغّب بها، كما ورد في حديثه ﷺ : «**أغيثوا الملهوف**»(١١٠)، وقد أمر النبي ﷺ بالكتمان ونهى عن الخيانة وكشف الأسرار، وبين أن علامات المنافق أنه إذا أتمن خان، ومن ذلك قوله ﷺ : «**علامات المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أتمن خان**» (١١١)، والسر إذا استودع فهو أمانة.

وبين الله تعالى أن الكاذب ليس أهلاً للهداية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١١٢)، وبين أن سلامة القلب من الشرك والنفاق وسائر الأمراض الباطنية، شرط أساس لدخول الجنة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾(١١٣)، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾(١١٤).

وغني عن القول، إن من آمن بدين الله والتزم واجباته الدينية، فان الله يغفر له ويعافيه في الدنيا والآخرة، وأما من أعرض عن ربه وكذب بدينه وعادى أولياءه فهو الخاسر في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾(١١٥).

المبحث الثاني: الأمر إلى الخلق الرذيل

يناقش هذا المبحث بعضاً من الأوامر المدعاة على الرب لبني إسرائيل، بارتكاب بعض الأخلاق الذميمة. ومن تلك القسوة البالغة مع غير اليهود، وإباحة الفساد الجنسي، والسرقة والغدر. وفيما يلي نقدم بعض النماذج من تلك الوصايا الباطلة:

المطلب الأول:

الأوامر المفتراة على الرب بالإبادة الشاملة لأعدائهم، بمختلف الوسائل الوحشية.

إن حروبهم كما تصفها توراتهم– إبادة شاملة، وما أكثر ما تترد هذه العبارة في وصف حروبهم: (أبادوهم، ولم يبقوا منهم شارداً ولا منفلتاً)، ويزعم اليهود إن هذه المجازر الرهيبة هي بأمر من إلههم، كما تفتري عليه التوراة: «أبادوهم، ولم يبقوا نسمة، كما أمر الرب

عبده- موسى- هكذا أمر موسى يشوع وهكذا فعل يشوع، ولم يهمل شيئاً من كل ما أمر به الرب موسى»[١١٦].

المطلب الثاني:

أوامر الرب المفتراة عليه بإباحة الفساد الجنسي، نقتصر على ذكر مثالين فقط من الأمثلة الكثيرة التي تَعُجُّ بها التوراة في التحلل الجنسي المفترى على الرب.

المثال الأول: هوشع النبي: يأمره الرب في التوراة، كذبا على الله سبحانه أن يتخذ لنفسه امرأة زانية زوجة له، ولها أولاد زنى، إذ هيّ زانية مشهورة بين اليهود: «أول ما كلمّ الرب هوشع قال الرب لهوشع: أذهب خذ لنفسك امرأة زنى، ولها أولاد زنى، لأن الأرض قد زنت زنى، تاركة الرب، فذهب وأخذ جومر الزانية، فحبلت وولدت أبناً»[١١٧].

فكيف يأمر الرب أن يتزوج نبيٌّ بزانية ومعها أولاد غير شرعيين ؟ بل أنه أول أمر إلهي إلى هذا النبي وفي أول عدد من هذا السفر لأهمية هذا الأمر الإلهي المكذوب، في التوراة المحرّفة.

وفي سياق آخر مفترى يؤمر هوشع أن يأخذ امرأة فاسقة ليقيم معها علاقة جنسية آثمة، وهيّ امرأة زانية محبوبة لغيره، ليعاشرها أزواج: «وقال الرب يا هوشع أذهب أيضاً أحبب امرأة حبيبة صاحب، وزانية كمحبة الرب لنبي إسرائيل... فاشتريها لنفسي، وقل لها تقعدين أياماً كثيرة، لا تزنين ولا تكوني لرجل، وأنا كذلك...»[١١٨].

هكذا تفتري النصوص التي تبيح العهر والفساد على الرب، وتشوه صورة الأنبياء في التوراة!

المثال **الثاني:** يفتري اليهود على الرب (تعالى) أنه أمر بتعرية الرجال والنساء، وكشف العورات: «فخذي الرحى واطحني دقيقاً، أكشفي نقابك وكتفك، أظهري ساقيك، جوزي الأنهار، ينكشف عليك ويظهر عارك...»[١١٩]، «فأنا أيضاً أرفع ذيلك على وجهك»[١٢٠]، الخطاب هذا لبنات صهيون اليهوديات! وكذا الرجال الأنبياء، ويأمرهم إلههم «بالتعرّي والمشي عُراة أياماً وسنين»[١٢١].

المطلب الثالث:

الأوامر المفتراة على الرب بالسرقة والكذب والغدر، ومن هذه الوصايا السيئة، أمر الله (تعالى)- المفترى عليه- بالكذب والسرقة، جاء في سفر الخروج: فأَخَبرَ بنو إسرائيل المصريين أن عندهم عيداً لثلاثة أيام في البرية، فاستعاروا بأمر الرب أمتعة ذهب وفضة وثياباً، وسلبوا مقتنياتهم الذهبية والفضية في أكبر سرقة عالمية: «تكلم- موسى- في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين»(١٢٢).

أما سرقة الثياب ففي نص آخر(١٢٣).

ومن هذه الوصايا الرذيلة، إباحة الغدر حين التعامل مع الآخرين، فتبيح التوراة المحرفة لبني إسرائيل أن يتستروا بالخداع والخيانة لينالوا من خصومهم! «يجوز لكم أن تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار، ويجوز لكم أيضاً أن تدينوا بدينهم، وتلجأوا إليهم وتضربوا الأوتاد في أصداغهم حتى تنفذ إلى الأرض»(١٢٤).

وهكذا بهذا الحقد والوحشية، يوصي إلههم أن يتعاملوا مع غيرهم من البشر، بتغيير دينهم ظاهراً حتى يغدروا بخصومهم وينتقموا منهم(١٢٥).

التقويم

إن ما نسبته التوراة للخالق من أوامر في إزهاق الأرواح وإفناء المخالفين، وفي إباحة الزنا والتعري، فإن ذلك مجرد افتراء... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

إن الإبادة التي ذكرت فيما سبق إبادة شاملة للأعداء ولما يملكون من حيوان ومتاع وبصورة بشعة، إنما هيّ من فكر من صاغوا التوراة وحرّفوها.. فهم لدمويتهم لم يرحموا حتى الحوامل، فدعوا إلى بقر بطونهنّ.

والقرآن الكريم يوضح أنه حتى مع الأعداء، فلا بدّ من العدل، ولابد من البر: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾(١٢٦)، وأنه لا ينبغي الاعتداء على المخالفين إلا بالحق: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾(١٢٧).

وإن مال الأعداء إلى الاستسلام ورضخوا، فلا بد من الوفاء بذلك: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ (١٢٨).

ووصايا الإسلام عامة في الحروب، بقتال المقاتلة فقط، دون غيرهم من الشيوخ والنساء والأطفال والصبيان والرهبان والأسرى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (١٢٩).

وأما ما نسب زوراً إلى الخالق جلّ وعلا من عدم التأكيد على العفة الجنسية، والأمر بزعمهم للنبي هوشع بالزواج من تلك الزانية، أو أمرهُ باتخاذ عشيقة لها عشيق آخر... فهو محض كذب وافتراء، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا، فالله جلّ وعلا، حاشاه أن يبيح الزنى لأحد من عبادة، وقد حرّمه تحريماً أكيداً في سائر كتبه، يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ (١٣٠).

وقد أوضح الكتاب والسُنة كلّ ما يتعلق بأحكام الزنى، وليس المجال هنا مجال تفصيل.

وأما زعم التوراة بأن الرب أمر بتعرية النساء، فهو كذلك من افتراء كاتبيها، والله يحب الستر، ويؤكد عليه تأكيداً مطلقاً مستمراً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ (١٣١).

وأما إدعاء كاتبي التوراة بأن الخالق جلّ وعلا- حاشاه- سمح لبني إسرائيل بالغدر بقوم مصر، حينما استعاروا ذهبهم، فهو كذلك محض افتراء، فالله ﷻ لا يأمر إلا بالخير والحق والوفاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ (١٣٢).

وبعدُ فقد بقيت بعض المسائل المتصلة بالأخلاق عند اليهود، نشير إليها فيما يلي:

١- إن ما جاء في التوراة من الأمر بسفك دماء الأعداء يوضح الأسباب الخُلقية الظاهرة التي يستند إليها اليهود حالياً في شدة عدائهم للمسلمين، خاصة في فلسطين، فقد قتلوا عشرات الآلاف منهم، ودمروا المنازل حتى بعد استشهاد أصحابها، إن هذه الخلفية الحاقدة هيّ التي كانت وراء بطشهم بالأبرياء في دير ياسين وصبرا وشاتيلاً، ومجزرة الحرم الإبراهيمي، وما فعلوه بأبناء غزة ليس ببعيد عن الأذهان.

٢- إن التناقض الواضح في أخلاق اليهود التي دونها كُتّاب التوراة، يشير إلى بقاء بعض المعاني التي ترشد إلى تلك الأخلاق الفاضلة من دون تحريف، وأمّا الأخرى السلبية، فالتحريف فيها واضح... وهذا دليل قاطع من داخل كتابهم الذي يقدسونه، على يد التحريف التي صاغته من بدايته إلى نهايته.

٣- وما يدل على التحريف كذلك، إننا نجد بعض النصوص- مثل النص الآتي: «لا تقرض أخاك برباً- ربا فضة أو ربا طعام، أو ربا شيء ما مما يُقرض بربا، للأجنبي تُقرض بِرباً، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يبارك إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل لتملكها»[١٣٣]، حُرِّفَ جزئياً، فكون الربا حرام بين اليهود معلوم من هذا النص، غير إن اليهود حرَّفوه، وذلك بتحليل الربا بين غير اليهود، وواضح ذلك في قولهم: (للأجنبي تقرض بربا)، فالقيم الأخلاقية مطلقة وعامة يؤمر بها المؤمنين فيما بينهم، ومع غيرهم، إلا أن اليهود حرفوا وغيروا في أحكام الله تعالى...، والحق أنهم لم يلتزموا بتحريم الربا، حتى فيما بينهم...، بل أنهم ادخلوا الربا في العالم، وسبب تحريمهم الربا وغيره من الأخلاق السيئة على أنفسهم وتحليلها على غيرهم هو استعلاؤهم وعنصريتهم، وزعمهم أن التوراة كتاب مقدس خاص ببني إسرائيل، وليس كتاب هداية للناس غيرهم وقت نزوله. ويؤكد القرآن الكريم أن التوراة كتاب لبني إسرائيل[١٣٤]، ولفترة محدودة من نزوله إلى قبل بعثة النبي ﷺ، حيث وجب أتباع القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[١٣٥]، كما يقرر القرآن الكريم إن التوراة والإنجيل هدى للناس كذلك إلى جوار هدايتهما إلى بني إسرائيل. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[١٣٦].

الخاتمة

حاولت في هذا البحث أن أقدم عرضاً لجوانب مهمة في مجال التربية الخاصة بالتوراة....

ويمكن إجمال أبرز ما توصلنا إليه من نتائج بالأتي:

١- التوراة الحالية محرفة تحريفاً لفظياً ومعنوياً.

٢- يعترف القرآن الكريم بالتوراة المنزلة على سيدنا موسى ﷺ كما يعترف برسالات جميع الأنبياء عليهم السلام.

٣- مع أن التربية جهد بذل لإصلاح الفرد والمجتمع، إلا أننا وجدنا في التوراة نصوصاً متضاربة، فمنها ما يدعوا إلى الخلق الحسن ومنها ما يأمر بالخلق الرذيل.

٤- تضمنت التوراة نصوصاً في التربية الاجتماعية الخاصة بموقفها من المرأة، وهي بمجموعها تمثل انتهاكاً صارخاً للقيم الإنسانية والأخلاقية، كما أبرزت تشدد اليهود مع المرأة وأهدرت كرامتها وعفتها ومكانتها في المجتمع... وقد أفرزت هذه التربية المعوجة للمرأة سلبيات كثيرة في المجتمع...

٥- من مظاهر التحريف في التوراة، تناقض تعاليمها، واتهام الله ﷻ بما لا يليق بجلاله، ورمي الأنبياء بما لا يليق بمقامهم.

نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى الصواب، ويتمم نعمه علينا، ضارعاً إليه جل وعلا أن يتقبل هذا الجهد، وإن كان فيه شيء من الخطأ والزلل، فاستغفره سبحانه وتعالى، وأتوب إليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، درا أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١٥، ص٣٨٨؛ والجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ج٤، ص٥.

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين، محمود شكري الآلوسي، ط٤، دار الطباعة الميرية، بيروت، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٣، ص٦٦.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، بدون تاريخ، بيروت، دار الجيل، ج٢، ص٢.

(٤) ينظر: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د. فتحي محمد، ط١، دار البشير للطباعة والعلوم، طنطا، مصر، ١٩٩٤م، ص٤٨.

(٥) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٩٩٠م، ص٣٢.

(٦) ينظر: إظهار الحق، رحمه الله خليل بن خليل الرحمن الهندي، مكتبة الوحدة العربية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٤م، ج١، ص٥٢؛ ودين الله في كتب أنبيائه، محمد توفيق صدقي، ١٩١٢م، مطبعة مجلة المنار، مصر القديمة، ص٧٣؛ ونبوة محمد من الشك إلى اليقين، د. فاضل صالح السامرائي، ط١، مكتبة القدس، بغداد، ١٩٧٨م، ص٢٥٨.

* وقد اعتمدنا هذه النسخة في بحثنا هذا.

(٧) ينظر: سفر إشعياء: ٥٩/٢١.

(٨) سفر إشعياء: ٤٠/٨.

(٩) سفر التثنية: ٣٢/ ٤٦-٤٧.

(١٠) سفر التثنية: ٤/١- ٢.

(١١) ينظر: هيكل سليمان، أو الوطن القومي لليهود، يوسف الحاج، ١٩٣٤م، بيروت، لبنان، ص١٣٨.

(١٢) سورة البقرة، الآية ١٣٦- ١٣٨.

(١٣) سورة الأنعام، الآية ٩١.

(١٤) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(١٥) سورة الأنعام، الآية ١٥٤.

(١٦) سورة الأنبياء، الآية ٤٨- ٤٩.

(١٧) سورة المائدة، من الآية ٤٤.

(١٨) ينظر: إفحام اليهود، للسموأل بن يحيى المغربي، تحقيق وتعليق: د.محمد بن عبد الله الشرقاوي، ط٢، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٧هـ، ص١٣٥- ١٤٠.

(١٩) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٢٠) سورة النحل، الآية ٦٤.

(٢١) سورة فصلت، الآية ٤٥.

(٢٢) ينظر: التوراة تاريخها وغايتها، كاتب أمريكي الجنسية، ترجمة: سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٧٢م، ص١١٥.

(٢٣) سفر عزرا، ١/٧- ٢١.

(٢٤) سورة المائدة، الآية ١٣.

(٢٥) مسند الإمام احمد بن حنبل، الطبعة السلفية، ط١، دار الفكر، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٩٩٣م، ج٣، ص٤٢٩.

(٢٦) أخرجه الإمام البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، ت٢٢٦هـ، الجامع الصحيح، تحقيق احمد شاكر، الطبعة السفلية، بيروت، ج٣، ص١٦.

(٢٧) سورة النحل، من الآية ٨٩.

(٢٨) مدخل إلى التربية، عزت جرادات وآخرون، ط٣، ١٩٨٧م، مكتبة دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص٩.

(٢٩) المصدر نفسه، ص١٠.

(٣٠) المصدر نفسه، ص١١.

(٣١) سفر اللاويين ١٥/١٩-٢٤.

(٣٢) انظر: سفر اللاويين ١٥/٢٥-٢٩.

(٣٣) سفر الجامعة ٧/٢٥-٢٩.

(٣٤) سفر التكوين ٣/٦-٧.

(٣٥) سفر التكوين ٣/١٢-١٣.

(٣٦) سفر التكوين ٣/١٦.

(٣٧) سفر العدد ٣٦/٦-٧ غير ان هذه الحرية للمراة في اختيار الزوج محدودة في سبط واحد من اسباط بني اسرائيل لا تجاوزها الى غيرهم «... فلا يتحول نصيب لبني اسرائيل من سبط الى سبط، بل يلازم بنو اسرائيل كل واحد نصيب سبط آبائه» سفر العدد ٣٦/٧، وانظر قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ط١١، دار الثقافة، بالقاهرة، ١٩٩٧، ص ٥٤٧.

(٣٨) سفر التثنية ٢٥/٥-٦، وبقية النص فيه تصرفا لا أخلاقيا، ازاء اخي زوجها ان رفض ان يرثها ويتخذها له زوجة، بان تخلع نعله من رجلة، وتبصق في وجهه او تبقى هذه الوصمة وصمة العار في هذا البيت الى الابد فيسمى بيت مخلوع النعل؟

(٣٩) سفر راعوث انظر الاصحاح الثالث والرابع.

(٤٠) انظر سفري اللاويين والتثنية، فقد اشتملا على الكثير من ذلك.

(٤١) سفر الملوك الاول /١-٥.

(٤٢) بنيامين ابن يعقوب عليه السلام من امرأته. راحيل، قاموس الكتاب المقدس، ١٩٢.

(٤٣) اسم مدينة قرب نابلس، المصدر نفسه، ص ٥٣٥.

(٤٤) سفر القضاة ٢١/٢٠-٢٢.

(٤٥) القصة الكاملة في سفر صموئيل الثاني ٣/١٤-١٧ «... وارسل داودرسلا الى ايشبوشت بن شاؤول واخذها من ميكال التي خطبتها لنفسه... فقال له ابنير: اذهب ارجع ارجع...».

(٤٦) سفر القضاة ٤/١٧-٢٢.

(٤٧) سكان مدينة صيدا وقد اشتهروا بعبادة الاله عشتاروت اله الخصب والنماء. انظر التفسير التطبقي للعهد الجديد، مجموعة من علماء اللاهوت والمترجمين، ط١، شركة ماسترليديا دار الياس العصرية للطباعة القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣١٥.

(٤٨) نسبة الى قرية عمون شرق نهر الاردن، عد ٢١/١٤، وقد اشتهروا بعبادة اله الوثنين ملكوم. انظر المصدر نفسه ص ٣٩٧.

(٤٩) سفر الملوك الاول ١١/٤-٩.

(٥٠) استير اسم فتاة جميلة وقد تركت يتيمة وهي صغيرة فتبناها عمها مردخاي؛ وقد اختارها الملك الفارسي احشويروش- والد الامبراطور كورش الفارسي- لتكن زوجة له... ينظر قاموس الكتاب المقدس ص٦٢.

(٥١) راجع سفر استير.

(٥٢) حاصور عاصمة مملكة الكنعانيين في شمال فلسطين، كان يسكنها يابين في زمن يشوع في ايام دبورة «التي كانت تقضي لبني اسرائيل» استولى على مدينة حاصور ملك كنعاني اخر هو يابين. ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من الباحثين، طبعة امريكية، ١٩٨٦م، ص٤٥٣.

(٥٣) ينظر سفر القضاة ٤/١٧-٢٢. ويذكر هذه القصة قاموس الكتاب المقدس (ص١٠٤٦) ويعلق على عمل ياعيل فيقول: انه عمل مشين فيه من الغدر والخيانة ونقض للعهود.

(٥٤) ينظر: سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، ت٢٥٧هـ، تحقيق: محمد محي الدين، ط٢، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٠م، ج١، ص٦٧؛ وسنن الدارمي، للأمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، ت: ٢٥٥هـ، مطبعة الاعتدال، دمشق، ج٢، ص٥٥؛ وأنظر: فتح القدير- الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مصطفى البابي الحلبي، ١٣٤٩هـ، القاهرة، ج١، ص٢٦٠.

(٥٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٥٦) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٥٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ ابن كثير: عماد الدين أو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ج٢، ص٣٦٠.

(٥٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ج١، ص٩٨.

(٥٩) سورة النساء، الآية ١.

(٦٠) سورة يوسف، الآية ٢٨.

(٦١) ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط٥، دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، ج٢، ص٤٨.

(٦٢) سورة التحريم، الآية ١١.

(٦٣) سورة البقرة، الآية ٣٦.

(٦٤) سورة الأعراف، الآية ٢٠.

(٦٥) سورة الأعراف، الآية ٢٢.

(٦٦) سورة طه، الآية ١٢١-١٢٢.

(٦٧) سورة البقرة، الآية ٣٧.

(٦٨) صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، ط١ ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ج٩، ص٢٠٣-٢٠٤.

(٦٩) سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ١٩٣٠م، دار الفكر، بيروت، ج٦، ص٨٧.

(٧٠) المرجع نفسه، ج٦، ص١٦٩.

(٧١) سفر الخروج: ٢٠/٣-١٨؛ سفر التثنية: ٥/٦-٢٢

(٧٢) سفر التثنية: ٢٧/١٥-٢٦.

(٧٣) سفر الجامعة: ١٢/١٣.

(٧٤) سفر الأمثال: ٢٨/٦.

(٧٥) سفر الأمثال: ١١/٣.

(٧٦) سفر الأمثال: ١٦/١٩.

(٧٧) سفر الأمثال: ١٥/٣٣.

(٧٨) سفر الأمثال: ٣/٣-٤.

(٧٩) سفر الأمثال: ١٥/١.

(٨٠) سفر الأمثال: ٢٥/٩.

(١) سفر الأمثال: ١٦/١٩.

(٨٢) سفر الأمثال:٥/٢٤.

(٨٣) سفر الأمثال:٢٢/٢٢.

(٨٤) سفر الأمثال: ٢٣/ ١٧.

(٨٥) مزمور: ٣٧/ ٢٩-٣٢.

(٨٦) مزمور: ٣٧/٢٨.

(٨٧) سورة ق، الآية ٣٨.

(٨٨) وأن التوراة لتحمّل الأحفاد إلى الجيل العاشر، بل إلى الأبد أخطأ أبائهم في مجال الزنى في نصوص أخرى: «لا يدخل ابن الزنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب»، التثنية، ٢٣/٢.

(٨٩) سفر حزقيال: ١٨/٢٠.

(٩٠) سورة النجم، الآيات ٣٦-٣٨.

(٩١) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٩٢) يذكر سفر الخروج: ٢٠/١٠، قدسيته: «أما اليوم السابع- من أيام الأسبوع- ففيه سبت الرب إلهك، لا تصنع عملاً ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي يدخل

أبوابك» لذا فان التوراة توقع القصاص على من يعمل فيه، بالرجم: «ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً يوم السبت... فقال الرب لموسى قتلاً يقتل الرجل...، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة، فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة، ورجموه بحجارة فمات، كما أمر الرب موسى».

(٩٣) سورة الأعراف، الآية ١٦٣.

(٩٤) سورة الزمر، الآية ٣٢.

(٩٥) سورة الأنعام، الآية ١٥١– وعن بقية الوصايا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾، سورة الأنعام، الآية ١٥١–١٥٤.

(٩٦) سورة المائدة، الآية ٣٨.

(٩٧) سورة الفرقان، الآية ٧٢.

(٩٨) سورة طه، الآية ١٣١.

(٩٩) سورة الفلق، الآية ٥.

(١٠٠) سورة الأحزاب، الآية ٥٨؛ ومسند الإمام احمد ج٣، ص١٥.

(١٠١) سنن أبي داود، ج٢، ص٥٤.

(١٠٢) سورة البقرة، الآية ١٩٧.

(١٠٣) سورة الأنعام، الآية ١٥.

(١٠٤) سورة الأنبياء، الآيات ٤٨–٤٩.

(١٠٥) سورة آل عمران، الآية ١٣٣.

(١٠٦) أخرجه مسلم في صحيحه، ج٤، ص٢٠٠١، قوله ﷺ : **«ما تواضع عبد الله، إلا رفعه»**.

(١٠٧) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الآداب، ج٥، ص٧١.

(١٠٨) سورة لقمان، الآية ١٨.

(١٠٩) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الآداب، ج٥، ص٢٣١.

(١١٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٤، ص٢٩١، ونصه بالكامل: «مر رسول الله ﷺ بقوم جلوس في الطريق، قال: **إن كنتم لابد فاعلين فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأغيثوا الملهوف**»، وأخرج البخاري في فتح الباري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، بيروت، لبنان، ج٣، ص٣٦١، قوله ﷺ : «**على كل مسلم صدقة...... قالوا: فأن لم يجد قال: يعين ذا الحاجة الملهوف...**».

(١١١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الأيمان، ج١، ص٧٨.

(١١٢) سورة الزمر، الآية ٣.

(١١٣) سورة الشعراء، الآيات ٨٨-٨٩.

(١١٤) سورة الزمر، الآية ٧٣.

(١١٥) سورة الحديد، الآية ١٩.

(١١٦) ينظر: سفر يشوع الأصحاح، ١١، ١٥، ١٧.

(١١٧) سفر هوشع، ١/٢، ٣.

(١١٨) سفر هوشع، ٣/١- ٤.

(١١٩) سفر أشعيا، ٤٧/٢، ٣.

(١٢٠) سفر أرميا ٢٥/١٣، وَيّعِدُ النساء اليهوديات ربهم بالسكر والتعرّي: «عليك أيضاً تمر الكأس، وتسكرين وتتعرين»، مراثي أرميا / ٢١.

(١٢١) أنظر: سفر أشعيا، الأصحاح الثاني.

(١٢٢) سفر الخروج، ١١/٢، ٣.

(١٢٣) «وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى: طلبوا من المصريين أمتعة ذهب وثياباً، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم، فسلبوا المصريين»، خروج ١٢ / ٢٥- ٢٧.

(١٢٤) سفر القضاة، ٤ / ٣- ٥.

(١٢٥) راجع سفر القضاة الإصحاح الثالث والرابع.

(١٢٦) سورة الممتحنة، الآية ٨.

(١٢٧) سورة البقرة، من الآية ١٩٠.

(١٢٨) سورة الأنفال، الآية ٦١.

(١٢٩) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

(١٣٠) سورة الإسراء، الآية ٣٢.

(١٣١) سورة الأحزاب، الآية ٥٩.

(١٣٢) سورة النحل، الآية ٩٠- ٩١.

(١٣٣) سفر التثنية، ٢٣/١٩- ٢٠.

(١٣٤) قال تعالى ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾سورة الإسراء، الآية ٢.

(١٣٥) سورة الأنعام، الآية ١٥٤- ١٥٥.

(١٣٦) سورة آل عمران، الآية ٣-٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١-إظهار الحق، رحمة الله خليل بن خليل الرحمن الهندي، مكتبة الوحدة العربية، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٤م.

٢-أفحام اليهود، السمؤال بن يحيى الغربي، تحقيق وتعليق د.محمد بن عبد الله الشرقاوي، الرئاسة العامة لأداره البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط ٢، ١٤٠٧هـ.

٣-أنوار التنزيل وأسرار والتأويل، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

٤-تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، د فتحي محمد دار البشير للطباعة والعلوم طنطا، مصر، ط ١، ١٩٩٤م.

٥-التوراة: تاريخها وغايتها. كاتب أمريكي الجنسية، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

٦-التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي (كان نصرانياً فأسلم)، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٩٩٠م.

٧-تفسير القرآن العظيم، للأمام الحافظ: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

٨-الجامع الصحيح: الأمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ت٢٢٦هـ، تحقيق: احمد شاكر، الطبعة السلفية، بيروت، بدون تاريخ.

٩-الجامع لأحكام القرآن: الأمام أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

١٠-دين الله في كتب انبيائه. محمد توفيق صدقي، مطبعة مجلة المنار، مصر القديمة. بدون تاريخ.

١١-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين محمود شكري الآلوسي، دار الطباعة الميرية، بيروت، القاهرة ط٤، ١٩٨٥م.

١٢-سنن أبي داود، الحافظ سليمان بن الأشعث، ت ٢٥٧هـ، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٩٥٠م.

١٣-سنن الدارمي، الأمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدرامي، ت٢٥٥هـ، مطبعة الاعتدال دمشق، بدون تاريخ.

١٤-سنن النسائي، الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٥-صحيح مسلم، الأمام الحافظ أبو الحسن مسلم ين الحجاج القشيري، النيسابوري، ت٢٦١هـ، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

١٦-صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، دار القلم، بيروت، ط٢، بدون تاريخ.

١٧-فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر، ت ٨٥٢هـ، دار الريان للتراث، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.

١٨-فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للأمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٤٩هـ.

١٩-الكتاب المقدس، الطبعة البروتستانتية، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بدون تاريخ.

٢٠-لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٢١- مدخل إلى التربية، عزت جرادات وآخرون، مكتبة دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٣، ١٩٨٧.
٢٢- مسند الأمام أحمد بن حنبل الشيباني، الطبعة السلفية، دار الفكر، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ١٩٩٣م.
٢٣- نبوة محمد من الشك إلى اليقين، د. فاضل السامرائي، مكتبة القدس، بغداد، ط١، ١٩٧٨م.
٢٤- هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود، يوسف الحاج، بيروت، لبنان، ١٩٣٤م.

فصل التربية والتعليم عن الدين بين الإسلام والكنيسة

م.م. قتيبة عباس حمد

مركز البحوث والدراسات الإسلامية- مبدأ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى اله الطيبين وصحبه الغر الميامين ومن اقتفى هداه وسار على منهجه إلى يوم الدين.

لقد جاء الإسلام بنظام تربوي متكامل أراد من خلاله الارتقاء بالفرد والمجتمع والنهوض بهما علمياً وخلقياً فكان الرسول محمد ﷺ يعلم الناس ويربيهم ويزكيهم، يقول الله سبحانه تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[١]، حيث جاء رسول الله ﷺ فوجد العرب على فضائل وأخلاق كالكرم والشجاعة والشهامة فأتى ليتممها فقال «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٢].

ان المتمعن اليوم في حال الواقع التربوي في المجتمع المسلم يجد أن سهام الغرب قد توالت عليه داعين إلى فصله عن الدين بحجج عديدة وأباطيل كثيرة لعل من أبرزها مسألة أن الإسلام لا يوائم تطورات ومتطلبات العصر، وأن التمسك به هو تمسك بالتأخر وان الإسلام هو الدين الذي يحارب العلم والعلماء، فدعوا إلى مسألة فصل التربية والتعليم عن الدين بصورة عامة وعن الإسلام بصورة خاصة.

ومن أجل مناقشة هذه القضية ومعرفة ملابساتها، اقتضت منهجية البحث التعرف على وجهة نظر الإسلام من جهة، والكنيسة من جهة أخرى.

ولهذا فقد قُسّم البحث على ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول ليتناول موقف الإسلام من العلم، وفيه محوران أما الأول فهو أهداف التربية الإسلامية، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، أما المحور الثاني، فقد تناول الباحث فيه مكان العلم والعلماء في الإسلام، وهل أن دعوة الإسلام إلى العلم كانت تقتصر على الجانب الديني، أم تعدى الأمر ذلك ليتناول العلم بكافة فروعه وأصنافه وأما المبحث الثاني فقد تناول البحث فيه موقف الكنيسة من العلم والعلماء قبل عصر النهضة، والأسباب التي دعت إلى فصل العلم عن الدين بصورة عامة، وأما المبحث الثالث فقد تناول فيه مسألة مهمة، وهي هل أن الغرب قد نفض يديه من العلم فلم يعد يعبأ به في التربية والتعليم.

أسباب اختيار الموضوع

١. الخلط الواضح لدى الكثير من المسلمين بسبب الهجمة الإعلامية الشرسة على الإسلام، فأصبح عامة- المسلمين- لا يميزون بين الحق وما يفيدهم وبين الباطل وما يضرهم.

٢. عدم تركيز المفكرين والباحثين والمسلمين على مسألة أنَّ الإسلام ودعوته إلى العلم يختلف عن الكنيسة ومحاربتها للعلم والعلماء، مما حدا ببعض الكتاب والنخب المثقفة من المعتلين لمنابر الإعلام والثقافة، عن قصد أو من غير قصد الى تكثيف الهجمة ضد الإسلام وادعوا أنه سبب في تأخير المجتمع المسلم علمياً وتقنياً .

٣. بيان أن معظم النظريات والأفكار التربوية الموجودة على الساحة العالمية هي تسير على وفق أيديولوجيات وأفكار وعقائد لمختلف الملل والأهواء والنحل غير الإسلامية، وتستلهم الخطوط العريضة لسياستها التربوية من تلك الأفكار والعقائد.

فرضية البحث

١. يفترض البحث أن للإسلام نظرية تربوية متكاملة الأبعاد شاملة لكل مكونات الحياة متوازنة بين ما هو مادي وما هو روحي هذه النظرية كانت وما تزال تدعو إلى العلم والتقدم والتعلم.

٢. إن الكنيسة وقفت سداً منيعاً بوجه العلم والعلماء في ذلك العصر لأسباب عديدة، منها التعارض الحاصل بين مصالح البابوات الذين كانوا يحكمون الناس ثيوقراطياً(٣)، وبين ما هو جديد من نظريات علمية.

المبحث الأول
أهداف التربية الإسلامية

إن منهج التربية الإسلامية، منهج متميز منفرد في أهدافه وفي وسائله بشكل يلفت النظر، ويدعو إلى التفكير، ومن ثمَّ فإنَّ البشرية لم تعرف في تاريخها كله نظاماً بهذه السعة وهذا الشمول وهذه الإحاطة(٤).

بيد أن للتربية الإسلامية أهدافاً منها فردية وأخرى اجتماعية، سيتناولها الباحث بإذن الله تعالى.

أولاً: الأهداف الفردية للتربية الإسلامية

١. تحقيق الإيمان والعبودية لله، إن من أسمى أهداف التربية الإسلامية هو تحقيق العبودية الخالصة لله سبحانه وحده، والإنسان لا يستطيع تحقيق ذاته إلا من خلال القيام بالعبودية الكاملة التامة لله سبحانه(٥)، وقد وصف الله تبارك وتعالى أنبياءه في القرآن الكريم بأنهم عباده، فقال ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ ﴾(٦).

٢. بناء الفرد والمواطن المؤمن بربه، وبأنبياء الله ورسله وما أنزل من كتب سماوية وباليوم الآخر، وما يتضمنه من حشر وحساب وجزاء، وبقضاء الله وقدره، والإيمان بالله سبحانه وتعالى يستلزم حبه وحب رسوله ﷺ وخشيته والثقة به والرضا بقضائه وقدره، والامتثال لأوامره، وتجنب نواهيه وشكر نعمائه وابتغاء مرضاته في كل الأعمال والشعور بالسعادة عند أداء شعائر دينه، إلى غير ذلك من الأمور التي ترضي الله سبحانه وتعالى(٧).

٣. بناء الشخصية المسلمة المتمسكة بدينها والمتخلقة بالأخلاق الفاضلة(٨)، ذلك أن الإسلام أولى عناية خاصة للتربية الروحية، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾(٩).

ونظراً للأهمية الفائقة التي أولاها الإسلام للتزكية الروحية في تربية الفرد جعل الله سبحانه وتعالى وظيفة الرسول الأكرم محمد ﷺ تزكية نفوس المسلمين وتعليمهم، قال سبحانه وتعالى ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾(١٠)، وقال سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا

﴿مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[١١]، والناظر في الآية الكريمة يجد أن وسائل بناء الشخصية الإنسانية على أساس من النقاء والطهر واضحة جلية، فالتزكية تمام الأخلاق والتعليم وتمام معرفة الأوامر والنواهي، والحقوق والواجبات، كما أنها تفيد معنى زوال الجهل، وتعليم الحكمة هو أعلى درجات التعليم لأنها تعني الإصابة في القول والعمل[١٢].

٤. بناء المواطن الصحيح في جسمه القوي اللائق في بدنه؛ لأنه بدون هذه الصحة والقوة واللياقة البدنية لن يكون المواطن المنتج فعالاً في الحياة ولن يكون قادراً على تحمل مشاق الحياة ومتاعبها ولا على احتمال الصعاب والمشاكل والتحديات[١٣].

ولهذا فقد وجه النبي الأكرم محمد ﷺ أمته إلى المحافظة على أجسادهم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله بن عمرو بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فلا، ولا تفعلن، فإن لجسدك عليك حظاً وإن لزوجك عليك حظاً وإن لعينيك عليك حظاً، أفطر وصُم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر...**» الحديث[١٤]، ثم أن الرسول الأكرم محمدا ﷺ قال: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ألا أن القوة الرمي ألا أن القوة الرمي، ألا ان القوة الرمي**»[١٥]، يدل ذلك على أن الإسلام يحض على الأفعال التي تقوم الجسم كالرمي والفروسية ونَدب إلى السياحة، وسمح للأحباش بممارسة ألعابهم بالحراب[١٦].

٥. تهدف التربية الإسلامية إلى تنمية العقل البشري، ذلك أن الإسلام هو دين الفطرة فهو يحترم الطاقات كلها، ويستثمرها إلى أقصى حد لصالح الإنسان ليعطي للإنسان أحقيته في التفكير المستقل والأخذ بالنتائج التي توصل إليها عقله مهتدياً في ذلك بروح الإسلام ومنهجه.

ولقد خاطب القران العقل ليدله على وجود الله، وحض الإنسان على التدبر في الكون وفي نفسه ليدله على أن الله وحده الذي يستحق العبادة ولفت الأنظار إلى قياس البعث في يوم القيامة على النشأة الأولى[١٧].

٦. بناء المواطن المسلم المتعلم المزود بسلاح العلم والمعرفة، المتملك لوسائلها الأساسية، الواسع في ثقافته الذي يعي مشاكل مجتمعه وأمته[١٨]، هذا فضلا عن محاولته حث المسلم على الاستفادة من العلوم والتقنية الحديثة بما يعود على المجتمع المسلم بفائدة لا

تقدر قيمتها فيرتقي بالمجتمع على كافة المستويات سواء منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٧. تمكين الفرد من التعبير عن ذاته وعن أفكاره وما يدين به وما يكره تعبيراً، صادقاً شفافا، وذلك بكافة وسائل التعبير المشروعة ومنها الكلمة المسموعة، والمقروءة، واللوحة المرسومة، والعمل الدرامي على المسرح والسينما(١٩).

٨. تعمل التربية الإسلامية على تعليم النشء المسلم على الاعتماد على نفسه، وذلك بأن يتعلم حرفة تدر عليه دخلا جيداً، ومن خلاله يحاول العيش بكرامة، وعزة دون التذلل والخضوع لآي إنسان آخر، لذلك فإن القران الكريم لم يهمل هذا الهدف وحث عليه وبين أن آثاره تنعكس على الفرد والمجتمع(٢٠)، فقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾(٢١)، ثم قرن سبحانه العمل بأفضل العبادات في أقدس الأوقات- بعد صلاة الجمعة- فيقول عز وجل: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٢٢).

٩. وكذلك يهدف التشريع الإسلامي إلى الاهتمام بالتربية النفسية من خلال إحياء ضمير الفرد والأمة ويعلم الناس كيف يحكمون أنفسهم بأنفسهم على وفق ضوابط وأخلاقيات الشريعة الإسلامية، وما إقامة الصلاة في أوقاتها إلا أسلوب تربوي يرقق الحس ويهذب النفس ويجعل منها عليها رقيباً، فالذي يناجي ربه خمس أوقات صادقاً في نجواه لا يسهل عليه إلا إتباع الحق فيبعد الباطل عن نفسه(٢٣).

ثانياً: الأهداف الاجتماعية للتربية الإسلامية

١. لقد أعطى القرآن الكريم هذه الناحية ما تستحقه من الاهتمام، فجعل الناس متساوين، ونهى عن الظلم والعدوان، ودعا إلى العدل والإحسان، وأمر بالتعاون على البر والتقوى، وإقامة التوازن بين حقوق الفرد والمجتمع، إذ جعل العلاقة بين المؤمنين على أساس الأخوة، وبينهم وبين أهل الكتاب على أساس العدل، وأذن بالجهاد لنصرة المستضعفين والدفاع عن المظلومين، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٢٤)، وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾(٢٥).

٢. دعم الحياة الدينية والروحية في الأمة وبناء مجتمع إسلامي سليم تنتصر فيه الثقافة الإسلامية الصحيحة، ويسود فيه الفهم الصحيح لمبادئ الدين وتعاليمه وأحكامه، فينعكس هذا الفهم الصحيح على سلوك أفراده وعلى أساليب الحياة والمعاملة السائدة فيه، ويسود فيه تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في جميع جوانب الحياة[٢٦]، حتى يتمكن المتعلم في أي مستوى عمري من معرفة القيم والمعايير الأخلاقية السائدة في المجتمع المسلم ليأخذ بها ويطبقها فيعيش مع إخوانه في رحاب هذه القيم وتلك المعايير الأخلاقية.

٣. تدعيم اللغة العربية الفصحى وحفظها من عوامل الضعف والاندثار والعمل المستمر على تقويتها وتجديدها ونشرها، وذلك باعتبارها لغة القرآن الكريم الذي أنزل بلسان عربي مبين. واللغة التي دون بها تراثنا الإسلامي الذي نعتز به، وباعتبارها أيضا أداة وحدة العرب والمسلمين، وأهم مميزات شخصيتهم وذاتيتهم الثقافية، وأداة ربط حاضرهم بماضيهم ومستقبلهم، والحصن الذي تحتمي به الثقافة العربية الإسلامية من التلاشي والاندثار والانسلاخ عن الماضي[٢٧].

مكانة العلم والعلماء في الإسلام

أما الأمر الثاني، فهو مكانة العلم في الإسلام، وكيف أن الإسلام قد أولى اهتمامه بالعلم والعلماء وأكرمهم وأعلى مقامهم.

إن التطورات العلمية اليوم تعد مقياساً لتقدم الأمم أو تأخرها، والقران الكريم قد جاء بنظام يقود الى التطور والتقدم ويفتح آفاق المستقبل رحبة لما يتضمنه من دعوة للتعلم وإظهار القيمة الكبرى للعلم والعقل، وما وضعه من منهج علمي سليم للوصول إلى المعرفة، كل ذلك يبرهن على أن الإسلام قد جاء بنظام علمي يثبت بيقين لا يقبل الشك أن الدين والعلم جناحا طائرٍ لا يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر.

إن للعلم فضلاً كبيرا ومنزلة رفيعة من خلال دعوة القرآن إليه والإشادة بفضله حيث لم يسبقه كتاب بموقفه هذا من العلم وحب المعرفة وتقدير العقل حيث السبيل للتطور والتقدم، وهذا ما تؤيده النصوص الكثيرة قال سبحانه ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ ﴾ وإن الله تبارك وتعالى قد كرم أهل العلم وجعلهم بمنزلة رفيعة وناهيك بهذا شرفاً وفضلا ونبلاً[٢٨]. فقال ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[29]، ثم إن الله تبارك وتعالى قد فرق بين فريقين فقال سبحانه ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[30].

إن جلالة قدر العلماء وعلو منزلتهم وفضلهم على غيرهم يتضح من خلال مسألة أن الله سبحانه قد قرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة كما وصفهم بأنهم أولو العلم، وأنه استشهد بهم على أعظم مشهود هو لا إله إلا الله فقال جل في علاه ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[31].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع**»[32]، وقال ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله طريقاً إلى الجنة**»[33]. وقال ﷺ: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»[34]، وقال الرسول الكريم ﷺ: «**من خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع**»[35]. وهذه الأحاديث وغيرها تدل على اهتمام الإسلام بالعلم والتعلم وبالعلماء أيضا وقال ﷺ «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير**»[36].

ما هو العلم الذي دعا إليه الإسلام

قد يظن البعض أن العلم الذي دعا إليه القرآن هو العلم الديني الشرعي فقط، وهذا الظن غير صحيح، ذلك أن العلم الذي دعا إليه القرآن هو مطلق العلم بأوسع معانيه إلى جانب العلم الديني الشرعي، شريطة أن يكون ذلك بنية خالصة لوجه الله سبحانه.

والقرآن يعد العلم وسيلة لإرساء قواعد الإيمان ويظهر ذلك من خلال الآيات سالفة الذكر، وهي تشيد بالعلم والتوجه إلى التفكير والتأمل، وهذا ما جعل العلم لا يقف عند حدٍ معين فليس للحقائق الكونية مدى فما على العلماء إلا أن يشمروا عن ساعد الجد فيبحثوا بكل تأملٍ واندفاع، لاسيما أنهم على علم أن نتائج العلوم احتمالية قابلة للتغيير وهذا ما أثبته منهج البحث العلمي، والتقدم العلمي أثبت بيقين بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن دعا المسلمين إلى العلم مثلما دعاهم إلى الدين[37]، وأنه لم يترك فرعاً من الفروع العلمية إلا وذكره أو نبه عليه أو أشار إليه.

ومن تلك العلوم التي أشار إليها القرآن على سبيل المثال لا الحصر:

١. علم الفضاء: لقد نوه القرآن الكريم أهل العلم بأخذ الأسباب لمعرفة خبايا هذا القضاء، قال سبحانه: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾(٣٨).

٢. علم الفلك: تناول القرآن الكريم موضوع الفلك في آيات منها: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾(٣٩)، وقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ ﴾(٤٠).

٣. علم الجغرافيا: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾(٤١).

٤. وفي الطب الوقائي: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ ﴾(٤٢).

٥. علم التاريخ الطبيعي: وفي هذا المجال يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ ﴾(٤٣)، أي أن كل ما يدب على الأرض أو يطير في الهواء إنما هم أمم أمثالنا في المعيشة وتنظيم أمور الحياة سواء عند الطيور أو الحيوانات، قبل أن يصل العلم إلى ذلك الأمر بمئات السنين.

٦. علم النبات: قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ ﴾(٤٤)، أي أن الله سبحانه يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة ليخرج منهما الشجر والنخل(٤٥)، وقال الله تبارك وتعالى في هذا المجال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾(٤٦).

٧. علم الأجنة: قال سبحانه ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ﴾(٤٧)، أي يكون أحدكم أولا نطفة ثم علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحماً وعظماً وعصباً وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر، وأما الظلمات الثلاث فهي ظلمة الرحم وظلمة المشيمة وظلمة البطن(٤٨)، وهذا ما أثبته العلم الحديث بعد، حيث أن الجنين في بطن أمه محاط بثلاثة أغشية.

٨. علم تصنيف الكائنات قال سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٤٥) ﴾[٤٩].

مما تقدم يتضح إن دعوة القرآن للعلم شاملة وأن الاستجابة لها تتطلب تخصصاً ولا يمكن استيعابها إلا بالدراسة الدقيقة المتخصصة التي تجعل المتخصص متمكناً من ذلك التخصص، إضافة إلى ذلك فإن تلك العلوم تحتاج في دراستها إلى الأجهزة كالمراصد والمجاهر وأجهزة التحليل والتسجيل للحرارة والرياح والرطوبة والأجهزة الطبية، وكل هذا لا يستطيع الإنسان القيام به لوحده بل لابد للدولة من تحمل أعباء هذا الأمر بتوفير وسائل العلم وكل ما يلزم لمسايرة التطورات وبما أن الإسلام يدعو إلى العلم بكافة أصنافه وفروعه[٥٠]، فإنه يدعو إلى توفير مثل تلك الأجهزة كونها وسيلة لتحقيق تلك العلوم.

المبحث الثاني
موقف الكنيسة من العلم والعلماء والأسباب التي دعت إلى فصل الدين عن العلم

إن من أبرز الأسباب التي دعت الغرب إلى الدعوة إلى فصل التربية والتعليم عن الدين، هو ما لاقاه العلم والعلماء في الغرب من اضطهاد وتنكيل على يد البابوات والكنيسة، وهذا ما لم يحصل في الإسلام، فلقد رأينا اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء وحثه على العلم والتعلم، وإشاراته إلى كثير من النظريات والحقائق والتي ابتدأ العلم الحديث باكتشافها الواحدة تلو الأخرى.

إن ما حدث للعلم والعلماء في أوربا يختلف كثيراً عن الإسلام فلا تصح المقارنة، إذ أن الظروف تختلف كثيراً بين الكنيسة في العصور الوسطى وبين الإسلام.

إذ لما ظهرت الدعوة المسيحية وكانت قائمة على أساس الزهد المطلق، وأخذت التربية المسيحية تصطبغ بصبغة دينية ووقف رجال الدين المسيحيون عقبة في سبيل حركة اطراد البحث العلمي، وحصرت الكنيسة العلم في الأديرة ومنعته من أن ينتشر بين العامة، إلا ما كان دعوة إلى الإيمان والصلاح في الظاهر، وبقي غير القسيسين في جهالة مطلقة حتى في أمور الدين[٥١].

يقول الدكتور أحمد أمين في كتابه الأخلاق: «إن الفلسفة ومنها علم الأخلاق، كانت مضطهدة في القرون الوسطى في أوربا، فقد كانت الكنيسة تحارب فلسفة اليونان والرومان، وتعارض نشر العلم والمدنية؛ لأنها اعتقدت أن الحقيقة قد وصلت إليها من الوحي المعصوم»(٥٢)، ثم أنشأت بعد ذلك محاكم التفتيش، عندما رأت الكنيسة ظهور العلم والفلسفة بسبب تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته لاسيما في جنوب فرنسا وإيطاليا، وقامت بأبرز أعمالها من عام ١٤٨٠م حتى عام ١٤٩٩م، حيث حكمت على أكثر من عشرة آلاف ومائتي شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا، وعلى ستة آلاف وثمانمئة بالشنق بعد التشهير، فشهر بهم وشنقوا، وعلى أكثر من ٩٧ ألف شخص بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية(٥٣).

ثم قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢م، أن يلعن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد وأخذوا يتخذون من لعن ابن رشد ولعن كل من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة.

فأوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أوربا ما خُيل لكل من يلمع في ذهنه شيء من نور الفكر إذا نظر حوله أو التفت وراءه، أن رسول الشؤم يتبعه، وأن السلاسل والأغلال أسبق إلى عنقه من ورود الفكرة العلمية إليه.

فوصلت أوربا بسبب محاربة الكنيسة للعلم والعلماء وتنكيلها بهم إلى عصور مظلمة، لا يرى فيها بصيص من نور إلا بالوقوف بوجه الكنيسة وإبعادها عن الساحة السياسية أولاً، وعن الساحة العلمية والفكرية والتربوية ثانياً، فكانت نهضة أوربا وطلبها ومناداتها بالعلمانية للتخلص من ظلم الكنيسة ومحاكم التفتيش، وهذا هو السر في العداوة المستحكمة بين رجال الفكر والعلم من جهة، ورجال الكنيسة من جهة أخرى، فكانت مناداتهم بالفصل، وذلك للتخلص من الاضطهاد الواقع عليهم.

وهذا الاضطهاد لم يحصل في الإسلام، بل كان وما يزال- أي الإسلام- هو الدعامة القوية للعلم والعلماء يشجع ويدعو ويحث على العلم والتعلم والتفكر وجعل للعلماء منزلة رفيعة في المجتمع، وأكرمهم وأثنى عليهم، وجعلهم ورثة الأنبياء، فلا يصح والحال هذه أن يقارن بين الإسلام والمسيحية في مسألة الفصل، كما نادت بذلك أوربا للتخلص من ظلم الكنيسة.

المبحث الثالث
منهج التربية والتعليم في العالم يسير على وفق أيديولوجيات وعقائد وأفكار

إن المتتبع لأحوال التربية والتعليم سواء في الغرب العلماني، أو الشرق الاشتراكي، يرى أنَّ تلك المناهج التعليمية تسير على وفق ايدولوجيات وعقائد معينة وأنها لا تسير بصورة مستقلة كما يدعي دعاة الفصل بين التربية والتعليم من جهة والدين من جهة ثانية.

فالمسيحيون أذا ما اتجهوا لوضع سياسة تعليمية ولو لغير أبناء ملتهم فأنهم يجعلون من أول المواد التي يقرؤونها في ضوء هذه السياسة التعليمية، تربية جيل يؤمن بالنصرانية ديناً ويكفر بما سواها ويسعى لنشرها في الأرض(٥٤)، وإذا ما أراد الكاثوليكي أن يتعلم فعليه أن يتلقى تعليمه على أيدي مربين ومعلمين من رجال الدين الكاثوليك(٥٥).

وقد تنوعت المدارس الكاثوليكية الفرنسية والمدارس البروتستانتية الانجليزية الوافدة إلى مصر، والأمريكية الوافدة إلى لبنان، إذ تسابقت هذه الإرساليات إلى إنشاء مدارس ملحقة بكنائسها ويدرس بها رجال الدين من الكاثوليك والبروتستانت، ويغلب على هذه المدارس جميعها الطابع الديني(٥٦).

أما اليهود إذا ما اتجهوا لوضع سياسة تعليمية ما، ولو لغير أبناء ملتهم، فإنهم يجعلون من أول المواد التي يقررونها في هذه السياسة التعليمية، تربية جيل يؤمن باليهودية ويدين بالولاء والطاعة المطلقة لليهود، ويخدم مصالحهم، ويسعى لتنفيذ أوامرهم، وينتظم منظماتهم السرية والعلنية ويكون تبعاً لهم في سياساتهم، تحت مظلة أهداف ثانوية لا تتعارض مع هدفهم الأساس(٥٧).

والأمر نفسه ينسحب على الشيوعيين، فإذا ما أرادوا وضع سياسة تعليمية لبلد ما، فإنهم يجعلون من أول مواد هذه السياسة التعليمية، تربية جيل لا يؤمن بالله ولا يؤمن بكل القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية، وإنما يؤمن بالمادية الجدلية والمادية التاريخية، وبكل ما تفرزه هذه العقيدة من انحرافات، ويدين بالولاء والطاعة التامة للنظام الاشتراكي(٥٨)، فإذا ما أخذنا على سبيل المثال روسيا فإنها لم تأخذ بمبدأ التربية والتعليم من حيث هو مبدأ إنساني عالمي، ولم يُسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم من خارج المعسكر الشيوعي،

ولا بإدخال العلوم والآداب التي نشأت في حضانة الليبراليين والرأسماليين، خوفاً من أن تضعف مفاهيمهم ونزعاتهم في العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها.

فأين حيادية التعليم وفصله عن الدين في هذه الآيديولوجيات والعقائد، وهل ستظل الأمة الإسلامية تستورد نظم التربية والتعليم، كما تستورد السلع الجاهزة من الغرب تارة ومن الشرق تارة أخرى، أَوَلَمْ يَأنِ للمسلمين أن يضعوا مناهجهم بأيديهم؟

إن المسلمين اليوم بحاجة إلى نهضة فكرية وصحوة تربوية فعليهم أن يقوموا بأنفسهم بوضع المناهج التربوية والتعليمية يستمدونها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والتراث الإسلامي الخالد، وهذا لا يعني بأية حال من الأحوال الاستغناء عن العلوم والتكنولوجيا الحديثة والتي نبغ بها الغرب.

إن الأدلة على أن الغرب لم ينفض يده كلياً عن الديانة المسيحية كثيرة، ولا يسع الباحث في هذه العجالة أن يسردها مفصلة، إلا أنه يكتفي بذكر مقالات للكاتب لسترسمث[٥٩]، الذي يقول في كتابه التعليم (Education) في موضوع التأثيرات الدينية «من نافلة القول أن نقرر أن نظرة الوالدين إلى الدين عامل من العوامل الهامة في تنشئة الطفل، فهو سرعان ما يحس إذا كان من أسرة مؤمنة بالمسيحية بأن وراء هذا العالم، عالما آخر يهتم به الكبار اهتماماً بليغاً»[٦٠].

ثم يستطرد فيقول: «وعندما يتعلم في الصلاة فإنه يتعلم أن يفكر في الله على أنه الأب القادر على كل شيء، ويحب في المسيح شخصاً ذا وجود حقيقي وصديقاً حاضراً أبداً»[٦١].

ويبرهن بعد ذلك على أن الوازع الديني أصبح في هذه الأيام أقوى من ذي قبل وأصبح الذهاب إلى الكنيسة عبادة وليس عادة كما كان في السابق، ثم بعد ذلك يستطرد: «إن الغالبية العظمى ترغب في أن يكون لأولادهم أساس وطيد من تعلم مبادئ الدين المسيحي كما ينبغي أن يمارس في هذه البلاد»[٦٢].

ثم بعد ذلك يبدأ بالكلام عن مدارس انجلترا الأهلية فالمدارس المعانة وتبلغ أقل من نصف مدارس انجلترا في العدد تقريباً، هي كلها تابعة للكنيسة الرومانية الكاثوليكية إلى جانب الثلاث عشرة مدرسة اليهودية، ويؤكد أن جميع هذه المدارس الأهلية تستخدم مناهجها الطائفية في الدين[٦٣].

فأين الحيادية في التعليم وأين الفصل المزعوم بين الديانة المسيحية والتعلم، إن المناهج التربوية تستمد أفكارها وقيمها من العقائد والايدولوجيات.

الخاتمة

وفي نهاية البحث وبعد هذا الجهد المتواضع التوصل إلى نتائج تتعلق بفصل التربية والتعلم عن الدين، حيث ناقش الموضوع من زاويتين مختلفتين الإسلام والكنيسة، فتوصل بعد ذلك إلى نتائج وتوصيات.

النتائج

١. إن الإسلام بنى نظاما تربوياً متكاملا يرتقي بالفرد المسلم ويسمو به عقائديا وأخلاقيا ليجعل منه فردا منتجا ويتكامل هذا الفرد مع غيره من الأفراد ليكونوا مجموعة يطلق عليها أسم المجتمع وهذا المجتمع متواصل مع التربية الإسلامية في كافة المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.
٢. إن الإسلام لما وضع ذلك النظام التربوي، لم يضعه إلا لأهداف معينة سواء كانت تلك الأهداف على المستوى الفردي أو الاجتماعي.
٣. إن الذي رفع مكانة العلماء وأعلى منزلتهم هو الإسلام وأن القران الكريم والسنة النبوية الشريفة يوجد فيهما آيات وأحاديث كثيرة يحفظ للعلماء مكانتهم لا بل إن الإسلام هو الذي يحث على العلم والتعلم.
٤. لم يدع الإسلام إلى العلوم الشرعية فقط وإنما دعا إلى كل العلوم التي تخدم الإنسانية، والطب والهندسة والجبر والفضاء والوراثة والفلك والطب الوقائي والتاريخ الطبيعي، وعلم النبات، وعلم تصنيف الكائنات إلى غير ذلك من العلوم والتي تخدم الفرد والمجتمع.
٥. إن الكنيسة وقفت بالضد من موقف الإسلام من حيث دعم العلم والعلماء وإنما حاربت العلم وقتلت العلماء وأحرقتهم وشردتهم فوصلت أوربا بسبب تلك الحرب إلى عصور مظلمة من الجهل المطبق.
٦. إن تلك الحرب التي أعلنتها الكنيسة على العلم والعلماء، وهي سبب العداء الدائم بين رجال الفكر والثقافة في أوربا وبين الكنيسة، وهي سبب دعوتهم إلى فصل التربية والتعليم عن الدين.

7. إن الأسباب التي دعت أوربا إلى المناداة بفصل التربية والتعليم عن الدين، لا تنطبق على الإسلام، فالأخير هو الذي دعا إلى العلم والأخذ بأسبابه حتى توفرت وأعطت للعلماء منزلتهم التي يستحقونها وأكرمهم.
8. إن النظام التربوي سواء أكان غربياً علمانياً أو شرقياً ماركسياً، لم يبتعد كثيراً عن الخط الديني أو الروحاني لتلك المدارس التربوية، على الرغم أنهم يدعون نهاراً وجهاراً بالفصل بين التربية والدين.
9. إن النظام التربوي في أية دولة يسير على وفق آيديولوجيات وأفكار وعقائد، على الرغم من دعوة الفصل التي نادى بها الغرب.

التوصيات

بعد أن أتم الباحث كتابة بحثه واستناداً إلى الاستنتاجات التي توصل إليها فإنه يوصي بالآتي:

1. رفع الإسلام لواء حضارة عظيمة، فلابد من الحفاظ على هذا التراث التربوي، والذي يتضمن تاريخ أعظم حضارة عرفتها البشرية، والعمل على نشر ذلك التراث.
2. لا بأس من الاستفادة من العلوم التجريبية الغربية والتي نبغ بها الغرب، ولكن بعد إخضاعها لمفاهيم النظرية التربوية الإسلامية، فما أفاد المسلمين في مجتمعهم أخذوا به وما كان سبباً في تأخرهم وإفسادهم أبعدوه عن مناهجهم التربوية.
3. أن يقوم الباحثون في مراكز البحوث والدراسات التربوية الإسلامية، بطرح أفكارهم وخلاصة آرائهم لتطوير الواقع التربوي في مجتمعنا المسلم.
4. التربية الإسلامية يجب أن توجه بوتيرة متعاظمة نحو التدريب التكنولوجي، لتعزيز حركة التطور والعمران والصناعة، والابتعاد عن النمط التقليدي النظري.
5. تحقيق حالة من التوازن بين التوجهات الدينية ومستلزمات التفكير العلمي.

هوامش البحث

(1) سورة البقرة: آية ١٥١.

[٢] رواه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ١٠/ ١٩١.

[٣] ثيوقراطية: مصطلح يبين نوع الحكم في القرون الوسطى آبان حكم البابوات، حيث يزعمون ان البابا يحكم الناس بأوامر إلهية.

[٤] علي أحمد مدكور، منهج التربية الإسلامية أصوله وتطبيقاته، مطبعة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٦٧- ٢٦٨.

[٥] المصدر نفسه ص٢٧٢.

[٦] سورة ص: آية ٤٥.

[٧] عمر محمد التومي الشيباني، فلسفه التربية الإسلامية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط٥، ١٣٤٩هـ/ ١٩٨٥م، ص٣٢٠- ٣٢١.

[٨] المصدر نفسه، ص٣٢٣.

[٩] سورة الإسراء: آية ٨٥.

[١٠] سورة البقرة: آية ١٥١.

[١١] سورة الجمعة: الآية ٢.

[١٢] يوسف بديوي، محمد محمد قاروط، تربية الأطفال في ضوء القرآن والسنة، دار المكتبي للطباعة، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج/ ٢.

[١٣] عمر محمد التومي الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، مصدر سابق، ص٣٢٤.

[١٤] مسند أحمد، دار الفكر للطباعة، ط٥، ١٣٩٤هـ/ ١٩٨٥م، ص٣٢٤.

[١٥] المصدر نفسه، ٦/ ٤٦٧.

[١٦] عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٣م، ص١١٦.

[١٧] المصدر نفسه، ص١١٧.

[١٨] عمر محمد التومي الشيباني، مصدر سابق، ص٢٢٨- ٢٢٩.

[١٩] العمل الدرامي على المسرح أو السينما يندرج ضمن مشروع الفن الإسلامي والذي يعاني من إهمال شديد من قبل المؤسسة الثقافية الذي ينبغي الاهتمام بهذا المشروع كونه يحقق الكثير من الأهداف التربوية ويرتقي بالمجتمع أخلاقياً وثقافياً.

[٢٠] علي عبد الحليم محمود، التربية الدينية الغائبة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٧٢.

[٢١] سورة الملك: آية ١٥.

[٢٢] سورة الجمعة: الآية ١٠.

[٢٣] رشيد العبيدي، دراسات بالتفسير والحديث، دار بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧٠م، ص٢٥.

[٢٤] سورة الحجرات: الآية ١٠.

[٢٥] سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

[٢٦] عمر محمد الشيباني، مصدر سابق، ص٣٣٥.

[٢٧] المصدر نفسه، ص٣٣٧.

[٢٨] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار العلم، بيروت، لبنان، ١/ ١٢.

[٢٩] سورة المجادلة: الآية ١١.

[٣٠] سورة الزمر: الآية ٩.

[٣١] سورة آل عمران: الآية ١٨.

[٣٢] رواه البيهقي، السنن الصغرى مكتبة الدار، المدينة المنورة، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ١/ ١٠٣، رقم ١٣٠.

[٣٣] رواه مسلم، صحيح مسلم، ٤/ ٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩.

[٣٤] رواه البخاري، الصحيح الجامع، تحقيق: أحمد شاكر، دار الجيل، بيروت، مج١/ ٣٣.

[٣٥] المصدر نفسه، ص٣٣.

[٣٦] رواه مسلم، صحيح مسلم، بيروت، ١٩٨٧م، ٨/ ٥٦.

[٣٧] محمد صالح عطية الحمداني، منهج القرآن في تطوير المجتمع، أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، إشراف: محسن عبد الحميد، ١٩٩١م، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٣٨) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

(٣٩) سورة يس: الآية ٣٨.

(٤٠) سورة الأنعام: الآية ٩٧.

(٤١) سورة الحجر: الآية ٢٢.

(٤٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٤٣) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٤٤) سورة الأنعام: الآية ٩٥.

(٤٥) التفسير المعين للواعظين والمتعظين، محمد هويدي، دار المغرب للطباعة والنشر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٤٠.

(٤٦) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

(٤٧) سورة الزمر: الآية ٦.

(٤٨) تفسير القران العظيم، الحافظ ابن كثير، مكتبة دار التراث، القاهرة، ٤/ ٦٤.

(٤٩) سورة النور: الآية ٤٥.

(٥٠) محمد صالح العطية، مصدر سابق، ص٢٦٨.

(٥١) محمود السيد سلطان، مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٩م، ص٥٣.

(٥٢) أحمد أمين، الأخلاق، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م، ص١٣٥.

(٥٣) محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، د.مط، ص٢٨- ٢٩.

(٥٤) عباس مدني، حاجات النظام التربوي إلى الإصلاح، مجلة البيان، العدد٢٠٣، رجب ١٤٢٥هـ، ايلول٢٠٠٤م، السنة١٩، ص٢٧.

(٥٥) محمد الغزالي، ظلام من الغرب، دار الكتاب العربي، مصر ، ص٩٥.

(٥٦) عبد الرحمن حبنكة الميداني، غزو في الصميم، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م، ص١٤.

(٥٧) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، مصدر سابق، ص١٤.

(٥٨) المصدر نفسه، ص١٥.

(٥٩) لستر سمث: كاتب انجليزي معروف له مؤلفات وكتب عديدة في التربية منها (Education)، وآراؤه التربوية قريبة من الديانة المسيحية.

(٦٠) لستر سمث، التعليم، ترجمة: رمزي مفتاح، دار الفكر العربي، ١٩٦٣م، ص١٠٤.

(٦١) لستر سمث، مصدر سابق، ص١٠٤.

(٦٢) المصدر نفسه، ص١٠٦.

(٦٣) المصدر نفسه، ٢٥٥.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن حنبل، أحمد، المسند، دار الفكر للطباعة، ط٥.
٢. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار التراث القاهرة.
٣. أمين، أحمد، الأخلاق، دار الكتب العربي، بيروت لبنان، ١٩٩٦م.
٤. البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح الجامع، تحقيق أحمد شاكر دار الجبل، بيروت.
٥. بديوي، يوسف ومحمد محمد قاروط، تربية الأطفال في ضوء الكتاب والسنة النبوية، دار المكتبة للطباعة، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٦. الحمداني، محمد صالح عطية، منهج القرآن في تطوير المجتمع أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية- جامعة بغداد، ١٩٩١م.
٧. سلطان محمود السيد، وسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٩م.
٨. سمث لستر، التعليم،Edncation، ترجمة رمزي مفتاح، الفكر العربي، ١٩٦٣م.
٩. الشيباني، عمر محمد التومي، فلسفة التربية الإسلامية المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلام طرابلس، ط٥، ١٤٣٩هـ/١٩٨٥م.
١٠. عبده، محمد، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، بدون طبعة، بدون مكان طبع.
١١. العبيدي، رشيد، دراسات بالتفسير والحديث، دار بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧٠م.
١٢. الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار العلم بيروت، لبنان.

١٣. الغزالي، محمد، ظلام من الغرب، دار الكتاب العربي، مصر، بدون طبعة.

١٤. محمود، علي عبد الحليم، التربية الدينية الغائبة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٥. مدكور، علي أحمد، منهج التربية الإسلامية، أصوله وتطبيقاته، مطبعة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٦. مدني، عباسي، حاجات النظام التربوي إلى الإصلاح، مجلة البيان، العدد ٢٠٣، رجب، ١٤٢٥هـ/ أيلول ٢٠٠٤م.

١٧. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت، ١٩٨٧م.

١٨. الميداني، عبد الرحمن حبنكة، غزو في الصميم، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٨٥م.

١٩. هويدي، محمد، التفسير المعين للواعظين والمتعظين، دار المغرب للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.

الامتيازات المالية
لأعضاء مجلس النواب العراقي

د.أثير طه محمد احمد

كلية الشريعة والقانون/ قسم القانون

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد بن عبدالله الصادق الأمين وعلى آل بيته المُذهَب عنهم الرجس الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه أجمعين وبعد...

يجمع الفقه كافة على أهمية الامتيازات المالية المقدمة للنائب البرلماني كونها تشكل الدرع الواقي الذي يحمي النائب من كل فساد من المحتمل أن يصيبه لو كان بلا امتيازات مالية لان النفس البشرية بطبيعتها أمَارة بالسوء، وإذا وافق ذلك احتياج مادي كان من السهل قرع باب الرشوة والفساد.

إن الأصل في الوظيفة النيابية هي أن تكون مجانية ذلك كونها وظيفة فخرية في بادئ الأمر. وكان النائب البرلماني يمنح مبالغ معينة على أساس المياومة فقط والتي تقررها له المقاطعات التي انتخبته للدفاع عن حقوقها حتى وصل الأمر بالنسبة للمقاطعات الفقيرة ان امتنعت عن إرسال من يطالب بحقوقها تجنباً لتحمل نفقاته(١). ولكن بعد ان أصبح الأمر جزءاً من موازنة الدولة ومع ازدياد نفقات هذه الوظيفة وتوسعها وتفرغ النائب البرلماني لها تقرر منح النائب البرلماني مكافأة نقدية طول فترة التفرغ.

ومع مرور السنين بدأت هذه الوظيفة تتطور وتأخذ منحى آخر من حيث تأثيرها على الواقع السياسي للدولة فكانت الدول تتمنى رضا النائب البرلماني وتسعى لتوفير ما يحقق هذا الرضا.

ومن هنا برز موضوع الامتيازات المالية الممنوحة للنائب إذ ان بعض الدول توسعت في هذا الموضوع ومنها ما ضيقت فيه. إلا ان المشكلة الأساس في هذا الموضوع هي ما هو الإطار العام لهذه الامتيازات؟ ومن يقرر حدودها القانونية؟

بمعنى اخر من يقرر هذه الامتيازات على اعتبار إنها تخص أعضاء السلطة التشريعية المسؤولة عن تشريع القوانين في اي بلد وبالتالي من سيشرع لهم حقوقهم وامتيازاتهم؟

وبالنسبة للعراق الحديث ونتيجة للتغيرات السياسية التي طرأت عليه عقب أحداث ٢٠٠٣ بدأت حقوق وامتيازات أعضاء مجلس النواب تظهر على الساحة بشكل أوضح بكثير من السابق وبدأت مشاريع القوانين تظهر بسرعة كبيرة دونما مناقشة علنية لها أو توضيح أو

تفصيل قانوني يجعلها مفهومة لكثير من المراقبين والمتابعين. وهذا الامر دفعنا لبحث موضوع الامتيازات المالية المقررة لأعضاء مجلس النواب العراقي في مشاريع القوانين المقترحة والتي لا تزال طور المناقشة على أمل الاستفادة منها بشكل يجعل من هذه المقترحات سليمة من حيث الشكل والمضمون وتجعلها بعيدة عن كل ما يسئ للنائب العراقي.

عليه سنبحث موضوع الامتيازات المالية لأعضاء مجلس النواب العراقي في مبحثين نخصص الأول منهما لبيان التعريف بالسلطة التشريعية ونتطرق في المبحث الثاني لبيان ماهية الامتيازات المالية التي يتمتع بها عضو مجلس النواب العراقي. ومن ثم نتطرق إلى خاتمة واستنتاجات حول كل ما لاحظناه في هذا الموضوع الحيوي محاولين ايجاد الحلول التي من شأنها الارتقاء- ولو بجزء يسير- بالمستوى القانوني العراقي.

المبحث الأول
التعريف بالسلطة التشريعية

تختلف الدول فيما بينها في بيان ماهية السلطة التشريعية، إذ ان بعض الدول يُتبع فيها نظام المجلسين وان البعض الآخر يتبع نظام المجلس الواحد ومنها ما يركزها بيد فرد واحد وهو شخص الديكتاتور وكل ذلك يتبع طبيعة النظام السياسي في الدولة.

عليه سنحاول بيان التعريف بالسلطة التشريعية في مطالب ثلاثة، نخصص المطلب الأول منها لبيان مفهوم السلطة التشريعية، ونتناول في المطلب الثاني البرلمان على أساس انه المختص بتشريع القوانين في اغلب دول العالم، ونعرج في المطلب الثالث لبيان ماهية الوظيفة النيابية على اعتبار ان النائب هو من يقوم بالوظيفة التشريعية ويشكل مجموع النواب البرلمان كجزء من السلطة التشريعية.

المطلب الأول: مفهوم السلطة التشريعية

جرت الأعراف الدستورية على ان السلطة التشريعية هي السلطة التي تمتلك حق تشريع القوانين كونها الممثل الشرعي للشعب[٢]، في الديمقراطية شبه المباشرة بعد ان أصبح من الصعوبة تطبيق الديمقراطية المباشرة[٣].

ان وظيفة السلطة التشريعية هي تشريع القوانين التي تحكم الحكام والمحكومين ايا كان نوعها سواء كانت تقف على هرم المجموعة القانونية (التشريعات الدستورية) أو اقل من ذلك (التشريعات العادية).

وعلى هذا فأن وظيفة التشريع قد تكون حكرا على السلطة التشريعية النائبة عن الشعب دونما مشاركة من احد كما في الأنظمة البرلمانية أو تكون موزعة بينها وبين السلطة التنفيذية التي تعطى في حالات معينة صلاحية الاقتراح وأحياناً التشريع.

هذا وان وظيفة السلطة التشريعية لا تكتمل في كثير من الأحيان دون مشاركة رئيس الدولة، اذ يعطى الأخير في تشريعات اغلب دول العالم سلطة إصدار القوانين[٤]، لاعتبارها نافذة وملزمة. فان لم يوافق على إصدارها أعيد القانون من حيث أتى معللاً سبب عدم الموافقة على الإصدار.

الذي يهمنا هنا هو دستور العراق الصادر عام ٢٠٠٥، الذي بين ان السلطة التشريعية الاتحادية في العراق موزعة على مجلسين، الأول هو مجلس الاتحاد والثاني هو مجلس النواب، (البرلمان)[٥].

إن فكرة إنشاء مجلس الاتحاد فكرة جديدة تماماً على الواقع السياسي والقانوني العراقي الحديث فهو يعيد العراق إلى زمن الملكية الأولى. ونقصد بذلك مجلس الأعيان المقرر بالقانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥[٦]. ولكن مع فارق في آلية وضع الأحكام. إذ ان القانون الأساسي كان أكثر تفصيلاً بالنسبة لمجلس الأعيان في حين ان دستور العراق لعام ٢٠٠٥ أحال موضوع مجلس الاتحاد لقانون لم يكتب له ان يرى النور لحد الآن. اذ نصت المادة (٦٥) منه على ان (يتم إنشاء مجلس تشريعي يُدعى بـ(مجلس الاتحاد) يضم ممثلين عن الأقاليم والمحافظات غير المنتظمة في إقليم، وينظم تكوينه، وشروط العضوية فيه، واختصاصاته، وكل ما يتعلق به، بقانون يسن بأغلبية ثلثي أعضاء مجلس النواب).

بناءً على ما تقدم نجد ان السلطة التشريعية تعني كل ما له علاقة بالإطار التشريعي للبلد من مؤسسات عاملة في هذا المجال وهي تشكل بذلك احد السلطات الموجودة في الدولة إضافة إلى السلطة التنفيذية والسلطة القضائية. وان السلطة التشريعية في دستور عراق اليوم تتكون من مجلس النواب فقط لأن نص الدستور المقرر لتشكيل مجلس الاتحاد سقط بعدم الاستعمال.

المطلب الثاني: البرلمان كجزء من السلطة التشريعية

ممثل الشعب المنتخب وعضو التشريع الأصيل وكل من يشاركه هذه الوظيفة من شعب سياسي[٧]، أو رئيس هيئة تنفيذية هو مكمل للاختصاص الأصيل للبرلمان. وعلى هذا فأن أسس قيام البرلمان[٨]، هي:

١. انتخاب البرلمان من قبل الشعب السياسي.
٢. تحديد مدة عمل البرلمان دستورياً.
٣. تقسم البلاد لدوائر انتخابية لتسهيل عملية التصويت والانتخاب والنائب ممثلاً لعموم الشعب.
٤. لا مجال للرجوع إلى الشعب خلال دورة مجلس النواب لان النائب يكون مستقلاً عن الشعب طول مدة النيابة البرلمانية.

هذا وان مجلس النواب العراقي هو صاحب الاختصاص الأصيل في التشريع والمراقبة على أعمال السلطة التنفيذية. وهو برلمان يقوم على التوافق لا على الأغلبية البرلمانية ذلك لان الدستور اشترط نسب معينة في بعض المواضيع السياسية والقانونية تتطلب توافق بين الكتل النيابية الموجودة تحت قبة البرلمان. فعلى سبيل المثال لا يمكن انتخاب رئيس الجمهورية في العراق دون موافقة الثلثين من أعضاء مجلس النواب. اذ نص الدستور العراقي في الفقرة (أولاً) من المادة (٧٠) على ان (ينتخب مجلس النواب من بين المرشحين رئيساً للجمهورية، بأغلبية ثلثي عدد أعضائه). وهذا النص يقرر مبدأ التوافق ضمناً لان نسبة الثلثين لا تكتمل من خلال كتلة نيابية واحدة وإنما من خلال أكثر من كتلة موجودة تحت قبة البرلمان.

من جهة أخرى نص الدستور على أن (يكلف رئيس الجمهورية، مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً، بتشكيل مجلس الوزراء، خلال خمسة عشر يوما من تاريخ انتخاب رئيس الجمهورية)[٩]. يتضح من هذا النص الأحكام التالية:

١. على الرغم من ان النص يلزم رئيس الجمهورية تكليف مرشح الكتلة النيابية الأكثر عدداً بتشكيل مجلس الوزراء، وهو نص يوحي بتطبيق مبدأ الأغلبية البرلمانية في تشكيل

مجلس الوزراء إلا ان الموضوع لا يمكن ان يمر الا من خلال رئيس الجمهورية التوافقي. وبالتالي فإن كل المناصب السياسية مرتبطة بالتوافق السياسي.

٢. ان تحديد فترة لاختيار رئيس الوزراء أمر مرتبط باختيار رئيس الجمهورية. اذ كيف يتم اختيار رئيس مجلس الوزراء ذا الأغلبية البرلمانية إلا إذا تم التوافق على اختيار رئيس الجمهورية.

هذا وان مجلس النواب العراقي مختص بكثير من الأمور التشريعية والرقابية التي من شأنها ان توضح ان النظام السياسي في العراق هو نظام برلماني بحت[٢].

المطلب الثالث: الوظيفة النيابية

يتكون مجلس النواب من مجموعة من الأشخاص الذين تم انتخابهم من قبل الشعب أو تم تعيينهم من قبل من له سلطة التعيين في الأنظمة غير الديمقراطية.

ان النائب البرلماني في الأنظمة السياسية التي وصلت درجة من الرقي السياسي يحاول باعتباره ممثلاً عن الشعب العمل لخدمة مجموع الشعب دون العمل لتحقيق مصالح من انتخبه لاعتبارات قومية أو طائفية أو حزبية.

وبالنسبة للدستور العراقي الحالي فان عدد مجلس النواب حُدد بنسبة نائب واحد لكل مائة ألف نسمة من الشعب العراقي، وعلى هذا الأساس كان عدد أعضاء مجلس النواب العراقي بـ(٢٧٥) نائب على أساس ان تعداد العراق السكاني بحدود (٢٧,٥٠٠,٠٠٠) سبعة وعشرين مليون وخمسمائة ألف نسمة[١٠].

ولكن الفكرة المهمة هنا ما هو النظام القانوني للوظيفة النيابية؟ هل هو موظف حكومي؟ أم إن له تكييف قانوني آخر؟ وما هي القوانين التي تحكمه؟ هل يطبق عليه ما يطبق على الموظفين والمكلفين بخدمة عامة؟ أم أن له نظام خاص به؟

لم نجد خلال مطالعاتنا حول هذا الموضوع احد من الفقهاء تطرق إلى مفهوم الوظيفة النيابية ونظامها القانوني. فهي إلى حد كبير تشبه الوظائف الموجودة في الدولة من كونها تقدم خدمة عامة[١١] إلى البلد ولكنها تختلف عن الأخيرة بعدة أمور أهمها:

١. تعد الوظيفة الحكومية وظيفة دائمية منتظمة تدخل ضمن إطار السلطة التنفيذية الساعية لتنفيذ القوانين. بينما الوظيفة النيابية هي وظيفة مؤقتة ومحدد بزمن دستوري وهذه الوظيفة تشكل احد أركان السلطة التشريعية المشرعة للقوانين في الدولة.
٢. يعين الموظفين في دوائر الدولة بموجب قرار إداري صادر من الرئيس المباشر للدائرة الموجود فيها بموجب أحكام القانون الخاضع له هذا الموظف. بينما يعمل النائب في الوظيفة النيابية بالانتخاب من قبل الشعب السياسي ويباشر بهذه الوظيفة بعد أدائه اليمين أمام رئيس مجلس النواب(١٢).
٣. لا يتمتع الموظف الحكومي بحصانة قضائية الا في حالات معينة بموجب أحكام القانون مثل الموظف الدبلوماسي خارج حدود بلاده(١٣). في حين يتمتع النائب البرلماني بحصانة قضائية عن كل أقواله وأفعاله التي يدلي بها ما لم تكن جرماً مشهوداً.
٤. يتسلم الموظف الحكومي راتبا محدداً من الحكومة. بينما يتسلم النائب مكافأة خاصة محددة دستورياً أو في قوانين خاصة ولا تسمى راتباً.
٥. يخضع جميع العاملين في الوظائف الحكومية لقوانين انضباطية تحكم تصرفاتهم. في حين يخضع العاملين في الوظيفة النيابية لقوانين خاصة تحكمهم دون غيرهم لأسباب تتعلق بطبيعة الوظيفة التي يؤدونها.

من كل ما تقدم نجد ان للوظيفة النيابية نظام قانوني خاص بها يجعل النائب البرلماني مكلف بخدمة عامة. وهذه الوظيفة هي وظيفة تمثيلية يقوم من خلالها النائب بالعمل نيابة عن مجموع الشعب في وظيفة التشريع القانوني والرقابة على أعمال السلطة التنفيذية ومحاسبتها ان لزم الأمر.

والسؤال الذي يطرح هنا ما هي شروط الوظيفة النيابية في العراق؟ ومتى يعد الشخص نائباً عن الأمة؟

تختلف الدول فيما بينها في طريقة تحديد شروط النيابة البرلمانية فمنها من توسع بهذه الشروط ومنها من اختصرها على أهم المتطلبات. ولكنها في العراق كانت على النحو الآتي(١٤):

١. ان يكون عراقيا كامل الأهلية وفقاً للمادة (٤٩) الفقرة ثانياً من الدستور.
٢. أن لا يكون مشمولاً بأحكام اجتثاث البعث وفقاً للمادة (١٣٥) الفقرة ثالثاً من الدستور.

٣. ان تنطبق عليه الشروط الأخرى المنصوص عليها في قانون الانتخابات[١٥] .

لم تكن شروط النيابة الواردة في الدستور ومشاريع القوانين الأخرى في العراق بالمستوى المطلوب. إذ من المفروض ان تكون من الصعوبة بحيث لا تنطبق الا على مستحقي هذا الشرف التكليفي. اذ ان المفروض ان تكون هنالك شروط إضافية وهنالك شروط يجب أن تعدل ونرى مجمل هذه الشروط على النحو الآتي:

١. أن يكون عراقي كامل الأهلية.
٢. أن لا يكون محكوم بجناية أو جنحة.
٣. أن يكون قد أتم الثلاثين من عمره.
٤. أن يكون حاصل على شهادة جامعية عليا.
٥. أن لا يكون قد اثري على حساب الشعب العراقي.
٦. أن لا يكون مدعيا بجنسية دول أخرى أو أن يكون تحت حماية دول أجنبية[١٦].

إن هذه الشروط من شأنها أن تضع مجلس النواب العراقي موضعاً يشار له بالبنان في برلمانات العالم المتحضر. إذ ما فائدة شهادة الإعدادية أو ما يعادلها في تمثيل الشعب العراقي ودخول معترك السياسة والتشريع القانوني. فدول العالم تسعى من خلال نوابها إلى قول فصل في الأمور السياسية والقانونية وهي لا تريد لنفسها نائباً يوافق على شيء لا يعلم ما هو ولا أن يعترض مع المعترضين دون فهم لمضمون الاعتراض وما هي أسبابه.

كما ولا يجب أن يكون النائب محكوماً بجناية أو جنحة مخلة بالشرف أو غير ذلك. وإنما كل من حكمت عليه محكمة اياً كان نوعها أو تبعيتها بعقوبة وان كانت بسيطة فالأصل أنها مانع من موانع الترشيح لعضوية مجلس النواب.ما دامت القوانين العراقية تعترف بتلك العقوبة.

والنقطة الأهم هنا ما فائدة نائب يمثل العراق في دول العالم كافة ويشرع قوانين تحكم أجيال كثيرة وهو في الأصل مدعي بجنسية دول أخرى واقسم تحت علمها على السمع والطاعة وخدمة مصالحها.

يعتبر هذا الموضوع من المواضيع الخطيرة والمهمة اذ يجب ان لا يقبل ترشيح مزدوج الجنسية مهما كانت حاجة البرلمان إليه ولا يقبل في أي وظيفة حساسة.وان كانت

هنالك ضرورة قصوى فيجب ان يسقط الجنسية الأجنبية عنه قبل الدخول في مرحلة الترشيح لمجلس النواب.

هذا ويباشر النائب مهام عمله بعد أدائه اليمين الدستورية المنصوص عليها في الدستور(١٧)، ويستحق النائب البرلماني حقوقه وامتيازاته حال أدائه اليمين الدستورية إذ تعد بحكم المباشرة في الوظيفة بالنسبة للموظف الحكومي.

المبحث الثاني
ماهية الامتيازات المالية التي يتمتع بها النائب البرلماني

تقرر التشريعات القانونية على اختلاف طبيعتها امتيازات مختلفة للنائب البرلماني على اعتبار انه ممثل الشعب وهو بحاجة إلى مجموعة من الامتيازات حتى يتسنى له أداء وظيفته على أكمل وجه. ومن هذه الامتيازات، الامتيازات المالية كون الأخيرة تضع النائب موضعاً يكون فيه بمنأى عن اي تأثير سياسي أو اجتماعي. وبالتالي فأن منحه امتيازات مالية تكفيه وعائلته له من الحسنات الكثير مع الأخذ بنظر الاعتبار الوضع المالي العام للدولة في تقدير الامتيازات المالية.وهذا ما فعله العراق بالنسبة لأعضاء مجلسه النيابي.

وسنحاول في هذا المبحث بيان ماهية هذه الامتيازات وعلى سبعة مطالب، يخصص الاول منها لبيان الرواتب والمخصصات ونتطرق في الثاني إلى منح النائب قطعة ارض سكنية، ويكون الثالث لامتياز جواز السفر الدبلوماسي، ونعرج في الرابع إلى القروض والمنح المالية، ونتناول في المطلب الخامس سكن أعضاء مجلس النواب، إما المطلب السادس فسيكون لأمن النائب البرلماني وأخيراً وليس آخراً سوف نخصص المطلب السابع للرعاية الصحية للنائب البرلماني.

المطلب الأول: الرواتب والمخصصات

يعرف بعض الفقه الرواتب على أنها (المبالغ النقدية التي تقدمها الدولة للأفراد العاملين في أجهزتها المختلفة فعلاً ثمناً للخدمات التي يقدمها هؤلاء لها.أو الذين عملوا لديها فترة من الزمن ثم وصلوا سناً من العمر يجعل استمرارهم في العمل متعذراً، فأحالتهم الدولة إلى التقاعد)(١٨).

يتضح من هذا النص ما يأتي:

١. ان الرواتب مبالغ نقدية مقدمة من الدولة لكل العاملين في أجهزتها والمنتسبين لدوائرها.
٢. ان الرواتب هي مقابل الخدمات التي يقدمها الموظفين لتسيير أعمال الدولة ومرافقها العامة.
٣. ان هذا المبلغ النقدي يشمل ما تدفعه الدولة من رواتب تقاعدية للمحالين على التقاعد من دوائرها.
٤. ينطبق هذا التعريف على منتسبي السلطة التنفيذية والقضائية دون التشريعية، كون منتسبي الأخيرة لا يعملون لدى الدولة بل أنهم يعملون مع الحكومة لتسيير الدولة على أكمل وجه. وهم مراقِبون في نفس الوقت لمطابقة أعمالها- اي الحكومة- مع الدستور والقوانين الأخرى.
٥. لا يحصل النائب البرلماني على الراتب كون الأخير يكون يخضع لأحكام كثيرة تخص الموظفين فقط. بل يحصل النائب على مكافأة نقدية [١٩] لغرض سد نفقاته خلال فترة النيابة البرلمانية وليكون بمنأى عن الضغوط السياسية.

من كل ما تقدم نرى بأن المكافأة البرلمانية هي (المبالغ النقدية المقررة دستوراً أو في القوانين ذات الطبيعة الدستورية لمصلحة النائب البرلماني خلال فترة التكليف الشعبي لتسديد نفقاته طول فترة النيابة ليكون بمنأى عن اي تأثير سياسي بسبب وضعه الاقتصادي).

ان الدول في عالم اليوم تقرر رواتب ومخصصات لأعضاء البرلمان فيها لغرض قيامهم بهذه الوظيفة على اتم وجه وان العراق لم يختلف عن باقي الدول في هذا المجال إذ يقرر التشريع العراقي قانون خاص بحقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء المجلس وتُقرر هذه الحقوق على شكل ميزانية خاصة تكون جزء من الموازنة الاتحادية للدولة.

إذ نص الدستور العراقي على ان (تحدد حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء المجلس بقانون)[٢٠].

واستناداً للنص الدستوري المتقدم ذكره فقد قدم مشروع قانون باسم (قانون حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء مجلس النواب) ولكنه لم يقر لحد الآن كونه لا يزال في مرحلة المناقشة.

وعلى كل حال فقد نص مشروع القانون على أن (يكون رئيس مجلس النواب بدرجة (رئيس الجمهورية) ويمنح الحقوق والامتيازات المقررة لهذه الدرجة)[٢١]. إن النص المتقدم منح رئيس مجلس النواب كل ما هو مقرر من حقوق وامتيازات لرئيس الجمهورية.ولكن ما هي حقوق وامتيازات رئيس الجمهورية؟

ناقش مجلس النواب العراقي موضوع راتب ومخصصات رئيس الجمهورية بمحضر الجلسة (٢٦) الجزء الأول من الفصل التشريعي الأول السنة التشريعية الثالثة بتاريخ الأحد ٨ حزيران ٢٠٠٨. ولكن لم يرد في محضر المناقشة ذكر لمبلغ هذا الراتب ولا للمخصصات التي وردت في قانون راتب رئيس الجمهورية. ولا يمكننا على اية حال تحديد رقم محدد للراتب والمخصصات التي يتمتع بها رئيس الجمهورية لعدم توفرها بشكل واضح ولكن سنفترض رقم معين على سبيل المثال لبيان حجم المبلغ وتأثيره على الموازنة.

والغريب في هذا النص انه قارن رئيس مجلس النواب برئيس الجمهورية ولربما نسي من شرع القانون أن رئيس مجلس النواب هو رئيس أعلى مؤسسة في العراق وارفعها وان رئيس الجمهورية هو بطبيعة الحال موظف محاسب من قبل البرلمان وبالتالي لا يمكن المقارنة بين الاثنين على الإطلاق.

من جانب آخر فقد نص القانون على ان (يكون نائبا رئيس مجلس النواب (بدرجة نائبي رئيس الجمهورية) ويمنحا الحقوق والامتيازات كافة المخصصة لهذه الدرجة وتسري هذه المادة على الدورات اللاحقة)[٢٢].

ولا يختلف هذا النص عن النص المتقدم من حيث مساواة نواب رئيس مجلس النواب بنواب رئيس الجمهورية وهذه مساواة بين موظفين من السلطة التنفيذية بنواب مكلفين بخدمة عامة من السلطة التشريعية. ويمنحهم نفس رواتب ومخصصات نواب رئيس الجمهورية التي لم تحدد بقانون منشور لحد ألان.

كما ونص مشروع القانون على أن (يكون عضو مجلس النواب بدرجة (رئيس الوزراء) ويمنح الحقوق والامتيازات كافة المخصصة لهذه الدرجة)[٢٣].

ان الذي يهمنا هنا هو حجم هذه المبالغ التي تدفع من موازنة الدولة كرواتب ومخصصات لأعضاء مجلس النواب.وعلى الرغم من صعوبة الحصول على أرقام دقيقة لرواتب ومخصصات أعضاء مجلس النواب وذلك لان اغلب هذه القوانين غير منشورة في

جريدة الوقائع الرسمية أو ان التعليمات المحددة للرواتب والمخصصات المقررة غير قابلة للنشر لأسباب مختلفة.

نشرت بعض المصادر ان راتب عضو مجلس النواب يصل إلى (٣٠,٠٠٠$) ثلاثون ألف دولار[٢٤]. وهذا يعني ان مجموع رواتب أعضاء مجلس النواب شهرياً يصل إلى:

٣٠,٠٠٠ x ٢٧٥ = ٨,٢٥٠,٠٠٠

وهذا يعني ان رواتب أعضاء مجلس النواب هو ثمانية ملايين ومائتين خمسين ألف دولار أميركي خلال شهر واحد.

وهذا يعني ان مجموع مبلغ رواتب أعضاء مجلس النواب خلال سنة واحدة هو:

٨,٢٥٠,٠٠٠ x ١٢ =٩٩,٠٠٠,٠٠٠ $ تسعة وتسعون مليون دولار رواتب أعضاء مجلس النواب خلال سنة واحدة.

كما ويعني ذلك أن مجموع رواتب أعضاء مجلس النواب خلال الدورة التشريعية هو: ٩٩,٠٠٠,٠٠٠ x٤ = ٣٩٦,٠٠٠,٠٠٠$ ثلاثمائة وست وتسعون مليون دولار رواتب أعضاء مجلس النواب خلال الدورة التشريعية الممتدة لأربع سنوات.

هذا وان المبلغ يزيد سنوياً وذلك لان القانون نص على أن (تحتسب مدة خدمتهم في المجلس لأغراض الترفيع والعلاوة والتقاعد)[٢٥]. مما يعني أن راتب عضو مجلس النواب يزداد سنوياً بسبب الترفيع والعلاوة المنصوص عليها في القانون[٢٦].

وكل هذه الامتيازات وعضو مجلس النواب لا يزال في الخدمة ولكن ما الحكم بالنسبة لحقوق عضو مجلس النواب في حالات إصابته بعجز أو انتهاء العضوية؟

حدد مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء مجلس النواب الحقوق المالية لعضو مجلس النواب بنصه على ان (يمنح عضو مجلس النواب راتباً تقاعدياً لا يقل مقداره عن ٨٠% من مجموع ما كان يتقاضاه من مكافآت في حالة إصابته بعجز دائم يمنعه من أداء مهامه أو انتهاء عضويته بعد دورة المجلس عدا حالات العزل والفصل أو حالة الاستقالة دون موافقة هيئة رئاسة المجلس).

وهذا يعني ان عضو مجلس النواب يستحق راتب تقاعدي لا يقل مقداره عن ٨٠% من مجموع ما كان يتقاضاه في الحالات الآتية:

١. اذا أصيب بعجز دائم يمنعه من أداء مهامه.
٢. اذا انتهت عضويته بعد دورة مجلس النواب.
٣. اذا قدم استقالة ووافقت عليها رئاسة مجلس النواب.
٤. اذا انتهى عمل دورة مجلس النواب لأي سبب كان[٢٧].

ويتمتع ورثة عضو مجلس النواب بالراتب التقاعدي المقرر للنائب في حالة وفاته أو استشهاده خلال دورة مجلس النواب التشريعية لأي سبب كان. ويسري حكم هذه الفقرة على حالات الوفاة أو الاستشهاد التي حدثت منذ تاريخ المصادقة على انتخابات مجلس النواب.

من جانب أخر فقد قرر القانون تخصيص مبلغ قدرة ثلاثة ملايين دينار عراقي شهرياً لكل عضو كمنافع اجتماعية يخضع صرفها لرقابة لجنة مشتركة من (اللجنة المالية ولجنة شؤون الأعضاء ولجنة النزاهة في مجلس النواب). هذا بالإضافة لمخصصات الممنوحة لرئيس الوزراء كون مشروع القانون المشار له سابقاً ساوى من حيث الامتيازات بين أعضاء مجلس النواب ورئيس الوزراء كنوع من الامتياز لأعضاء مجلس النواب.وعلى هذا فيخصص لأعضاء مجلس النواب ما يخصص لرئيس الوزراء من أموال لم تحدد بقانون صريح معلوم وهي على الأكثر مبالغ كبيرة جداً.

المطلب الثاني: منح النائب قطعة ارض سكنية

قرر مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء مجلس النواب منح النائب البرلماني قطعة ارض سكنية بقوله (يمنح عضو مجلس النواب قطعة ارض سكنية مناسبة في العاصمة بغداد أو في اي محافظة أخرى، حسب رغبة العضو).

يبين النص المتقدم ان القانون قرر منح ممثل الشعب قطعة ارض سكنية داخل بغداد أو أي محافظة أخرى يراها هو مناسبة أو متلائمة مع رغبته. وقد بين الكثيرون ان مساحة الأرض هي (٦٠٠) م^2 وهذه المساحة تساوي ثروة من الناحية الاقتصادية لان كلمة (مناسبة) الواردة في نص الفقرة أعلاه تعني المناطق الراقية داخل بغداد أو المحافظات وبالتالي فأن هذا الامتياز قد يعادل مكافآت النائب خلال الدورة البرلمانية أو لربما يزيد المبلغ على ذلك اذا ما عرف النائب اختيار المكان المناسب لهذه الأرض. اذ قد يقرر النائب طلب

تخصيص قطعة ارض له في احد المناطق ذات الطابع الديني فتكون قيمة المتر المربع الواحد تساوي ملايين الدنانير.

والسؤال الذي يطرح هنا هل ان منح النائب البرلماني قطعة ارض مجاني أو بمقابل مادي يلتزم النائب البرلماني بدفعه؟

ادعى كثير من النواب ان هذه القطع هي بمقابل ويقسط ثمن هذه القطعة على راتب النائب.

ولكن النص القانوني واضح وصريح فقد قرر القانون منح هذه الأرض بدون مقابل مادي وهي بطبيعة الحال امتياز عيني يمكن تقييمه بالمال يمنح للنائب عن مدة النيابة التي قضاها مشرعاً للقوانين ومراقباً على السلطة التنفيذية(٢٨).

المطلب الثالث: جواز سفر دبلوماسي

قرر المشرع العراقي في مشروع القانون المشار إليه سابقاً منح أعضاء مجلس النواب وأسرهم جوازات سفر. اذ نص المشروع على ان (يمنح أعضاء مجلس النواب وأسرهم جوازات سفر دبلوماسية من الدرجة الأولى ويستمر بالتمتع به بعد انتهاء دورة مجلس النواب).

يتضح من هذا النص ما يأتي:

١. تقرير جواز دبلوماسي للنائب البرلماني خلال دورة مجلس النواب وبعد انتهاء الدورة) وهذا يعني ان النائب البرلماني سيكون دبلوماسي من الدرجة الأولى طول فترة حياته.

٢. تقرير جوازات دبلوماسية لأسر أعضاء مجلس النواب. وهنا تثور المشكلة ما المقصود بأسر أعضاء مجلس النواب؟ هل هذا يعني كل من هو مسؤول عن إعالتهم شرعاً ام أقارب الدبلوماسي حتى درجة معينة كأن تكون الأولى؟

بين الكثير من أعضاء مجلس النواب ان المقصود بأسر أعضاء مجلس النواب هم أولاده المسؤول شرعاً وقانوناً عن إعالتهم ولا يدخل باقي الأقارب حتى لو كانوا من أولاده المتزوجين الذين خرجوا من نطاق مسؤوليته الشرعية والقانونية.

ان موضوع منح الجواز الدبلوماسي للنائب البرلماني موضوع حساس جدا. اذ أن اغلب دول العالم تمنح النائب البرلماني جواز خدمة يتنقل به النائب طوال فترة خدمته في

مجلس النواب [٢٩]. بل ان من الأنظمة التي لا تقرر منح النائب البرلماني اي جواز سفر [٣٠].

ان المشكلة في هذا الموضوع هو ان الجواز الدبلوماسي يقرر امتيازات مالية كبيرة فمثلاً لا يدفع الدبلوماسي اي رسوم على التنقل بين دول العالم بل تتكفل بها الدولة التي قررت منح الجواز الدبلوماسي. كما ولا يدفع اي رسوم كمركية على البضائع التي ينقلها معه أو البضائع التي يقرر استيرادها.

هذا وتختلف الدول في تقرير الإعفاءات للموظف الدبلوماسي ولكن الحد الأدنى المقرر له هو ما قرر في اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية الصادرة عام ١٩٦١[٣١].

وكل ما تقدم من امتيازات مالية مقررة بموجب الجواز الدبلوماسي تكون من حق النائب البرلماني وعائلته طوال حياتهم.وهذا تجاوز كبير على الوظيفة النيابية اذ لنا على هذا الموضوع الملاحظات الاتية:

١. ان النائب البرلماني مكلف بخدمة عامة انتدبه الشعب ليؤديها ولا يمكن الاستفادة من هذا التكليف من خلال الحصول على امتيازات عملاقة تتلخص إحداها بجواز سفر دبلوماسي من الدرجة الأولى مدى الحياة.ولكن من الممكن تخصيص جواز خدمة للنائب البرلماني عن المدة التي يكلف بها للعمل في الوظيفة التشريعية[٣٢]. بشرط أن يسحب هذا الجواز بعد انتهاء الدورة النيابية للمجلس.
٢. لا داعي لمنح عائلة الدبلوماسي جواز سفر دبلوماسي من الدرجة الأولى مدى الحياة اذ ما هي الخدمة التي قدمها للمجتمع العراقي حتى يكافأ بهذا الامتياز المالي والبروتوكولي.
٣. خلال ثلاث دورات لمجلس النواب العراقي، نتساءل كم عدد الأشخاص الذين سيمنحون هذا الجواز وهل ستبقى هنالك قيمة لهذا الجواز.

من كل ما تقدم يجب إلغاء هذه المادة من مشروع القانون والاستعاضة عنها بنص قانوني نرى ان يكون على النحو الأتي (يمنح أعضاء مجلس النواب جوازات خدمة خلال دورة مجلس النواب على ان تسحب هذه الجوازات بانتهاء علاقة النائب بالمجلس النواب أو بانتهاء الدورة البرلمانية).

المطلب الرابع: القروض والمنح المالية

اقر مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس وأعضاء مجلس النواب امتياز آخر للنواب مفاده أن (يحق لعضو مجلس النواب استلاف أي مبلغ يحتاجه بعد تقديم طلب إلى هيئة الرئاسة بشرط أن تكون مكافآته الشهرية خلال دورة مجلس النواب كافية لتسديد مبلغ السلفة ومن دون أي فوائد)[٣٣].

من النص المتقدم ذكره يتبين لنا الآتي:

١. للنائب البرلماني حق الحصول على سلفة من الدولة عن أي مبلغ يحتاجه مهما كان مبلغ السلفة.
٢. يلتزم النائب بتقديم طلب لهيئة رئاسة مجلس النواب للحصول على هذا الامتياز.
٣. يشترط بالمبلغ الذي طلب النائب استلافه ان تكون مكافآته الشهرية خلال دورة مجلس النواب كافية لسداد المبلغ. وهذا يعني إننا لو افترضنا ان مكافآت النائب الشهرية تساوي (٣٥,٠٠٠) أي خمسة وثلاثون الف دولار. فان من حق النائب استلاف مجموع مبلغ المكافآت الشهرية... ٣٥,٠٠٠x ٤٨ = ١,٦٨٠,٠٠٠$ وهذا يعني ان من حق النائب البرلماني استلاف مبلغ قدره مليون وستمائة وثمانون الف دولار خلال دورة مجلس النواب.

هذا وان عدد أعضاء مجلس النواب العراقي هو (٢٧٥) مما يعني ان من حق اعضاء مجلس النواب استلاف مبلغ: ٢٧٥ x١,٦٨٠,٠٠٠ = ٤٦٢,٠٠٠,٠٠٠$

أي ان من حق مجموع أعضاء مجلس النواب استلاف مبلغ قدره اربعمائة واثنين وستون مليون دولار امريكي. وكل هذا اذا ما افترضنا ان المكافآت الشهرية للنائب البرلماني هي ٣٥,٠٠٠ خمسة وثلاثون الف دولار.

٤. ان مبلغ السلفة الممنوحة للنائب بدون فوائد.

من كل ما تقدم نجد ان هذا الموضوع فيه نوع من المبالغة اذ لو طلب أعضاء مجلس النواب سلفة في دورة واحد لكان من المتعذر منحهم هذا الامتياز المالي. كما وان مبلغ السلفة مبالغ فيه جدا لأنه يعادل ميزانية عدد من الوزارات العراقية.

هذا وان مبلغ السلفة بدون فوائد فان هذا يعني ان للنائب اخذ مجموع مكافآته مقدما وبدون أي جزاء مالي (الفائدة).

من جانب أخر قررت الفقرة (ثامناً) من المادة (٢) من نفس القانون أن (يمنح عضو مجلس النواب منحة تمكنه من شراء سيارة أو أكثر لمرة واحدة خلال دورة مجلس النواب).

ان النص المتقدم فيه الكثير من التساؤلات، ذلك كون المبلغ المدفوع لعضو مجلس النواب هو منحة غير قابلة للرد. وان الغاية من هذه المنحة هو لغرض شراء سيارة أو أكثر وبالتالي فقد يطلب النائب البرلماني مبلغاً يكفي لشراء خمس سيارات على سبيل المثال وتكون الدولة ملزمة هنا بالسداد لان القانون لم يبين الحد الأعلى لعدد السيارات المقرر منح مبلغها للنائب البرلماني.

ولكن ما نوع السيارات التي يمنح النائب البرلماني هذه المنحة لشرائها؟

لم يحدد القانون نوع السيارة المراد شراؤها في القانون بل انها منحة ومن حق النائب شراء فيها ما يشاء وهنا نقول ان من حق النائب البرلماني شراء أغلى أنواع السيارات وأفخمها. بل من الممكن شراء هذا النوع منها وتكون مدرعة وبالتالي فان سعرها يتضاعف. فلو افترضنا ان للنائب البرلماني منحة لشراء سيارتين مدرعتين وافترضنا ان سعر الواحد هو (١٠٠,٠٠٠$) مائه الف دولار فان المبلغ الممنوح للنائب البرلماني هو (٢٠٠,٠٠٠$) مائتين ألف دولار. وبالتالي فأن مجموع المبلغ الممنوح لأعضاء مجلس النواب سيكون:
٢٠٠,٠٠٠ x٢٧٥ = ٥٥,٠٠٠,٠٠٠ $

ان المبلغ المدفوع كمنحة لأعضاء مجلس النواب سيكون خمسة وخمسون مليون دولار أمريكي ولنا أن نلاحظ ضخامة المبلغ الممنوح وهو يعادل أكثر من ربع ميزانية وزارة عراقية مهمة(٣٤).

من هنا نقترح إلغاء هذه المادة من القانون أو جعل المبلغ المقرر في المادة المذكورة سابقاً نوع من السلفة بمبلغ الفائدة المقررة قانوناً كنوع من المساواة الواجبة بين المواطنين المقترضين والنواب البرلمانيين على أساس ان الجميع سواسية أمام القانون.

المطلب الخامس: سكن أعضاء البرلمان

ذكرت الفقرة (رابعاً) من المادة(٢) من مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس وأعضاء مجلس النواب على ان (يخصص لعضو مجلس النواب وحدة سكنية ويجوز له

البقاء فيها مدة أربع سنوات بعد تقاعده بشرط ان يكون شاغلا لها وفي حالة سفره يعاد تسليمها إلى الجهات ذات العلاقة).

من النص متقدم الذكر يتبين لنا ان النص قرر تخصيص دار سكنية منسبة لعضو مجلس النواب للسكن فيها طوال تمثيله للشعب العراقي ويستمر التمتع بهذا الامتياز بعد تقاعده لمدة اربع سنوات اي ان مدة التمتع بهذا الامتياز هي ثمانية سنوات بشرط ان يشغلها. ولكن ماذا يحصل اذا ما قرر النائب السفر خارج العراق؟

هنا يجب التفريق بين السفر المؤقت للنائب والعودة للعراق وبين السفر خارج العراق مع عدم نية العودة. ففي **الحالة الأولى** يبقى النائب شاغلاً للوحدة السكنية متمتعاً بهذا الامتياز طوال فترة الثمانية سنوات.وفي **الحالة الثانية** فيتم إعادة الوحدة السكنية إلى الجهات ذات العلاقة.

هذا ويجب التمييز بين الوحدات السكنية التابعة للدولة متمثلةً بوزارة المالية اذ ان اغلب الوحدات السكنية المملوكة للدولة تكون باسم وزارة المالية. وهنا من السهولة تخصيص هذه الوحدة السكنية للنائب البرلماني.

وهناك نوع أخر من الوحدات السكنية وهي المساكن المملوكة للمواطنين. اذ في هذه الحالة فان الجهات المسؤولة عن إسكان النائب مسؤولة عن استئجار هذه الوحدات السكنية من المواطنين وتتكفل الدولة بدفع الإيجارات.

ولكن ماذا لو قرر النائب البرلماني عدم شغل وحدة سكنية وقرر السكن في احد الفنادق؟ فهل سيتكفل هو بدفع السكن ام ان هنالك من سيتكفل دفع نفقات سكنه؟

يقرر الكثير من النواب العراقيين عدم شغل وحدة سكنية داخل بغداد وذلك للوضع الأمني وخصوصاً النواب الساكنين في مناطق تعد ساخنة.وبالتالي فأنهم يقررون السكن في احد فنادق العاصمة بغداد القريبة من مكان عملهم. لذلك فان مجلس النواب يدفع من تخصيصاته المالية نفقات سكن النواب في فندق الرشيد القريب من مقر البرلمان العراقي.

وقد بينت الكثير من المصادر ان مجلس النواب يتحمل نفقات سكن الأعضاء في الفندق المشار إليه انفاً وبينت هذه المصادر ان مجلس النواب دفع لغاية بداية عام ٢٠٠٩ مبلغ (١١) مليار دينار عراقي لإسكان نواب الشعب في هذا الفندق. وان المبلغ المقرر دفعه خلال دورة مجلس النواب هو (٢٠) مليار دينار عراقي[٣٥].

ان هذا الرقم من شأنه معالجة الكثير من المشاكل التي يعاني منها الشعب العراقي فيما لو استثمر في احد القطاعات التي تخدم المواطن العراقي بشكل مباشر (كهرباء، صحة، ماء، إنشاءات) ومن ثم فما فائدة المخصصات الممنوحة للنائب البرلماني إذا ما تكفلت الدولة بسكنه واكله وتنقله وحمايته؟

هذا ويضيف المصدر السابق ان هذه الأجنحة (السويتات) تبقى محجوزة للنواب حتى خلال العطل التشريعية التي يتركها النواب للسفر خارج العراق. وهذا يعني ان مبلغ (٢٠) مليار دينار هو بمثابة عقد مع إدارة فندق الرشيد خلال أربع سنوات تشريعية من عمر مجلس النواب لغرض إسكان النواب البرلمانيين.

من كل ما تقدم نقول ان بالإمكان الاستفادة من هذا المبلغ لغرض بناء فندق خاص بأعضاء مجلس النواب يوفر على الحكومة:

١. عدم إبرام عقود غير منتهية الأجل اذا ما استمر النواب بتفضيل الفندق على السكن في وحده سكنية حسب ما ورد في الفقرة (رابعاً) من المادة (٢) من مشروع القانون المذكور سابقاً على الأقل خلال فترة عملهم كنواب عن الشعب العراقي.
٢. الحفاظ على امن النائب من خلال التأكد من خلال عدم دخول اي شخص غير موثوق به إلى الفندق أو جناح سكن النائب.
٣. فتح مجال لفرصة عمل لخريجي السياحة والفندقة للعمل في هذا الفندق الجديد الذي يخدم ممثلي الشعب العراقي.
٤. ان بناء فندق خاص بأعضاء مجلس النواب سيقلل من العبء الملقى على عاتق الموازنة العامة للدولة من خلال تقليل مصاريف سكنهم في فنادق بغداد. وان هذا الفندق سيكون ملكية عامة مخصصة للنفع الخاص بطائفة معينة من المكلفين بخدمة عامة.

وكل هذه الفرضية من اجل تقليل المصاريف المخصصة لسكن النواب.

ولكن المفروض عدم مسؤولية أي جهة حكومية عن إسكان أعضاء مجلس النواب ذلك لأنهم قبلوا تكليف العمل في مجلس النواب لخدمة الشعب العراقي والحفاظ على الأموال العامة وان أموال الشعب العراقي غير مسؤولة عن توفير سكن لهم طوال فترة وظيفتهم التشريعية.

من كل ما تقدم نقترح الأخذ بأحد الحلول الآتية:

- توفر الدولة لأعضاء مجلس النواب دار سكنية يلتزم هو بدفع تكاليف إيجارها من المخصصات المقررة له بموجب أحكام القانون.
- تلتزم الدولة بدفع الإيجار ولكن بشرط تقليل المخصصات الممنوحة للنائب.
- إذا قرر النائب عدم إشغال الدار المخصصة فله كامل الحرية باختيار السكن الذي يراه مناسباً له ولا علاقة للدولة بذلك إذ يكون النائب مسؤول عن سكنه لعدم قبوله بالحلول التي قدمتها الدولة.

المطلب السادس : أمن النائب البرلماني

أقرت القوانين الخاصة بمجلس النواب العراقي توفير حماية شخصية للنائب البرلماني وذلك بموجب أحكام القانون رقم (٥٠) لسنة ٢٠٠٧ غير المنشور في الوقائع العراقية. وذلك من خلال توفير حماية عددها (٣٠) حارس شخصي مع توفير أسلحتهم وسياراتهم ومستلزماتهم بالكامل.

ويعد امن النائب احد الامتيازات التي يتمتع بها ومن ضمن هذا الامتياز انه حر باختيار حراسه اذ لا دخل لمجلس النواب أو لوزارة الداخلية أو وزارة الدفاع في اختيار حراس النائب البرلماني. وفي هذا الموضوع الكثير من السلبيات إذ من الممكن أن يشكل النائب البرلماني فصيل حرسه وهم من غير ذوي الخبرة والكفاءة في حماية النائب.

والذي يهمنا في هذا الموضوع رواتب حرس النائب البرلماني اذ تتكفل الدولة بدفع رواتب أعضاء حراسة النائب البرلماني وتسلم الأخير مبلغ قدره (١٥) مليون دينار عراقي [٣٦]. ويقوم النائب البرلماني بتوزيع المبلغ على حرسه حسب تقديراته.

وهذا يعني ان مجموع المبالغ التي يتسلمها اعضاء مجلس النواب شهرياً كرواتب لإفراد حمايتهم هو: ١٥,٠٠٠,٠٠٠ x ٢٧٥ = ٤,١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ اي ان المبلغ اربعة مليارات ومائة وخمسة وعشرون مليون دينار شهرياً.

كما ويعني ذلك ان المبلغ المقرر لحماية أعضاء مجلس النواب خلال سنة واحدة يساوي: ٤,١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ x ١٢ =٤٩,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ تسعة وأربعون مليار وخمسمائة مليون دينار عراقي.

ان في هذا الموضوع الكثير من الأمور غير العادية وهي على النحو الأتي:

١. ان مبلغ رواتب الحماية هو مبلغ مقطوع اي ان النائب يتسلم المبلغ ويكون مسؤول عن توزيعه على حرسه بمعرفته بحسب رغبته ولا يوزع على الحرس مباشرةً.
٢. قد يكون عدد حرس النائب البرلماني اقل من العدد المقرر في القانون ولكن يبقى النائب يتسلم مبلغ (١٥) مليون دينار.
٣. من الممكن تحريك قضايا فساد مالي على أعضاء مجلس النواب لو كان هنالك برلمان حقيقي وديمقراطية حقيقية، اذ من غير المنطقي ان يختار النائب حرسه بدون ان تتوفر فيهم شروط الحراسات الشخصية. كما وان تسلم النائب المبلغ دون رقابة قد يدفعه إلى

تقليل حرسه والاستفادة من المبلغ المتبقي خصوصاً ان كثير من النواب قليلي الحركة داخل بغداد وهنالك الكثير من النواب يبقون داخل المنطقة الخضراء خلال الفصل التشريعي ويسافرون إلى خارج العراق عند انتهائه.

من جانب آخر فقد اقر مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس وأعضاء مجلس النواب ان (يبقى لرئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء مجلس النواب بعد انتهاء دورة المجلس نصف ما كانوا يتمتعون به من حراس بكامل رواتبهم ومخصصاتهم والنصف الآخر منهم يعينون على ملاك وزارة الدفاع مع احتساب مدة خدمتهم مع العضو خدمة فعلية لهم لأغراض الترفيع والعلاوة والتقاعد ويتمتع ورثة العضو بالحق ذاته عند استشهاده أو وفاته)[٣٧].

وهذا النص يتضمن الكثير من الأحكام:

١. عند انتهاء دورة مجلس النواب التشريعية يبقى النائب يتمتع بنصف عدد حرسه المقرر في القانون.
٢. ينقل النصف الآخر من الحرس الشخصي للنائب البرلماني على ملاك وزارة الدفاع.
٣. تحتسب خدمة الحرس الشخصي للنائب البرلماني حال نقلهم على ملاك وزارة الدفاع لأغراض العلاوة والترفيع والتقاعد.
٤. يبقى ورثة النائب البرلماني متمتعين بنصف الحماية المقررة للنائب حتى لو استشهد أو توفي.

ولنا على ما تقدم من أحكام الكثير من التعليقات:

- ان النائب البرلماني شخص مكلف بخدمة عامة وان التزام الدولة بتوفير الحماية الشخصية له مدى الحياة يخرج من حدود التكليف الذي ينتهي بنهاية الدورة البرلمانية.
- ان التزام الدولة بإبقاء نصف عدد الحماية الشخصية المقرر للنائب أي (١٥) حارس شخصي هو عدد كبير للغاية. اذ ان التشريعات القانونية تشرع في الظروف الطبيعية للدولة وبالتالي فلا حاجة لهذا العدد الكبير من الحرس اذا استقرت أوضاع العراق ولا ينكر احد ان الأوضاع الأمنية في العراق في تحسن ملحوظ ومستمر نحو الأحسن.

- يجب ان لا تلزم التشريعات القانونية الحكومة العراقية بقبول نصف العدد المتبقي للحرس الشخصي للنائب البرلماني في وزارة الدفاع بل يجب ان يخضعوا للاختبارات التي يخضع لها المتطوعون لصفوف القوات المسلحة.
- الكارثة التي شرعت هنا ان ورثة النائب البرلماني سيتمتعون بالحرس المقرر للنائب حتى لو توفي أو استشهد. وهذا امتياز ارثي غريب إذ أن الحرس هنا سيعاملون معاملة أملاك النائب حال تقسيمها على ورثته ولا نعلم هل سيوزع الحرس بالتساوي بين أولاده ام ان للذكر مثل حظ الأنثيين.

المطلب السابع: الرعاية الصحية

اقر مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء مجلس النواب امتياز الرعاية الصحية للنائب البرلماني. إذ نص المشروع على أن (يتكفل المجلس بمعالجة العضو داخل العراق أو خارجه في حالة إصابته بمرض أثناء دورة المجلس)[٣٨].

يقرر هذا النص التزام مجلس النواب بتقديم الرعاية الصحية النائب البرلماني وتحمل نفقات العلاج سواء كان العلاج داخل العراق أو خارجه في حالة إصابته بمرض أثناء دورة مجلس النواب.

ولكن هل يتكفل المجلس نفقات علاج النائب إذا ما أصيب بحادث نتيجة للأوضاع الأمنية في العراق؟

من النص المتقدم فأن مجلس النواب مسؤول عن نفقات مرض النائب أثناء دورة مجلس النواب ولكن لا يتصور من الناحية العملية تخلي مجلس النواب عن النائب إذا ما أصيب بحادث امني وهو في الوظيفة النيابية وإنما يتكفل مجلس النواب نفقات علاج النائب عن أي شيء يصيبه خلال دورة مجلس النواب. ورغم ان الامتيازات الممنوحة للنائب في مشروع القانون كثيرة جدا وتخرج عن إطار الحقوق المقررة للمكلف بخدمة عامة الا انه يجب ان يكون القانون المقترح واضح المعالم ويحدد الحقوق المقررة فيه بشكل صحيح. وهنا يجب ان يبين مشروع القانون ما يلتزم به مجلس النواب من نفقات حال إصابة العضو بمرض أو حادث؛ لان القانون ذكر التزام المجلس بمعالجة العضو حال إصابته بمرض أثناء دورة

المجلس وان الحوادث التي تقع على المسؤولين في عراق اليوم لا تدخل ضمن إطار مسؤولية مجلس النواب ليتكفل نفقات علاج النائب البرلماني.

من كل ما تقدم يتبين ان المشرع منح امتياز العلاج للنائب البرلماني دون أفراد عائلته مع ان الكثير من الحقوق المقررة في مشروع القانون تكون للنائب وعائلته. وهذا شيء حسن لان الامتيازات المقررة للنائب في القوانين لا تدخل ضمن التركة المورَثة لعائلته وإنما هي امتياز تكليف بخدمة عامة والمفروض أنها تنتهي بنهاية علاقة النائب بمجلس النواب.

الخاتمة والاستنتاجات

اما ان وفقنا الله في انجاز بحثنا الموسوم (الامتيازات المالية لأعضاء مجلس النواب العراقي) فلا يسعنا الا ان نقدم بعض الملاحظات حول هذا القانون ومشروعيته في النظام القانوني العراقي، فمنذ الأيام الأولى في كلية الحقوق عرفنا من خلال أساتذتنا النجباء أطال الله عمر من كتب له الحياة ليومنا هذا ورحم الله المتوفين منهم واسكن الجميع فسيح جناته. فقد عرفنا من خلالهم ان (القاضي لا يحكم لنفسه) وهو حكم عام صريح يعرفه القاصي والداني. ومن خلال القياس نقول (ان البرلماني لا يشرع لنفسه) وإلا دخلنا في مفهوم جديد اسمه (الفساد التشريعي) ويعني ان النائب البرلماني يقرر لنفسه ما يراه مناسباً من حقوق وامتيازات ويضيق إطار الالتزامات والمسؤولية.

وفي حقيقة الأمر ان المختصين في الشؤون المالية يعرفون ان كل تشريع امتياز أو حقوق إضافية للنائب البرلماني لا يطبق على من شرعه وإنما يطبق على نواب الدورات اللاحقة على التشريع حتى يكونون بمنأى عن كل مسائلة قانونية أو شعبية قد تصيبهم فيما لو شرعوا لأنفسهم.

ان التاريخ العراقي القديم كان يعرف هذه المبادئ بشكل قانوني واضح وسليم. إذ من المعروف ان جميع البرلمانات العراقية القديمة كانت لا تشرع لنفسها بل كانت الرقيب على أموال الشعب هي والوزارة مجتمعين. ويذكر الكثيرون ان وزارة توفيق السويدي رفضت منح الملك مخصصات لغرض السفر والعلاج في أوربا أوائل صيف ١٩٢٩، وكان تبرير الوزارة إن الملك يتقاضى مخصصات ملكية كافية لجميع أموره الشخصية وهذا يوجب على

الملك استخدام هذه المخصصات لغرض العلاج فان لم تكف هذه المخصصات وجب صرف المبالغ اللازمة لعلاجه من جيبه الخاص.

ان الوظيفة البرلمانية ليست بمغنم وإنما هي تكليف جماهيري لشخص وجدوا فيه من الخصال ما تجعله وكيلاً عن جميع ابناء الشعب العراقي حتى غير المصوتين وبالتالي فلا يجب الخروج عن هذا التكليف– الذي يعد بنفس الوقت تشريف للمنتخب من البرلمانيين– ومحاولة استغلال هذا المنصب بطلب مغانم ما انزل الله بها من سلطان وخصوصاً ان العراق يمر بضائقة مالية كبيرة نتيجة لتراكمات الحروب والديون المفروضة على العراق بموجب قرارات الأمم المتحدة.

لم يطلب الشعب العراقي من نوابه ان يكونوا مثل جورج واشنطون الذي رفض تسلم أي مبلغ من خزانة الولايات المتحدة الأمريكية عندما اختير رئيساً لها مقابل تأديته لخدماته. ولا يريد الشعب العراقي من نوابه ان يكونوا مثل مايكل بلومبرج عمدة مدينة نيويورك عام ٢٠٠٥ عندما خفض راتبه ليكون (دولار واحد) شهرياً كونه من الميسورين إضافة إلى استخدامه مترو أنفاق نيويورك أثناء تنقله. كما ولا يريده ان يكون مثل ايفو موراليس رئيس بوليفيا الذي خفض مبلغ راتبه الشهري بحدود ٥٠% مع بدء تسلمه منصب الرئاسة كون بوليفيا بلد فقير ويجب على الحكومة تحمل الأعباء المالية مثل الشعب.

فلا يريد الشعب العراقي من نوابه ان يكونوا مثل ما تقدم ذكرهم من امثلة ولكن يريد المعقولية في تقرير الامتيازات المالية للنواب كون اغلب النواب الحاليين من الميسورين ماديا وان العراق يعاني من عجز مالي في الموازنة العامة وبالتالي فطموح الشعب مثلما هو طموحنا ان يقرر مجلس النواب العراقي تخفيض امتيازاته إلى الربع بل نطمح لأكثر من ذلك. حتى يشار لهم بالبنان كما في دول العالم المتقدم. وان الديمقراطية الحديثة في العراق تستوجب العمل المجاني لدورات انتخابية حتى تنضج وتكون أنموذجاً يقتدى به في دول الشرق الأوسط.

ان أزمة امتيازات النواب ليست حكراً على النواب العراقيين حسب بل هي أزمة شرق أوسطية وعلى التحديد هي أزمة عربية فالمتتبع لقوانين الدول العربية يلاحظ ان النواب يزيدون من امتيازاتهم كل فصل تشريعي كما هو الحال في الأردن ولبنان واليمن ومصر والمغرب والبحرين وعمان والكويت وغيرها من الدول العربية ولكن كل هذه الدول ليست كما

العراق اذ ان الديون الخارجية تثقل كاهل الموازنة العراقية كما وان الدمار الذي أصاب العراق من خلال الحروب الخارجية والدمار الذي أصابه من خلال العمليات الإرهابية تتطلب العمل المجاني أو شبه المجاني لسنين طوال من قبل من يدعون المعاناة من ظلم الدكتاتورية.

ان الشعب العراقي ونوابه بحاجة إلى التكاتف والتوحد لغرض تشكيل حركة لمقاومة التبذير الممنهج أو بمعنى أخر أنهم بحاجة لمحاربة كل القوانين المشرعة التي تقرر امتيازات وحقوق لجهات لا تقوم بواجبها على أكمل وجه وتبالغ في تقرير هذه الامتيازات والحقوق.

من جانب آخر فان البرلمان العراقي بدأت يشكل تأريخه المشرف من خلال موضوع الرقابة البرلمانية على أعمال السلطة التنفيذية ومحاسبتها على أي تقصير وهذا هو جوهر النظام البرلماني كما وان الحكومة ترفع شعار محاربة الفساد للتخلص من كل من تسلم منصباً لا يستحقه ولا يعرف كيف يديره. ونتيجة لذلك فقد أحيل موظفين كبار للتحقيق في أنواع الفساد المختلف حتى يعرف الكل ان الوظيفة تكليف وليست تشريف ودولة القانون هي الغالبة على كل المفسدين. وبالتالي فأن على البرلمان مراقبة نفسه لمواجهة هذه التشريعات التي تواجه برفض شعبي واضح.

من هذه الخاتمة السابقة نبني مقدمة قانونية نريد من خلالها ما يأتي:

١. تحديد الإطار القانوني للامتيازات المالية التي يتمتع بها أعضاء مجلس النواب العراقي بشكل يكون هذا القانون واضح المعالم ويحدد امتيازات النواب التي يستحقونها حقاً دونما مبالغة في هذا الموضوع.
٢. تحديد شروط العضوية في مجلس النواب بشكل يجعل من الصعوبة ان تنطبق الا على من يستحق العضوية في هذا المجلس والتركيز على شرط منع قبول متعددي الجنسية بالنسبة للمناصب الحساسة في الدولة العراقية كافة والتي من أهمها العضوية بمجلس النواب.
٣. من خلال متابعتنا لجلسات مجلس النواب نرى ان هنالك عدد من النواب مترفعين عن الجلوس تحت قبة البرلمان لرعاية مصالح الشعب العراقي ولكنهم أول من يستلم الرواتب والمخصصات والامتيازات المالية الأخرى. كما ولم نجد في الدستور أو في النظام

الداخلي لمجلس النواب أحكام قانونية تحاسبهم على عدم الحضور سوى بعض النصوص التي لا ترقى لمستوى النصوص المطلوبة.

عليه، يجب فرض بعض الأحكام القانونية التي تحاسب النواب على عدم الحضور تصل إلى حد الفصل من العضوية وحرمانهم من كل الحقوق والامتيازات المقررة للنواب.لان من يترفع عن الجلوس تحت قبة البرلمان لتمثيل الشعب العراقي ورعاية مصالحة لا يرقى لان يكون عضواً في هذا المجلس الموقر. بل ويجب حرمانه من الترشيح المستقبلي لعضوية مجلس النواب.

٤. عدم شمول من يشرع قانون الامتيازات المالية بالامتيازات المقررة بها. بمعنى آخر ان الدورة التشريعية التي تشرع الامتيازات والحقوق لأعضاء مجلس النواب لا تشمل بها وانما يشمل بالامتيازات أعضاء مجلس النواب في الدورات اللاحقة على تشريع القانون. وهذا يعيدنا للقاعدة القانونية المشار لها سابقاً بأن القاضي لا يحكم لنفسه وعضو البرلمان لا يشرع لنفسه.

٥. إخراج عوائل النواب من هذا القانون وان يتمتعوا بالامتيازات ضمن الحدود المعقولة التي لا تخرج عن المألوف بمثل هذا النوع من القوانين في البلدان الإقليمية والدولية.كما وان قوانين التقاعد العراقية تقرر راتب تقاعدي لعائلة المتوفى والشهيد بشروط هي عدم زواج زوجته وان يكونوا أولاده قاصرين فأن انتفت هذه الشروط سقط الراتب التقاعدي عنهم. فهل تطبق هذه الشروط على عائلة المتوفى والمستشهد من أعضاء مجلس النواب؟ ام أنهم يبقون متمتعين بهذه الحقوق والامتيازات مدى الحياة؟

٦. من المعروف ان القوانين لا تؤمن بمبدأ رجعية القوانين إلا بحالات ضيقة في نطاق قانون العقوبات (القوانين الأصلح للمتهم) وبالتالي فأن نص مشروع القانون موضع البحث على ان يتمتع أعضاء مجلس النواب بالحقوق والامتيازات منذ المصادقة على الانتخابات عام ٢٠٠٦ يضع الموازنة العراقية بموضع خطر ويكون مبلغ المقرر لميزانية مجلس النواب مقارب للمبلغ المقرر للموازنة العامة للدولة.

٧. ان تقرير حقوق وامتيازات كبيرة لأعضاء مجلس النواب تجعل الوظيفة البرلمانية مطمعاً لكل من هب ودب ولو كانت الوظيفة البرلمانية لا تمنح النائب البرلماني هذا الكم من

الحقوق والامتيازات لما آلت لما هي عليه الآن، ولتحولت إلى وظيفة فخرية لا يدخل في معتركها الا الساعين لخدمة الشعب العراقي.

٨. كما ونلاحظ وجود امتيازات أخرى موسمية للسادة أعضاء مجلس النواب، ونقصد بالموسمية وجود امتيازات في فترة معلومة من السنة وهو امتياز زيارة بيت الله الحرام (الحج). وعلى الرغم من عدم النص عليه في القانون الا انه امتياز من المستحيل ان يتنازل عنه إلا المسيحيين في المجلس وبعض الليبراليين، فعند نهاية موسم الحج نرى السادة النواب محلقي رؤوسهم وهو يناقشون القوانين دليلاً على زيارتهم للبيت العتيق. وهو الامتياز على حساب المواطنين لان عدد زائري بيت الله الحرام محدد سلفاً على العراق ولا يستطيع زيادة شخص واحد الا بموافقات صعبة. وبالتأكيد تتحمل الموازنة العامة للدولة نفقات الحج كاملة لصالح أعضاء مجلس النواب.

٩. هذا وان هنالك نقطة مهمة في مشروع هذا القانون الا وهي نفي أعضاء مجلس النواب المستمر لمثل هكذا مشروع. ولكن الحقيقة انه قانون موجود وهو في طور المناقشة لغرض التشريع والإقرار... والسؤال الذي يطرح هنا لماذا ينفي أعضاء مجلس النواب هذا المشروع؟ هل يجدون فيه مبالغة حقيقية لتقرير الامتيازات المالية لهم؟ ام لمعرفتهم المسبقة انه تجاوز على حقوق الشعب العراقي وان الشعب يرفضها جملةً وتفصيلاً؟ هل يعرف النواب ان الشعب لم ينتخبهم لمثل هذه المشاريع؟ هل وفروا للشعب العراقي ما يجعله يوافق لهم على مثل الامتيازات ويقول حقاً انهم يستحقونها ام ان هنالك قول اخر؟

نترك الإجابة على هذه الأسئلة للشعب العراقي بما فيه السادة أعضاء مجلس النواب.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ ﴾ سورة [آل عمران].

الهوامش

(١) انظر في تفصيل هذا الرأي د. فارس خوري، موجز في علم المالية، مطابع الحكومة السورية، دمشق، ١٩٢٤، ص٧٩ وما بعدها.

(٢) انظر حسان العاني، الأنظمة السياسية والدستورية المقارنة، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٦، ص٣٢٧.

(٣) تعني الديمقراطية المباشرة ان يقوم الشعب بتشريع القوانين دونما حاجة لمن ينوب عنه في هذه الوظيفة، ولكن هنالك حالات لازالت تطبق من خلالها الديمقراطية المباشرة مثل الاستفتاء القانوني بالنسبة لقوانين ذات تأثير كبير على الأوضاع القانونية والسياسية على الدولة مثل الاستفتاء على إقرار الدستور أو إلغاؤه أو الاستفتاء السياسي على شخص الحاكم.وغيرها من الأمور القانونية والسياسية.انظر د. إحسان حميد المفرجي وكطران زغير نعمة ورعد ناجي الجدة، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق،الطبعة الثانية، المكتبة القانونية، بغداد،٢٠٠٧، ص ٦٥.

(٤) يقصد بالإصدار توقيع رئيس الدولة على مشروع القانون لاعتباره نافذاً لينشر بعدها في الجريدة الرسمية ليكون ملزماً للجميع. وهذا ما نص علية دستور العراق لعام ٢٠٠٥ النافذ من حيث (يتولى رئيس الجمهورية الصلاحيات الآتية: ثالثاً: يصادق ويصدر القوانين التي يسنها مجلس النواب، وتعد مصادقاً عليها بعد مضي خمسة عشر يوماً من تاريخ تسلمها).

(٥) بينت المادة (٤٨) من دستور العراق لعام ٢٠٠٥، السلطة التشريعية بقولها (تتكون السلطة التشريعية الاتحادية من مجلس النواب ومجلس الاتحاد). وقد بينت المواد التي تلي هذه المادة مجلس النواب بتفاصيل كثيرة من حيث تكوينه وما يجب عليه وما هي اختصاصاته وكذلك حقوقه وامتيازاته.

(٦) نصت المادة (٢٨) من القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥ على ان (السلطة التشريعية منوطة بمجلس الأمة مع الملك، ومجلس الأمة يتألف من مجلسي الأعيان والنواب، وللسلطة التشريعية حق وضع القوانين، وتعديلها، وإلغائها، مع مراعاة أحكام هذا القانون)

(٧) يقصد بالشعب السياسي المواطنين الذين لهم حق الانتخاب والتصويت على مشاريع القوانين أو اختيار ممثليهم في قبة البرلمان.

(٨) إحسان حميد المفرجي وآخرون، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، مصدر سابق، ص٦٦.

(٩) أنظر الفقرة (أولا) من المادة (٧٦) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥.

٢. لمزيد من التفصيل حول اختصاصات مجلس النواب العراقي. راجع المواد (٤٩-٦٤) من الدستور العراقي النافذ.

[١٠] نصت الفقرة (اولاً) من المادة (٤٩) من دستور العراق لعام ٢٠٠٥، على ان (يتكون مجلس النواب من عدد من الأعضاء بنسبة مقعد لكل مائة الف نسمة من نفوس العراق يمثلون الشعب العراقي بأكمله، يتم انتخابهم بطريق الاقتراع العام السري المباشر، ويراعي تمثيل سائر مكونات الشعب فيه). في حين نصت المادة (٣٦) من القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥على ان (يتألف مجلس النواب بالانتخاب بنسبة نائب واحد عن كل عشرين ألف نسمة من الذكور).

[١١] انظر د. شيماء عطا الله، ماهية الموظف العام، منتدى القانون العام، بحث منشور على الانترنت، ٢٠٠٩، ص٢.

[١٢] يعد مجلس النواب جزء من السلطة التشريعية اذ ان هنالك من الدول من يأخذ بنظام المجلسين في الوظيفة التشريعية. وهي بالغالب دول ذات نظام ملكي مثل العراق في دستور ١٩٢٥، والمملكة الأردنية الهاشمية. وكذلك الحال في النظام الدستوري في بريطانيا (مجلس العموم ومجلس اللوردات). كما وان هناك دول دولاً ذات نظام جمهوري أخذت بهذا النظام مثل الولايات المتحدة الأميركية. وذلك لأسباب تتعلق بتكوين الدولة كونها تتألف من دويلات صغيرة يُخشى من سيطرة الولايات الكبيرة على الولايات الصغيرة بالانتخابات التشريعية. لذلك اوجد مؤسسي النظام الدستوري مجلس الشيوخ ليكون كفة الموازنة في النظام التشريعي الأميركي.وهذا ما نصت علية الفقرة (١) من المادة (١) من دستور الولايات المتحدة الصادر عام ١٧٨٩ على ان (جميع السلطات التشريعية الممنوحة في هذا الدستور تخول لكونجرس الولايات المتحدة ان يتألف من مجلس الشيوخ وآخر للنواب) كما ونص الفقرة (٢) من المادة على ان (يتألف مجلس النواب من أعضاء ينتخبون كل عامين من قبل أهالي الولايات المختلفة). كما ونصت الفقرة (٣) من نفس المادة على ان (يتألف مجلس الشيوخ الأمريكي من شيخين عن كل ولاية).

[١٣] لمزيد من التفصيل بهذا الخصوص. انظر د. فخري عبدالرزاق صلبي الحديثي، شرح قانون العقوبات القسم العام، العاتك بالقاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، ص٨٦-٨٧، وكذلك انظر

الدكتور ضاري خليل محمود، البسيط في شرح قانون العقوبات القسم العام، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص٥٠-٥١.

(١٤) هذا ما نصت علية أحكام المادة (١٣) من النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي. ونلاحظ على هذا النص انه احال شروط النيابة إلى دستور العراق لعام ٢٠٠٥. والى قانون الانتخابات.

(١٥) لم يصدر قانون الانتخابات المنصوص عليه في النظام الداخلي لمجلس النواب لحد الان ولكن الشروط المنصوص عليها في مشروع القانون لم تخرج عن الآتي:

أ- ان يكون غير محكوم علية بجناية أو جنحة مخلة بالشرف.

ب- ان لا يكون قد اثري على حساب الشعب العراقي.

ت- ان يكون قد أتم الثلاثون من عمرة.

ث- ان يكون حاصل على شهادة الإعدادية أو ما يعادلها.

(١٦) تشدد القانون الأساسي العراق لعام ١٩٢٥ كثيراً في شروط العضوية وذلك في المادة (٣٠) منه. بحيث اكن من ضمن الشروط منع صريح لأقرباء الملك من ان يدخلوا في عضوية مجلس النواب أو مجلس الأعيان.في حين ان دستور دولة اليمن لم يشترط الا ان يكون يمنياً ويجيد القراءة والكتابة وغير محكوم علية بجناية أو جنحة مخلة بالشرف.انظر الفقرة (٢) المادة (٦٣) من دستور جمهورية اليمن. في حين نص الدستور التونسي على شروط بسيطة جدا لعضوية مجلس النواب بقوله في المادة (٢١) منه على ان (الترشح لعضوية مجلس النواب حق لكل ناخب ولد لأب تونسي وبلغ من العمر على الأقل خمس وعشرين سنة كاملة يوم تقديم ترشحه).

(١٧) انظر نص المادة (٥٠) من دستور العراق لعم ٢٠٠٥.

(١٨) انظر د. طاهر الجنابي، علم المالية العامة والتشريع المالي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، بلا سنة طباعة، ص٢١.

(١٩) يحصل النائب البرلماني على مكافأة نقدية ولا يحصل على راتب كون الأخير يمنح لمن يخضع لسلطة التعيين في دوائر الدولة، اما النائب فلا يخضع لسلطة التعيين. أنظر في ذلك

موقع المؤتمر نت، الصادرة في ٢٧ ابريل ٢٠٠٩، التي ذكرت خبر رد رئيس جمهورية اليمن على مطالب برلمانية لزيادة رواتبهم.

(٢٠) انظر الفقرة (اولاً) من المادة (٦٣) من الدستور العراقي لعام، ٢٠٠٥.

(٢١) انظر نص الفقرة (اولا) من المادة (١) من مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء مجلس النواب.

(٢٢) انظر الفقرة (ثانياً) من المادة (١) من مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء مجلس النواب.

(٢٣) انظر الفقرة (ثالثاً) من المادة (١) من مشروع القانون المشار له سابقاً.

(٢٤) انظر د.جعفر عبدالمهدي صاحب، بالأرقام- رواتب البرلمان، مقال منشور في مجلة انكيدو الثقافية، ٢٠٠٩.

(٢٥) انظر الفقرة (ثانياً) من المادة (٣) من مشروع القانون المشار له سابقاً.

(٢٦) نصت المادة (٥٠) من القانون الأساسي العراقي لعام ١٩٢٥، على ان (يعطى النائب مخصصات تعادل أربعة آلاف روبية عن مدة الاجتماع فقط عدا مخصصات السفر، وإذا امتد زمن الاجتماع أكثر من أربعة أشهر، يعطى كل نائب ألف روبية عن كل شهر من المدة الزائدة). كما ونص القانون الأساسي العثماني الصادر في ١٨٧٦/١٢/٢٤ في المادة (٧٦) على ان (يعطى من الخزينة عشرون ألف قرش كل من لكل من المبعوثان عن كل اجتماع سنوي، ويعطى له كذلك مصاريف الذهاب والإياب حكم المأمور الذي يكون معاشه خمسة الاف قرش شهرياً توقيفا لنظام مأموري الملكية).

(٢٧) نصت الفقرة (رابعاً) من المادة (٣) من مشروع القانون المشار له سابقاً على ان (يمنح عضو مجلس النواب راتباً تقاعدياً لا يقل مقداره عن ٨٠% من مجموع ما كان يتقاضاه من مكافآت في حالة إنهاء عمل دورة مجلس النواب لأي سبب كان).

(٢٨) صرحت النائبة آلاء السعدون عضو اللجنة المالية بأن هذه الأراضي خصصت لأعضاء مجلس النواب بناء على طلب قدم منهم بعد ان تعهدوا بدفع ثمنها بالتقسيط من مكافأتهم الشهرية. انظر جريدة المنارة الصادرة في ٢٠٠٩/٣/٢٤.

[٢٩] حدد القانون الخاص بامتيازات أعضاء مجلس النواب اللبناني رقم (٧١٧) الصادر ١٩٩٨/١١/١٥ منح زوجة النائب اللبناني وبناته غير المتزوجات أو المطلقات أو الأرامل والذكور حتى سن ٢٥ سنة جواز سفر عادي دون ان يكون دبلوماسي أو أي نوع اخر بل جواز عادي ولكن دون دفع رسوم الجواز. مخصصات عضو مجلس النواب اللبناني، معلومات منشورة على منتدى الإحساء الثقافي ٢٠٠٩/٤/٢٧.

[٣٠] لم يقرر قانون المجلس الوطني الصادر عام ١٩٩٤، في النظام البعثي السابق منح النائب البرلماني أي جواز سواء أكان دبلوماسي ام غير ذلك.

[٣١] للمزيد من التفصيل حول موضوع منح الإعفاءات للموظف الدبلوماسي. انظر رسالتنا للماجستير، الإعفاءات للأغراض الدولية في التشريع الضريبي العراقي، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الحقوق / جامعة النهرين، ٢٠٠٤، ص١٦٤، وما بعدها.

[٣٢] (يحق لعضو مجلس النواب اصطحاب احد أفراد حمايته الشخصيين في حالة السفر والإيفاد خارج القطر). وهذا ما نصت عليه الفقرة (عاشراً) من المادة (٢) من مشروع القانون. وعلى الرغم من الغاء النظرية القطرية التي كان ينادي بها حزب البعث المنحل الا ان مشروع القانون ذكرها بصراحة وهذا امر مخالف للقوانين الصادرة بعد عام ٢٠٠٣، وعلى كل حال فأن الدولة تتكفل نفقات سفر حماية النواب معهم خلال السفر والإيفاد المقرر خارج العراق.وهذا عبء أضافي على الموازنة العامة للدولة.

[٣٣] انظر الفقرة (سابعاً) من المادة (٢) من مشروع القانون أعلاه.

[٣٤] ذكرت جريدة المؤتمر إن ميزانية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لعام ٢٠٠٩ هي بحدود (٢٠٠) مليون دولار. وهذه الوزارة مسؤولة عن أكثر من عشرين جامعة بتفرعاتها. وهي مسؤولة عن جميع طلبة البعثات الدارسين في الخارج. وفي سياق التقرير ذكرت الجريدة أن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي أعلنت ان نفقات طالب البعثة لدراسة الدكتوراه تكلف بحدود (٢٠٠) مليون دينار عراقي. ومن هنا يتبين لنا ان سيارتين ممنوحة للنائب البرلماني تعادل اكثر من شهادة دكتوراه في بلد يعاني من هجرة كبيرة في العقول نتيجة للظروف الأمنية.

انظر مازن الاسدي، رواتب وامتيازات أعضاء البرلمان ماذا تعادل؟ جريدة المؤتمر، الصفحة الرئيسية، ٢٠٠٩/٤/١٥.

[٣٥] انظر جريدة الصوت الأخر ورد هذا الموضوع في الصفحة السياسية تحت عنوان رواتب ومخصصات خيالية... أكثر من ١٧٣ مليار دينار رواتب مخصصات ١٦٢ موظفا فقط.العدد ٢٣٤ في ٢٠٠٩/٣/١١.

[٣٦] عزيز الحاج، عراق الغد، برلمان بلا رأس وهوس للمغانم بلا حدود، مقال منشور على الانترنت بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٢٣.

[٣٧] انظر الفقرة (ثالثاً) من المادة (٢) من مشروع القانون.

[٣٨] انظر الفقرة (ثانياً) من المادة (٢) من مشروع القانون المشار له سابقاً.

المصادر

أولا: القران الكريم

ثانياً: الكتب القانونية

١. د. إحسان حميد المفرجي وكطران زغير نعمة ورعد ناجي الجدة، النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، الطبعة الثانية، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٧.

٢. د. حسان العاني، الأنظمة السياسية والدستورية المقارنة، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٦.

٣. د. طاهر الجنابي، علم المالية العامة والتشريع المالي،دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، بلا سنة طباعة.

٤. د. فارس خوري، موجز في علم المالية، مطابع الحكومة السورية، دمشق، ١٩٢٤.

٥. د. فخري عبدالرزاق صلبي الحديثي، شرح قانون العقوبات القسم العام، العاتك بالقاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

٦. الدكتور ضاري خليل محمود، البسيط في شرح قانون العقوبات القسم العام، بغداد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

ثالثاً: الرسائل والمقالات

١. أثير طه محمد، الإعفاءات للأغراض الدولية في التشريع الضريبي العراقي، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الحقوق / جامعة النهرين، ٢٠٠٤.

٢. د. شيماء عطا الله، ماهية الموظف العام، منتدى القانون العام، بحث منشور على الانترنت، ٢٠٠٩.

٣. المؤتمر نت، جريدة تعنى بالشؤون اليمنية صادرة في ٢٧ ابريل ٢٠٠٩، التي ذكرت خبر رد رئيس جمهورية اليمن على مطالب برلمانية لزيادة رواتبهم.

٤. د. جعفر عبدالمهدي صاحب، بالأرقام، رواتب البرلمان، مقال منشور في مجلة انكيدو الثقافية، ٢٠٠٩.

٥. جريدة المؤتمر، الصفحة الرئيسية، ٢٠٠٩/٤/١٥.

٦. جريدة الصوت الأخر، الصفحة السياسية، رواتب ومخصصات خيالية... أكثر من ١٧٣ مليار دينار رواتب مخصصات ١٦٢، موظفا فقط.العدد ٢٣٤ في ٢٠٠٩/٣/١١.

٧. جريدة المنارة الصادرة في ٢٠٠٩/٣/٢٤.

رابعاً: القوانين ومشاريع القوانين

١. دستور العراق لعام، ٢٠٠٥.

٢. القانون الأساسي العراقي لعام، ١٩٢٥.

٣. دستور الولايات المتحدة الصادر عام، ١٧٨٩.

٤. النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي.

٥. دستور جمهورية اليمن.

٦. الدستور التونسي.

٧. مشروع قانون حقوق وامتيازات رئيس مجلس النواب ونائبيه وأعضاء مجلس النواب المعدل للقانون رقم (٥٠) لسنة، ٢٠٠٧.

٨. القانون الأساسي العثماني الصادر في ١٨٧٦/١٢/٢٤.
٩. القانون الخاص بامتيازات أعضاء مجلس النواب اللبناني رقم (٧١٧) الصادر، ١٩٩٨/١١/١٥.
١٠.قانون المجلس الوطني العراقي الصادر عام ١٩٩٤.

الإذاعات الدولية واهتمامها بالقيم والمعايير المهنية للأخبار

م.م. صلاح مهدي عبد

كاتب وباحث

مقدمة

ينبغي على العاملين والمحررين في وسائل الإعلام بأنواعها واتجاهاتها المختلفة التقيد بالأخلاقيات والقيم والمعايير المعتمدة في العمل الإعلامي، بما يوفر لقصصهم الأخبارية سمة الموضوعية والحيادية بنحو يتيح للجمهور معرفة الحقيقة عبر الاطلاع عليها، الأمر الذي يساعد على تشكيل رأي عام مستنير فضلا عن مساعدة أصحاب القرار من المعنيين والسياسيين اتخاذ قرارات صحيحة وسليمة.

وتؤكد نتائج البحوث والدراسات أن أحد العوامل الأساسية في نجاح العملية الاتصالية لوسائل الإعلام المختلفة هو دقة وسلامة اختيار الرسالة الإعلامية وصياغتها مع طرق عرضها على الجمهور بأساليب منوعة ومشوقة وجذابة وتوقيت مناسب وأن الخبر الإذاعي أو الصحفي بمفهومه الواسع كان ومازال هو جوهر العملية الاتصالية وسيد الفنون الإعلامية مما ينبغي الاهتمام به واستخراجه من بين ذلك الكم الهائل من الوقائع والأحداث على وفق منظور مهني مناسب تتدرج فيه مستويات الاهتمام ويعبر عنها في طرق بناء وتشكيل وصياغة الخبر.

وسنسلط الضوء في هذه الدراسة على طبيعة نشرات الأخبار التي تبث عبر الإذاعات الدولية من ناحية انتقاء الأخبار والمصادر والتقييم، فضلا عن سبل تصحيح الانحرافات عن المعايير المهنية التي قد تحدث من جراء عمليات صياغة وتحرير الأخبار مع تصويب أخطاء الترجمة غير الدقيقة لبعض الأخبار الخارجية التي تتضمنها تلك النشرات.

أهمية البحث:

ستسهم هذه الدراسة في تقديم عدد من المعالجات في الصياغة الخبرية تفيد منها وسائل الإعلام وبخاصة المسموعة والمرئية منها، وتكون عونا ومرشدا للعاملين في أقسام الأخبار الإذاعية والصحفية، فيجنبهم مغبة الوقوع في المتاهات الدعائية والتي من أساليبها التحريرية التصرف والتلوين وتحريف الخبر.

مشكلة البحث:

إن تردي مستوى الاهتمام بالقيم والمعايير الأخبارية أصبح أحد المشكلات التي تعاني منها وسائل الإعلام المختلفة لاسيما الإذاعات الدولية. وفي ضوء ذلك تسعى هذه الدراسة إلى التوصل إلى إجابات واضحة حول مدى اهتمامات الإذاعات الدولية بتلك القيم والمعايير، وما الانحرافات التي يمكن أن تحصل في تطبيقها إبان بناء النشرات الأخبارية.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحديد المعايير المهنية في بناء النشرات الإذاعية، فضلا عن سبل تصحيح الانحرافات التي قد تنجم عن تحرير الأخبار الإذاعية.

نوع الدراسة:

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الوصفية التحليلية لغرض الوصول إلى اهداف البحث واستخلاص نتائج وتعميمات ذات العلاقة بطبيعة البحث.

أولا: نشرات الأخبار.. الانتقاء والمصادر والتقييم

تتلقى الخدمة الإذاعية كما هائلا من القصص الأخبارية، ويتحتم عليها أن تختار ما يناسبها على وفق اعتبارات عديدة تختلف من وسيلة إعلامية إلى أخرى. وينعكس هذا الاختلاف على المعالجة الإعلامية للموضوعات المختلفة، وبالتالي فإن الجمهور يستقبل الرسالة بصورة تختلف حسب الوسيلة التي يعتمد عليها في الحصول على المعلومات بشأن حدث أو موضوع معين.

ولاشك في أن حسن اختيار أو انتقاء الأخبار التي ستبث في الإذاعة يتوقف على كفاءة وسعة أفق القائمين بالاتصال، ومدى مطابقتها للقيم والمعايير المهنية التي تكاد تكون مشتركة بين الخدمات الإذاعية ويتم على أساسها اختيار الأخبار، وبقدر توافر بعض تلك

القيم أو اكبر عدد منها في القصة الخبرية تزداد فرص اختيارها لتقدم في الإذاعة، ومن أهم هذه المعايير القيمية هي[١]:

- الحالية
- القرب
- الاثارة
- الضخامة
- الاهتمام الانساني
- الصراع
- الشهرة
- الغرابة والطرافة
- الدقة
- التوقع
- التكامل.. ويقصد بهذا المعيار هو احتواء الخبر لما اصطلح على تسميته بالشقيقات الست وهي: من، ماذا، لماذا، اين، متى، كيف، فعندما يجيب الخبر عن هذه التساؤلات أو على اكبر عدد ممكن منها تزداد فرص اختياره للإذاعة أو النشر.

ان الخبر الذي يكون صالحا للإذاعة أكثر من غيره هو الخبر الذي يحمل جديدا، ويسترعي انتباه أكثر المستمعين لارتباطه ببيئتهم ومصالحهم وأفكارهم، وان يكون ذا أهمية للمجتمع بصرف النظر عن نوع هذا المجتمع[٢].

ومع الكم الهائل من الأحداث التي ترد إلى المحرر، يجدر بالقائم على إعداد النشرة الأخبارية ان تكون لديه المقدرة على تقييم كل حدث بحسب مصدره أو مصادره، ولاشك في أن الخبر الذي يرد عبر أكثر من مصدر سيكتسب مصداقية واهمية أكبر من خبر اخر ورد من مصدر واحد أو مصدر ضعيف وغير موثوق به[٣].

ويجمع محررو الأخبار على انه كلما ازدادت أهمية وضخامة الحدث ازدادت الشكوك حول مصداقيته، وكلما سعى المحرر إلى التدقيق به أكثر فأكثر، وبخاصة إذا

تحدث الخبر عن عدد القتلى مثلا أو أي حدث لم تسبقه مقدمات أو معطيات توحي باحتمال وقوعه. فإذا واجه المحرر خبر ضخم عبر مصدر إخباري وحيد فلا ضير في ان ينسب هذا الخبر لمصدره الذي أورده مثلا" يقول: ذكرت مصادر أمنية أو صحفية مختصة أو ذكر مراسلنا نقلا عن شهود عيان.. الخ، وفي هذه الحالة فان المحطة تسعى إلى تبرئة نفسها وهذا يفيد المحطة ويجعلها تحتفظ بمصداقيتها وموضوعيتها في أذهان جمهورها حتى لو طرأ تغيير على حقيقة الخبر أو حتى لو كان الخبر خاطئا منذ البداية.

واستنادا إلى ذلك فان نسب الخبر إلى مصدره يحقق ما يأتي:

١. حسم الموضوعات الخلافية خاصة عندما يكون المصدر أحد المسؤولين أو صانعي القرار، فهناك أخبار تكون بحاجة إلى إسناد المعلومات التي تتضمنها إلى مصدر تجنبا لخلق الشكوك لدى الجمهور وعدم تركه في حيرة من أمره عند تلقيه للمعلومات ويكتسب الخبر مصداقيته التي تسعى إليها الوسيلة الإعلامية.
٢. إضفاء قوة وأهمية على الخبر وبخاصة اذا كانت تلك المصادر أساسية ومسؤولة وذات شخصية مؤثرة في الدولة أو في العالم.
٣. حماية كاتب الخبر، فتنسب حينها المعلومات إلى المصدر الذي صرح بتلك المعلومات. «فكلما زاد اعتمادك على مصادر مجهولة، كلما قلت مصداقية خبرك»[٤]، لذا ينبغي ان يسند الخبر إلى مصدر معلوم لكي تعطيه الأهمية وتكسبه الدقة والموضوعية. وفي عالم الصحافة يجب اتباع القاعدة الذهبية التي تقول (إن الصحفي المحترف لا يأخذ كل شيء على عِلاّته، بل يستعمل الادلة ويجري الاتصالات للتأكد من دقة المعلومات).

ان وظيفة الصحفي كوسيط لتوزيع الأخبار ليست عمل الأخبار وصنعها فحسب بل جمع الحقائق الجديرة بان تكون أخبارا وترتيبها في شكل مكتوب لتصبح ذات معنى ومغزى ومحتوى وتحقق ثلاثية الأخبار والتثقيف والتربية، وللصحفي مصادره الأخبارية الموثوق بها وعليه ان يتفحص الأخبار التي يحصل عليها فيعيد النظر في مدى امكانية صحتها ودقتها خصوصا ان حصل عليها من منابع ثانوية[٥].

ولتجنب أي شكل من أشكال الانحرافات عن المعايير المهنية والأخطاء التي قد تحصل في الخبر، وللتأكد من صحة القصة الخبرية على المحرر ان يحصل على الجانب

المضاد لها ولا يعتمد على التخمين فيما يختص بالحقائق والأرقام والأسماء، وان يراقب عن قرب التصريحات غير المعقولة بالتأكد منها مرات عديدة، وان لا يكتفي بمعلومات واخبار التصريحات الصحفية أو التي يتم الحصول عليها من منبع واحد، فضلا عن ضرورة مقارنة الأخبار التي يحصل عليها من المنابع أو المصادر الاتية:

١. المندوبون الإذاعيون
٢. المراسلون الإذاعيون
٣. مؤسسات العلاقات العامة
٤. جماعات الضغط غير الرسمية
٥. وكالات الانباء المحلية والدولية
٦. مواقع الانترنيت
٧. الشخصيات الرسمية
٨. المؤسسات الرسمية ذات العلاقة بالحدث

وأشار احد الباحثين إلى ان وسائل الإعلام لها وظيفة دافعية وأخرى إعلامية، وتتعلق الأخيرة بتدفق الأخبار والمعلومات ومدى دقة هذا التدفق، ومعنى هذا حاجة الرأي العام إلى حقائق دقيقة وليس مجرد سيل جارف من المعلومات والأخبار. اما الوظيفة الدافعية فهي تسعى إلى التأثير في أولويات المواطن وافضلياته.

ومن هنا يستوجب الأمر عند صياغة الأخبار وانتقائها من بين الكم الهائل من معلومات الاحداث الواردة عدم تداخل رأي المصدر بمضمون الخبر، إذ إن تداخله يظهر الخبر وكأنه مؤيد لتصريح المصدر ورأيه، أو يظهر الخبر وكأنه يتبنى المصدر، ووجود هذه الاشكالية يؤدي إلى فقدان الخبر صفة الحياد فبدلا من القول:

(ان الأحكام الصادرة من المحكمة الجنائية العليا بحق المجرمين الإرهابيين جانبت العدالة)، نقول «صرح المدعي العام في المحكمة الجنائية العليا، ان الأحكام الصادرة بحق المدانين جانبت العدالة»[٦].

ثانيا: تصحيح الانحرافات الناجمة عن صياغة وتحرير الأخبار

التحرير الإعلامي هو تعبير موضوعي وليس ذاتيا، فهو يقدم حقائق مجردة قد تكون سارة أو غير سارة. لذا يراعي محرر الأخبار في الإذاعة عند التحرير تنقيته من كل ما يشوبه من إطناب أو كلام زائد ان كان تصريحا أو بيانا أو حديثا خاصا والاقتصار على الجانب المهم فيه، مع مراعاة عدم الخروج بالخبر عن معناه الأصلي، وعدم الإخلال بالقاعدة الخاصة بالموضوعية وعدم التحيز، كل ذلك مع رواية الخبر بصيغة واضحة من دون إضافة إليه أو تلوينه أو التعليق عليه.

وتقتضي أسس الصحافة المعاصرة ان يكون ممتهنها ملما بأساليب تحرير أجناسها المختلفة ومتحكما بشكل معمق في اللغة المستخدمة، وواعيا للأخطار التي قد تنجم عن المعالجات الصحفية العارضة والسطحية والتوظيف غير السليم للأساليب والألفاظ [٧].

فكتابة الأخبار فن له أصول، وهذا الفن يتطلب توفر الموهبة والدراسة، بالإضافة إلى الممارسة والمعايشة الكاملة للأحداث، والمحرر الذي يتصدى لكتابة الأخبار لا ينتهي عمله بانتهاء النشرة التي يعمل في تحريرها، بل عليه ان يكون على علم بالنشرات السابقة، أي ان يعايش الأخبار والأحداث معايشة كاملة.

والخبر له أسلوب تحرير وبنية وتركيب تختلف جذريا عن أسلوب وبنية وتركيب الفنون الصحفية والإذاعية الأخرى[٨]، وعليه فان اصطلاح الخبر من ناحية الصياغة يتضمن جانبين:

الأول: يتمثل بالمحتوى، أي الوقائع والأحداث التي تقدم للمستمع أو القارئ الآخر: يمثل الشكل، أي البناء الصحفي المتميز وعلى وفق ذلك فان ثمة قواعد كتابية أساسية للخبر الاذاعي نابعة من الإحساس بدور المستمع وهو المستفيد الأول من نشرة أخبار الراديو،هذه القواعد تهدف إلى تهذيب لغة الأخبار وصقل أساليبها وتحقيق عناصر الإيجاز والوضوح والدقة والموضوعية التي تعد ابرز ما تتسم به أخبار الإذاعة والتلفزيون، وان مراعاة هذه القواعد والالتزام بها من قبل كاتب الخبر يعني ان تعصمه عن الخطأ أو الانحراف عن القيم والمعايير المهنية وترشده إلى مواطن القوة والضعف في الصياغة الخبرية، هذه القواعد والوصايا بعضها يتعلق بالكلمات والجمل وصياغتها، وبعضها الآخر يتعلق بالأرقام والبيانات وكيفية التعامل معها، كما ينصب بعضها الآخر على الأفعال والصفات وغيرها. ومن ابرز هذه القواعد ما يأتي[٩]:

١. مواصفات الكلمات والجمل

أ. استخدام الكلمات البسيطة واللغة الشائعة مع الابتعاد كلياً عن الكلمات غير المتداولة التي لا يفهمها الا المتخصصين مثل (الاستيون، الغضنفر).. الخ.

ب. استخدام الكلمات المحددة المعنى بدلا من الكلمات التي تحتمل اللبس والغموض والتي يكون لها أكثر من معنى.

ج. تفضل الكلمات ذات المقطع الواحد وليست الكلمات المركبة مثل استخدام كلمة (مجهولة) بدلا عن عبارة (غير معروفة).

د. أن تكون الجملة قصيرة (مختصرة) لان الجملة الطويلة تجهد المتلقي، وتوصلت الدراسات والبحوث المعاصرة إلى ان احد العوامل الأساسية التي تجعل القصص الأخبارية مسموعة هو استخدام الجمل القصيرة، وقد وزعت وكالة (اليونايتدبرس) الأمريكية للأنباء الجدول التالي لمعدل طول الجملة بالكلمات[١٠]:

- جملة سهلة القراءة جدا ٨ كلمات أو أقل
- جملة سهلة القراءة ١١ كلمة
- جملة سهلة القراءة إلى حد ما ١٤ كلمة
- جملة عادية (متوسطة- معيارية) ١٧ كلمة
- جملة صعبة القراءة إلى حد ما ٢١ كلمة
- جملة صعبة القراءة ٢٥ كلمة
- جملة صعبة القراءة جدا ٢٩ كلمة وأكثر

أي ان المستمع والقارئ العادي لا يواجه أية صعوبة في سماع جملة عادية (متوسطة- معيارية) تتألف من ١٧ كلمة.

ويرى كورتيس ماكدوغال ان الطول النموذجي لتحرير المادة الإعلامية وفقا للدراسات العلمية التي قام بها، هو ان يكون متوسط عدد كلمات الجملة ١٩ كلمة. أما طول الفقرة حسب باحث آخر يجب أن لا تزيد عدد كلماتها عن ٧٥ كلمة، ولا تزيد عن أربع جمل وقد ينخفض عدد الجمل إلى جملة واحدة في الفقرة، مع تجنب استخدام العبارات الجاهزة التي قد يؤدي استخدامها إلى تحريف الوقائع وتلوينها مثل عبارات (من نافلة القول) و(مما زاد الطين بلة) و(عادت المياه إلى مجاريها) و(اخذ حصة الأسد).. الخ.

هـ. ينبغي أن يتلافى المحرر تتابع الجمل المتساوية الطول في متن الخبر.

و. لا مجال لاستخدام الجمل الاعتراضية لأنها اذا ازدادت في صلب الخبر تؤدي بالمستمع إلى ان يخلط بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي الذي يكون قد ورد في الجملة الاعتراضية.

٢. الأفعال:

أ. يفضل استخدام صيغة المضارع بدلا من صيغة الماضي كلما كان ذلك ممكنا ويجب ان يكون الفعل قريبا من الفاعل.

ب. يفضل استخدام الفعل المبني للمعلوم بدلا من المبني للمجهول، فبدلا من ان نكتب (أخبر بذلك من قبل معاونيه) يفضل ان تصبح العبارة (أخبره معاونوه) أو (قال محمد الحقيقة) بدلا من (الحقيقة قيلت من قبل محمد).

ج. ينبغي استخدام الأفعال (القوية) التي تغني عن الصفات وتعطي للحدث دلالة معينة مثل (قال، أكد، صرح، أشار،.. الخ) وتجنب استخدام الأفعال الضعيفة مثل (كان وأخواتها) فالجمل التي تبدأ مثلا بـ(كان) تجبرك على استعمال فعل ضعيف في الخبر الإذاعي فبدلا من ان تكتب (كان هناك مئات الأشخاص في الشوارع يريدون مشاهدة البابا) نكتب (مئات من الأشخاص اصطفوا في الشوارع لمشاهدة البابا) كذلك من الأخطاء في صياغة والتي تؤدي إلى انحرافات عن القيم الخبرية هو الإفراط أو التكرار في استخدام بعض الأفعال مثل (تم) ومعناه الحرفي (أكتمل) يستخدم بدلا عنه الفعل (اعتمد) والإفراط في استخدام الفعل (قام)، فمثلا يقال (قام بالقتل) و(أقام بالكلام) والأصح استخدام فعل (قتل) والفعل (تكلم).

د. تجنب استخدام افعل أو كلمات التفضيل على وزن (أفعل) مثل (افضل، أجمل، أضخم، أكثر،..الخ) لأن استخدام هذه الأفعال من شانه ان يقلل من دقة الخبر.

هـ. من الأخطاء في الصياغة الخبرية التي تؤدي إلى انحرافات واضحة عن القيم المهنية هو استخدام الأفعال السلبية مثل (ادعى، زعم، هدد، أتهم،.. الخ) فالصحيح هو استخدام الأفعال المحايدة بدلا عنها مثل (سأل، بلغ، أعلن، قال،.. الخ).

ان الدقة في استخدام وتوظيف الأفعال سواء كانت أفعال النشاط أو الرأي أو المواقف تساعد المتلقين على وضعها في سياقاتها الطبيعية، والأفعال تختلف فيما بينها من حيث المعنى والاستخدام، فالفعل (قال) مثلا يحمل معنى مختلفا عن الأفعال (صرح) أو (أعلن) أو (أشار) وهكذا. وهناك أفعال تحمل معنى مزدوجا، فالفعل (أوقف) يمكن ان يعني توقف عملية ما، كما يمكن ان يعني وضع شخص رهن الاعتقال.

وتأسيسا على ذلك فان الخبر يفقد عنصر الوضوح في المعنى إذا كانت الصياغة الخبرية لإتراعي دقة استخدام الأفعال على وفق ما يجب أن تدل عليه المعنى. فلابد ان يكون الخبر صحيحا ودقيقا في كل تفاصيله والا فقد قيمته.

٣. الأسماء والأرقام

في الخبر الإذاعي الكلمات تكتب لكي تقرأ، لذا لابد ان تكون سهلة النطق بما يجنبنا الوقوع في الخطأ أو الانحراف عند قراءة النشرة وبثها إلى المستمع، وبذلك يمكن حذف الأسماء الصعبة للأشخاص غير المعروفين مثل (هوفلوج دونج وزير الزراعة بكوريا الجنوبية) حيث يمكن حذف اسم الوزير والاكتفاء بعبارة (وزير الزراعة بكوريا الجنوبية)، على ان اسم الوزير يجب ان يذكر في الفقرة التالية وفيما بعد يكتفي بالإشارة اليه بكلمة (الوزير)، كما يمكن حذف الاسم الأول من أسماء الأعلام اذا كانت صعبة النطق وكذلك حروف الاختصار مثل كلمات (البانديت جواهر لال) في اسم البانديت جواهر لال نهرو، ومثل الرئيس الأمريكي السابق (دوايت د.) في الرئيس دوايت د. أيزنهاور.

اما فيما يتعلق بالأرقام فيمكن تحويل الأرقام الطويلة إلى عقود مثل رقم ٤٧٣٥ يحول إلى ٥٠٠٠ ولا نقول تقريبا أو حوالي لان رقم العقود معروف انه تقريبي تماما مثل قوله (جماعة أو فريق).

٤. تعدد المصادر

مع تحول العالم من حولنا إلى مجتمع معلوماتي مفتوح، أصبحت مصادر الخبر وروافده متعدده ومتشعبة، وقد يحتمل ان يكون بعضها ذا أغراض غير موضوعية وأهداف غير مرئية[١١]، لذا يجب توثيق مصدر أي قول أو معلومة أو تصريح بشكل واضح وصريح

لتمكين المستمعين أو القراء من تكوين أحكامهم بمصداقية المعلومات التي ترد في الخبر، فضلا عن حماية الوسيلة الأخبارية الإعلامية عند المساءلة أو التحدي، وقد أشار الدليل الأسلوبي لوكالة أنباء رويتر إلى ثلاث درجات أساسية لمستويات الإسناد وهي:

- شاهد موثوق به هو افضل مصدر
- يليه في الأفضلية نفس المصدر المذكور
- اضعف المصادر تلك التي لا تذكر اسماؤها

اما المصادر بلا أسماء صريحة فيأتي تسلسلها كالأتي:

أ. مصدر مخول وهو الذي يمارس سلطة حقيقية قيد البحث، فوزير المالية هو مصدر مخول عن الشؤون المالية وليس بالضرورة ان يكون كذلك في شؤون الدفاع.

ب. مصدر رسمي: وهو الذي يصل إلى المعلومات بصفته الرسمية.

ج. مصادر محددة: كالمصادر الدبلوماسية والاستخبارية ومصادر في المؤتمر.

واستنادا إلى ذلك فان الصحفي المتمرس والمراسل المحترف لا يألو جهدا في اسناد معلوماته، وذكر مصادرها بدقة ووضوح من دون غموض، فالمصدر الذي يذكر اسمه وموقعه الوظيفي أو مسؤوليته في الدولة يضفي على الخبر ثقلا ومصداقية اكثر، مما ينبغي على المحررين تجنب استخدام العبارات غير الدقيقة في صياغة الأخبار من قبيل:

- مصادر موثوقة
- مصادر حسنة الاطلاع
- الاوساط
- المراقبون

فمن الأخطاء في صياغة الأخبار التي تؤدي إلى انحرافات عن القيم المهنية وتقليل مصداقية الخبر هي الإفراط في استخدام المصادر المجهولة غير المعرفة مثل (ذكر مصدر مطلع) و(علمت مصادر خاصة) و(أكدت مصادر موثوقة) و(ذكر مصدر رفض نشر اسمه).

إن الصحافة العالمية تحذر من استخدام هذه الاساليب وتحث مراسليها على بذل قصارى جهدهم للحصول على المصدر، فكلما زاد اعتماد المحرر على مصادر مجهولة

كلما فقد الخبر مصداقيته، مما يتطلب ذلك إسناد الخبر إلى مصدر معلوم لكي نعطيه أهمية ونكسبه الدقة والوضوح.

٥. حداثة الخبر الإذاعي

تقدم الإذاعة نشراتها الأخبارية كل ساعة تقريبا، وبعض الإذاعات تقدم كل نصف ساعة نشرة موجزة وهذا ما يستدعي تحديث الأخبار لتواكب آخر التفاصيل والتطورات في الحدث. اذ إن الخطأ أو الانحراف عن المعايير المهنية يحدث للخبر حين يفقد في صياغته قيمة إخبارية مهمة هي (الفورية أو الآنية) والصحيح كما ذكرنا ان تؤكد الإذاعة في أخبارها على ما يحدث الآن.

ومن هنا يرى احد الباحثين بان مستويات الوسائل الأخبارية في استخداماتها اللغوية يجب ان تكون على الأقل بمستوى أفضل من القراء والمستمعين والمشاهدين اذا أرادت هذه الوسائل أن تحتفظ باحترام الجمهور لها.

ثالثا: تصويب أخطاء الترجمة

تعرف الترجمة بانها عملية تعتمد على فهم النص الأصلي وعلى اتقان اللغة العربية والإلمام بمبادئها وقواعدها للتمكن من التعبير بسلاسة وأمانة عن نفس المعنى، فمتى فهم المترجم النص ابدع في لغته الام التي يترجم إليها، ذلك ان ذخيرته من المفردات والتعابير العربية ضخمة وهائلة وأسلوبه في هذه اللغة سيسعفه للتعبير بطريقة متماسكة ومتينة(١٢).

ويرى فيدوروف انه من الضروري ان نجد في الترجمة الوسائل اللغوية المناسبة التي تسمح بالتعبير في لغة الهدف عما موجود في اللغة الاصل، فالترجمة

تعني التعبير بدقة وبصورة كاملة عبر وسائل لغة ما، عما عبرت عنه لغة اخرى بوسائلها اللغوية في اطار وحدة المضمون والشكل، اذ ان هدفها (هو الاتي) كيف يتمكن المستمع الذي يجهل لغة الأصل من التعرف على نص معين أو مضمون خطاب بأقرب طريقة ممكنة.

فالترجمة ليست مجرد نقل كلمة من لغة إلى أخرى، ونقل جملة من لغة إلى أخرى، لكن الترجمة هي نقل صورة أو حدث بظروفه ومعانيه وإيحاءاته وملابساته واحتمالاته جميعها، بنظرة الضعف والقوة فيه بحيث تحدث هذه الصورة في المترجم كل ما يستشعره عن الحدث أو الصورة تفكيرا أو إحساسا.

وتأسيسا على ذلك فان ترجمة الأخبار تتطلب كما ذهبنا سابقا الاستعانة بمراحل عملية الترجمة المتمثلة بالفهم والانسلاخ اللغوي وإعادة التعبير لكي نبعد الخبر عن أي تلوين يحصل في مفرداته.

فالمصدر الذي تأتي عن طريقه ظواهر التأثر باللغات الأجنبية يتمثل بـ«قسم الترجمة والأخبار الخارجية» وهو القسم المعني بترجمة الأخبار وغيرها من النصوص إلى اللغة العربية، والأخبار الخارجية هي من أهم أشكال العمل الصحفي المعاصر، لهذا كانت الترجمة عنصرا مهما من عناصر تحرير الخبر الخارجي.

والكثير من الأخبار التي ترد من الخارج وبوساطة عدد من وكالات الأنباء الأجنبية تصل محررة باللغة غير العربية، لذا فانه يمكن ان تصاحب المصطلحات الأجنبية القيم الإخبارية وتفسيراتهم الأحداث والتي تعكس انتماءاتهم الحضارية والمذهبية، مما ينبغي الحذر عند ترجمة المصطلحات الوافدة من الشعوب الأخرى، اذ ان لكل لغة اسلوبها في التعبير، ولا يمكن نقل أسلوب لغة إلى أسلوب لغة أخرى، بل المفروض ان تحافظ اللغة في الترجمة على أسلوبها وان يقرأ القارئ الترجمة وكأنها كتبت في الأصل بلغته الام.

وعلى وفق ذلك فان للترجمة علاقة واضحة بعملية تحرير الأخبار، ويمكن تقسيم أعمال الترجمة غير المقتصرة على النصوص الأدبية على ثلاثة مجاميع هي:

١. نصوص صحفية– إخبارية، توثيقية وعلمية.

٢.نصوص دعائية.

٣. أعمال فنية ادبية.

وثمة امثلة عديدة على ما تحدثه الترجمة المتعجلة السيئة من اثار سلبية على أساليب الكتابة العربية، وشيوع ألفاظ في اللغة ليست من طبيعتها، وذلك مما يرد كثيرا في وسائل الإعلام المختلفة الصحافة والإذاعة والتلفزيون، من ذلك مثلا:

اولا: تأخير الفاعل وتقديم ضميره عليه. كالقول: (في تصريح له عن الأحوال الأمنية في الخليج، قال وزير الدفاع الأمريكي...). والصواب في مثل هذه الحالة أن يقال: (قال وزير الدفاع الأمريكي في تصريح له عن الأحوال الأمنية في تصريح له عن الأحوال الأمنية في الخليج ان..).

ثانيا: إضافة أكثر من مضاف إلى مضاف إليه واحد. كالقول: (احتدام واشتداد القتال). والصواب في ذلك: (احتدام القتال واشتداده)، وهذا يعني إضافة مضاف واحد إلى المضاف إليه، وإضافة المضاف الآخر إلى ضمير يعود على المضاف اليه الاول.

ثالثا: التخفف من استعمال المفعول المطلق في الترجمة، ليحل محل كلمات أو عبارات أخرى مترجمة، مثل: (بصورة – بشكل – لدرجة – على نحو)، كالقول: (مشيت بصورة جيدة)، و(سار بشكل حسن)، و(إن قامته طويلة لدرجة أنها تسد الباب)، و(ظهر على نحو واضح). وهذه كلها استعمالات بعيدة عن العربية، والأصح منها أن يقال: (مشيت مشيا جيدا)، و(سار سيرا حسنا)، و(إن قامته طويلة طولا يسد الباب)، و(ظهر ظهورا واضحا). أي استعمال المفعول المطلق للدلالة على الحالات التي ذُكرت.

رابعا: تصبح الترجمة في مقدمة الأسباب التي تعمل على إشاعة أخطاء إذا قام بها من يترجم ترجمة حرفية:

أ. فمثلا يستعمل البعض كلمة (ضد) وهي ترجمة حرفية لكلمة against في اللغة الإنجليزية. فيقال: (حارب ضد الاستعمار)، و(ينبغي أن يسعى الآباء لتلقيح أبنائهم ضد الجدري)، و(صدر حكم ضد فلان)، وغير ذلك. وينصب الاعتراض على أن الأسلوب الذي يلجأ إلى استعمال هذه الكلمة، هو أسلوب يخالف طرق التعبير العربية. فالقول أن (فلان يحارب ضد الاستعمار) يُفهم منه أن هذا المحارب مخالف للاستعمار، أي أنه يحارب في جبهة أخرى غير الجبهة المعادية للاستعمار. والصواب في ذلك القول: (شن حربا على الاستعمار). وفيما يخص بقية الأمثلة: (يجب تلقيح الأطفال من الجدري)، و(صدر حكم بحق فلان أو عليه).

ب. ومن الكلمات التي يساء استخدام ترجمتها، كلمة reach بمعنى يصل. فعند وصف حدث وصول إحدى الشخصيات الرسمية، يقال: (وصل مصر مساء أمس وزير الاقتصاد في دولة الكويت). وهذا الاستعمال خاطئ، لأن الفعل (وصل) بالإنجليزية

متعدٍ، أي يحتاج إلى مفعول به. ولكنه في العربية لازم، لا يتعدى. فهو بذلك ليس بحاجة إلى مفعول، بل إلى حرف الجر (إلى). فنقول: (وصل إلى مصر مساء أمس...).

ج. ومنها أيضا كلمة (طبقا) المترجمة عن كلمة according، فهي ترد في أمثلة كثيرة. ومن ذلك مثلا القول: (سيتم نقل الأسرى يوم الأحد طبقا لوكالات الأنباء). أما اللغة العربية فلا ترضى باستعمال (طبقا) في مثل هذا الموضع، وإنما تتطلب استعمال الكلمة الصحيحة لهذا الوضع، وهي (وفقا) أو (وفاقا) أو (على وفق). فنقول: (سيتم نقل الأسرى يوم الأحد القادم وفقا لما ذكرته وكالات الأنباء)، هذا إذا أردنا التمسك بحرفية الترجمة. ولكننا نستطيع ذكر جمل عدة تؤدي المعنى بصورة سهلة واضحة، فنقول مثلا: (ذكرت وكالات الأنباء أن الأسرى سيُنقلون يوم الأحد القادم).

خامسا: ترجمة كلمة cancel بكلمة (لاغيا)، كالقول: (يعد الاتفاق لاغيا منذ مساء اليوم). وينصب الاعتراض على كلمة (لاغيا)، فهي اسم فاعل من الفعل (لغا – يلغو)، أي كثر كلامه. ولكن السياق الذي تُذكر فيه كلمة (لاغيا) لا شأن له بكثرة الكلام أو قلته، بل بإبطال اتفاق مسبق. ولذلك فيجب استعمال كلمة (ملغي)، وهي اسم المفعول من الفعل (ألغى – يلغي). فالصحيح إذن أن يقال: (يعد الاتفاق ملغيا منذ مساء اليوم).

سادسا: جمع عدد من الأسماء المعطوفة في جملة واحدة، وذلك دون أن يتبع كلا منها بحرف العطف (و)، كالقول: (ذهب أحمد إلى المكتبة واشترى كتبا، أقلاما، صورا، دفاتر)! وهذا أسلوب لا يصح الأخذ به في العربية لما فيه من فجاجة وعجمة، حتى ولو أخذت به لغة أخرى كالإنجليزية. إذن فالصواب في المثال السابق أن نقول: (ذهب أحمد إلى المكتبة واشترى كتبا وأقلاما وصورا ودفاتر).

سابعا: وهناك كلمة by التي يترجمها البعض (مِن قِبَلْ)، ويدخلونها في الجمل دون استئذان، على الرغم من عدم صحتها. فيقال: (دُونت الملاحظات مِن قِبَلْ اللجنة). وليس في استعمال (مِن قِبَلْ) أي ضرورة في هذا السياق، ذلك أنه يمكن القول: (دونت اللجنة الملاحظات).

ثامنا: وهناك كلمة شاع استعمالها شيوعا خاطئا، فلا تكاد تخلو منها جملة، وهي كلمة (بالنسبة)، التي يمكن التخلي عنها دون حدوث أي إخلال في الجملة، فضلا عن أن

استعمالها يخالف الاستعمال العربي السليم. فيقال مثلا: (انخفضت أسعار العملات، وبالنسبة للمارك الألماني فقد انخفض مقابل الدولار). وهذا تركيب غير صحيح للجملة، فأية نظرة للقاموس تدلنا على أن (النسبة) هي القرابة أو ما تعلق بها. ومن هنا فالصواب أن يقال: (انخفضت أسعار العملات، أما المارك الألماني فقد انخفض مقابل الدولار).

تاسعا: أما عن الخلط بين حرفي الجر (إلى) و(اللام)- عند ترجمة حرف الجر في الإنجليزية to- فهو كثير، على الرغم من أن لكل منهما معنى واستعمالاً مختلفا. أما عن المعنى، فهو أن (إلى) تعني انتهاء الغاية، في حين تستعمل (اللام) للدلالة على الملكية والتخصيص، ويتحدد استعمال كل منهما تبعا للمعنى الذي تدل عليه. يقال مثلا: (سلمت الملف كاملا إلى رئيس مجلس الإدارة)، وهذا غير صحيح، وصوابه: (سلمت الملف كاملا لرئيس مجلس الإدارة). والسبب أن الملف سيوضع تحت تصرفه، كأنه ملك من أملاكه، ولم يكن الغرض سفر الملف من مكان معين ابتداء إلى مكان آخر انتهاء. ويقال أيضا: (سافرت صباح الجمعة الماضي للإسكندرية)، وهذا غير صحيح أيضا. والصواب القول: (سافرت صباح الجمعة الماضي إلى الإسكندرية)، لأن حرف الجر (إلى) في هذه الجملة يحدد انتهاء الغاية من السفر.

عاشرا: الإصرار على ترجمة عدد من الكلمات الإنجليزية بكلمة واحدة مقابلة في اللغة العربية، مثل كلمة privatization، والتي وضعت لها ترجمات عدة، مثل: (الخصخصة) أو (التخصيص) أو (التخصيصية). وهذه كلها ترجمات غير دقيقة للكلمة، ذلك أن اللغة الإنجليزية تميل دائما لاستخدام الزوائد affixes- سواء كانت بادئة أم لاحقة- إلى الكلمة الأصلية حتى يتم مواءمة استخدامها في موقعها من الجملة. ولذلك فهي تعد أكثر من كلمة واحدة، وإن بدت في ظاهرها كلمة واحدة. ومن هنا فلا داع للإصرار على ترجمتها بكلمة واحدة مرادفة في اللغة العربية. وبذلك تكون الترجمة الدقيقة للكلمة السابقة هي: (التحول للقطاع الخاص).

في ضوء ما تقدم فان الأخبار مصادرها متعددة، كوكالات الأنباء والصحف والمجلات والمواقع الالكترونية وغيرها، مما يلزم المام المحرر بحرفية الترجمة Translation عن اللغات الاخرى ويحتاج هذا الى(١٣):

- إلمام باللغة المترجم عنها.
- إلمام باللغة المترجم اليها.
- ثقافة واسعة والمام بنواحي الموضوع محل الترجمة.

وتشارك الترجمة الإخبارية في جميع سمات طرق الترجمة المعروفة سواء كانت اللفظية منها أو الحرفية أو التوفيقية أو الحرة أو الاصطلاحية، فهي تعتمد على ترجمة اللفظ ولكن من اجل الفهم، وتعتمد على الترجمة الحرفية من اجل القة في المعلومة، وتعتمد على الحرية في التناول والتوفيق من اجل اعادة بلورة الفكر في جمل تصلح لتكون خبرا يقدم للجمهور، وتعتمد على الاصطلاح من اجل بيان الفروق اللفظية، فلكل مصطلح أو لفظ تأثير مختلف عن المعنى، واختصارا ان الترجمة الإخبارية هي ترجمة عليها (ترجمة التواصل Communicative Traslation) اذ تسعى إلى نقل المعنى من النص في سياق يتم فيه الاحتفاظ بالمضمون واللغة من دون أي إخلال أو تشويه بحيث تكون مفهومة للمتلقي.

وخلاصة القول ان اللغة البسيطة هي الموصل الجيد والدقيق للحقائق بالنسبة لجميع الكتابات، فالكاتب يريد ان يخلق صورة جديدة في عقل المستمع، والعملية أشبه بالكاميرا وجهاز الاستقبال، فإذا كان الإرسال مشوشا كان الاستقبال مشوشا، واذا كان التعبير مهزوزا غامضا فهو يهدد الفهم بالشكل الذي يشبه فيه تماما الاستقبال المهزوز والملتوي. كذلك الحال بالنسبة لترجمة الأخبار، فالترجمة الخاطئة تؤدي حتما إلى الابتعاد عن الدقة والموضوعية في نقل المعلومة إلى المستمع، مما ينجم عنه انحراف عن المعايير المهنية المعتمدة في صياغة وبناء الأخبار في النشرات الإخبارية. ويذهب بعض الإعلاميين إلى القول ان ابرز ما ينبغي الاهتمام به هو اداء اللغة للوظيفة الاتصالية والاجتماعية والنفسية، وان أي اخلال بهذه الوظيفة هو ابتعاد باللغة عن الصواب.

القواعد الأساسية في ترجمة الأخبار

هناك مجموعة من القواعد الأساسية التي ينبغي اعتمادها في ترجمة الأخبار الخارجية، منها:

- 🕮 يترجم النص الإخباري في ضوء طبيعة الخبر وظروفه واحتمالاته.
- 🕮 الاعتماد الأكثر على متابعة وإلمام المحرر بالقضية أو الموضوع الذي يقوم بترجمته.
- 🕮 لا يجوز ان نقول ان هناك ترجمة إخبارية نموذجية، فطرق التعبير عن المعنى الواحد متعددة ومتنوعة وتتحد ضمن السياق الذي توضع فيه.
- 🕮 لكل محرر أسلوبه الخاص الذي يتميز به سواء في الترجمة أو التحرير.

رابعا: الالتزام بأخلاقيات نشر الأخبار

الأخلاقيات هي قواعد للسلوك توجهنا إلى الطريق الأفضل والأصح للتصرف إزاء موقف معين، وتستمد الأخلاقيات من مصادر متعددة منها الأديان السماوية وأقوال الفلاسفة والحكماء والعادات والتقاليد.

وان الصحافة مفهوم عام بأنواعه المقروءة والمسموعة والمرئية مهنة لا تشذ عن بقية المهن الرائدة، لها سلوكيات ومبادئ تعبر في محتواها عن العلاقات بين ممارسيها من ناحية، والعلاقات بينهم وبين جمهورهم من ناحية ثانية، وبين المجتمع الذي ينتمون له من ناحية ثالثة.

هذه السلوكيات والثوابت قد تكون متعارفا عليها، وقد تكون مبادئ ومعايير يضعها التنظيم النقابي للمهنة.

وتعرف المهنة أو قيم الممارسة في الإعلام بانها «مصطلح يشير إلى القواعد الواضحة للسلوك المهني في مؤسسات وسائل الاتصال، وكذلك الاتجاهات الفعالة والدعاوى المتصلة بكل ما هو ملائم في أسلوب العمل والانجاز»[١٤]. ومن الأمثلة على قيم الممارسة

الفكرة النموذجية التي تتمثل بالالتزام بالموضوعية في إعداد الأنباء والدعاوى المتصلة بأكثر الصور التكنولوجية ملاءمة لتحقيق مهمات اتصالية ذات نوعية خاصة.

وبقدر تعلق الأمر بمهنة الصحافة فان العديد من الخبراء في مجالات الإعلام والاجتماع كانوا قد وضعوا أساسا أخلاقيا قيميا للممارسة الصحفية تعبر عن وجود معايير سلوكية أخلاقية تنبع من المهنة ذاتها، ومن متطلبات نجاح العمل المهني التزام الممارس بهذا النظام الأخلاقي أو الدستور المهني المتفق عليه صراحة، فالصحافة رسالة قبل ان تكون مهنة، فمنذ ان وجدت الصحافة وهي جزء من الجهد السياسي للدول، وهي في الوقت نفسه أداة مهمة في بناء المجتمع عند كل امة ومقياس لحضارة الامم على اختلافها ومرآة لنشاطها في الميادين شتى.

وقد حدد عدد من الباحثين أهم المبادئ الأخلاقية للتعامل الصحفي مع المواقف المختلفة وهي[١٥]:

١. مبدأ الوسطية.. ويعني الاعتدال في اتخاذ المواقف، فالشيء الأخلاقي يقع في الغالب بين طرفي النقيض، على سبيل المثال، ان الأكل الكثير مضر مثله مثل الأكل القليل، والتطرف مضر في الحالتين.

وفي ضوء ذلك فان السلوك الأخلاقي يقع دائما بين أن تفعل أكثر وبين ان تفعل أقل، فالموقف الوسط هنا يعني ان تجد حلا أخلاقيا وسطا كأن تستمر في البث أو النشر لخبر معين على ان تعطي لصاحب القضية فرصة للرد على ما تذيعه أو تنشره.

٢. مبدأ الصحة العامة.. ما هو صحيح بالنسبة للفرد يكون صحيحا للكل (فلسفة كانت)، ولكي نقيس صحة سلوكنا يجب ان نتصرف طبقا للقواعد التي نريد من غيرنا ان يلتزم بها، ويؤدي الضمير الشخصي دورا كبيرا في تحديد الشيء الصحيح من الشيء الخاطئ، وفي مجال الإعلام

فان على الصحفي يتجنب ما هو خطأ أخلاقي مهما كانت المبررات، فالغش على سبيل المثال سلوك غير أخلاقي لا يجوز تبريره تحت ايّ مسمى.

٣. مبدأ الفائدة.. ويراد منه تحقيق فائدة لأكبر عدد من الأشخاص، فعندما نحكم على أمر من الأمور بانه صحيح أو خاطئ يجب ان نضع في اعتبارنا صالح المجموع الأكبر من الناس. ويجب على الصحفي ان يقيس النتائج السلبية والايجابية جميعها المترتبة على إذاعة الخبر ويختار ما يعظم الفائدة ويقلل الخسارة، وعلى سبيل المثال قد يختار الصحفي إذاعة أو نشر خبر عن حادثة قتل طفلة صغيرة بعد اغتصابها على أساس ان العائد على المجتمع من الإذاعة أو النشر اكبر من الضرر الذي قد يلحق بأسرة الطفلة من جراء الإذاعة أو النشر.

٤. مبدأ المساواة.. العدل يتحقق عندما يعامل كل فرد من دون تمييز على أساس عرقه أو جنسه أو مكان إقامته..الخ، ويجب على الصحفي وفقا لهذا المبدأ معاملة المشتركين في حدث واحد على قدم المساواة، فلا يخفي أسماء المشاهير المتورطين في حادثة ما وينشر أو يبث أسماء الآخرين، كما يتضمن هذا المبدأ عدم المجاملة في الإذاعة أو النشر وعدم تسريب معلومات مهمة لأشخاص معينين.

الخلاصة والاستنتاجات

في ضوء ما تقدم يمكن القول ان استمرار إذاعة أو نشر وسائل الإعلام لأخبار تتضمن أحداثا" هامة بأسلوب غير مسؤول بعيدا عن القيم والمعايير المهنية المعتمدة للأخبار يصبح أمرا هداما ومهلكا قد ينعكس في نتائجه على المجتمع بأسره، وان الحل في تجاوز ذلك ليس بالتقليل من حجم ما يذاع أو ينشر أو وقفه تماما، بل الحل هو في تحسين مستوى الأداء لما يقدم من تغطيات إخبارية، فضلا عن الالتزام بضوابط وأحكام أخلاقية المهنة في الإذاعة أو النشر.

المصادر

١. د.محمد معوض ود.عبد العزيز بركات، الخبر الاذاعي والتلفزيوني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ١٩٩٦، ص٤١.

٢. د.فلاح كاظم المحنة، البرامج الإذاعية والتلفزيونية، بغداد، بيت الحكمة، ١٩٨٨، ص٤٤.

٣. عاصف حميدي، العمل الاذاعي والتلفزيوني مفاتيح النجاح واسرار الابداع، ابو ظبي، ٢٠٠٤، ص٣١.

٤. كارول ريتش، كتابة الأخبار والتقارير الصحفية، ترجمة: عبد الستار جواد، الامارات العربية المتحدة، العين، ٢٠٠٢، ص١٤٢.

٥. عبد العزيز الغنام، مدخل في علم الصحافة، ج٣، القاهرة، ١٩٨٣، ص٩٣.

٦. عبد العزيز شرف، الاساليب الفنية للتحرير الصحفي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٣١.

٧. نور الدين بليبل، الارتقاء بالعربية في وسائل الاعلام، الدوحة، مركز البحوث والدراسات– وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، ٢٠٠٢، ص٨.

٨. أديب خضور، مدخل إلى الصحافة نظرية وممارسة، ط٢، دمشق، ٢٠٠٠، ص٥٨.

٩. كرم شلبي، فن الكتابة للراديو والتلفزيون، دار الشروق، جدة، ١٩٨٧، ص١٣٥.

١٠. ميلفن فيتشر، تحرير الأخبار في الصحافة والاذاعة والتلفزيون، دمشق، ترجمة: أديب خضور، ١٩٩٢، ص١٠٢.
١١. خالد مجد الدين محمد، صناعة الأخبار في عصر المعلوماتية، القاهرة: دار الامين للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص١٢٢.
١٢. عبد اللطيف هسوف، النظرية التأويلية في الترجمة، جمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات، ٢٠٠٧، www.anfase.org
١٣. محمد حسن يوسف، أخطاء شائعة في الترجمة، موقع صيد الفوائد، www.seaid.net
١٤. د. سامية محمد جابر، الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث، دار المعرفة الجماهيرية، الاسكندرية، ١٩٨٤، ص٢٧٥.
١٥. د. حسني نصر ود.سناء عبد الرحمن، التحرير الصحفي في عصر المعلومات، الامارات العربية، العين، ٢٠٠٤، ص٣٥.

استخدام الدعاية في مدونات المنظمات والمؤسسات والأحزاب والأشخاص

دراسة تحليلية في مدونات موقع (جيران)

م.م. جاسم رمضان قاسم

كلية الإعلام

الإطار المنهجي

أولاً : مشكلة البحث

اتسع دور العلاقات العامة بتطور الوسائط المتعددة في (الانترنيت) وتعاظم بإدخال وسائل الاتصال التقنية واستخدام الوسائط كحزمة واحدة في في الدعاية والمدونات مما اقتضى دراسة الموضوع وفق منهج علمي ومعرفة المشكلة التي تعيق هذا التوسع وان دراسة الدعاية في المدونات يأتي للاستفادة منها في عمل المنظمات والمؤسسات فضلاً عن أنها إحدى وسائل الدعاية الشخصية للكثير من الأدباء والصحفيين لأنها أصبحت عملية متشابكة وتمثل المدونات إحدى واجهات الدعاية والإعلان عبر الانترنيت بعد توسع دورها فلا تخلو المدونات التي تصدر من مواقع الكترونية كبيرة من الدعاية في صفحتها الرئيسية وصفحاتها الأُخرى مما أعطى انطباعاً للمستفيد عن مستوى هذهِ الوسيلة في تحديد مقدار الثقة والتعامل معها على أساس قدرتها في الانتشار السريع وعدد المتصفحين لها الذي يزداد يوماً بعد آخر.

واتسم البحث في معرفة مدى توظيف المواقع الالكترونية لنشر المدونات واستخدامها كواجهات للدعاية ولذلك يتطلب الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما مدى استعمال (الانترنيت) للمدونات والاستفادة منها في الدعاية.
٢. ما مضامين المدونات في الترويج الفكري والمادي والمعنوي في كل صنوفه عبر المواقع الالكترونية؟
٣. ما التقنيات الفنية المستخدمة في مدونات الوسائط المتعددة في المدونة في الموقع؟
٤. ما التحديثات التي تطرأ على المدونة بصفتها شكلا من أشكال الصحافة الرقمية عبر الانترنيت؟
٥. ما أساليب الدعاية في المدونات في موقع جيران؟
٦. ما صيغة عرض المؤسسات الخدمية والإنتاجية في المدونات.
٧. ما الأساليب التي استعملت في المدونات للدعاية الشخصية والترويج للمدونة؟

ثانياً : أهمية البحث

شهدت المواقع الالكترونية بكل مفاصلها الفنية والتقنية تطوراً كبيراً في استخدام مختلف المجالات العلمية ومستفيدة من الأنظمة الالكترونية الحديثة ومن بين المفاصل التي غزت الشبكة في خضم هذا التطور السريع هو المدونات الالكترونية والاستفادة منها في الدعاية.

ويمكن الدخول في تفعيل أكثر لأهمية البحث لما يمثله البحث من أهمية في دراسة الموضوعات التي تتعلق بالانترنيت وصولاً إلى الموضوعات التي تتعلق بالمدونات الالكترونية كجزء من تطبيقات الانترنيت لكون المدونات الالكترونية تحظى بنسبة انتشار كبيرة قياسا إلى العدد الكبير للمواقع الالكترونية وما يمكن توظيفه في محتوى ومضمون هذه المدونات وتأثيرها سواء في العلاقات العامة أو الإعلان.

ثالثاً : أهداف البحث

هدف البحث محاولة الإجابة عن تساؤلات البحث فضلاً عن تحقيق الأهداف الآتية:

١. التعريف بالمدونات وأنواعها والأساليب الفنية المتبعة فيها وأوجه الدعاية التي ينطلق منها المدون في مدونته.
٢. تحديد الأساليب الدعاية بالمدونات عبر الانترنيت والسبل الكفيلة لضمان استخدام المدونات في الدعاية.
٣. الوقوف على قدرة المدونين في استخدام التقنيات الحديثة.
٤. مدى تفاعل المدونات العربية مع الأحداث والقضايا المحلية وحجم الدعاية في استخدام المدونات.
٥. تحديد عدد المؤسسات الخدمية والإنتاجية التي تستخدم مدونات خاصة بها.
٦. الوقوف على أبرز المدونات الخاصة بالمنظمات والأحزاب السياسية في موقع جيران.
٧. معرفة الأساليب الفنية في عرض الصفحة الشخصية للمدون.

رابعاً: منهج البحث

لغرض الوصول إلى نتائج علمية يعتمد عليها لابد من أن وصف الوضع الراهن للظاهرة عن طريق رصدها وفهم مضمونها أو الحصول على أوصاف دقيقة تفصيلية لها بغية الإجابة عن الأسئلة التي تطرحها والمشكلات التي تدرسها ويعرف المنهج الوصفي بأنه: «أُسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد أو فترة أو فترات زمنية معلومة وذلك للحصول على نتائج علمية و تفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة»(١).

واتبع الباحث الدراسة المسحية بهدف وصف وتحليل الواقع التطبيقي والعملي لموقع مجتمع البحث للتعرف على أهم المتغيرات في أثناء فترة الدراسة والذي يعد واحداً من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية لاهتمامه بدراسة الظروف المختلفة في مجتمع معين بقصد الحصول على الحقائق واستخلاص النتائج الهامة اللازمة لحل مشاكل مجتمع الدراسة.

خامساً: حدود البحث

تتضمن مجالات البحث حدود الدراسة التي ينبغي أن تقف كل دراسة علمية عند مجالات معينة على أساس أن الدراسة الواحدة لا تستطيع أن تحيط بكل المتغيرات والعوامل المختلفة وتتمثل مجالات هذهِ الدراسة في كل من:

١. **الحدود والمكان:** اقتصرت الدراسة على موقع واحد للحصول على معلومات علمية بحثية، إذ تم اختيار **(موقع جيران)** لكونه من المواقع المتميزة في استضافة المدونات لانجاز البحث والسبب في ذلك عدم وجود قيود على حركة التدوين وبإمكان أي شخص أن ينشئ لنفسه مدونة ولا يكون ملزماً بوضع بيانات دقيقة عن نفسه أو عن البلد الذي ينتمي إليه.

٢. **الحدود الزمانية:** حدد مجتمع الدراسة المدونات الجديدة لشهر تموز عام ٢٠٠٨ والتي جاءت متزامنة مع إعلان الموقع بالوصول إلى ١٠٠ ألف مدونة منذ إنشاء أول مدونة في شهر تشرين الثاني عام ٢٠٠٥م.

سادساً: مجتمع البحث وعينته

أختار الباحث موقع جيران من بين المواقع العربية التي تستضيف المدونات وأختار العينة بعد إجراء دراسة استطلاعية لعدد من المواقع والتي تبين أن موقع جيران أول موقع عربي يحصر عدد مدوناته رسمياً ووصل عددها نهاية تموز ٢٠٠٨ إلى (١٠٠) ألف مدونة وتم حصر البحث بالمدونات الجديدة لشهر تموز خلال هذا الشهر بـ(٢٦١٠) كمجتمع بحث وعن طريق استخدام العينة العشوائية المنتظمة تم اختيار (٢٦١) مدونة لإجراء البحث عليها عن طريق البدء بالرقم واحد من المدونات الجديدة لشهر تموز إلى الرقم (٨٧) وهكذا إلى الرقم (١٧٤) وإلى الرقم (٢٦١)... وصولاً إلى (٢٦١٠) لأن هناك صعوبة في تقدير عدد المدونات العربية لعدم وجود عمليات أرشفة منظمة لها ولا أدلة Directories دقيقة بشأنها ولهذا تم اختيار هذهِ العينة التي جاءت انسجاماً مع ما قدمه الموقع من تحديثات واستيعاب هذا العدد من المدونات العربية وتقديم الجديد،بعد أن أشيع وانتشر موضوع المدونات في كل إرجاء العالم وأصبح الإفراد والجماعات والمؤسسات تنشأ لها مدونات على النت واستغلالها في العلاقات العامة.

سابعاً: أدوات البحث وطرائقه

لغرض إنجاز متطلبات البحث أو إظهاره بالمظهر العلمي المقبول فإن الباحث استعان بالأدوات الآتية لغرض إنجازه:

١. **اللقاءات:** تم إجراء عدد من اللقاءات مع المسؤولين في أقسام الموقع موضع الدراسة عن طريق الانترنيت والرسائل سبقتها اتصالات هاتفية مع مسؤولة المدونات في الموقع ومراسلتها عبر البريد الالكتروني للإجابة عن بعض الأسئلة التي تفيد موضوع البحث والمتعلقة بأهم الأساليب الفنية المستخدمة في إنشاء المدونات وتم التأكد من العينة من قبل الشركة أو الموقع لإنجاح البحث والاستفسار عن أساليب الإعلان الحديثة المستخدمة في الموقع.

٢. **استمارة تحليل الفئات:** اعتمد الباحث على استخدام الفئات التي جمعت العينة عن طريقها، إذ تضمنت الاستمارة مجموعة من الفئات التي يمكن احتسابها عن طريق

تسجيل عينة البحث وقد أُجريت تعديلات في استمارة البحث بعد عرضها على المحكمين يمكن الاطلاع عليها ضمن الملاحق.

٣. **الملاحظة:** ويقصد بها في مجال البحث العلمي المشاهدة الدقيقة لظاهرة من الظواهر أو لمجموعة منها بالاستعانة بالأدوات والأجهزة والأساليب التي تتفق مع طبيعة هذهِ الظواهر وذلك بهدف معرفة صفاتها وخواصها والعوامل الداخلة فيها وحاول الباحث كشف تفصيل الظاهرات والعلاقات الخفية أو الظاهرة التي يحتمل أن توجد بين عناصرها أو بينها وبين الظاهرات الأُخرى في بحثه.

وهذه الدراسات تعد خطوة من خطوات على طريق إعلام الرأي العام العربي بأهمية المدونات ودورها كصحافة شعبية وأحيانا شخصية تتبلور مفاهيمها لتكون في متناول مستخدمي الانترنيت العرب،وبحثنا يكشف دور المدونات في عمل العلاقات العامة.

المبحث الأول
المدونات، مفهومها وخصائصها

١. مفهوم المدونة

المدونات كمصطلح أو مفهوم لغوي مفردها مدونة أو weblog تعني اصطلاحاً سجل الشبكة وتعريفها دفتر يوميات الكتروني وتم الاتفاق عربياً بأن مدونة كتعريب لـweblog أو Blog وكلمة تدوين هي تعريف لـBlogging فالمدونات والتي بدأت في تسعينات القرن الماضي كهواية، أصبحت تتحول إلى وسيلة جديدة تغير طريقة تواصل الأفراد وعمل الصحفيين وسلعة إعلامية تؤثر في صناع القرار وهناك إجماع في اللغة العربية من قبل اتحاد المدونين العرب(٢) على الترجمة العربية Blog هي المدونة، ويطلق اسم مدونة على موقع الشخص الذي يقوم بكتابة خليط يتألف من سجل من الأحداث والسيرة الذاتية والرأي على صفحة الكترونية(٣) وهي شكل من الأشكال الحديثة من الكتابة الصحفية الافتراضية إن جاز التعبير ونشر القصص والتجارب الشخصية والمناقشات والحوارات حول تفاصيل الحياة اليومية الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسة الجماعية منها والفردية وتعزز المدونة عادة بالصور والتسجيلات الصوتية والموسيقى والأغاني والأشرطة المصورة والتي تكون غالباً من صنع المدون نفسه وعرف موقع الموسوعة الحرة على الانترنيت (ويكبيديا)(٤)

المدونة بأنها تطبيق من تطبيقات الانترنيت تعمل عن طريق نظام لإدارة المحتوى، وإن كلمة مدونة هي التعريف أو التعريب الأكثر قبولاً لكلمة blog الإنكليزية التي نتجت من كلمتي weblog بمعنى سجل الشبكة وكلمة تدوين هي المصدر من دون يدون تدويناً بمعنى التسجيل ومدون هو اسم الفاعل من دَونَ. ويقول روبير مارتان في كتابة مدخل لفهم اللسانيات(٥): «المدونات مواد موضوعة وصف لكنها خاضعة لرقابة متكلمين أكفاء».. بينما يعرف موقع تدوين المدونة.. بأنها تتكون من كلمتي weblog بمعنى سجل الشبكة وهو تطبيق من تطبيقات الانترنيت تعمل عن طريق نظام لإدارة المحتوى وهو في أبسط صورة عبارة عن صفحة ويب تظهر عليها تدوينات (مدخلات) مؤرخة ومرتبة ترتيباً زمنياً تصاعدياً تصاحبها آلية أرشفة المدخلات القديمة ويكون لكل مدخل منها عنوان دائم لا يتغير منذ لحظة نشره يمكن للقارئ أو المتصفح من الرجوع إلى تدوينه معينة في وقت لاحق عندما لا تعود متاحة في الصفحة الأولى للمدونة(٦).. ويقول الباحث عبد الرحمن فراج الباحث على الانترنيت أصبحت المدونات Blog ثاني ثورة في عالم الانترنيت بعد البريد الالكتروني وأنها بجانب البريد الالكتروني والويكي (wiki)(*) أصبحت أبرز خدمات الانترنيت والمدونات أحد وسائل النشر والاتصال الحديثة على العنكبوتية وتمثل مزيجاً من المذكرات اليومية/ في البيئة الورقية/ ومواقع الانترنيت والتجمع الالكتروني online community (في البيئة العنكبوتية) ولعل من أسباب شهرتها وسرعة انتشارها تميزها بالتفاعلية والوصول المباشر من قبل المستفيدين إليها وتشكيل التجمعات الالكترونية بين محرريها والمستفيدين منها وذلك بصورة أكثر فاعلية من وسائل الاتصال الأُخرى مثل البريد الالكتروني والقوائم البريدية، هذا فضلاً عن توفرها على سجل أرشيفي للمواد المتاحة بها يتم الوصول إليه بصورة أكثر سهولة ويسراً من غيرها من الأساليب(٧). وأن المدونة الشخصية عبارة عن صفحة متحركة ديناميكية تسمح للقائم عليها بنشر آرائه وأفكاره ومذكراته ويصقل الأحداث التي حوله بتصوره الشخصي بسهولة ويسر من أي مكان متواجد فيه على الانترنيت.

٢. الخصائص

كل مدونة مزودة بمحرر نصوص متقدم يتيح للمدون كتابة المقالات وإضافة أي تنسيق وتشكيل بريد عليها بيسر وسهولة مع خيارات نشر مختلفة كتحديد الوقت والتاريخ والكثير لن تعرفه دون الاطلاع على لوحة التحكم الخاصة بكل مدون.

فكل مدون مستخدم للانترنيت يكون له ملف شخصي يمكن أن يضمنه كل معلوماته العامة وصورته الشخصية بعنوان ثابت ودائم على الانترنيت ويمكن إعطاؤه كل من يريد التعرف عليه فضلاً عن انتشار صداقات[٨] وروابط مع محرري المدونات في نظام المدونات الالكترونية وورد بريس هو برنامج لإنشاء المدونات أو ما يسمى باللغة الإنكليزية Blog أو weblog وهذا برنامج حر ومجاني ويمكن استخدامه وتعديله ونسخه كما يشاء ويتميز البرنامج وورد بريس بعدد من المميزات تشمل

- سهولة إعداده وتركيبه وتحديثه.
- سهولة تركيب وتعديل القوالب فضلاً عن وجود مئات من القوالب المجانية متوفرة في مواقع كثيرة من ضمنها عشرات القوالب المعربة.
- سهولة إضافة المزيد من الخصائص والمميزات عن طريق الإضافات plugins.
- بتعدد الكتاب يمكن لأكثر من كاتب واحد المساهمة في الموقع مع توفر خاصية إعطاء صلاحيات محددة لكل كاتب.
- يمكنك إرسال المواضيع إلى وورد بريس عن طريق البريد الالكتروني.
- يعتبر وورد بريس برنامجاً لإدارة المحتويات بمعنى آخر يمكن الاعتماد عليه لإنشاء مواقع صغيرة ومتوسطة[٩].
- يوفر حماية ضد التعليقات السلبية (spam).
- وهناك العديد من المميزات الأُخرى.

مزايا المدونات

تتزاحم المدونات مع باقي المواقع مثل المنتديات وغرف الدردشة ومراكز تحميل برامج كثيرة جداً و(مكررة المحتويات) وكذلك الحال عند إنشاء موقع لمدونة نلاحظ إن اغلب المدونات العربية يغلب عليها طابع أما إخباري أو إسلامي أو تقني تحتوي على أشياء جديدة لم يسبق أن فكر بها (هناك أكثر من مليوني مدير موقع على النت) وهو أمر صعب لكن

المدونات لا يهم عن ماذا تتحدث فهي ستكون مدونة متميزة عن كأس العالم وعند تصفحها سيجد أن كل مواضيعها تختلف عن بعضها عن البعض الأخر فالمدون عندما يكتب تدوينة جديدة يكتبها أما من تجربة شخصية أو خبرة اكتسبها مع الوقت أو من خياله المحض أو فكره السياسي أو الاجتماعي ومن ثم فإن كل تدوينة جديدة تحمل طابعاً شخصياً لمؤلفها لذا من الصعب نجدها تتكرر عند شخص آخر.

وإن أغلب المواقع قد تغلق بسبب أو بدون سبب أو تحدث تغيرات فيه عما كان عليه في البداية بسبب جراءة المدون، فالمدونة هي رؤية العالم من وجهة نظر واحدة بمعنى عالم المدون الخاص. فيكتب المدونون عن واقع الجرائد الدعائية وإعلاناتها عن طريق تجربة تصفحه لتلك الجرائد فقط وآخر عندما يتحدث عن جنود المشاة في العراق وما يواجهونه من حوادث تقع لهم. فهذهِ الأشياء لو يتم التحدث عنها في مكان آخر غير المدونة لما وجد شخص يهتم بها لكن المدونة لها طعم ومعنى خاص لأنها تحول الحوادث الاعتيادية إلى أشياء شيقة وأفكار جديدة للزائر فضلاً عن سهولة المتابعة ومعرفة أي جديد فيها وهذهِ ميزة مهمة جداً فأغلب المدونات بها تقنية[١٠] (RSS) رائعة التي تجعل المدون والمتصفح يستقبل أي مدونة جديدة مباشرة فالذي يرتبط عن طريق برنامج قارئ RSS بأكثر من ٣٥ مدونة وموقع إخباري حيث لا حاجة لتصفحها كلها كل مرة يدخل بها الانترنيت فالبرنامج تلقائي يخبر المتصفح بمجرد الاتصال بالانترنيت، إذا كانت المدونات تحوي أي شيء جديد مع ذلك وان لو لم تحوي المدونة على الـRSS فلا يهم لأنه وبسبب طبيعة المدونات فأي موضوع جديد سيظهر مباشرة بمقدمة التدوينات بشكل واضح.

وساهمت المدونات كوسيلة تعبير معارضة في الدول الدكتاتورية وتركز معظم المدونات العربية على السياسة أو الأدب والشعر على الرغم من ذلك توجد مدونات عامة ومدونات متخصصة في علوم الإدارة مثل مدونة الإدارة والهندسة الصناعية أو في التكنولوجيا أو نتحدث عن التجارب الحياتية أو تربية الأبناء[١١].

أنواع المدونات الالكترونية

وتعد المدونات أو التدوين الالكتروني من أسرع الاتجاهات نمواً على شبكة الانترنيت حسب موسوعة ويكبيديا http://en.widipedia.org ويمكن زيارتها على مواقعها الالكترونية ومن هذهِ الأنواع ما يأتي[١٢]:

١. النوع الأول، المدونة الالكترونية التشعبية

وهذهِ المدونات تحتوي على الروابط التشعبية (link blogs) وتعتبر المدونات الالكترونية التي تحتوي على الوصلات التشعبية (web link logs) أول أنواع المدونات الالكترونية التي تم نشرها على شبكة الانترنيت ومن هنا جاء اسم المدونة الالكترونية weblog. **المدونات التي تحتوي على المذكرات اليومية (online diary blogs)** وتتناول هذهِ المدونات الحياة اليومية لمالكها والأفكار التي يحلم بها في ذلك اليوم ولا تحتوي هذهِ المدونات بالضرورة على روابط لمواقع الكترونية أُخرى.

٢. المدونات الالكترونية التي تحتوي على المقالات (Article blog)

يحتوي هذا النوع من المدونات على عرض وتعليقات على الأخبار والأحداث وعلى أخبار وتقارير وهي تكشف قدر أقل من الحياة اليومية من المدونات الالكترونية التي تحتوي على المذكرات.

٣. المدونات الالكترونية التي تحتوي على الصور (Photo blogs)

تحتوي هذهِ المدونات على الصور مثل صور اليوم وغيرها مما قد يلتقطها المدون في مسيرته خلال النهار سواء في الشارع أو السوق أو العمل أو البيت أو المنطقة وغيرها.

٤. المدونات التي تحتوي على مقاطع بث إذاعي pod cast blogs

يقوم صاحب المدونة الالكترونية ببث مقاطع البث الإذاعي pod casts على أنها برامج إذاعية قصيرة مسجلة وبإمكان المستمع تحميلها عندما يريد الاستماع إليها.

٥. المدونات الالكترونية التي تحتوي على مقاطع بث مرئي video cast blogs

وتعد بث مقاطع البث المرئي video casts أحدث اتجاه في أوساط المدونات الالكترونية ممثله بمقاطع البث الإذاعي pod casts غير أنها تعد بواسطة الفيديو[١٣].

٦. المدونات الالكترونية المنوعة

وتعتبر معظم المدونات الالكترونية مزيجاً من أنواع المدونات المذكورة سابقاً.

٧. **المدونات الالكترونية الجماعية**

ويتم فيها كتابة هذا النوع من المدونات بواسطة مجموعة من الأشخاص.

برامج التدوين الالكتروني

وهي وسيلة لنشر المدون لمحتوى مدونته من معلومات وغيرها،وتعتبر المدونات الالكترونية على الانترنيت هي مدونات خاصة كتبها أشخاص بصفتهم الشخصية للمتعة فقط، أما المدونات التحريرية فيقوم محررون محترفون بكتابتها وتحريرها وإن بإمكان المدارس والجامعات والكليات والمنظمات والشركات ورؤساء الدول والمشاهير بامتلاك مدونات خاصة بهم للتواصل مع القراء بالأحداث والأخبار والأشياء الأُخرى المتعلقة بتلك المنظمة أو المؤسسة، فبرامج التدوين الالكتروني هي برامج تكون مثبتة على الحاسوب.

والتدوين الالكتروني يعد طريقة سهلة لمشاركة الخواطر والأفكار مع العالم الخارجي فيقوم المدونون باختيار طريقة التدوين المثلى التي تليق بشخصيته وتزيد من قيمة أفكاره وآرائه للجمهور عن طريق تسجيلها عبر الشبكة الدولية فعليه الالتزام بالضوابط الأخلاقية والقيم العالية ليكون المدون صورة مشعة لمجتمعه وصورة مشرقة للعالم الذي يطلع على محتويات مدونته على الرغم من أن التقنية الحديثة جعلت من التدوين أمراً سهلاً وأعطته زخماً ودفعاً للتطور نحو الأمام وسهلت إشعاعاته بشكل كبير فلابد للمدون أن يزيد من مطالعته ويوسع أفكاره ويتفاعل مع مجتمع بعيداً عن التعالي والنظرة الفوقية في الكتابة وأن يبحث من خلال الانترنيت على المواقع التي ترشده للكتابة السليمة والصحيحة والتعامل الحسن عبر الانترنيت كونه لغة عالمية لاطلاع الجمهور[١٤]، وعليه تتكون مقالة المدونة الالكترونية من العناصر التالية:

- **عنوان لمقالة:** هو بمثابة عنوان مقال صحفي ويكون عنوان مقالة المدونة على سبيل المثال نحو المثال على النحو التالي (يوم رائع.. أخبار رائعة).
- **الملخص:** وهو شرح مبسط أو اقتباس من المقالة ويستحسن ولكن ليس ضرورياً كتابة الملخص عند نشر تغذية RSS على مدونتك الالكترونية إذا كان المدون يميل لكتابة المقالات الطويلة.
- **نص المقالة:** ويحتوي على المادة الأساسية للمقالة.

- **تاريخ المقالة:** وهو تاريخ ووقت نشر المقالة.
- **التعليقات:** وهي الملاحظات التي بإمكان القراء الإدلاء بها عن مقالة معينة في المدونة الإلكترونية كما يمكن عدم فتح المجال للآخرين بالتعليق على المقالة في المدونة إذا رغب المدون في ذلك.
- **التصنيفات:** وهي عبارة عن مواضيع أساسية يكتب عنها بانتظام في المدونة الالكترونية ومن هذهِ التصنيفات، يوميات، تقنية، رحلات، علوم وتكنولوجيا وغيرها(١٥).
- **الرابط الدائم permalink:** وهو عنوان انترنيت دائم للمقالة فإذا كان عنوان المدونة الالكترونية على سبيل المثال myblog.blogger.com فإن الرابط الدائم لمقالة معينة تكون مثلاً في المدونة myblog.blogger.com/permanentry.html ويتصفح دائماً بإرفاق الرابط الدائم لكل مقالة لأنه الدليل لها لأن أي شخص سيقوم بإضافة للمقالة من المدونة داخل مدونته سيتم عندها ربط قراء مدونته بالمقالة نفسها من خلال الرابط الدائم للمقالة بدلاً من ربطهم بالصفحة الرئيسية للمدونة.
- **الروابط الرجعية Trackback وPingback:** وتعتبر روابط لمواقع أُخرى تشير إلى المقالة الخاصة بمدونة صاحب المقالة(١٦).
- **تغذية RSS:** وهي نسخة مكتوبة برموز لغة (XML CXML-Coded) من المدونة الالكترونية لصاحب المدونة أو أجزاء منها فإذا قام بنشر خدمة RSS لموقعه الالكتروني فإن بإمكان القراء الاشتراك بمدونته بحيث يتم تنبيههم في برنامج قارئ الأخبار الخاص بهم أو في متصفح انترنيت متوافق مع RSS.

خدمة التدوين الالكتروني

تسمح هذهِ للكثير من المواقع الالكترونية بإنشاء مدونات خاصة مجاناً على خوادم الويب web الخاصة بتلك المواقع وإن كل ما يمكن فعله هو إنشاء حساب جديد باستخدام خدمة التدوين الالكتروني الخاصة بالموقع(١٧) ويمكن للمدون بعد ذلك بالتدوين مباشرة وتعد خدمة Blogger واحدة من أشهر خدمات التدوين على الانترنيت وتتميز خدمات التدوين بإمكانية استخدامها من أي مكان يمكن الوصول منه إلى شبكة الانترنيت حتى أن بعض الخدمات تمنح إمكانية التدوين عن طريق إرسال رسائل عبر الهاتف المحمول ويكون الجانب السلبي لخدمات التدوين أن المدون لا يمتلك القيود على حاسوبه الشخصي إذا قام بنسخها بشكل منفصل عليه وهذا يعني أنه في حال كانت القيود على الخادم فقط الخاص بمزود خدمة التدوين وثم فقدانها من هناك لسبب ما فإن المدون سيفقد قيوده إلى الأبد كونه لا يملك نسخة احتياطية منها على الحاسوب الشخصي ومن هنا فإن الانترنيت بعالمه الرقمي سيستمر بإدهاش العاملين فيه وسيجلب إلى ملعبه الإبداعي مزيداً من المتصفحين ويوغل إلى آفاق جديدة على نطاق الاتصالات المتفاعلة مع المستفيدين من هذهِ الخدمة المتميزة ولم يعد الناس يكتفون بدور التلقي السلبي لمنجزات ثورة المعلوماتية بل تطور الأمر إلى تبني المستخدمين لأنظمة تجارية يمكن من خلالها إجراء مختلف عمليات العرض والطلب داخل تفرعات الانترنيت(١٨)، وشهدت حركة الانترنيت من التجديد ما يهز دواخل عالمها بقوة إلى حد أن بعض الخبراء بات يتداول مصطلح ويب ٢.٠ للإشارة إلى التجديد وبلغت أن بعض ملامح التغير جاءت من أماكن غير متوقفة وتمكن الجمهور أن يرسل أشرطته ليطبعها على المدونات بعد شيوع رسائل بريدية عبر الهواتف الخلوية والتي باتت المدونات معرضاً هائلاً لتلاقي النصوص مع أفلام الخليوي وهكذا ظهر موقع مثل (يوتيوب) U Tube الذي يعتبر من أهم مظاهر الإعلام الجديد فضلاً عن أن ظاهرة المدونات أثرت في السينما التي وسعت لملاقاة التحدي الذي فرضته أفلام الخليوي التي يصنعها الجمهور ويضعها على المدونات وظهر ذلك المنحنى في مهرجان (صن دانا) Sun dana festival والذي تقاطعت فيه ظاهرة المدونات مع الخليوي في ظاهرة للشبكات التي تصنع عبر هواتف (آي بود) i pod تحديداً والتي دفعت بمصطلح جديد إلى عالم الأعلام هو (بودكاستنغ) podcasting في الإشارة إلى البث عبر تلك الشبكات(١٩).

محتويات المدونات

تتيح المدونة في محتوياتها كافة للإطلاع والمشاهدة والمشاركة لجمهور محدد من مستخدمي الانترنيت يتفاعل مع المعلومات والآراء المكتوبة والمواد المنشورة كافة سواء بمشاهدات أو تعليقات مكتوبة ويطلق على هؤلاء قراء المدونات وتضم هذه المحتويات للمدونات الآتية:

١. التدوينات والمقالات والمواضيع تكتب من قبل صاحب المدونة وتظهر بالصفحة الرئيسية.
٢. الأرشيف ترتب فيها المواضيع حسب التصنيف أو حسب الفقرة الزمنية للكتابة أو كليهما.
٣. صفحة خاصة أو معينة وحسب رغبة الكاتب الذي يكتب فيها سيرة ذاتية أو تعريفاً عن المدونة وصفحات خاصة للاتصال به والمقابلات التي يجريها أو أجراها[٢٠].
٤. المدونات الصديقة وهي روابط ترتبط معها بمواقع قد يراها مهمة أو ترتبط بمدونة المدون.
٥. أيقونات شبيهه بالروابط ولكن هذهِ الروابط مصورة وأنسب حجم للأيقونة ١٥×٨٠ سم ويفضل فيه أيقونة خاصة بمدونة كي تنقل ما يشاء فيها ويضعها بموقعه.
٦. لوحة التحكم لكل مدونة خاصة بها يكتب التدوينات ويعدل من شكل المدونة ويلغي صفحات عن طريقها.

وهناك أنواع للمدونات حسب استخدام الوسائط المتعددة والبحث فيها وكل نوع يختلف عن غيره في الطريقة التي يكتب بها المدونات أو تقدم بها ويمكن إجمالها بما يلي[٢١]:

أ. حسب نوع الواسطة: فالتي تحتوي على الفيديو تسمى فيديوية والتي تضم روابط تسمى مدونات مترابطة والتي تضم صوراً تسمى مدونات صور.
ب. حسب الطريقة: يمكن معرفة نوع المدونات بواسطة الطريقة التي كتبت بها، فالمدونات التي تكتب عن طريق الموبايل تسمى moblog.
ج. حسب الموضوع الذي تغطيه المدونات.
د. مدونات اقتصادية وتجارية ولمنظمات وأحزاب سياسية.

وبعد التوسع الهائل وانتشار المدونات تعددت الأغراض وتوسعت السبل وازداد التنوع فيها ظهرت مدونات علمية وأُخر للأخبار ومدونات للتكنولوجيا وعلم الحاسبة والانترنيت وأخرى للقضاء أو الموسيقى أو الأفلام أو الأدب والفنون والصحافة والإعلام والخياطة والفقه والتشريع والصيد، ومن هنا نجد الآلاف من الموضوعات والاهتمامات ويجد المتصفح مهما تكن اهتماماته أنه سيجد مدونات لها على الويب.

والمدونة الناجحة لابد أن تتوفر فيها الشروط الآتية(٢٢):

١. عدم الإسهاب في كتابة موضوعات طويلة أو مفصلة في كل تدوينة. بل يجب أن تكون بصورة موجزة أو مفصلة ومركزة على شكل فقرات قصيرة.
٢. ضرورة التحديث المستمر للمدة في اليوم أو الأسبوع أو الشهر كحد أقصى فضلاً عن إضافة التدوينات الجديدة باستمرار(٢٣).
٣. الإشارة بوضوح إلى العنوان الالكتروني للمدون في مدونته من أجل تلقي ردود الفعل عن كتابته(٢٤).
٤. إمكانية الإشارة إلى الرابط لمجموعة من المواقع ذات الصلة بموضوع المدونة.
٥. إمكانية تصنيف التدوينات وفقاً لتقسيمات موضوعية تظهر على واجهة المدونة.
٦. تفعيل التعليقات خاصة على التدوينة وعدم غلقها أمام الزائرين.

وحدد جتاوب ميلسون وهو من أشهر الخبراء في مجال قابلية استخدام مواقع الانترنيت ولديه عمود يكتبه كل أسبوعين في عدد من الصحف والمواقع الأمريكية وفي مقالة كتب عن أكبر عشرة أخطاء مواقع الانترنيت.

وفي مقالة كتب عن عدد من ألأخطاء في فاعلية استخدام المدونات ويمكن إجمالها ما يأتي(٢٥):

١. إغفال السيرة الذاتية للكاتب تقلل من أهميته وكذلك عدم وجود صورة الكاتب في المدونة، فالصورة لها فائدة من جانبين في المدونة:

الأول: إن الصورة ستحوز على ثقة القارئ بالكاتب.

الثاني: في المجال الواقعي عند مشاركة الكاتب في المؤتمرات والحوارات كمؤتمرات أو أي تجمع مهني أو اجتماعي وحضور لقاءات أو حوارات عبر وسائل الأعلام المختلفة وغيرها فإن من السهولة التعرف عليه ومعرفته.

٢. أن تكون العناوين في المدونة مكتوبة بشكل جيد بحيث يستطيع أن تصف الموضوع وتعبر عن محتوى الموضوع بشكل جيد بعيدا عن الوصف.

٣. وان أحد الأخطاء الكبيرة في المدونة هو أن الكاتب يضع بعض الوصلات في المواضيع بحيث يجعل القارئ يخسر الكثير من الوقت لكي يصل إلى الوصلة ويكتشف ألا علاقة لها بالموضوع.

٤. أخفاء بعض المواضيع الناجحة، ولكن عليه أن لا يدفن هذا الموضوع مع بقية المواضيع الدورية الأُخرى في الأرشيف ويجب أن يعمل على جعل هذا الموضوع خارج نطاق قراءة الدائمين.

٥. التقويم هو الطريقة الوحيدة لتصفح المواضيع في المدونة، يتم تصفح المواضيع عن طريق التقويم أو العامل الزمني ولكن هذهِ ليست الطريقة الأفضل في عملية التصفح.

٦. معدل ثابت للنشر، من المهم أن يعرف الزوار متى تصدر المدونة وكم من المواضيع التي تنشر فيها وهل تصدر يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً، فإذا كتب الكاتب يومياً عليه أن يلتزم بذلك وإذا توقف لمدة شهر سيفقد الكثير من زواره المتابعين لمدونته.

٧. أن لا يخلط المواضيع، بل عليه إنشاء عدة مواضيع في مدونات مستقلة لكل موضوع بعيدا عن الالتباس بالمواضيع.

٨. أن يتذكر المدون أنه يكتب لشرائح مختلفة على ألنت وان الآلاف سيتفاعلون معه.

٩. أن يكون اسم نطاق مدونته مملوكاً في خدمة المدونات والبحث عن المدونات فهناك دليل لناشري المدونات www.directory-google.com وفيه يمكن لخدمات استضافة المدونات أما من حيث البحث الاستعانة بكشف المدونات www.blogex.net [٢٦].

وعن طريق المتابعة المستمرة للمدونات العربية وجدنا المقالات في نشر صور المدونين والمدونات في عدد من المدونات سواء كان لديهم مناسبات اجتماعية أو موقفاً سياسياً من قضية معينة وخصوصاً في المدونات المصرية التي تعج بصور عديدة للمدونين وأصدقائهم وعوائلهم.

وفي البيئة الالكترونية العربية يوجد دليل المدونات هو www.mdwnat.net وآخر www.tacluen.com ولمتابعة الأخبار والمعلومات ذات الصلة بالمدونين العرب

بصورة عامة يمكن زيارة موقع ملتقى المدونين العرب www.arabiskblog.com إن أهم آليات البحث عن المدونات هي Technorati- Feedster- Blogdigger.

المبحث الثاني
الدعاية في المدونات

مفهوم الدعاية

تعتبر الدعاية إحدى أنواع الاتصال الجماهيري ومن أهم مُرتكزات الحرب النفسية ولها دور فاعل في التأثير في الجماهير وتوجهاتهم قديماً وحديثاً.

واتخذت أشكالاً متعددة وأُطراً مختلفة حسب هدفها ونوعية الشرائح الاجتماعية الموجهة إليها لغرض دفع الجماهير نحو هدف محدد بما يخدم مصالح الجهة القائمة بالدعاية اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وعلمياً... الخ. وتطور أساليب الدعاية بفعل تطورات المجتمع أو التطور التكنولوجي واستخدام أحدث وسائل التقنية في عملية الاتصال الجماهيري سواء الفضائيات أو الانترنيت أو الأجهزة الرقمية الحديثة من أجل ضمان سرعة الاتصال ومن ثم زيادة التأثير بهدف تحقيق النتائج المستوحاة منها.

فالدعاية هي إحدى أنواع الاتصال وتستخدم كقوة للسيطرة على أفكار أفراد المجتمع وتوجيههم الوجهة التي حددت لهم عن طريق استغلال عواطفهم وغرائزهم[٢٧]، ومن خلال استخدام وسائل الاتصال العامة تسعى الشركات والمنظمات إلى تنظيم حملة دعائية لتغيير مفهوم الناس عن طبيعة السلعة التي تنتجها. فمثلاً حين ثار جدل حول مدى اتفاق مشروب الكوكا كولا مع الشريعة الإسلامية سارعت الشركة المنتجة لهذا الشراب في ذلك الوقت إلى تنظيم حملة دعاية عن طريق وسائل النشر العام للتأكيد على صلاحية وطهارة المشروب دون أن يفصح عن شخصيته وفي ضوء هذا يختلف الإعلان عن الدعاية فالمعلن يفصح عن شخصيته في الإعلان ويدعو القارئ أو المستمع إلى إتباع سلوك محدد ومن ثم يرتبط اسمه في ذهن القارئ بمضمون الرسالة الإعلامية ولعبت الدعاية[٢٨] دوراً فاعلا في التأثير على الجماهير وتوجهاتهم قديما وحديثا واتخذت أشكالا متعدد وأطرا مختلفة حسب هدفها ونوعية الشرائح الاجتماعية الموجهة إليها لغرض دفع الجماهير نحو هدف محدد وبما يخدم مصالح

الجهة القائمة بالدعاية اقتصاديا اجتماعيا وعلميا.. الخ ولقد تطورت أساليب الدعاية بفعل تطور المجتمع الأمر الذي تطلب بالمقابل وسائل إعلامية حديثة تكنولوجياً، لغرض ضمان سرعة الاتصال ومن ثم زيادة التأثير بهدف تحقيق النتائج المتوخاة منها.

الفرق بين الإعلام والدعاية

فالإعلام هو التأثير العملي على مطالبة الفرد أو الجمهور ويهدف إلى تزويد الجمهور بأكبر قدر من المعلومات الصحيحة الواضحة الصادقة وتتأثر سلامة الإعلام بدرجة صحة المعلومات وسلامتها فكلما كانت العلاقات والحقائق واضحة كان الإعلام سليماً وقوياً وأركانه الصدق والوضوح والصرامة والحياد والحقيقة وأغراضه هي التنوير وتعريف الجمهور بالمؤسسة أو المنظمة مما يخلق حالة من التفاهم والمشاركة للحصول على ثقة الجميع في برامج العلاقات العامة ويهدف إلى التكيف الحضاري واليقظة والنمو [٢٩].

أما الدعاية فهي حالة تسود فيها السيطرة على وسائل النشر المختلفة[٣٠] بحيث ينشر ما يشاء دون تحري الدقة أو الصدق أو الأمانة وفيها أهداف محددة يحاول بكل الوسائل أن تثير ميول الجماهير وعواطفها للوصول إليها بدل من إيقاظ تفكيرهم وانتباههم ولا يهم الدعاية إلا تحقيق غايات معينة مع التضحية بكل شيء في سبيل تحقيق هذهِ الغايات ويرى غوبلنر أحد مساعدي هتلر على ضرورة أن تؤثر الدعاية بصورة مباشرة ومبسطة في سياسة الآخر وتصرفاته والاستفادة من الأخطاء التي يرتكبها في إعلامه أو نمط سلوكه أو طرق معالجتها للأحداث والوقائع المعلن عنها عبر برامجه وممارساته في أحداث التأثير وعن طريق سلوك معين وصفاً أو تقويماً أو تحريضاً لإنجاز هدف أو خطة دعائية، وللدعاية جوانب إيجابية لتوسيع مدارك ومفاهيم المجتمع نحو التطور والتقدم تقوم بها الدولة أو شركات أو مصالح عامة نافعة ولها جوانب تحمل في طياتها نفحات شريرة متحيزة دائماً وإن كان القائمون لا يحسون بالذنب لقيامهم بهذا العمل بل يرونه محققاً لأهدافهم الوطنية السامية ولعلهم مخدوعون أحياناً في براعة ما يقومون به فيما يعتبر البعض أن الدعاية وسيلة اتصالية استكمالية.

الدعاية عبر الانترنيت

يعد الانترنيت مصدراً هائلاً للخبرات والعلاقات وتكوين مجموعة قوية جداً من الأشخاص الذين لهم الميول نفسها تقريباً ولهذا أصبح الانترنيت مجالاً فعالاً للغاية من أجل تنمية مصداقية وتأييد الشركة، وبعض المنظمات القليلة يمكن أن تتجاهل هذهِ الإمكانية خاصة مع إمكانية إفرازها تأثيراً قوياً أما سلباً أو إيجاباً وعندما يتم استخدام قوة الانترنيت لبناء الثقة يتم تدعيم سمعة المنظمة وتكون قادرة على بناء شبكة من العلاقات القوية والشركات الذين يكتسبون الثقة يكون بإمكانهم القيام بالكثير من الأشياء الجديدة مثل تغيير الأسعار وإضافة الخدمات وأداء العمليات بشكل أكثر انسيابية... الخ، ويعني هذا أن السمعة الجيدة تزيد من الوثوق بهذهِ المنظمة وغيرها وتكون أكثر حرية وقدرة على المنافسة.

فإذا انخفض مستوى الموقع الذي يروج له المدون بسبب مستوى الدعاية وتسبب بازدياد الحركة نحو الموقع بشكل لم تستطع المنظمة استيعابه فإن اللوم يقع على صاحب الموقع، وذكر Don Middle berg رئيس مجلس إدارة Middle berg وشركاؤه أن الصحفيين يعملون وفق القواعد الجديدة–[٣١] وهم يبحثون عن أفكار الكتابات على الشبكة وينقلون الإشاعات ويتوجهون للمواقع الخاصة بالشركات على الويب للحصول على المعلومات خاصة عند ظهور بعض الأخبار الجديدة[٣٢].

والذي يهمنا في هذا البحث هو الدعاية لأغراض اقتصادية وسياسية و دينية وحزبية ثقافية وغيرها التي تشملها مجالات البحث في المدونات وأنها لا تختص بالنشاط الاقتصادي فقط ولا تنفرد كوسيلة من وسائل البيع التي تستعين بها المنشأة لتصريف إنتاجها وإيجاد زبائن لها بل تعتبر وسيلة عامة يمكن أن تظهر في كثير من أوجه النشاط الاجتماعي لتحقيق أغراض اقتصادية أو غير اقتصادية.

«وقد يكون الغرض من الدعاية الوصول إلى أغراض غير اقتصادية فيسمى عندها هذا النوع من الدعاية بالدعاية الفكرية propaganda والتي تشمل الدعاية السياسية والدينية والثقافة وغيرها»[٣٣] وتستخدم الدعاية التجارية عبر الانترنيت في أسلوب الإعلان لتحقيق الأغراض وهذا النوع في الإعلان الدعائي أي توحي بواسطته المنشأة أو المنظمة للجمهور بمنتوجاتها عبر أشكال وأساليب تجذب المتصفح وتسهم في تفاعله مع الموقع.

وان الشركة الداعمة للمنتج لا تنظر إلى الزوار كمشترين بل كشركاء في (لعبة انترنيت) قد تدفع البعض منهم إلى شراء المعروض للبيع وهذا ما لجأت إليه بدورها شركة (نايكي) عندما بدأت تروج أحذيتها الرياضية الجديدة المسماة (نايكي فري)(٣٤).

الطرق المستخدمة للدعاية عبر الانترنيت

يعتبر صاحب الموقع الخاص بالمنظمة أو الشركة هو مفتاح للدعاية وكل صاحب فكر وهدف ما ويمتلك موقعا يستطيع الترويج لغاياته وأهدافه عبر خطط وبرامج معدة سلفاً عبر موقعه لهذهِ الغايات ويتم عرض المنتوج أو الفكرة ويتم النشر بعدة طرق وبأكثر من طريقة عبر الشبكة(٣٥) إلا أن محركات البحث لم تستقطب الزوار لأي موقع بدون جهد ومن هذهِ الطرق إرسال الاف أو ملايين الرسائل البريدية التي تصل إلى صندوق البريد الالكتروني ويشاهدها المتصفح بمجرد إرسالها وأيضاً ما يمكن وضع إعلانات مدفوعة بمواقع الغير ويهتم المعلن للدعاية للمنتج أو الفكرة عبر مواقع مشهورة أو تهتم بالمجالات التي تهمه فضلاً عن الطريقة الجديدة في إرسال رسائل دعائية بأعداد ضخمة إلى أرقام الجوال (الهواتف المحمولة) في أي مكان في البلاد التي يريد الدعاية لها أو حتى لدول العالم وعن طريق شركات متخصصة وبأسعار مناسبة(٣٦).

ومن بين عشرات أو مئات الطرق للتسويق تظهر مميزات الدعاية عبر شبكة الانترنيت و يمكن اختيار نوعية القراء أو اهتماماتهم عن طريق قاعدة البيانات على خلاف وسائل الدعاية الأُخرى التي يشاهدها الجميع فدار النشر التي يريد زيادة انتشار كتابها الجديد تبحث عن وسيلة إعلانية كنوعية المستخدمين وغير مكلفة عن طريق اختيار المواقع التي تهتم بهواة الكتب أصلاً، ومع ذلك لم تعد هناك قيود للنشر خارج القطر الذي يعيش فيه الناشر بل فتح الطريق أمامه لمراسلة أي بلد بسهولة لكي يعتمد الانتشار الأكيد، فضلاً عن إمكانية التحكم بالنشر أو الدعاية عبر الانترنيت محلياً أو إقليميا أو منطقة معينة بكل سهولة(٣٧).

ويسهم الناشرون أو أصحاب الفكرة أو المنتج للترويج بالدعاية لهم عبر البريد الالكتروني كونه أطول عمراً بسبب تواجده في صندوق البريد المستخدم طيلة حياته بل حتى

مسحه تتطلب على الأقل قراءة عنوانه الذي يحسن القائم بالدعاية صياغته ليكون جذاباً بقدر مناسب.

ويتحـول مـزودو الخدمـة الرئيسـيون علـى الشـبكة الدوليـة إلـى شـركات للدعايـة والإعلان كبيرة من خلال المزج بين خطط وسائل الإعلام وشراء المساحات الدعائية وإطلاق الحمـلات الترويجيـة لمحـرك Google الشـهير هـو أيضـاً مشـغل للإعلانـات علـى الشبكة وكذلك للدعايـة فضـلاً عن أن شركة مايكروسوفت أعطـت التوجـه عـام ٢٠٠٦م لمختبراتها للبحث المتخصص في أنماط الدعاية الجديدة[٣٨].

فالمهـارات الجديـدة التقنيـة هـي أيضـاً فـي خدمـة المستخدم وهـي مبـررات لجعـل صناعة التأثير أكثر ربحاً وهذا مما يجعل بروز نموذج اقتصادي قائم على مبدأين الأول: أنه يستعار من وسائل الإعلام التقليدية يبيع للمعلنين فضـاءات مشاهدة واسعة النطـاق فكلما شهد موقعاً عدداً متزايداً من الزوار كان الخبر الإعلانـي فيه بـاهض الثمن، فيما يقوم المبدأ الثـاني علـى المتـاجرة بمشـاهدة زبـائن محـدودي العـدد ويكـون وفـق الطلـب فسواء زوار أحـد المواقع انتقلوا من موقـع إلـى آخر فإن مستخدمي الشبكة يخلفون وراءهم آثاراً علـى الأغلب دون أن يعلموا ذلك نتيجة إلى جمع وتحليل كافة الإشارات[٣٩].

وأن هنـاك طـريقتين للدعايـة عبـر الانترنيـت الأولـى تهـدف إلـى اسـتخدام المعرفـة بالمتصفح من أجل تزويد الصفحات التـي يزورها بمربعـات دعـائية ملائمـة مثلما هو الحـال علـى شاشـة التلفزيـون ويبـاع هـذا النـوع مـن الإعـلان وفقـاً لعـدد مشـاهدي اللوحـة الإعلانيـة (انطلاقاً من كلفة لكل ألف مشاهد) وهذهِ الدعاية تتطلب انتشار الإعلانات ومتابعة القارئ علـى مختلـف وسـائل التواصـل التـي يستخدمها سـواء الانترنيت أو الهـاتف المحمـول وغيرهـا سعياً لجعله يقع في كل هذهِ الوسائط على الإعلان لا يبدو دخيلاً عليها والطريقة الثانيـة هي أن تستثمر ميزانية الشركة بشكل أكبر فالمطلوب ليس تعزيز الماركات ضمن الوسط الملائم للمستهلك بل التعرف علـى نوايا هذا الأخير استباقاً لتوقعاته وهنا يسعى مزود الخدمـة إلـى إيجاد سـاحة ستسمح للمعلنين أو لبـائعي البضـائع والخدمات بـالالتقاء بزبـائنهم المقبلين عن طريـق دعايـة تحتسـب نظـراً لمضـمون الصـفحة المقـروء وهـذا الشـكل[٤٠] الـذي ابتدعتـه (Yahoo) وطورتـه Google بصـورة رئيسـية يتجسـد عبـر مربعـات نصـوص صـغيرة بـدون

إبداعات ويتم إدخال على المدونات الشخصية وإلى الصحف على الشبكة أو يتم إنزالها على هامش النتائج التي تحدها محركات البحث.

وملفات الفيديو على الانترنيت إحدى الأسلحة الأقوى على الانترنيت كونها الأداة الأكثر وصولاً إلى قلوب الزوار حول العالم وعقولهم ويشكل موقع (يو تيوب YouTube) المحرك الرئيس لنشر ملفات الفيديو هذهِ إلى أن عدد زوار موقع (يو تيوب) وصل إلى ٤٧.٢ مليون في تموز عام ٢٠٠٨م وبزيادة نسبة ٤٩٥ في المائة مقارنة بكانون الثاني من سنة ٢٠٠٧م فضلاً عن أن هذا الموقع يثير الآلاف من التعليقات يومياً فماذا لو وضع قيد التعليق منتجاً ما لبيعه أو رؤية ماذا يمكن أن يخفف من نجاح السوق[٤١].

الدعاية والمدونات

تعد المدونات صحافة جديدة أو بديلة لتحدي الرقابة التي تفرضها السلطات على وسائل المختلفة ومنها الصحافة في الماضي القريب وتنشر المدونات كل ما يمكن نشره، ورفع الانترنيت القيود وأعطى جيلاً من الشاب العرب فرصة الاتصال بالعالم الخارجي وداخل الأقطار العربية وإبداء آراءهم في قضايا محلية ودولية ودفعت المدونات أبعد مهمة للشباب والمفكرين والسياسيين العرب خاصة والعالم عامة وأنشأت جيلاً من المواطنين الصحافيين الذين يتصل بعضهم بالبعض الآخر ويعقدون ندوات حوارية عفوية ويوصلون رأيهم إلى أية زاوية في العالم يوجد فيها من يهمه متابعة هذا الرأي فسعى كل ذو فكر سياسي أو ثقافي أو مهني أو مؤسسة حكومية أو خاصة لتشجيع منتسبيها على أن المدونات والترويج لها دعمها لتأخذ طريقها عبر الانترنيت، وتكتسب المدونات أهمية إضافية في البلدان التي فيها رقابة صارمة لأنها توفر مساحة من الحرية[٤٢].

وفي المدونات الشخصية هو قدرة صاحب المدونة على كتم هويته مما يفتح باباً عريضاً للتساؤل هل هو من يقول؟ وهل هو من البلد الذي يدعي مواطنيها؟ وهل نيته سليمة فعلاً أم أنه يبيت دعاية سواء ضد أفراد أو دولة بعينها أو دول؟ وهل يعمل منفرداً أم أنه جزء من جهاز للتشويش على بلد ما أو تحويل الأنظار عن بلد آخر وما يرتكب فيه من جرائم، ويعد موقع face book أحد الوسائل الجديدة للدعاية والذي لقي رواجاً كبيراً بانضمام مليون مشترك إليه شهرياً لأن هذا الموقع يعد أرقام الهواتف والبريد الالكتروني للأشخاص

وهواياتهم ومعلومات وتفاصيل شخصية عن المشتركين فيه، مما يجعله يسعى لبناء دليل عالمي يحتوي على سير ذاتية لأكبر قدر ممكن عن أصدقائهم والأشخاص والتي لا تتعدى التسلية والفضول عند معظم الأشخاص ولربما أصل المعلومات تستغل إلى الاستخدامات المتنوعة وعلاقات المستخدمين وأهوائهم مما يجعل البعض لا ينتبه لما هي حياة الآخرين وتفاصيل حياتهم والأفكار والترويج لها في محاولات لاستخدامه كوسيلة عصرية وبخاصة في تمرير face book المتنوعة فضلاً عن حصد قدر أكبر من المعلومات عن الأشخاص لغايات الدعاية التجسسية(٤٣).

وهذا دفع الغالبية العظمى من المدونات في الولايات المتحدة يمينية أو دينية متطرفة بفتح قنوات مع المدونات العربية واستخدمها لنشر فكر لا يمكن أن يخدم العرب والمسلمين وخاصة محاولات من مواقع للمحافظين الجدد والمسيحيين الصهيونيين(٤٤).

وطبقاً للإحصائيات انضم في عام ٢٠٠٨م إلى الموقع face book حوالي ١٢٠ مليون شخص وقدموا معلومات عند الاشتراك مما جعله يجمع عن طريق محركات البحث أكبر معلومات اجتماعية عالمية ودليلاً خاصاً مما حقق هدفه منشئ الموقع مارك جوكر بيرخ ليتحول من شبكة اجتماعية إلى استخباراتية وتحقق أهدافها في سبيل تمرير دعايتها المبرمجة وهذا الشيء دفع الدعاية (الإسرائيلية) التي تبحث عن أية فرصة ممكنة لاستخدامها وفي ظل التقدم التكنولوجي ما تزال آلة الدعاية عن طريق المواقع الإسرائيلية وها هو أولمرت في ذكرى الهولوكوست يطلب من الشباب اليهودي استخدام المدونات لتحقيق الأهداف لمحاربة اللاسامية لثقته بقدرة هذهِ الوسائل ونجاحها(٤٥).

إن المدونات في الوطن العربي يستخدمها الشباب في غالبيتها العظمى، وآراؤهم لا تعكس بدقة الوضع العربي العام وان العالم الخارجي لا يعرف من مدونات العرب إلا تلك التي تستخدم اللغة الإنكليزية وان الشباب العربي الناطقين بالإنكليزية لا يمثلون غالبية الشارع العربي الذي نتحدث عنه ونراه. مما وسع المجال لمتطرفين عرب ومنظمات إرهابية من نوع تنظيم القاعدة وجماعات دينية تتحرك عكس التيار الإسلامي الإصلاحي، أدركت هذه الجماعة في وقت مبكر أهمية الانترنيت واستخدمتها لترويج أفكارها الهدامة ومن هذهِ السبل استخدمت المدونات وتشجع أعضاءها الى اللجوء إليها خصوصاً أنها مجانية والسرية فيها مضمونة.

المدونات والدعاية السياسية

تعد أغلب المدونات المصرية في طابعها العام مدونات دعائية سواء لكاتبها أو للتيارات السياسية التي يدافعون عن أفكارها ويتجلى ذلك في لغة الخطاب ووحدة الكلمة حول موضوع انتقاداتهم للسلطة هناك، وينطبق الحال على استخدام الانترنيت في الدعاية الانتخابية في الولايات المتحدة فقد وجد المرشحون للرئاسة الأمريكية ضالتهم هذا العام في المدونات ومواقع التعارف والمواقع الاجتماعية مثل Face Book و My Space والتي تشهد إقبالاً كبيراً من فئات المجتمع المختلفة سواء اجتماعية ثقافية سياسية أو حتى عمرية وإن كان أكثرهم من الشباب ولذلك أصبح الجميع متواجداً على المواقع ولينكدان linkedln.com الأشهر وماي سبيس myspace.com الاجتماعية وفيس بوك facebook.com ولم يعد هناك لقب بالتواجد على الشبكة (والمرشح الالكتروني) الذي يتميز دون غيره وأصبح الجميع حاضرا ومتفاعلاً ونشيطاً ومنظماً بعد أن كانت مواقع التعارف الاجتماعية Social Networking أو في الانتخابات السابقة على or ket و friendster و Groups في عام ٢٠٠٤ وتأتي من هذهِ الحملات سبيس وفيس بوك وماي ليشهد الجمهور المستهدف من المواقع ملايين المتصفحين نقلة كبيرة في العدد ويتردد عليها الأشخاص[٤٦].

وكان التنافس القوي والشديد بين مرشحي الحزب الديمقراطي باراك أوباما وهلاري كلنتون أشده عندما أعد كل خصم منهما للآخر عدة مواقع مشهورة لفضح والنيل من الآخر والتواصل مع الناخبين وأظهرت الانتخابات الأمريكية لعام ٢٠٠٨م، أن هيلاري خصصت موقعين الأول لتصوير فعالياتها wotingpresident.com والآخر هو votingpresident.org ووصفت فيه خصمها أوباما في دعايتها الانتخابية بأنه جبان الحزب الديمقراطي في الانتخابات الرئيسة[٤٧].

فيما خصص أوباما عدداً من المواقع الالكترونية ووظف عدداً من المدونات فضلاً عن إعداد مدونة باللغة العبرية لكسب أصوات اللوبي الصهيوني في أمريكا والتقرب من الساسة الإسرائيليين فيها وجهز فريقاً لتغطية نشاطاته عبر عدد من هذهِ المواقع ومنها شبكة Politicker للمرشحين ونظم مناظرات سياسية مع المرشحين الآخرين المختلفين حول

قضايا الصحة والتعليم والاقتصاد والعراق والحرب على الإرهاب ونظم هذهِ الحملة شركة ياهو Yahoo[٤٨].

وبهذا الخصوص يقول Garrett. M. Graff كراف جارت[٤٩] وهو أول مدون للمرشح الديمقراطي لتغطية نشاطات البيت الأبيض في كتابه الذي يرصد الدعاية الالكترونية وتأثير الانترنيت على الحياة السياسية الأمريكية، إن انتخابات ٢٠٠٨ ستكون أول انتخابات تدخل فيها التكنولوجيا ليس كجماعات أو وسيط أو رسالتهم بل كان الاتصال بالناخبين كأفراد للكسب دوماً وهو هدف يسعى المرشحون للوصول إليه، لأن الطريقة الوحيدة للناخبين هي مقابلتهم وجهاً لوجه، وكلما اقترب موعد السباق للبيت الأبيض فأن من المتوقع أن تشتد الحروب الالكترونية والدعاية بين الأطراف المتنافسة ضراوة أكثر مما هو موجود في الواقع في التجمعات الانتخابية.. وفي المناظرات.. وعلى الأرض في محاولة لاستمالة الأقليات وقوى الضغط.. ومن الرؤى السياسات على وضع المنافسة الالكترونية لتزداد حسب قوة المعركة الانتخابية[٥٠].

وإن الدعاية في المدونات أصبحت ظاهرة عالمية بعد أن دخل الانترنيت في حياة الأُسرة والعمل وأصبح الوسيلة العصرية للتعبير عن الذات وقضاء حاجات الناس وتسيير أمور الدولة والمجتمع عموماً، مثل المدونة الشخصية للرئيس الإيراني محمود أحمد نجاد وهي بعدة لغات من ضمنها اللغة العربية.. والمدونة جميلة التصميم وسهلة التصفح مع وجود بعض الأخطاء الإملائية التي تكررت في أكثر من موضوع وهي فرصة يوفرها الرئيس للتواصل مع شعبه ويرد فيها على الملاحظات التي ترده من المواطنين ويكتب فيها عن أفكاره ومشاريعه ويدافع عن اتهامات الغرب للمشروع النووي الإيراني[٥١].

ومع انتشار المدونات العربية في شتى المجالات فإن المستقبل القريب سيحمل لنا موجة جديدة من المدونات يكتب فيها المسؤولون والقادة والمشاهير بشكل عام وان مدونة الرئيس الإيراني تمثل الاتجاه الجديد فضلاً عن مدونات لمقدمي برامج الفضائيات ومنهم في قناة الجزيرة أمثال أحمد منصور وزميله فيصل القاسم وغيرهم. فضلاً عن مدونات متميزة تبنتها قيادة محافظة حضرموت اليمنية[٥٢] وتبعها إنشاء موقع الكتروني لكل إدارة حكومية في العراق والخليج العربي والعديد من الدول العربية وهي خطوات جادة ومتفاعلة مع الجمهور وإعلام ودعاية لاستراتيجيات وأفكار القائمين على هذهِ المؤسسات وفي العراق أدت

الدعاية عبر الانترنيت دوراً كبيراً في تعريف الجمهور بفعاليات ونشاطات المؤسسات الحكومية وإرشادهم إلى السبل الصحيحة للتقديم للجامعات والاعتراض على نتائج الامتحانات البكالوريا والعقود التي تبنتها وتطرحها وزارات النفط والتجارة وغيرها من الوزارات للجمهور (٥٣).

وإن توظيف تكنولوجيا الاتصال باستخدام التقنيات والأدوات أو الوسائل أو النظم المختلفة تسعى لتوظيف ومعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله بعملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو التنظيمي أو الجمعي والتي تجمع بها المعلومات والبيانات المسموعة أو المكتوبة ثم تخزين هذهِ البيانات والمعلومات ثم استرجاعها في الوقت المناسب ثم عملية نشر هذهِ المواد الاتصالية أو الرسائل أو المضامين سواء كانت مسموعة أو مرئية أو مطبوعة أو رقمية ونقلها من مكان إلى آخر وتبادلها، ومن ها يسعى إليه القائمون على المواقع سواء كانوا أشخاصاً أو مؤسسات رسمية أو شبه رسمية أو خاصة إلى توظيف هذهِ الوسيلة لتعريف المتصفحين بأنفسهم ونشاطاتهم والدعاية والترويج لفكرهم أو منتوجهم بشكل علمي مدروس يسهم بإقناع المتلقي والتفاعل معه.

استخدام الدعاية في المدونات العربية

أصبح المدونون العرب بعد اتساع نشاط الانترنيت إحدى القوى المؤثرة في الشارع العربي وخاصة في مصر والمغرب العربي لدورهم الفاعل في صنع القرار الشعبي بل هناك شباب نالوا على ظهورهم الكثير من الهراوات من رجال أمن الدولة ومنهم من وضع في الاحتجاز أو أُحيل للمحاكمات وإن جزء كبيراً من المدونين المصريين هم في الأصل فاعلون نشيطون في جمعيات ومنظمات حقوق الإنسان والمجتمع المدني(٥٤)، ويتناول نسبة من المدونين في مدوناتهم مواضيع ذات طابع سياسي وهم شباب لم يجدوا فرصة للنشر في الصحف في بلدانهم لجأوا إلى المدونات، والفئة الثانية هم صحفيون محترفون ضاقت بهم حدود الرقابة في مؤسساتهم فلجئوا هم كذلك إلى المدونات والدافع لذلك هو إدراكهم للأهمية المستقبلية للمدونات والتدوين في العالم عامة والوطن العربي خاصة وبسعي دؤوب ومتواصل لإحداث شرخ في سيطرة الدولة على الإعلام فضلاً عن رغبتهم في التغيير وتوعية المواطنين ورغبتهم في نشر الحقيقة كما هي إضافة إلى أن هناك رغبات ذاتية لكل مدون(٥٥).

وتتنوع الموضوعات التي تتناولها المدونات العربية ما بين السياسة والثقافة والفلسفة والفن والأدب والدين والإعلام والتقنية والرياضة والمذكرات الشخصية والأشعار وأحياناً الطرائف والنكات فضلاً عن تنوع أسماء المدونات للتعبير عن حالة أصحابها فغالباً ما يسمى المدون مدونته باسم وهمي أو كوميدي أو سياسي ساخر أو قد يسميها باسم يعبر عن حالات الفساد أو الإحباط السياسي أو الاجتماعي الذي يرغب في تناوله، وبعيداً عن ما يريد فيه(٥٦).

كما وتسهم بعض المدونات في استقطاب الأقلام الشابة وجمع كتاباتها على شكل كتاب على الانترنيت ضمن إصدارات المدونة ومنها مدونات دار الشروق التي تضم العديد من الكتب التي تسهم في الدعاية لها والترويج وتحميلها بمجرد النقر على كود التحميل فضلاً عن العديد من الإصدارات لكتب عربية ومترجمة وتسعى هذهِ المدونة لاستقطاب العديد من المدونات وتشكيل روابط أو تجمعات فيما بينهم للترويج للكتاب والدعاية لدار النشر عن طريق استخدام المدونات المضيفة وزوارهما وتعميق هذهِ التجربة فيما بينهم وإعطاء المدونين الحرية في ترشيح الكتب التي تسهم في تثقيف المتصفح على الانترنيت ومن وجهة نظر صاحب المدونة مختار العزيزي إن عملية ترشيح الكتب في عالم التدوين العربي تؤثر بلا شك في رواد كتاب ما ولكن أن يقوم المدون بترشيح الكتاب(٥٧) وكأن، الكتاب نفسه معروضاً في صحيفة أو مجلة ولهذا فإن عامل الثقة في تقييمات المدون عامل مؤثر فضلاً عن ترشيح المدون الكتب لزوار مدونته.

ويواكب المدونون العرب الأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية في بلدانهم، ويتفاعلون معها ويبدون آراءهم إزاء كل حدث مما عمق التواصل فيما بينهم وتجلى ذلك في الحملة الدعائية الكبيرة التي نظمها المدونون في مطلع العام ٢٠٠٨م للتهيئة لإضراب السادس من نيسان ضد الغلاء وممارسات السلطة هناك مما حشد هذهِ الدعاية الرأي العام المحلي وانعكس ذلك على المستوى العربي والعالمي ويعد هذا الحدث من أكبر الفعاليات لدور المدونات في الدعاية للقائمين فيها ضد السلطة مما حفزهم لإعداد وتنفيذ إضراب سلمي بعد أن واجه المدونون في الإضراب الأول الضرب والاعتقال والمحاكمة وكان الإضراب الثاني لمناسبة ميلاد الرئيس المصري في الرابع من مايس في العام الحالي ٢٠٠٨م تم في هذهِ الحملة الدعائية ضد الرئيس والسلطة وضع لافتات وأعلام سوداء والاعتصام في

المنازل مما كان له دور فعال في السلطة علماً أن الإضراب الأول في السادس من نيسان حقق مطالبهم وفعلاً أصدرت السلطة عدد من القرارات في الحد من غلاء المعيشة وتوفير الخبز بأسعار مدعومة وزيادة رواتب الموظفين والعاملين بنسبة ٣٥%[٥٨].

وكذلك فعل المدونون المغاربة وتجسد ذلك في التأييد الذي أظهره في فوز الإسلاميين في الانتخابات ومواضيع تفكيك طلبة أنصار المهدي وإقالة الجنرال بعنيكري ويتجسد نشاط المدونين في ميولهم نحو الفعل الصحفي والسعي للتغيير ولهم الشجاعة لإبداء آرائهم علانية ولهم الشجاعة للتعامل مع الانترنيت بالوقت الذي يعتبره الكثير من الشباب العربي وحشاً يجب عدم الاقتراب منه[٥٩].

الانترنيت أتاح مجالاً واسعاً ومساحات فسيحة للمدونات الالكترونية تكون أحد مصادر المعلومات وهي متاحة لأي شخص في العالم لديه إمكانية الاتصال بالانترنيت إذ بالإمكان لأي فرد أن يكون ناشراً للمعلومات مع الحرية التامة فيما يبدي من معلومات وآراء وهو ما يثير جدلاً حول درجة الثقة في المعلومات التي يقدمها المصدر ومن هنا تؤدي الدعاية والقائمين عليها دوراً كبيراً للترويج للأفكار والسلع عبر هذهِ المدونات وتحقيق إجماع أو جذب لفكر معين أو رأي ما أو سلعة أو منتج لتحقيق الترويج له وهذا يتطلب السعي لوجود معايير وميثاق لأخلاقيات التدوين يتبعها المدونون وفقاً للقواعد المعيارية في إسناد المعلومات إلى أصحابها وغيرها من المعايير التي تحقق المصداقية فيما ينشره هذا المصدر أو ذاك لأن الملكية الفكرية والإبداع أثمن من أي ملكية مادية مما يدفعنا للمطالبة إلى جعل المدونات تدخل ضمن المصنفات التي يسري عليها قانون حماية الملكية الفكرية ووضع العقوبات الرادعة التي من شأنها أن تردع كل سارق عن سرقة ثمار عقول المدونين وإبداعاتهم الفكرية[٦٠].

الدراسة التطبيقية للبحث

تعد المدونات التجديد الأحدث الذي شهدته حركة التطور على الانترنيت والذي هز عالمه بقوة. وهو سجل للأحداث والكتابة الآنية للوضع العربي بعيداً عن رقابة الدولة وأجهزتها ومن خلال تحليل ومسح المدونات نصل إلى نتائج تسهم في أغناء البحث حول موضوع الدراسة..استخدام الدعاية لمدونات المنظمات والمؤسسات والأحزاب والأشخاص دراسة

تحليلية في مدونات موقع جيران.. وعن طريق الاستعانة بالجداول والإحصاء ومن خلال تحليل عينة البحث لمدونات موقع جيران لشهر تموز ٢٠٠٨ والجداول التالية توضح ذلك:

١. توزيع المدونات في الدول

والجدول رقم (١) يمثل عدد المدونات في كل دولة من الدول العربية أو دول العالم واحتلت مصر المرتبة الأولى وبنسبة ٢٧% وبـ٧٠ تكرار وتليها في المرتبة الثانية سوريا وبنسبة ١٩% وبتكرار ٥١ مرة وتليها العربية السعودية بنسبة ٩% وبتكرار ٢٤ مرة، وبعدها الجزائر بنسبة ٨% و١٨ تكرار ويليها العراق بالمرتبة الخامسة وبنسبة ٧% وبتكرار ١٧ مرة، وهكذا لبقية الدول ويتضح من الجدول أدناه أن المدونات أسهمت في تعزيز العلاقات بين شباب الأمة العربية في المهجر والتفاعل فيما بينهم وتفاعل العلاقات التجارية مع دول العالم من خلال استخدام المدونات باللغتين العربية والانكليزية من ١٢ دولة غير عربية لمخاطبة المجتمع العربي. وهذا يعني أن نسبة ٤٠% من الدول حسب العينة تسهم في رفد الوطن العربي بمدونات وعملية تواصل حضاري وثقافي وتجاري وتعد أسلوب للدعاية للشركات والأشخاص والمؤسسات والأحزاب عن طريق التواصل مع الجمهور عبر ألنت وطرح ما يرغبون في إيصاله للآخرين وتسهم في الدعاية للغايات التي تهد لها، وغيرها عن طريق وجود ١٢ دولة من دول آسيا وأوربا والأمريكتين في المخاطبة والتفاعل مع المدونات العربية وهذهِ النسبة على قلتها فإنها تفتح آفاقا جديدة لعلاقات عامة أوسع بين المدونين العرب وغيرهم في دول العالم.

جدول (١)

يوضح المدونات حسب الدول

ت	اسم الدولة	التكرار	%	ت	اسم الدولة	التكرار	%
١	مصر	٧٠	٢٦.٠٨١	١٦	الولايات المتحدة	٣	١.١٤
٢	سوريا	٥١	١٩.٥٤	١٧	البحرين	٢	٠.٧٦٦
٣	السعودية	٢٤	٩.١٩	١٨	تركيا	٢	٠.٧٦٦
٤	الجزائر	١٨	٦.٨٩	١٩	بلجيكا	٢	٠.٧٦٦
٥	العراق	١٧	٦.٥١	٢٠	كندا	٢	٠.٧٦٦
٦	المغرب	١٥	٥.٧٤	٢١	موريتانيا	٢	٠.٧٦٦
٧	فلسطين	٨	٢.٦٨	٢٢	عمان	١	٠.٣٨

٨	الأردن	٧	٣.٠٦٥	٢٣	ماليزيا	١	٠.٣٨
٩	السودان	٦	٢.٢٩	٢٤	انكلترا	١	٠.٣٨
١٠	لبنان	٥	١.٩١	٢٥	اندونيسيا	١	٠.٣٨
١١	الإمارات	٥	١.٩١	٢٦	الصين	١	٠.٣٨
١٢	الكويت	٤	١.٥٣	٢٧	نيوزيلندا	١	٠.٣٨
١٣	ليبيا	٣	١.١٤	٢٨	الأرجنتين	١	٠.٣٨
١٤	اليمن	٣	١.١٤	٢٩	كروانيا	١	٠.٣٨
١٥	قطر	٣	١.١٤	٣٠	تنزانيا	١	٠.٣٨
مجموع التكرار في العينة ٢٦١ وبنسبة ١٠٠ %							

٢. محتوى المدونات

مجموعات لكل منها طابعها يميزها عن غيرها،وتعتمد المدونات على النصوص التي يكتبها المدونون على صفحات مدوناتهم،وقد يضاف إليها صور ولقطات فيديو وتسجيلات صوتية وغيرها وهي إحدى الوسائل الدعاية التي يستخدمها المدون للدعاية إما الشخصية أو للمؤسسة أو المنظمة أو الحزب أو الجهة التي يهدف للترويج أو الدعاية له،وعن طريق دراسة العينة تبين وفق المدون الأتي نسب المدونات حسب المحتوى سواء كان ثقافياً أو اقتصادياً أو دينياً أو فنياً أو اجتماعياً وغيره، وعن طريق العينة يمكن أن نتوصل لنتائج عن اتجاه المضمون لمحتويات المدونات.

تبين للباحث بان المدونات الثقافية احتلت بكل أشكالها سواء في مجالات الشعر أو النقد أو النثر أو الخطابة نسبة ٥٠% وتعد إحدى الوسائل الدعاية الشخصية للكاتب أو الشاعر في المنظمة أو الجهة التي يتحدث عنها في تدوينته وعن طريق١٣٧ تكراراً وتستقطب هذهِ المدونات في محتوياتها شريحة واسعة من أصحاب المواهب الأدبية والشعرية وتجمعهم في تجمعات ذات ميول متقاربة وتخلق لديهم الرغبة في التفاعل فيما بينهم مما يدفع ذوي الاهتمام

المشترك بفتح آفاق أُخرى لصاحب الموهبة عن طريق وضع اسم مدونته ضمن المدونات المفضلة لجذب جمهور لها وخلق حالة التفاعل معها كشكل من أشكال العلاقات العامة واحتلت المدونات ذات المحتوى الاقتصادي والتي تشمل مدونات الشركات والمكاتب العقارية والشركات الصناعية والتجارية أو الحزبية المرتبة الثانية وبنسبة ١٢% وعن طريق ٣٢ تكراراً وهذهِ المدونات تكون عادةً مدونة باسم الشركة أو المنظمة أو يقوم أحد الأفراد من موظفي العلاقات العامة في تلك بإنشائها من أجل جذب أنظار الجمهور المتصفح للانترنيت إلى مؤسسته أو منظمته فيما احتلت المدونات ذات المحتوى الديني نسبة ١٠% و ٢٧ تكراراً وهذا يعني أنه رغم كثرة المواقع الدينية على الانترنيت والفضائيات فإن التدوين الديني مازال بهذهِ النسبة من التدوين ولكن مع ذلك فيشكل قاعدة للانفتاح ألتدويني لذوي المواهب والأفكار الدينية التقليدية للولوج في عالم التدوين الواسع. واحتلت المدونات ذات الاهتمامات الفنية نسبة ٧% وبتكرار ١٨ وتمثل اهتمام نسبة من الشباب بأعمار متفاوتة من ١٥ إلى ٢٥ عاماً عن طريق تأثرهم بالمسلسلات الدرامية المدبلجة من اللغة التركية إلى العربية مما حفز الشباب والشابات على البحث عبر الانترنيت واستباق الأحداث لعرضها على الجمهور فضلاً عن اهتمام الآخرين بتشجيع عدد من الفنانات والفنانين ومتابعة الأحداث الفنية ووصل الأمر إلى تسمية مدونات باسم الممثلات مثل (لميس) واسم الفنانين مثل (تامر حسني) وغيرهم من الفنانين وهي وسيلة من وسائل الدعاية. فيما بلغت نسبة المدونات المهتمة بالشأن الاجتماعي نسبة ٦% من العينة وبتكرار ١٣ مرة وتدور أغلبها حول الزواج والطلاق والعنوسة والعنف ضد المرأة والعلاقات بين الرجل والمرأة يسهم المدونون إلى اطلاع المتصفح على ما يعانيه مجتمعهم المحلي والعربي من هذه المشاكل.

جدول (٢)

المدونات حسب المحتوى

ت	المحتوى	التكرار	%
١	ثقافية	١٣٧	%٥٢
٢	اقتصادية	٣٢	%١٢
٣	دينية	٢٧	%١٠

٤	فنية	١٨	%٧
٥	اجتماعية	١٣	%٥
٦	علمية	١٢	%٥
٧	رياضية	٨	%٣
٨	ترفيهية	٧	%٣
٩	سياسية	٤	%٢
١٠	إعلامية	٣	%١
المجموع		٢٦١	%١٠٠

واحتلت المدونات العلمية والتكنولوجية نسبة ٦% وبتكرار ١٣ مرة من العينة وتشمل هذهِ المدونات العلوم بمختلف أصنافها وتكنولوجيا الاتصالات والانترنيت والحاسب الآلي. كما احتلت المدونات ذات المحتوى الرياضي ٣% وبتكرارات ٧ مرات وشملت اهتمامات المدونين بعدد من النوادي العربية التي يشجعونها كالنادي الأهلي المصري أو الفرق الرياضية كالفريق العراقي الذي حقق الفوز في تصفيات آسيا فضلاً عن إبراز أهم اللاعبين في هذهِ النوادي، ضمن الفرق الرياضية التي يتم تشجيعها وتقديم معلومات رياضية واسعة عن المنطقة الجغرافية للمدون في العالم التي تستضيف المباريات العربية والأجنبية وهي دعاية موجهه للمنتديات والنوادي التي ينتمي لها المشجعين. وبلغت نسبة المدونات الترفيهية ٣% و٧ تكرارات عن طريق إدخال الألعاب والمسابقات والنكات وغيرها لجذب اهتمام الجمهور لها فيما بلغت المدونات السياسية ضمن العينة ٢% وبأربع تكرارات وشملت مدونات لأحزاب سياسية أو سياسيين عبروا فيها عن أفكارهم وتوجهاتهم السياسية وانتقاداتهم للوضع العربي الراهن وتسهم هذهِ المدونات في خلق حالة تفاعل بين الجمهور وهذهِ الأحزاب أو القوى السياسية لكسب تأييدها في منهجها المعد مسبقاً لهذا الغرض إن محتوى المدونات يعكس هاجس انفعالات وأفكار المدون وما يطرأ على الساحة العربية سواء أحداث سياسية ثقافية أو فنية أو علمية أو دينية ويتم تحليل مضمون العينة الأساسية للمدونات من مجموع عينة المدونات بأسلوب التصفح المباشر لكل مدونة وتم الاعتماد عن طريق التصفح على عشر مضامين يمكن تحليلها

من محتوى المدونات عن طريق جمع الأفكار المتشابه ضمن محتوى واحد من أجل الإسهام بشكل فعال وبسيط في تحليل مضمون المدونات.

وكان ذيل العينة لمحتوى المدونات الإعلامية وهي مدونات لصحفيين وأكاديميين إعلاميين وكانت نسبة ١% وبثلاث تكرارات وتشمل مواضيع إعلامية متخصصة ومقالات لصحفيين في الصحف الورقية اليومية وغيرها من الدراسات الإعلامية.

٣. التحديث

يتمثل التحديث في عملية تجديد محتويات المدونة من قبل المدونة وتتفاوت عملية التحديث بين المدونين وحسب تفرغهم أو قدرتهم على مواصلة الكتابة وإثراء محتوى المدونة بالمعلومات وكون أغلب المدونين من غير المتفرغين مهيئاً للتدوين بسبب ارتباطاتهم الوظيفية أو المهنية في كسب رزقهم وكون المدونات هواية تصقل مواهبهم الأدبية والعلمية والفنية وغيرها فإن تحديث المدونة يتوقف على مدى اتساع الوقت للمدون لاستحداث مدونته وعن طريق تصفح العينة تبين أن نسبة ٦٣.٦ كانت غير منتظمة الصدور وبواقع ١٦٦ تكراراً بينما بلغت المدونات التي تصدر شهرياً ٢٦.٨١ وبـ٧٠ تكراراً والنصف شهرياً بخمسة عشر تكراراً وبنسبة ٥.٧٤% والأسبوعية بـ٧ تكرارات وبنسبة ٢.٦٨% والنصف أسبوعية بثلاثة تكرارات وبنسبة ١.١٤% بينما لم نجد مدونة في العينة تصدر وبشكل يومي وهذا يعود أصلاً الى كون عينة البحث من المدونات حديثة الإنشاء أو التكوين ويعني قلة ممارسة المدون لكتابته اليومية بينما نجد أن أغلب المدونات اليومية في المواقع كافة تعود في الأغلب لصحفيين ممارسين في الكتابة ومن أبرزهم الكاتب المصري المعروف **فهمي هويدي** في "**جيران** " الذي يكتب عدداً من المقالات في عدد من الصحف العربية بصورة يومية ويعيد نشرها في مدونته التي تحمل اسمه. والجدول التالي يوضح نسب وتكرار التحديث في عينة البحث.

جدول رقم (٣)

تحديث المدونة

ت	التحديث	التكرار	%
١	اليومي	/	/
٢	نصف أسبوعي	٣	١.١٤%

٣	أسبوعي	٧	%٢.٦٨
٤	نصف شهري	١٥	%٥.٧٤
٥	شهري	٧٠	%٢٦.٨١
٦	غير منتظم	١٦٦	%٦٣.٦
المجموع		٢٦١	%١٠٠

٤. الدعاية في المدونات:

أ. الدعاية في الصفحة الرئيسية

تتكون المدونة عادة من صفحة رئيسية والتي هي الواجهة الرئيسية للمدونة وتضم كافة محتوياتها فيما تضم الصفحة الشخصية نبذة عن حياة المدون وعمره وبلده فضلا من هواياته ورغبته في فتح صفحة للدردشة والحوار مع أصدقاء يلتقي معهم في نفس الرغبة من الهواية والتوجه الفكري والعلمي وغيره من الأمور كما ويمكن خزن أرشيف المواضيع والعناوين التي سبق وان ذكرها في مدوناته والصور التي يحتفظ بها ويرغب باطلاع الجمهور عليها. وشكلت الدعاية الشخصية النسبة الأولى في المدونات وبتكرار ٢٠٩ وبنسبة ٨٠% وهذا يمثل المجال الذي أتاحه الانترنيت لأصحاب المواهب كافة سواء أدبية أو علمية أو فنية أو رياضية أو شخصية أو مهنية للتعبير عن ذاتهم في الكتابة وباستخدام الوسائط المتعددة كافة لإبراز فعالياتهم أمام الآخرين وتلتها المؤسسات الخدمية والإنتاجية بإنشاء مدونات صريحة بأسمائهم لمكاتب العقار أو تجارة السيارات أو شركات الديكور وغيرها وكانت بنسبة ١٣% و ٣٤ تكراراً فيما احتلت الشخصيات المهنية المرتبة الثالثة وبنسبة ٤% وبـ١١ تكراراً وهذا يشمل المهن المتخصصة مثل الفنان صاحب اللوحات التشكيلية يستعرض في مدونته مهنته البحتة في الرسم والتعبير عن طريق لوحاته عن مكامن نفسه وكذلك الحال مع عدد من الصحفيين الذين ينشرون مواضيع مختلفة في وسائل الإعلام المكتوبة ويحولونها على صفحاتهم ومدوناتهم عبر الانترنيت فيما احتلت الأحزاب السياسية والشخصيات السياسية على نسبة ٣% وسبع تكرارات وهذهِ المدونات التي تصدر بأسماء الأحزاب ومنها حزب الإصلاح العراقي وعدد من الشخصيات السياسية على الساحة العربية كمدونة حوارية حول آرائهم وسياستهم وتفاعلهم مع الجماهير وهو أسلوب جديد في عالمنا

العربـي وسبق أن استخدمه السياسيون فـي الغرب وفـي آسيا وفـي مقدمتهم الرئيس الإيرانـي أحمد محمود نجاد في مدونته التي تبث بعدة لغات ومن ضمنها اللغة العربية.

جدول رقم (٤)

الدعاية في المدونات

ت	الدعاية في المدونات	تكرار	%
١	شخصية بحتة	٢٠٩	٨٠
٢	مؤسسات إنتاجية وخدمية	٣٤	١٣
٣	شخصيات مهنية	١١	٤
٤	منظمات وأحزاب	٧	٣
المجموع		٢٦١	%١٠٠

ب. الدعاية في الصفحة الشخصية

وتشـمل الدعايـة فـي الصـفحة الشخصـية عن طريـق استخدام اسـم المـدون سـواء الحقيقي أو المستعار أو عن طريق رموز، والجدول التالي يوضح ذلك.

كما تشكل المدونات المفضلة في جميع المدونات شكلاً من أشكال الدعاية وتسهم فـي تعريـف القـارئ أو المتصـفح علـى مـدونات غالبـاً مـا يكـون لهـا علاقـة بتوجـه صـاحب المدونة المضيفة، وقد شكلت الدعاية لمدونة جيران والتي تصدر من ذات الموقع علامة في المدونات كافة وتوزعت باقي المواقع الفضلة بين مدونة أمانة العاصمة الأُردنية كون موقع جيران يبث من الأُردن نسبة ٨٥% وبتكرار بلغ ٢٢١ والمدونات الثقافية المضيفة بلغت ٣٣ تكراراً وبنسبة ١٣% والمدونات الفنية كانت بنسبة ٢% و٦ تكرارات ومن هنا يبين الجدول التالي أن المدونات المفضلة تسهم في الدعاية أولاً لصاحب المدونة المضيف وثانيا للمدون صـاحب المدونـة التـي ترك عنوانها وهو بدوره سيسهم في تضييف عنوان مدونـة زميلـه فـي مدونته.

جدول (٥)

الدعاية في الصفحة الشخصية

ت	اسم المدون	تكرار	%
١	أسماء باللغة الانجليزية	١٣٦	٥٢%
٢	عناوين E-mail	٧٥	٢٩%
٣	أسماء باللغة العربية	٤٣	١٦%
٤	باللغة الانجليزية والعربية	٧	٣%
المجموع		٢٦١	١٠٠%

وتبين لنا من الجدول أعلاه أن ١٣٦ تكراراً وبنسبة ٥٢% يستخدمون أسماءهم باللغة الإنجليزية في مدوناتهم فيما يتبين أن ٢٩% وبـ٧٥ تكراراً يستخدمون عنوانهم الالكتروني محل أسمائهم في المدونة مقابل ٤٣ تكراراً وبنسبة ١٦% يستخدمون أسماء مستعارة أو أسماءهم باللغة العربية وكانت نصيب استخدام اللغتين العربية والانكليزية ٧ تكرارات وبنسبة ٣% ويسعى المدونون في مدوناتهم إلى استخدام أسمائهم الحقيقية في حالة رغبتهم في إبراز شخصيتهم ومواهبهم وجذب المتصفحين لهم والتفاعل معهم فيما يسعى أصحاب العناوين البريدية إلى خلق حالة من التفاعل عبر الإيميل البريد الالكتروني سواء عن طريق الرسائل أو الحوار المباشر عبر الماسنجر.

ويسعى المدونون الذين يستخدمون أسماء مستعارة كالأسد أو فارس بلا جواد وغيرها من الأسماء إلى فقد مجتمعاتهم المحلية أو العربية بعيداً عن السلطة مما يجعلهم يكتبون بحرية أكبر وأوسع فيما يسعى أطراف أُخرى من المدونين إلى جذب اهتمام الآخرين عن طريق الرمز بأسمائهم إلى أرقام وحروف إلى خلق تفاعل معهم لأن أغلبهم يتابع المسلسلات الدرامية العاطفية ويتفاعل معها ومنها المسلسلات التركية المدبلجة التي أخذت حيزاً من المدونات خلال العينة البحثية.

ج. أُسلوب الدعاية في الصفحة الشخصية

يسعى المدونون في الصفحات الشخصية إلى استقطاب القراء عبر التوضيح عن مكوناتهم الشخصية عن طريق استعراض تفاصيل أدق عن حياتهم والجدول التالي يوضح ذلك. أن المجال واسع ومفتوح لكل من يجد بنفسه الموهبة والقدرة عن التعبير في شتى

نواحي الحياة فان الأبواب مشرعة أمامهم عن طريق المدونات عبر الانترنيت وكل من لديه فكرة لمشروع ويسعى للدعم أو المشاركة في شتى أنحاء العالم وكذلك الحال مع الشركات والأحزاب وذوي المهن يعملون من خلال المدونات على استقطاب أوسع عدد من الجمهور حولهم، والجدول التالي يوضح أسلوب الدعاية الشخصية بالمدونة.

جدول (٦)

أسلوب الدعاية في الصفحة الشخصية

ت	أُسلوب الدعاية الشخصية	تكرار	%
١	السيرة الذاتية	٢٣٩	%٩١
٢	الهواية	١٥	%٦
٣	المهنة	٧	%٣
المجموع		٢٦١	%١٠٠

وتبين من الجدول أعلاه أن المدونين يذكرون سيرتهم الذاتية العمر وتفاصيل الحياة بـ٢٣٩ تكراراً وبنسبة ٩١% وبعدها يتم التوسع في الهوايات التي يرغب في أن يجتمع مع الآخرين بها بـ٥ تكرار وبنسبة ٦% فيما تبين أن ٣% يسعى لإبراز مهنته ورغبته في إيجاد عمل يتناسب وكفاءته، ما تم دراسته من خلال هذا البحث الدعاية في المدونات والتي تتوسع يوما بعد أخر بفضل سهولة استخدام ألنت ورخصه وعدم وجود عوائق أمام المدون للانطلاق بكل حيوية في التعبير عما يرغب التعبير عنه وتوصل الباحث لعدد من النتائج والتوصيات تسهم في تعزيز الانتشار الواسع للكاتب او المدون للوصول لجمهور واسع في هذه المعمورة.

نتائج البحث

توصل الباحث إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن صياغتها كما يلي:

١. إن المدونات أصبحت تُشكل حلقة من حلقات الدعاية، لأنها تنقل أحداث الدول والمدن والقصبات في العالم وبأساليب مختلفة وحسب قدرة المدون في إيصال المعلومة للقارئ، ومن هنا يفرض المدون أُسلوبه وصياغته وقوة تعبيره على المتصفح للانترنيت ويكسب

جمهوراً يتفاعل معه من مختلف دول العالم خاصة أن المدونات اكتسحت العالم بأسره ومنها الدول العربية عامة والعراق خاصة، الذي أصبحت حركة التدوين فيه تنتشر بين صفوف المثقفين والشباب والنساء ومختلف طبقات المجتمع.

٢. يعمد المدونون إلى إرضاء جمهورهم عن طريق إدخال كل جديد وممتع في مدوناتهم بواسطة تحديثها باستمرار وثم تقسيم التحدث حسب التسلسل والزمن، وتبين من نتيجة البحث أن التحديث غير المنتظم كان الغالب في التدوين والتحديث الشهري والنصف شهري والأسبوعي بنسب متفاوتة وهذا يعكس قلة ممارسة المدونين لكتابته اليومية في مدوناتهم كونها مدونات حديثة الإنشاء أو التكوين وتتعاون عملية التحديث بين المدونين وحسب تفرغهم أو قدرتهم على مواصلة الكتابة وإثراء محتوى المدونة بالمعلومات كون أغلب المدونين من غير المتفرغين وغير مهيئين للتدوين بسبب ارتباطاتهم الوظيفية أو المهنية في كسب رزقهم وكون المدونة هواية تصقل مواهبهم الأدبية والعلمية والفنية وغيرها.

٣. وشملت الدعاية في الصفحات الشخصية عن طريق استخدام المدون اسمه الحقيقي أو المستعار أو بواسطة رموز ويسعى المدونون في مدوناتهم باستخدام أسمائهم الحقيقية في حالة رغبتهم في إبراز شخصيتهم ومواهبهم وجذب المتصفحين لهم والتفاعل معهم فيما يسعى آخرون إلى استخدام عناوينهم البريدية من أجل جذب المتصفحين والتفاعل معهم عبر البريد الالكتروني الإيميل سواء عن طريق الرسائل أو الحوار المباشر عبر الماسنجر فضلاً عن استخدام أسماء مستعارة كالأسد وغيرها من الأسماء لنقد مجتمعاتهم المحلية أو العربية بعيداً عن السلطة مما يجعلهم يكتبون بحرية أكبر وأوسع فضلاً عن قيام قسم من المدونين باستخدام رموز أو حروف وأرقام إلى خلق حالة من التفاعل مع الجمهور.

٤. ان الصفحة الشخصية في المدونة هي صفحة دعاية للمدون لأنها تكشف للمتصفح عن هوايات وقدرات وإمكانات المدون وتعمل على جذب من هم يشاطرونه نفس الاتجاه، فضلا عن المدونات المهنية البحتة والتي يهدف المدون لجذب الآخرين والتعرف عليهم.

٥. هنالك مدونات للأحزاب كحزب الإصلاح وأخرى لطبيب جراح بريطاني والعديد من المدونات لأصحاب المهن والحرف وتجار العقارات للدعاية لمؤسساتهم ومهنهم.

التوصيات

١. التوسع في فتح ورش العمل بالتعاون مع منظمات المجتمع المدني لإنشاء مدونات عراقية رصينة ترصد الواقع وتعمل على إعلاء الشأن العراقي وإنجازات شعبه في المجالات كافة كما وتعكس قدرة العراقيين على تطويع هذا الجانب التقني لخدمة العراق وشعبه وكما هو معمول به في عدد من الدول العربية.

٢. العمل على خلق تجمع أو اتحاد للمدونين العراقيين لتنظيم عملهم ودعمهم ورعايتهم كما هو معمول به في أغلب الدول العربية والإسهام من خلال تطوير المدونات وخلق حالة التنافس النزيهة بينهم.

٣. حث العراقيين وخلق تعاون مشترك كون المدونين هم صحفيو المستقبل وممن تزخر كتاباتهم بقبول الرأي العام لها وتتفاعل معها و كما هو معمول به في اغلب دول العالم.

٤. فتح أفاق واسعة لكل فئات الشعب لممارسة الكتابة والتعبير عن طريق تشجيع أنشاء المدونات وحث الفئات العمرية من الشباب خصوصا الإبداع في هذا المجال ومنها الجامعات والمعاهد والثانويات ومراكز العمل في شتى ميادين الحياة كونها وسيلة عصرية ونافذة يطل منها ذوي المواهب وأصحاب الشركات والمؤسسات من خلالها للعالم.

٥. إيجاد وسائل للمنافسة بين المدونين عن طريق إقامة المسابقات المحلية والدولية بين المدونين وحسب محتوى المدونات وهذا الأسلوب بادرت به ألمانيا فبل خمس سنوات وتبعها عدد من الدول في العالم ومنها مصر.

٦. احتضان المدونين المتميزين ودعمهم من قبل وسائل الإعلام عن طريق نشر نتاجا تهم في وسائل الإعلام وهذا الأسلوب اعتمدته اغلب وسائل الإعلام الأمريكية والألمانية كون المدون مخبر محلي يمكن تصوير الحدث مباشرة عبر هاتفه الشخصي أو الكاميرا التي يحملها مما قد يحقق سبق على وسائل الإعلام فضلا عن وصفه للحدث بعفوية وبعيدا عن تأثير السلطات في صياغة الحدث.

٧. حث دوائر العلاقات العامة في القطاعين العام والخاص على أنشاء مدونات تعكس نشاطات وفعاليات المؤسسة أو المنظمة التي يعمل بها المدون لسهولة الإنشاء ورخص

الكلفة وتسهيل عملية التواصل مع الجمهور ومواكبة التطورات العالمية وهذه الظاهرة أصبحت متبعة عالميا وأول من باشرت بها شركة مايكروسوفت العالمية و شركات كبرى مثل كوكل وياهو وبعدها انتشرت على مستوى عالمي.

٨. ان تشجيع الدعاية لانجازات العراقيين في ظل الظرف الراهن يعد إسهام في إعادة الحياة السعيدة لكل العراقيين.

هوامش البحث

(١) رجاء وحيد دويدي، البحث العلمي أساسيات النظرية وممارساته العلمية، دمشق، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠، ص١٨٣.

(٢) رشيد فيكاري، كاتب ومدون على النت http://www.Gandare.org

(٣) جمال الرزن، المدونات الالكترونية وسلطة التدوين، باحث في جامعة منوبة، تونس، دراسة على النت، ص٤.

(٤) موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة media communications ٢٠٠٦ ©

(٥) روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، أيلول ٢٠٠٧، ص٣٤.

(٦) عبد الرحمن فراج، باحث وكاتب وصاحب مدونة، وللاستزادة يمكن زيارة موقع.
http://www.alyaseer.net/vb/showtheread.php?=٤٩٩١

* هو نوع من الإيقونات تضاف للمواقع الإلكترونية يسمح للزوار بإضافة المحتويات وتعديلها بدون أي قيود.

(٧) مجلة مدارات ArchiveduBlog شبكة المدونات مصدر سابق.

(٨) حسين منصور، بدايات ومراحل تطور الإعلام الالكتروني العربي والدولي على شبكة الانترنيت، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب قسم الأعلام بجامعة الأزهر، ٢٠٠٧، ص٤٥.

[٩] يمكن الاطلاع أكثر على معلومات أكثر على:
http://en.wikipedia.org/wiki/Photoblog

[١٠] يمكن الاطلاع على معلومات أكثر على
http://en.wikipedia.org/wiki/Blogospher

[١١] برنامج وثائقي عن المدونين العرب وأشهر المدونات، أنجزته قناة الجزيرة الإخبارية عن طريق توثيق المدونات وإجراء لقاءات مع مدونين وشخصيات إعلامية وصحفية ومنشور على موقع الجزيرة نت.

[١٢] يمكن مشاهدة العديد من أنواع المدونات على هذهِ الروابط:
http://www.blogwise.com,
http://www.bloglines.com,
http://www.livejournal.com

[١٣] محمد سعيد احجيوج، دفاتر التدوين– ألف باء التدوين– الدليل السريع لإنشاء المدونات، المغرب، مؤسسة mshjiouij للنشر الالكتروني، ٢٠٠٨، ص٩.

[١٤] سعيد المصري وآخرون، مصدر سابق: ص١٧.

[١٥] يمكن متابعة اكثر على
http://www.redmon٤u.com/٢٠٠٦/١١/٢١/payperpost/

[١٦] محمد سعيد احجيوج http://www.mshjouij.com/blog/٤٠ ص١١.

[١٧] محمد سعيد احجيوج، المصدر نفسه، ص٧.

[١٨] حسين منصور، مصدر سابق، ص٣٤.

[١٩] اتحاد المدونين العرب www.arabictadwin.com/-٧٨k

[٢٠] مدونة وائل عباس الرعي المصري http://misrdigital.blogspirlt.com

[٢١] زكي حسين الوردي، صحافة المدونات الالكترونية على الانترنيت، بحث منشور في مجلة الباحث العلمي الصادرة عن كلية الإعلام، جامعة بغداد، العدد٣، حزيران، ٢٠٠٧، ص١٢.

[٢٢] محمد سعيد احجيوج، دفاتر تدوين، مصدر سابق، ص١٠.

[٢٣] بوابة المغرب
http://marocsite.com/ar/modules/news/article.php?storyid

[٢٤] محمد سعيد احجيوج، دفاتر تدوين، مصدر سابق، ص١٢،

[٢٥] يمكن الاطلاع أكثر على موقع، المدونون، www.arwp.net/rules.php-

(٢٦) محمد سالم غنيم، أدوات ضبط المدونات عبر الانترنيت، دراسة منشور على النت، للباحث المصري المتخصص بالمواقع الالكترونية،
librariansinmenofia.blogspot.com/٢٠٠٨/٠٢/blog-post_٦٢٧٢.html

(٢٧) هناء حافظ بدوي، العلاقات العامة والخدمات الاجتماعية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٩، ص٢٢.

(٢٨) حميدة سميسم، الدعاية المضادة وسبل مواجهتها، بحث منشور في مجلة حوليات الإعلام الصادرة عن قسم الإعلام كلية الآداب جامعة بغداد، العدد٢، ١٩٨٣، ص٧٧.

(٢٩) هناء حافظ بدوي، مصدر سابق، ص١٥٠.

(٣٠) أحمد بدر، الإعلام الدولي، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٥، ص١٢٣.

(٣١) ديفيد فيليبس، العلاقات العامة عبر الانترنيت، ترجمة شعبة العلوم الاقتصادية والإدارية، القاهرة، دار الفاروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص١٢.

(٣٢) المصدر السابق، ص١١.

(٣٣) عبد المحسن سلمان الشافعي، الإعلان في الصحافة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام، كلية الآداب، شباط، ١٩٨٩، ص٣٣.

(٣٤) يمكن الاستزادة من خلال الاطلاع على موقع، دعاية الفيس بوك، موضوع عقول الشباب، www.compahot.com/news.

(٣٥) يمكن الاستزادة من خلال الاطلاع موقع لذيذ http://lazeeez.com

(٣٦) يمكن الاستزادة من خلال الاطلاع موقع ن دليلك http://dalelak.net

(٣٧) الدعاية والإعلان عبر ويكيبيديا، الموسوعة الحرة،
wgnoticez'''warwagnot;ce''/docal

(٣٨) يمكن الاستزادة من خلال الاطلاع على موقع blogs.albawaba.com/hadimajali

(٣٩) صحيفة الوطن السعودية الالكترونية، نقلاً عن، هيرفيه لو كور نيبه باحث في جامعة دان الفرنسية، ١٧/ ٤/ ٢٠٠٨م.

(٤٠) شريف درويش اللبان، الصحافة الالكترونية والدراسات التفاعلية والتصميم للمواقع، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠م، ص١٩٦.

(٤١) حسني محمد نصر، الانترنيت والإعلام: الصحافة الالكترونية، بيروت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٤٦.

(٤٢) جهاد الخازن، جريدة الحياة موضوع في، www.daralhayat.com١L٥L٢٠٠٦،

(٤٣) يمكن الاطلاع الاستزادة أكثر على الموقع Arabic Media Internet Network

(٤٤) موضوع في جريدة دار الحياة الالكترونية، عيون وآذان حطمت القيود www.daralhayat.com٢٠٠٨/١/٢٣

(٤٥) يمكن الاطلاع الاستزادة أكثر على الموقع Just another weblog.

(٤٦) يمكن الاطلاع اكثر على الموقع..

www.hrinfo.org/egrptledi/٢٠٠٨/pro٤٠٨-٤shtml

(٤٧) حنان سليمان، الانترنيت والدعاية، جريدة الحياة اللندنية الالكترونية، ٢٠٠٨/٢/١٩.

(٤٨) الدعاية الانتخابية والانترنيت، مصدر سابق جريدة الحياة الالكترونية، ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٨.

(٤٩) يمكن الاطلاع الاستزادة أكثر على الموقع، انتخاب كوم www.saudielection.com

(٥٠) هوارد دين أول مسؤول للموقع الالكتروني Garrett. M. Graff وأول مدون للمرشح الديمقراطي لتغطية نشاطات البيت الأبيض وهو أُستاذ ألف كتاب بعنوان Globalization, the web and the Race.

(٥١) مدونة الرئيس الإيراني محمود أحمد نجاد.

MahmoudAhmadinejad-TheOfficialBlog-Tehran,IslamicRepublic...

(٥٢) مدونة محافظة حضرموت. amalhdrmout.blogspot.com

(٥٣) يمكن الاطلاع الاستزادة أكثر على الموقع، مواقع الوزارات العراقية.

(٥٤) يمكن للاطلاع على موقع..

http://www.mshjiouij.comltagt٢K٨٪AA٤l٧l٢٠٠٨

(٥٥) مدون محمد سعيد احجيوج، مصدر سابق.

(٥٦) محمد جمال عرفة "البلوجزر" قنابل سياسية ومنتديات اجتماعية، المجتمع مجلة المسلمين في أنحاء العالم ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٦ http://www.almujtamujtamaa-mag.com

(٥٧) يمكن الاطلاع الاستزادة أكثر على الموقع مختار العزيزي unbralnwasher.

(٥٨) يمكن الاطلاع الاستزادة أكثر على الموقع magdy١٠٢.Jeeran.com/achive

(٥٩) محمد سعيد احجيجو، مصدر سابق http://www.mshjiouij.com/tag

(٦٠) يمكن الاستزادة أكثر على الموقع Egypt.tadwen.com/?p-١٩

المصادر والمراجع

١. أحمد بدر، الإعلام الدولي، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٥.

٢. جمال الرزن، المدونات الالكترونية وسلطة التدوين،باحث في جامعة منوبة، تونس، دراسة على النت.

٣. حسين منصور، بدايات ومراحل تطور الإعلام الالكتروني العربي والدولي على شبكة الانترنيت، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب قسم الأعلام بجامعة الأزهر، ٢٠٠٧.

٤. حسني محمد نصر، الانترنيت والإعلام: الصحافة الالكترونية، بيروت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٠م.

٥. حميدة سميسم، الدعاية المضادة وسبل مواجهتها، بحث منشور في مجلة حوليات الإعلام الصادرة عن قسم الإعلام كلية الآداب جامعة بغداد، العدد٢، ١٩٨٣.

٦. ديفيد فيليبس، العلاقات العامة عبر الانترنيت، ترجمة شعبة العلوم الاقتصادية والإدارية، القاهرة، دار الفاروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

٧. زكي حسين الوردي، صحافة المدونات الالكترونية على الانترنيت، بحث منشور في مجلة الباحث العلمي الصادرة عن كلية الإعلام، جامعة بغداد، العدد٣، حزيران، ٢٠٠٧.

٨. شريف درويش اللبان، الصحافة الالكترونية والدراسات التفاعلية والتصميم للمواقع، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠م.

٩. روبير مارتان، مدخل لفهم اللسانيات، ترجمة عبد القادر المهيري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، أيلول ٢٠٠٧.

١٠. شريف درويش اللبان، الصحافة الالكترونية والدراسات التفاعلية والتصميم للمواقع، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٠م.

١١. عبد المحسن سلمان الشافعي، الإعلان في الصحافة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الإعلام، كلية الآداب، شباط، ١٩٨٩.

١٢. محمد سعيد احجيوج، دفاتر التدوين– ألف باء التدوين– الدليل السريع لإنشاء المدونات، المغرب، مؤسسةmshjiouij للنشر الالكتروني، ٢٠٠٨.

١٣.هناء حافظ بدوي، العلاقات العامة والخدمات الاجتماعية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٩.
١٤.سعيد المصري وآخرون، المدونات المصرية فضاء اجتماعي جديد، القاهرة، دراسة علمية عن المدونات، صادرة عن مركز المعلومات والدراسات المصرية التابع لمجلس الوزراء المصري ومنشورة على النت.
١٥.محمد سالم غنيم، أدوات ضبط المدونات عبر الانترنيت، دراسة منشور على النت، للباحث المصري المتخصص بالمواقع الالكترونية،
librariansinmenofia.blogspot.com/٢٠٠٨/٠٢/blog-post_٦٢٧٢.html-
١٦.اتحاد المدونين العرب www.arabictadwin.com/-٧٨k
١٧.برنامج وثائقي عن المدونين العرب وأشهر المدونات، أنجزته قناة الجزيرة الإخبارية عن طريق توثيق المدونات وإجراء لقاءات مع مدونين وشخصيات إعلامية وصحفية ومنشور على موقع الجزيرة نت.
١٨.رشيد فيكاري، كاتب ومدون على النت http://www.Gandare.org
١٩.عبد الرحمن فراج، باحث وكاتب وصاحب مدونة، وللاستزادة يمكن زيارة موقع:
http://www.alyaseer.net/vb/showtheread.php?=٤٩٩١
٢٠.مجلة مدارات ArchiveduBlog شبكة المدونات.
٢١.موقع http://en.wikipedia.org/wiki/Photoblog
٢٢.يمكن مشاهدة العديد من أنواع المدونات على هذهِ الروابط
http://www.blogwise.com ، http://www.bloglines.com
٢٣.مدونة وائل عباس الوعي المصري http://misrdigital.blogspirlt.com
٢٤.موقع بوابة المغرب
http://marocsite.com/ar/modules/news/article.php?storyid.
٢٥.يمكن الاطلاع أكثر على موقع، المدونون،www.arwp.net/rules.php-
٢٦. رجاء وحيد دويدي، البحث العلمي أساسيات النظرية وممارساته العلمية، دمشق، دار الفكر المعاصر، ٢٠٠٠.
٢٧.محمد جمال عرفة (البلوجزر) قنابل سياسية ومنتديات اجتماعية، المجتمع مجلة المسلمين في أنحاء العالم ١٥/ ١٠/ ٢٠٠٦
http://www.almujtamujtamaa-mag.com

٢٨.مدونة الرئيس الإيراني محمود أحمد نجاد.

Official Blog-Tehran,IslamicRepublic…Mahmoud Ahmadinejad–.